

# المذهب الشعري بالغرب الإسلامي

## خلال القرن:

### (٢٠١٣-٢٠٠٥هـ / ٢٠١٣-٢٠٠٥)

أ. د: عبد الغني حروز - قسم التاريخ



# **المذهب الأشعري بالغرب الإسلامي**

## **خلال**

**ق: 5-11-13هـ/م**

**أ.د/ عبد الغني حروز**

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيْمِ

حَمَدُ

الْحَمْدُ لِلّٰهِ رَبِّ الْعٰالَمِينَ





اسم الكتاب: المذهب الأشعري بالغرب الإسلامي خلال ق: 5-11/13هـ

اسم المؤلف: أ.د/ عبد الغني حروز

سلسلة الكتب الأكاديمية لكلية العلوم الإنسانية و الاجتماعية جامعة محمد بوضياف المسيلة

طبعة أولى: 12 ربيع الأول 1444هـ / 08 أكتوبر 2022م

ردمك: 978-9931-4412-7

عدد الصفحات: 458 صفحة

الناشر: كلية العلوم الإنسانية و الاجتماعية جامعة محمد بوضياف المسيلة

إيميل: <https://www.univ-msila.dz>

العنوان: حي إشبيليا - جامعة محمد بوضياف بالمسيلة - الجزائر.

الآراء الواردة في الكتاب تعبر عن آراء أصحابها

جميع الحقوق محفوظة

إهداء

إلى الكتكوتة الصغيرة ابنتي الغالية روان  
وابنائي عمران وكمال

# مقدمة

## مقدمة

### مقدمة:

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شَرِّ رُبُوبِنَا وَسَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مِنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضَلٌّ لَهُ وَمَنْ يَضْلِلُ فَلَا هَادِي لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴾<sup>1</sup>

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾<sup>2</sup>

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا يُصْلِحُ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَعْفُرُ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾<sup>3</sup>

أما بعد: فإنّ أحسن الكلام كلام الله تعالى وخير المدي هدي محمد صلى الله عليه وسلم وشرّ الأمور محدثها وكلّ محدثة بدعة وكلّ بدعة ضلاله وكلّ ضلاله في النار.

ثمّ أما بعد: فإنه لا يخفى ما للعقيدة<sup>4</sup> من دور متميّز في حياة المسلمين إيماناً وسلوكاً فهي الأساس الذي يقوم عليه الدين وتصح معه الأفعال، قال تعالى: «ولقد أوحى إليك و إلى الذين من قبلك لئن أشركتم ليحطّن عملكم و لتكونن من الخاسرين»<sup>5</sup> فالواجب على المسلم أن يكون اعتقاده مبنياً على ما جاء في كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم فهما المصادران اللذان يعول عليهما في هذا الشأن، لذا لم ينشأ النزاع في المسائل العقدية في عهد الصحابة ومن تبعهم بإحسان لشاتهم على هذا المبدأ، لكن لما ظهر من لم يكتف بكتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم وبني عقيدته على علم الكلام وفلسفة اليونان حصل الانحراف في الاعتقاد ونشأ النزاع

<sup>1</sup> - سورة: آل عمران، الآية: 102.

<sup>2</sup> - سورة: النساء، الآية: 01.

<sup>3</sup> - سورة: الأحزاب، الآية: 70، 71.

<sup>4</sup> - العقيدة مشتقة من العقد، وهو الرّبط و الشد و الإحكام، و هي فعيلة بمعنى مفعوله أي معقود على ما دلت عليه مما يجب لله تعالى و ما يجوز و يستحيل. ينظر: جمال علال البختي: العقيدة البرهانية الأشعرية لأبي عمرو السلاجي الفاسي، ط1،

مطبعة الخليج العربي، تطوان، 2008، ص53.

<sup>5</sup> - سورة : الزمر، الآية: 62.

والاضطراب و هذا ما أدى إلى اختلاف الكلمة وتفرق الجماعة وتصدّع بناء المجتمع الإسلامي، فظهرت الفرق والطوائف كلّ واحدة منها تدعو إلى معتقد جديد وسلوك طريق تدعى أنه الطريق المستقيم. لذا حظي موضوع العقيدة بأهمية بالغة في حياة كل مسلم، و باعتبار الحضور المميز للعقيدة الأشعرية بالمغرب الإسلامي التي شكلت معلما من معالمها الثقافية والحضارية ، التي لم تنته كما انتهت بعض العقائد الأخرى، وإنما امتدت ما يقارب عشرة قرون، لذا فالاهتمام بتاريخ حضورها يشكل غاية معرفية جديدة بالتوقف عندها و السعي في تحصيلها.

و في هذا السياق جاء عنوان هذه الدراسة بـ :

### المذهب الأشعري في بلاد المغرب الإسلامي

خلال القرنين 5-11هـ/13-17م

وهي تستهدف الحضور الأشعري في بلاد المغرب الإسلامي، و ترصد عملية تطوره التاريخي، مع إبراز عوامل دخوله و انتشاره خلال فترة الدراسة، مع محاولة إبراز المواقف المختلفة من الحضور الأشعري في بلاد المغرب.

#### إشكالية الدراسة:

لقد تبادر إلى ذهننا و نحن ننّم بالولوج إلى هذا الموضوع جملة من التساؤلات، كانت هي الإشكالية التي دفعتنا إلى البحث، و التي يتمحور حولها الموضوع و التي سنحاول الإجابة عليها حول دخول و انتشار و تطور المذهب الأشعري في بلاد المغرب الإسلامي و هي:

- ما هي طبيعة حضور و تشكل المذهب الأشعري في بلاد المغرب ؟  
و لتقديم إجابة عن هذه الإشكالية كان علينا أن نحيّب على تساؤلات فرعية تطرح نفسها في هذا المقام أهمها:

- كيف انتقل المذهب الأشعري إلى بلاد المغرب الإسلامي؟
- هل طغى الطابع ذاته على مختلف أطوار الحضور الأشعري بهذه البلاد؟
- ما هي الوسائل التي حرّكت هذا الفكر؟
- كيف هي صورة المنحني الذي سلكه المذهب الأشعري بالمغرب الإسلامي؟
- هل كان للفكر الأشعري المغربي ثوابت خاصة تميّزه؟ أم أنه ظل رهين المدرسة الأشعرية في

## المشرق الإسلامي؟

- كيف كان وقع ميلاد المذهب الأشعري وتسربه إلى الجهة الغربية من العالم الإسلامي على أصحاب المذاهب الأخرى؟

- بماذا تميز المذهب الأشعري زمن المرابطين؟ و هل كان له حضور؟

- كيف صار هذا المذهب العقدي مذهبًا رسميًا للموحدين؟ وهل عرف في ذلك تطويراً؟

### أهمية الدراسة:

أسئلة كثيرة يمكن أن تطرح في هذا الصدد، و مع أن الإجابة عنها ليست قطعية، إلا أنها كفيلة – إلى حد ما – لتحقيق المهدف الذي ننشده من هذه الدراسة، و هو:

- المساهمة في إحياء تراثنا الحالد، و تنشيط ثقافتنا الإسلامية و العربية، خاصة أمام محاولات المسح الثقافي الذي تتعرض له البلاد الإسلامية، و كلنا إيمان أننا لن نستطيع الصمود أمام تلك المحاولات المتكررة لطمس هويتنا إلا إذا رجعنا إلى ماضينا العريق، و استخلصنا منه العبر لتبنيت صرح هويتنا الذي يوشك أن ينقض، و علينا أن نتذكر دائمًا أنه من غير استيعاب الماضي لا يمكن فهم الحاضر، فالحاضر درس الماضي، و المستقبل جندي الحاضر.

- كما تكمن أهمية هذه الدراسة في أنها تكشف فترة هامة من فترات التاريخ الإسلامي بالمغرب، و تبرز لنا البواعث الأولى للعقيدة الأشعرية بالمغرب الإسلامي، و ما دفعنا إلى تناول هذا البحث أيضا لأهميته التاريخية خاصة الجانب الحضاري التي خلفته هذه العقيدة.

- رغبة منا في توضيح بعض الجوانب المهمة للمذهب الأشعري ببلاد المغرب الإسلامي، و التي لا تزال بحاجة إلى الدراسة و التمحیص خاصة الجانب العقدي ، لما له من أهمية بالغة في إحداث التطور الحضاري للأمم و الشعوب.

### منهج الدراسة:

لقد حاولنا خلال معالجتنا لموضوع هذه الدراسة أن نتجاوز العرض الكرونولوجي، والتسجيل السطحي للأحداث و الواقع إلى فهم الدلالات والتوجيهات التاريخية، ولذلك اقتضى الأمر تعدد المناهج في التعامل مع المادة التاريخية وهي: المنهج التاريخي، المنهج التحليلي، المنهج المقارن.

كان اعتمادنا على المنهج التاريخي من خلال العودة إلى المادة التاريخية المتناثرة بين أمهات المصادر والمراجع، ومحاولة استقراء بعض الأفكار واستنتاج بعض الحقائق أو التصورات مما أجرحت المصادر عن ذكره أو الفصل فيه.

أما اعتمادنا المنهج التحليلي النقدي فكان من خلال محاولتنا البحث في أسباب و مسببات بعض الأحداث وإعطاء تعقيبات و ملاحظات.

في حين تمثل انتهاجنا للمنهج المقارن في المقارنة بين مختلف آراء الفرق و الملل و النحل و ذلك بمقابلتها بآراء المذهب الأشعري، كما اعتمدنا عليه في محاولة المقارنة بين الروايات التاريخية في ذات الموضوع بين الحين و الآخر، أو المقارنة بين بعض النصوص العقدية، وكذا اعتمادنا عليه لتبیان مدى صدق الفكرة القائلة بأن: "المذهب الأشعري مذهب وسطي"، كما عملنا على الإكثار من الاستشهاد و انتقاء الفقرات من المصادر، و هذا لتأكيد الإستنتاجات المتوصل إليها و للدفاع عنها.

كما اعتمدنا على المنهج الإحصائي الوصفي من خلال محاولة تمثيل المعطيات و الحوادث التاريخية بأشكال بيانية مختلفة (دوائر نسبية، منحنيات بيانية، أعمدة بيانية) و هذا من أجل توضيح انتشار و تطور المذاهب العقدية و الفقهية تارة، وتارة أخرى من أجل تبيين مسار المذهب الأشعري و تطوره ببلاد المغرب الإسلامي.

### خطة الدراسة:

بناء على ما تتوفر لدينا من معطيات مستقاة من مصادر و مراجع و دراسات أكاديمية، فقد بنينا خطة عمل، انتقلنا فيها من العام إلى الخاص، و تتبعنا فيها الحضور الأشعري من خطواته الأولى إلى أن استوي على سوقه.

و قد قسمنا بحثنا إلى : مقدمة و أربعة فصول و خاتمة.

أما المقدمة فتضمنت تحديد عنوان البحث مع الإطار الزماني و المكانى ثم أهمية الموضوع و إشكاليته و دوافع اختياره، بالإضافة إلى المنهج المتبع، و البنود العريضة للموضوع، فعرض و تحليل مختصر لأهم المصادر و المراجع المعتمدة في البحث، منتهين بالصعوبات التي واجهتنا.

جاء الفصل الأول تحت عنوان: "الأوضاع المذهبية في بلاد المغرب قبل القرن 5هـ/11م" استهللناه بالحديث عن المذاهب الأصولية ثم المذاهب الفقهية في المغرب الإسلامي قبل دخول المذهب الأشعري، أي حاولنا عرض أفكار و عقائد مختلف الفرق و الملل و النحل التي كانت منتشرة و سائدة في بلاد المغرب قبل دخول الأشعرية، و جاءت عناصر هذا الفصل كالتالي:  
أولاً: المذاهب العقدية في المغرب الإسلامي قبل دخول المذهب الأشعري.

**المطلب الأول: أهل السنة و الجماعة.**

**المطلب الثاني: الخوارج.**

**المطلب الثالث: الشيعة.**

**المطلب الرابع: المعتزلة.**

**المطلب الخامس: المرجئة.**

و قد تناولنا كل فرقة من هذه الفرق بالتعريف، كما أبزنا نشأتها بالشرق، و تعرضنا لآراء كل فرقة على حدى، منهين حديثنا بدخول هذه الفرق و الملل إلى بلاد المغرب الإسلامي.  
ثانياً: المذاهب الفقهية في المغرب الإسلامي قبل دخول المذهب الأشعري.

**المطلب الأول: المذهب الشوري.**

**المطلب الثاني: مذهب الأوزاعي.**

**المطلب الثالث: المذهب الحنفي.**

المطلب الرابع: المذهب المالكي.

المطلب الخامس: مذهب الشافعی.

المطلب السادس: المذهب الحنبلی.

المطلب السابع: المذهب الظاهري.

حيث عالجنا فيه بداية الأمر المذاهب الأولى التي دخلت بلاد المغرب ثم ما لبثت أن اندثرت، مثل المذهب الثوري و مذهب الأوزاعي، ثم انتقلنا للحديث عن بقية المذاهب التي كتب لها الاستمرار لعدة قرون في بلاد المغرب.

أما الفصل الثاني فجاء تحت عنوان: "دخول المذهب الأشعري إلى بلاد المغرب الإسلامي" عالجنا فيه البيئة التي ولد فيها أبو الحسن الأشعري و مذهبه، و التي اتسمت بالتعصب للرأي و المغالاة، و بعدها عرفنا بأبي الحسن الأشعري (ت 324هـ/936م) صاحب هذا المذهب و مؤسسه، و وقفنا خلالها على أسباب عدوله عن مذهب الاعتزال و إعلانه المذهب الجديد، ثم عرضنا الآراء التي كان يذهب إليها أصحاب هذا المذهب و المواقف المختلفة منها، ثم تحدثنا عن نشأة المذهب في المشرق الإسلامي و انتشاره في الأفاق، و في ختام هذا العنصر حاولنا معرفة أسلاف الأشاعرة و ذلك بمقارنة الأشاعرة بالأراء الكلامية لأئمة الفقه و السلف من أهل السنة و الجماعة، و موقفهم من هذا المذهب.

كما تطرقنا فيه إلى دخول المذهب الأشعري إلى بلاد المغرب الإسلامي، فأشرنا إلى العقائد التي كانت سائدة ببلاد المغرب الإسلامي قبل تسرّب الفكر الأشعري إليها، و هي مذهب أهل السنة ثم الخوارج، فالشيعة، فالمعتزلة، فالمرجعية، أما العقيدة التي كانت تفرض نفسها في بلاد المغرب فهي عقيدة أهل التسلیم و التفویض و التي كانت ترى في أصحاب الكلام أهم مبتداعة، ثم تحدثنا بعد ذلك عن العوامل التي ساعدت في دخول و انتشار المذهب ببلاد المغرب، و صنفناها إلى عوامل دینية و علمية و أخرى تاريخية و سياسية، و التي كانت حاسمة و مشجعة لدخول المذهب، كما عرجنا في حديثنا إلى مثبتات و عوائق اعتناق و انتشار المذهب الأشعري ببلاد المغرب. و بينما كذلك المرجعيات المذهب الأشعري عند المغاربة.

و أنهينا هذا الفصل بالحديث عن الحاملين و الدعاة الأوائل للفكر الأشعري بالمغرب الإسلامي،

و قد كان بعضهم معاصرًا، أو جاء مباشرة بعد وفاة أبي الحسن الأشعري (ت 324هـ/936م) كدارس بن إسماعيل الفاسي (ت 357هـ/967م)، و القلانسي (ت 359هـ/969م)، و استمرينا في تعداد باقي الممثلين إلى حدود العصر المرابطي، وهم في جلهم مفكرين مغاربة هاجروا إلى المشرق طلباً للعلم فعادوا و قد استهواهم العقيدة الأشعرية فعملوا على نشرها و بثها في بلادهم.

**أما الفصل الثالث فجاء تحت عنوان: "المذهب الأشعري زمن دولة المرابطين".**

حيث اخترنا أن نعالج فيه قيام دولة المرابطين حتى تكون لنا ولقارئ الكريم معرفة بهذه الدولة والظروف المحيطة بنشأتها وكذا أصلها، حيث تضمن هذا البحث نسب المرابطين وأدرجنا فيه أهم الروايات التاريخية التي تتناول أصل المرابطين، ثم تناولنا موطن هذه الدولة وذكرنا إطارها الجغرافي وامتدادها ، ورجعنا على توسعها إلى بلاد الأندلس وضمها إليها ، ثم تناولنا أهم التسميات التي عرفت بها دولة المرابطين وعلة كل تسمية كما أوردها المؤرخون القدامى والمتأنرون .

بعدها تناولنا أسس الدعوة المرابطية، وكيف أنها كانت منهجاً للتغيير والإصلاح الديني والاجتماعي قبل أن تتحول إلى مشروع سياسي طموح ، ثم تطرقنا إلى مكانة الفقيه وأدواره في دولة المرابطين في عهد علي بن يوسف بن تاشفين ، حيث عرفنا أن الفقهاء لعبوا أدواراً طلاقعية ، وهذا ما لم تعرفه عدة بحارب سياسية أخرى ، حيث أن السلطة السياسية كانت منفصلة عن السلطة الدينية ، بل وأحياناً دخلتا في صراع تحول إلى امتحان حقيقي للفقهاء والسلطة على السواء ، ثم أفردنا عنصراً خاصاً بدور الفقيه عبد الله بن ياسين في قيام دولة المرابطين ، حيث كان له الدور البالغ في نشوء هذه الدولة وتكون جيلها الأول ، منذ أن اعتكف بالرباط وبدأ أنصاره يتزايدون اليوم تلو الآخر .

كما تطرقنا إلى الوضع المذهبي و الفكري الذي كان سائداً مع بداية الدولة المرابطية، الذي اتسم مع بداية القرن الخامس الهجري باشتداد الصراع الفكري بين أهل الحق و الباطل، خاصة فيما يتعلق بعلم الكلام.

ثم تناولنا وضعية المذهب الأشعري في هذا العصر من خلال الوقوف على مختلف المواقف من

دخوله، فعالجنا بداية الأمر موقف العلماء و الفقهاء المرابطين من تسرب الفكر الأشعري، ثم رأي السلطة المرابطية من الأشعرية ممثلة في أمرائها و حكامها، و ختمنا هذا بالحديث عن الأشعرية بين المرابطين و ابن تومرت مظهرین الصراع الذي دار بينهما.

### أما الفصل الرابع فجاء تحت عنوان: "المذهب الأشعري زمن دولة الموحدين"

و تطرقنا فيه إلى ترسيم المذهب الأشعري و انتشاره في بلاد المغرب الإسلامي، لتبيين حال المذهب الأشعري بعد تقويض أركان الدولة المرابطية و قيام الدولة الموحدية التي اتخذت من هذا المذهب مذهبًا رسميًا لها.

و قد عالجنا في هذا الفصل نشأة الدولة الموحدية من حيث الأصل و التسمية، كما تطرقنا فيه إلى بداية الدعوة الموحدية على يد الإمام عبد الله بن ياسين الجزوئي (ت 451 هـ / 1059 م)، ثم تحدثنا عن توسعات الدولة الموحدية على يد عبد المؤمن بن علي. كما بينما الأسس التي قامت عليها الدعوة الموحدية، بداية من قضائهم على دولة المرابطين وصولاً إلى ترسيم العقيدة الأشعرية و اعتمادها كمذهب رسمي للدولة. كما أبرزنا فيه مكانة الفقهاء الذين حضروا باهتمام كبير من طرف أمراء الدولة الموحدية.

و قبل حديثنا عن دخول الأشعرية إلى المغرب الأقصى زمن دولة الموحدين، تطرقنا إلى الأصول الأولى للفكر الأشعري بالمغرب الأقصى. ثم حاولنا إظهار مراحل تطور المذهب الأشعري في زمن الدولة من خلال تركيزنا على ست شخصيات كان لها الفضل في التمهيد لهذا الترسيم، و بذلك مجهدات نظرية و عملية لبسط سلطان هذا المذهب بين الخاصة و العامة، و هم "المهدي" بن تومرت (ت 524 هـ / 1130 م)، أبو بكر بن العربي (ت 543 هـ / 1148 م)، و أبو الحسن بن حرزهم (ت 559 هـ / 1163 م)، أبو علي المسيلي (ت 580 هـ / 1184 م) و أبو عمرو عثمان السالجي (ت 594 هـ / 1197 م)، و الإمام الكتاني (ت 596 هـ / 1199 م)، و كان اختيارنا لهذه الشخصيات على أساس توفر نصوصهم التمثيلية و الشاهدة على ما بذلوه من مجهد نظري في تدعيم المذهب الأشعري و إرائه مذهبًا للبلاد، كما رأينا مبدأ الأسبقية عند اختيارنا هذا، و ذلك لأن كل من ابن تومرت، و ابن العربي و السالجي و غيرهم كان لهم فضل السبق في تثبيت دعائم هذا المذهب بالمغرب الإسلامي و ترسيخ تعاليمه، و أن من جاءوا بعدهم إنما

كانت مهمتهم تكميلية لما بذله أولئك الرجال، و مع ذلك لم ندخل في ذكرهم في ختام هذا الفصل.

و في الأخير ختمنا هذه الدراسة بخاتمة حاولنا أن نصور فيها مسار المذهب الأشعري بال المغرب الإسلامي، كما ضمنها بمجموعة من الاستنتاجات و الخلاصات التي أدت إليها الدراسة.

### عرض المصادر و المراجع:

اقتضت طبيعة الموضوع الاعتماد على أنواع متنوعة من المصادر و المراجع القديمة و الوسيطة ، منها كتب الجغرافيا و الرحالة و الموسوعات التاريخية و كتب الترجم و الطبقات، سنسوق أهميتها، و قد ارتأينا أن نصنفها على النحو التالي :

#### 1) كتب الترجم و المناقب:

لقد استفدنا من هذا النوع من الكتب، و كان اعتمادنا عليها بشكل مكثف شمل مختلف فصول هذه الدراسة، يأتي في مقدمتها:

- كتاب " **تبين كذب المفترى فيما نسب إلى الإمام أبي الحسن الأشعري**" لابن عساكر علي بن الحسن (ت 571 هـ/1175 م)، و يعد هذا الكتاب أقدم مؤلف للتعریف بأبي الحسن الأشعري، و على الرغم من أن المؤلف وقع أسير العواطف الجياشة التي كان يكتنها للإمام الأشعري مما جعله لا يفرق بين الغث و السمين، إلا أنها استفادنا منه كثيرا عند حديثنا عن حياة أبو الحسن الأشعري و بعض أصحابه.

- كتاب " **ترتيب المدارك و تقریب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك**" و كتاب " **ترجم أغليبية**" للقاضي عياض اليحصي (ت 544 هـ/1149 م)، و هو موسوعة ذات فائدة كبيرة بسط فيها القول عن علماء المالكية ومن فيهم المشتغلين بعلم التوحيد و العقائد ابتداء بالإمام مالك بن أنس إلى عصر المؤلف، فجاءت مليئة باللمحات التاريخية و المباحث العلمية.

كما اعتمدنا كذلك على مؤلفات أخرى لترجم الأعلام، و على الرغم أنها ذكرت الأشاعرة ضمن التعريف بالعلماء عامة إلا أن فضلها كان كبيرا في الكشف عن بعض الحقائق التي عجزت المصادر الإخبارية عن كشفها، و من هذه المؤلفات نذكر:

- كتاب "طبقات الشافعية الكبرى" للسبكي أبو نصر عبد الوهاب (ت 771 هـ/1311 م)،  
كتاب "وفيات الأعيان و أنباء أبناء الزمان" لابن خلkan أبو العباس أحمد (ت 681  
هـ/1282 م)، و كتاب "معالم الإيمان في معرفة القيروان" لعبد الرحمن الدباغ (ت 696  
هـ/1296 م)، و كتاب "الصلة في تاريخ أئمة الأندلس، و علمائهم و محدثיהם، و فقهائهم  
و أدباءهم" لابن بشكوال (ت 578 هـ/1182 م)، و كتاب المن بالإمامنة لابن صاحب  
الصلة (ت 594 هـ/1198 م)، و كتاب "التشوف إلى رجال التصوف و أخبار أبي العباس  
السبتي" لابن الزيات (618 هـ/1221 م)، و كتاب البستان في ذكر الأولياء و العلماء  
بتلمسان لابن مريم (ت 1014 هـ/1605 م)، و كتاب الديباج المذهب في معرفة علماء  
المذهب لابن فرحون (ت 799 هـ/1396 م)، و كتاب أنس الفقير و عز الحقير لابن قنعد (ت  
810 هـ/1407 م)، و كتاب بيوتات فاس الكبرا لابن الأحمر (ت 810 هـ/1407 م) ، و  
كتاب سلوة الأنفاس و محادثة الأكياس بمن أقرب من العلماء و الصلحاء بفاس للكتاني  
(596 هـ/1199 م)، و كتاب جذوة الاقتباس في ذكر من حل من الأعلام مدينة فاس لابن  
القاضي (ت 1025 هـ/1616 م)، و كتاب "نيل الابتهاج بتطريز الديباج" لأحمد بابا التنبكتي  
(ت 1036 هـ/1626 م)، و كتاب نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب للمقربي  
(ت 1041 هـ/1631 م)، و كتاب سير أعلام النبلاء للذهبي (ت 748 هـ/1347 م)، و كتب  
الترجم الحديثة ككتاب شجرة النور الركية في طبقات المالكية لابن مخلوف (ت  
1360 هـ/1941 م) ، و كتاب الإعلام بمن حل مراكش و أغمات من الأعلام  
للسملاي (1378 هـ/1959 م)، و معجم أعلام الجزائر لعادل نويهض.  
كما يمكننا أن ندرج في هذا الصنف من الكتب كتاب "المهدي بن تومرت حياته، آراؤه  
ثورته الفكرية و الاجتماعية" و "تجربة الإصلاح في حركة المهدي بن تومرت" لعبد الجيد  
النجار، و الذي استفدنا منه كثيرا في الفصل الرابع.

## (2) كتب الفرق و النحل:

كان اعتمادنا على هذا النوع من الكتب بالدرجة الأولى في الفصل الأول و الثاني، و الملاحظ أن أصحابها كانوا فريقين، إما متحيزين للمنهج الأشعري كالشهرستاني (ت 548 هـ/1153 م) في كتابه "الممل و النحل" و البغدادي (ت 429 هـ/1037 م) في كتابه "الفرق بين الفرق" أو متحاملين عليه و على أصحابه كابن النديم (ت 380 هـ/990 م) في كتابه "الفهرست"، كما اعتمدنا على التوبيخى (ت 300 هـ/912 م) في كتابه "فرق الشيعة"، و الإيجي (ت 756 هـ/1355 م) في كتابه "المواقف في علم الكلام"، و ابن حزم (ت 456 هـ/1064 م) في كتابه "الفصل بين الملل و الأهواء و النحل"، وقد وجدنا أن هذا الكتاب كبير الفائدة خاصة عند حديثنا عن موقف العلماء من تسلل الفكر الأشعري إلى المغرب الإسلامي، أما كتاب "مقالات الإسلاميين اختلاف المصلين" لأبي الحسن الأشعري (ت 324 هـ/935 م) و الذي يعتبر أول كتاب أرخ للمذاهب و النحل في الإسلام، فقد أفادنا كثيرا في حديثنا عن أقسام المسلمين و البيئة التي ظهر فيها المذهب الأشعري. و كتاب مجموع الفتاوى لشيخ الإسلام ابن تيمية (ت 728 هـ/1327 م) الذي اعتمدنا عليه في الرد على أفكار بن تومرت في عقيدته المرشدة.

بالإضافة إلى هذه المصادر فقد استعنا ببعض المراجع في طليعتها "تاريخ المذاهب الإسلامية" لمحمد أبو زهرة، و كتاب "الفرق الإسلامية في الشمال الإفريقي" لألفرد بل ، و كتاب "ظهر الإسلام" لأحمد أمين، و عبد الله المعتق في كتابه "المعزلة و أصولهم الخمسة"، و غالب بن علي عواجي في كتابه "فرق معاصرة"، و إسماعيل سامي في كتابه "دور المذهب الحنفي في الحياة الاجتماعية و الثقافية في بلاد المغرب الإسلامي"، و عبد الجيد معلومي في كتابه "منهج الأشاعرة في تقرير العقيدة"، و محمود إسماعيل عبد الرزاق في كتابه *الخوارج في بلاد المغرب*، و محمد بن عميرة في كتابه "دور زناتة في الحركة المذهبية بالمغرب الإسلامي"، و عبد العزيز الجذوب في كتابه "الصراع المذهبي بإفريقيا"، و نجم الدين الهمتاتي في كتابه "المذهب المالكي بالغرب الإسلامي إلى منتصف القرن الخامس الهجري - الحادي عشر

الميلادي" و غيرها من المراجع.

(3) كتب التاريخ العام:

نذكر منها كتاب "المعجب في تلخيص أخبار المغرب" لعبد الواحد المراكشي (ت 647 هـ/1249 م) الذي لم يقتصر على التاريخ الرسمي، بل تناول أخبار القراء وأعيان الكتاب، و لهذا أفردنا كثيراً فيما يخص مواقف العلماء من تسرب الفكر الأشعري إلى المغرب الإسلامي، غير أنّ ما يؤخذ عليه أنه كان متحالماً على المرابطين، و يعتبر هذا الكتاب ذو أهمية كبيرة لأنّ صاحبه قريب من فترة المرابطين، وعايش فترة الموحدين، وينقل لنا الأخبار بالتفصيل عن فترة علي بن يوسف بن تاشفين وعن أهم كتابه، كما شخص لنا هذا المؤرخ بعض أسباب احتلال أحوال المرابطين في فترة علي بن يوسف، ورسم لنا صورة حية عن بداية دعوة الموحدين وكذا الصراع المرابطي الموحدي في عهد المهدي بن تومرت ومن بعده عبد المؤمن بن علي.

- كتاب "العبر و ديوان المبتدأ و الخبر" لابن خلدون (ت 808 هـ/1405 م) حيث يعتبر هذا الكتاب من المصادر الهامة المؤرخة لبلاد المغرب خاصة الجزء السادس منه، فهو يتناول تاريخ بلاد المغرب ويسرد لنا الأخبار والحقائق بالترتيب، وقد تناول التاريخ المرابطي ومن بعده الموحدي بشيء من التفصيل، وقد أشار هذا المجلد إلى دخول الأشعرية إلى المغرب الإسلامي، ودور الذي لعبه ابن تومرت في ذلك.

كما أن كتابه الآخر وهو المقدمة يعتبر مؤلفاً هاماً حيث استعنت به فيما يتعلق بموضوعي في التعريف ببعض المصطلحات والأعلام.

- أما كتاب "المواعظ و الاعتبار بذكر الخطوط و الآثار" للمقرizi (ت 845 هـ/1441 م) فقد أفادنا في التعريف بأبي الحسن الأشعري، و في انتشار الأشعرية بالشرق الإسلامي ودخولها إلى المغرب.

و بالإضافة إلى ما ذكرناه من مصادر في هذا الصنف، فقد استعنا بمجموعة أخرى من أهمها: كتاب افتتاح الدعوة للقاضي النعمان (ت 363 هـ/973 م)، و كتاب "نظم الجمان لترتيب ما سلف من أخبار الزمان" لصاحب ابن القطان (كان حيا سنة 650 هـ / 1252 م) وتكون أهمية هذا الكتاب في انه قريب زمنياً من فترة المرابطين، فقد عايش صاحبة فترة الدولة الموحدية

وكان على صلة كبيرة بالخلفاء الموحدين ، ويرصد لنا هذا الكتاب المهم الأحداث التاريخية ابتداء من المائة السادسة وهو ما يتوافق مع بحثنا هذا ، ويرتب صاحب هذا الكتاب الأحداث بطريقة تسلسلية ( طريقة الحوليات ) ، غير أن من المآخذ التي سجلناها على هذا المؤلف هو اخيازه للموحدين على حساب المرابطين ، لكنه يبقى ذو أهمية بالغة لما يرصده لنا من حقائق تاريخية هامة .

- و كتاب "الحلل الموسية في ذكر الأخبار المراكشية" لمؤلف مجهول من أهل القرن الثامن الهجري/ الرابع عشر الميلادي ، ويعتبر هذا الكتاب ذو أهمية بالغة لأنه يؤرخ لدولتي المرابطين والموحدين ، حيث يسرد أخبار كليهما بالتفصيل ، وينقل لنا صورة مفصلة عن بدايات الدولة المرابطية وتأسيس مراكش ، وفترة يوسف بن تاشفين و ابنه علي ، كما يرصد لنا أخبار الدولتين المرابطية و الموحدية بشيء من التفصيل وهو ما جعل استفادتي منه تكون باللغة ، كما لمسنا عند هذا المؤرخ شيء من الحيادية فهو يتعامل مع الحدث التاريخي بصورة محيدة ، دون الوقع في الانحياز لطرف ما .

- و كتاب "الأئيس المطروب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب و تاريخ مدينة فاس" لابن أبي زرع الفاسي ( كان حيا سنة 726 ه / 1326 م ) حيث ينقل لنا الأخبار بالتفصيل عن تاريخ بلاد المغرب ويرتب هذه الأحداث بطريقة كرونولوجية تساعد على ترتيب الحوادث التاريخية في ذهن القارئ والمؤرخ على السواء ، وقد افرد الفترة المرابطية بشيء من التفصيل سيما عهد علي بن يوسف .

و كتاب "الكامل في التاريخ" لابن الأثير ( ت 630 ه / 1232 م )، و كتاب "البيان المغرب في أخبار الأندلس و المغرب" لابن عذاري المراكشي ( ت . ق . 7 ه / 13 م ) ويعتبر من المصادر الهامة المؤرخة لبلاد المغرب والأندلس ، وهو يتشكل من خمسة أجزاء ، إذ لا يمكن لأي باحث في تاريخ بلاد المغرب أو الأندلس الاستغناء عنه و قد استعنت به، و ابراهيم الزركشي ( كان حيا سنة 894 ه / 1489 م ) في كتابه "تاريخ الدولتين الموحدية و الحفصية" ، و البيدق ( ت 555 ه / 1160 م ) في "كتابه أخبار المهدي ابن تومرت و بداية دولة الموحدين" وتكون أهمية هذا الكتاب في أنه من المصادر الأولية والهامة لتاريخ دولة الموحدين ، خاصة فترة

المهدي ، لأن البيذق كان كاتب المهدى بن تومرت ورافقه أثناء كل حروبها مع دولة المرابطين ، وقد استفدت من هذا الكتاب في الفصل الثالث و الرابع ، حيث قدم لنا الحقائق التاريخية بالتفصيل عن هذه الحقبة.

و غيرها من الكتب التي تتحدث عن الدولتين المرابطية والموحدية، فقد أفادتنا كثيرا في التعريف بالدولتين وكذا التعرف على ابن تومرت و الدور الذي لعبه في نشر العقيدة الأشعرية بالمغرب الإسلامي.

إلى جانب هذه المصادر فقد اعتمدنا على مجموعة من المراجع أهمها:  
السلاوي(ت 1315 ه / 1897 م ) في كتابه "الاستقصاص لأخبار دول المغرب الأقصى"،  
عبد الله كنون في كتابه "النبيغ المغربي" و "جولات في الفكر الإسلامي" ، و عز الدين عمر  
موسى في كتابه "الموحدين في الغرب الإسلامي تنظيماتهم ونظمهم" ، و كتاب "التاريخ  
الإسلامي و الحضارة الإسلامية" لأحمد شلبي، و كتاب "تاريخ المغرب العربي" الجزء  
الرابع لسعد زغلول، و غيرها كثير.

### (4) الكتب العقائدية:

و تأتي في طليعتها تلك التي وضعها الأشعري للتعریف بفکره و آرائه العقدية، أو وضعها مؤلف آخر للتعریف بالفکر العقدی للإمام الأشعري، و من أهم هذه المصادر:  
كتاب "الإبانة عن أصول الديانة" لأبي الحسن الأشعري (324 هـ/935 م)، و كتاب  
"التمهید" لأبي بكر الباقلاني (ت 403 هـ/1012 م)، و كتاب "الاقتصاد في الإعتقداد" لأبي  
حامد الغزالی (505 هـ/1111 م)، و كتاب "محصل أفكار المتقدمين و المتأخرین من  
العلماء و الحكماء و المتكلمين" لفخر الدين الرازي (ت 606 هـ/1209 م)، و تتمثل أهمية  
هذه المؤلفات في أنها نقلت لنا أراء كبار علماء المذهب الأشعري و منظريه بأقلامهم لا بأقلام  
غيرهم، مما أضافي نوعا من المصداقية على العنصر الذي تناول أراء المذهب الأشعري.  
و كتاب "أعز ما يطلب" لابن تومرت (ت 524 هـ/1130 م)، و كتاب "العواصم من  
القواعد" لأبي بكر بن العربي (ت 543 هـ/1148 م)، فبغضلهما توصلنا إلى معرفة مدى  
مساهمتها في ترسیم المذهب الأشعري بالمغرب الإسلامي.

### 5) الكتب التي تناولت المذهب الأشعري في إطار الدراسات الفلسفية:

لقد نال هذا النوع من المراجع الحظ الوافر من إهتمامنا، و استفادنا منها كثيراً في كامل فصول الدراسة. غير أننا كلما تعمقنا في الموضوع إلا و قلت استفادتنا منها لأن اهتمامها كان منصباً على الجانب الفكري دون التاريخي، و من هذه الكتب:

كتاب "تاريخ الفكر الفلسفي في الإسلام" لمحمد أبو ريان، و كتاب "في علم الكلام" بأجزائه الثلاث - المعتزلة، الزيدية، الأشاعرة - لأحمد محمود صبحي، و كتاب "نشأة الأشعرية و تطورها" لجلال محمد موسى، و كتاب "أصالحة علم الكلام" لمحمد الصالح، و كتاب "تاريخ فلسفة الإسلام في القارة الإفريقية، الجزء الأول في الشمال الإفريقي" ليعي هويدي، وقد ترك اهتمامنا على هذا الكتاب في الفصل الثالث و الرابع، و القائمة لا تزال طويلة.

### 6) كتب الرحلات والجغرافيا :

- **كتاب المغرب في ذكر بلاد افريقيه والمغرب لأبي عبيد الله البكري (ت 487 هـ / 1094 م )** وتكمّن أهمية هذا الكتاب في انه يرصد لنا الأخبار بالتفصيل عن بدايات المرابطين وعن حركة ابن ياسين ، كما يقدم لنا وصفاً مفصلاً عن بلاد المغرب والسودان الغربي إلى غاية تأسيس مراكش عاصمة المرابطين ، وقد استفادت من هذا الكتاب في كل من الفصل الأول و الثالث، لأن المؤرخ لم يطل به العمر إلى غاية فترة علي بن يوسف .

- **الاستبصار في عجائب الأمصار مؤرخ مجھول عاش في القرن السادس الهجري (حي سنة 587 هـ / 1191 م )** وهو شبيه بكتاب البكري ، إلا أنه جاء في فترة لاحقة أي في العهد الموحدي ، حيث ينقل لنا أخبار عن المدن المغربية وما جرى بها من حوادث ، كما يقدم لنا وصفاً مفصلاً عن مدن السودان الغربي .

- **الروض المعطار في خبر الأقطار لأبي عبد الله محمد بن عبد المنعم الحميري (ت 727 هـ / 1327 م )** ، يرصد لنا هذا الكتاب وصفاً مفصلاً عن المدن المغربية والأندلسية وبعض أوصافها وأحوال سكانها ومعيشتهم ، كما ينقل لنا أحياناً معلوماً تاريخيه هامة خدمتنا في دراستنا .

- **المغرب وارض السودان ومصر والأندلس للإدريسي (ت 560 هـ / 1165 م )** ويعتبر هذا الكتاب من المصادر الهامة كونه قدم لنا وصفاً دقيقاً عن عديد المدن المغربية والأندلسية ، في

فترة قريبة جداً من العهد المرابطي ، إضافة إلى كتب جغرافية أخرى مثل: كتاب صورة الأرض لابن حوقل (ت 368هـ/978م) ، ومعجم البلدان لياقوت الحموي (ت 626هـ/1228م) ، و ابن سعيد المغربي (ت 685هـ / 1286 م) في كتابه الجغرافيا، حيث نقلت لنا معلومات وافية عن المدن المغربية والأندلسية .

### 7) كتب تناولت موضوع المذهب الأشعري بالمغرب الإسلامي:

هذا النوع من الكتب محدود جداً، واستفادتنا منه كانت مركزة، الكتاب الأول هو "تطور المذهب الأشعري في الغرب الإسلامي" ليوسف أحناة و الذي كان لنا سنداً في جميع فصول الدراسة وأفادنا كثيراً، حيث أنه وجهنا للمادة العلمية المتعلقة بالدراسة، حيث تناول فيه العقائد السائدة في الغرب الإسلامي ثم انتقل إلى الحديث عن دخول المذهب الأشعري إلى الغرب الإسلامي، مقسماً دخوله إلى مراحل منها: مرحلة الدخول و الانتشار، ثم مرحلة الترسيم و التغلغل و التوسع ، كما يتحدث في نهاية كتابه عن انتشار العقيدة الأشعرية في عهد الإمام السنوسي، أما الكتاب الثاني فهو "فصل في الفكر الإسلامي بالمغرب" لعبد المجيد النجار، تناول مجموعة من البحوث قسمت على محورين محور يتعلق بالفكرة العقدي، و آخر يتعلق بالفكرة الأصولي الفقهي، و قد تناول الفصل الأول من محور الفكر العقدي انتشار الفكر الأشعري بإفريقية و المغرب، و تناول الفصل الثاني نموذجاً من أشعار المغاربة المسلمين خلال القرن التاسع الهجري، أما الفصل الثالث فتناول الفكر العقدي لابن تومرت، و قد أفادنا هذا الكتاب كثيراً في كامل الدراسة ، على الرغم من أنه ركز على الحضور الأشعري بإفريقية أكثر من غيرها من مناطق المغرب الإسلامي، كما أفادنا أيضاً في معرفة دور ابن العربي و ابن تومرت في نشر المذهب الأشعري بالمغرب، و يأتي بعد هذا الكتاب من حيث الأهمية دراسة حول "جهود علماء المغرب في الدفاع عن عقيدة أهل السنة" لإبراهيم التهامي، فطبيعة الموضوع المعالج اقتضت إيراد ثلاثة فصول تتناول الحضور الأشعري بالمغرب الإسلامي من أوائل القرن الرابع الهجري إلى أواخر القرن السابع الهجري و مواجهة علماء المغرب له، و على الرغم من أن هذا الكتاب هو في الحقيقة عبارة عن أطروحة دكتوراه في العلوم الإسلامية، فقد خدمنا كثيراً في بناء مادة الدراسة، فكان موجهاً لنا طيلة مراحل الدراسة.

و كذلك كتاب "عثمان السلاجji و مذهبته الأشعريّة" لجمال علال البختي و الذي اعتمدنا عليه في الفصل الرابع ، عندما تحدثنا عن السلاجji (ت 594هـ/1197م) و عقيدته البرهانية، و قد أفادنا كثيراً، حيث أن هذا الكتاب تناول عصر - نهاية العصر المرابطي و بداية العصر الموحدi - السلاجji و بهذا يطلعنا على مختلف الأوضاع خاصة الوضع الفكري خاصّة يتعلّق بالمذهب الأشعري. بالإضافة إلى كتاب "جهود المغاربة في خدمة المذهب الأشعري" لخالد زهري و آخرون، و الذي أعطى لنا صورة واضحة عن وضعية المذهب في مختلف مراحل تطوره و انتشاره في بلاد المغرب الإسلامي، كما صرّح لنا بعض الآراء من بعض القضايا.

أما عن الكتب الأجنبية التي اعتمدنا عليها كتاب تاريخ إفريقيا الشمالية للمؤرخ شارل أندرى

CHARLES-ANDRÉ JULIEN ( histoire de l'afrique du nord ) جولييان

و كتاب:

Goldziher. M.hamed Ibn Toumert et la théologie de l'Islam dans le nord de l'Afrique au xde siècle

و كتاب:

Hadi roger idriss: issai sur la diffusion de l'charlsme en afrique.

و كتاب:

Mahfoud kaddache, L'Algérie des Algériens de la pré histoire à 1994

MAHFOUD KADDACHE : l'Algérie médiévale

و كتاب:

RACHID BOUROUIBA: abd al-mu'min (flambeau des almohades)

إلى جانب هذه المراجع استعنا كذلك بمجموعة معتبرة من الدراسات الأكاديمية من دوريات و رسائل جامعية و غيرها، يمكن الرجوع إليها في قائمة المصادر و المراجع.

### صعوبات الدراسة:

- و نحن بقصد انجاز هذه الدراسة اعتبرت سيلنا عرائيل جمة، نحاول إيجازها فيما يلي:
- ندرة النصوص التمثيلية المطبوعة التي تمثل هذا الفكر و تشهد على حضوره في منطقة المغرب الإسلامي، فهي لا تزال مخطوطة تحتاج لمن ينفض الغبار عنها، هذا بالإضافة إلى صعوبة الحصول على المصادر و المراجع التي كان لا بد من دراستها عند كتابة تاريخ الفكر الأشعري بالمغرب الإسلامي.
  - طبيعة الموضوع الفكري، كون البحث في المسائل المادية و ما يشبهها واضح محدود، و ما يطرأ عليها من تغيرات ظاهر جلي، أما البحث في فكرة ما كيف نبتت، و كيف نمت، و ما العوامل في إيجادها، و ما العناصر التي غذتها و ما الطوارئ التي طرأت عليها فعدلتها أو صقلتها، فذلك من الصعوبة بما كان التعامل مع بعض المصطلحات الفلسفية.
  - صعوبة فهم و استيعاب بعض النصوص المتعلقة بالجانب الفكري من الموضوع لطبيعتها الفلسفية الغامضة.
  - كثرة الشخصيات الواردة في متن الدراسة، الأمر الذي صعب علينا إيجاد تعريف لها جميعا، خاصة و أن بعضها كان مغمورا.
  - و من بين الصعوبات الأخرى ذاتية المؤرخين حيث صادفنا في دراستنا هذه انحياز بعضهم، في قضية التزمين لدخول المذهب الأشعري لبلاد المغرب الإسلامي، خاصة بين الباحثين المعاصرین، حيث لاحظنا بروز الذاتية بحيث ينسب كل واحد منهم دخول الأشعرية لأحد أعلام البلد الذي يتمنى له هو.
- رغم ذلك فإننا لم نتوان لحظة في محاولة تذليل هذه المثبتات بغية تقديم دراسة عن جانب من جوانب الفكر الإسلامي بالمغرب الإسلامي.

## - الشكر و العرفان:

و في الأخير لا ننسى أن نقدم بالشكر الجزيل إلى كل من ساعدنا في إنجاز هذه الدراسة من قريب أو من بعيد، و نخص بالذكر الأستاذ المشرف الأستاذ الدكتور أمبارك بوطارن، على حلمه وصبره معنا وعلى كل توجيهاته القيمة ، و الذي لم يدخل علينا بتوجيهاته و بإرشاداته، و كذلك نشكر كل من الأستاذ الدكتور خالد كبير علال و الأستاذ الدكتور عبد العزيز شهي، و الأستاذ الدكتور عبد العزيز بوكنة على مساعدتنا طوال مشوار البحث فلهم منا أسمى عبارات الشكر و الاحترام و التقدير، كما لا ننسى الأستاذ الدكتور عمارة علاوة من جامعة الأمير بقسنطينة الذي أمدنا بالمعلومات القيمة، و نحيب كل من يقف على أخطائنا و هفواتنا أن يرشدنا على الصواب و يعيننا على تجنب الزلل، و صلى الله على سيدنا محمد ﷺ و على آله و صحبه و سلم.

عبد الغني حروز.

حمام الضلعة- المسيلة/ يوم الجمعة 12 ربيع الثاني 1437هـ

الموافق لـ 22 جانفي 2016م

# الفصل الأول:

## الأوضاع المذهبية في بلاد المغرب الإسلامي قبل القرن 5 هـ/11 م.

- 1- المذاهب العقدية في المغرب الإسلامي قبل دخول المذهب الأشعري.
    - 1-1- أهل السنة و الجماعة.
    - 2- الخوارج.
    - 3- الشيعة.
    - 4- المعتزلة.
    - 5- المرجئة.
  - 2- المذاهب الفقهية في المغرب الإسلامي قبل دخول المذهب الأشعري.
    - 1-2- المذهب الثوري.
    - 2-2- مذهب الأوزاعي.
    - 3-2- المذهب الحنفي.
    - 4-2- المذهب المالكي.
    - 5-2- مذهب الشافعي.
    - 6-2- المذهب الحنبلي.
    - 7-2- المذهب الظاهري.
- خلاصة .

سار المسلمون على نهج الرسول صلى الله عليه وسلم<sup>1</sup>. وكانوا يقتدون أثره في الأقوال والأفعال، فكانت الأمة لحمة واحدة تحكمها كلمة التوحيد ولكن بعد وفاة الرسول صلی الله عليه وسلم دخل الكل في حيرة من أمرهم حول تعيين الخليفة، فمن سيحمل لواء ونحو الرسول صلی الله عليه وسلم في تسيير شؤون هذه الأمة؟

اجتمع المهاجرون والأنصار في سقيفة بني ساعدة لتعيين خليفة رسول الله ﷺ، وهنا بدأت الاحتدامات والمحادلات بين كل من المهاجرين والأنصار، خصوصاً أنّ المهاجرين يرون أكْمَنَ الأحق بالخلافة نظراً لمكانتهم في عهد الرسول صلی الله عليه وسلم، ولما كاد الأنصار يعيّنون سعد ابن عبادة<sup>2</sup> خليفة للرسول بلغ الخبر أبو بكر الصديق رضي الله عنه، فأتاهم مسرعاً و معه عمر ابن

<sup>1</sup> - محمد صلی الله عليه وسلم (عام الفيل-11هـ/571م): هو محمد بن عبد الله بن عبد المطلب ابن هاشم بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن حزيمة بن مدركة بن الياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان، وأمه آمنة بن وهب من بني زهرة، ولد بمكة و بما بعث نبياً و رسولاً للعالمين و عمره أربعين سنة، دعا إلى ديانة التوحيد الإسلام، توفي و عمره 63 سنة بعدما أكمل الرسالة و أتم الدين الذي بعث به، ينظر: أبو محمد عبد الملك ابن هشام: السيرة النبوية، تحقيق مصطفى السقا و آخرون، ج 1، ط 2، تراث الإسلام، القاهرة، ب.ت، ص 01، 02؛ محمد ابن إسحاق بن يسار المطبي المديني: السيرة النبوية، تحقيق أحمد فريد المزیدي، ج 1، ط 1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 2004، ص 17 و ما بعدها؛ المؤيد عماد الدين إسماعيل بن علي أبي الفدا: المختصر لأخبار البشر، تحقيق محمد زينهم محمد عزب و آخرون، تقديم حسين مؤنس، ج 1، ط 1، دار المعارف، مصر، 1998، ص 142-188؛ أكرم ضياء العمري: السيرة النبوية الصحيحة، ج 1، مكتبة العلوم و الحكم، المدينة المنورة، 1994، ص 90، 91؛ صفي الرحمن المباركفورى: الرحيق المختوم، وزارة الاوقاف و الشؤون الاسلامية، قطر، 2007، ص 47 و ما بعدها.

<sup>2</sup> - هو سعد بن عبادة بن ديلم بن حارثة بن أبي حزيمة وقيل حارثة بن حرام بن حزيمة بن ثعلبة بن طريف بن الخزرج بن ساعدة بن كعب بن الخزرج الأنصاري الساعدي، كان نقيب بني ساعدة وكان حينها في الأنصار وهو صاحب راية الأنصار في المشاهد كلها (ت 15هـ). ينظر: أبي الحسن على بن الأثير: أسد الغابة في معرفة الصحابة، ج 2، دار الكتب العلمية، بيروت، (د.ت)، ص 203.

<sup>3</sup> - هو عبد الله بن عثمان بن عامر بن عمرو بن كعب بن سعد بن تميم بن مرة، التميمي القرشي هو أول الخلفاء الراشدين وأحد العشرة المبشرين بالجنة، وهو وزير النبي صلی الله عليه وسلم ورفيقه عند هجرته إلى المدينة المنورة توفي سنة 13هـ. انظر: ابن الأثير: أسد الغابة ، ج 3، ص 310؛ أكرم ضياء العمري: عصر الخلافة الراشدة، مكتبة العبيكان، المدينة المنورة، 1414هـ، ص 71-74.

## الفصل الأول : الأوضاع المذهبية في بلاد المغرب الإسلامي قبل القرن 5 هـ / 11 م

الخطاب<sup>1</sup> رضي الله عنه وعيادة ابن الجراح<sup>2</sup>، فقال: "ما هذا فقلوا: منا أمير ومنكم أمير فقال أبو بكر منا الأمراء و منكم الوزراء".<sup>3</sup>

وفي هذه الأثناء قام عمر بن الخطاب رضي الله عنه بمباهلة أبي بكر الصديق، وباعيه الناس في المسجد إلا فئة قليلة من آل البيت أما علي رضي الله عنه<sup>4</sup> فتأخر عن مبايعته بسبب انشغاله بدفع الرسول صلى الله عليه وسلم ، وهناك مجموعة من الناس لم تباعي أبا بكر الصديق، وهذه الفئة هي التي ستنحرف عن مبادئ الدين والعقيدة و تكون سبباً في الإفتراق والتشتت.<sup>5</sup> - غير أنه يجب أن نشير أن هذا كذب و افتراء على صحابة النبي ص و آل بيته فالمتفق عليه أنهم بايعوه كلهم إلا سعد بن عبادة فتخلف ثم بايعه.

تجاور المسلمون هذا الخلاف السياسي وبقوا مجتمعاً واحداً متماسكاً، فهذا الخلاف لم يؤدّي حينها لأي شقاق ولا نزاع ولا تفرق، ولم تظهر أيّة أحزاب بل بقي المسلمون أمّة واحدة.<sup>6</sup> ولكن رغم تجاوز هذا الخلاف عملياً إلا أنه بقي في الأذهان و العقول وبقي في صدر آل البيت حرقة و امتعاضاً، لأنّهم شعروا بأنّ الآخرين سلّبوا منهم حقّهم المسلم به، كما تبيّن ذلك في الكثير

<sup>1</sup> - هو عمر بن خطاب بن نفيل بن عبد العزى بن رياح، من بني عدي بن كعب، القرشي اسلم بعد أربعين رجلاً واحداً عشر امرأة ، كان شديداً على المسلمين وزاهداً متواضعاً وهو ثالث الخلفاء الراشدين قتل سنة 23هـ. ينظر : ابن الأثير : أسد الغابة ، ج 3، ص 64؛ أكرم ضياء العمري: عصر الخلافة الراشدة، ص-ص: 75-79.

<sup>2</sup> - هو أبو عبيدة ابن الجراح عامر بن عبد الله بن الجراح بن كنانة بن عدنان القرشي المكي ، شهد له النبي صل الله عليه وسلم بالحننة وسمّاه أمين الأمة ، قُتل يوم الجمل . ينظر : شمس الدين احمد بن عثمان الذهبي : سير أعلام النبلاء ، تحقيق: شعيب الأرناؤوط ، ج 1، ط 2، مؤسسة الرسالة، 1982م ، ص 13.

<sup>3</sup> - ابن حجر أبي جعفر الطبرى: صحيح وضعيف الطبرى، تحقيق محمد بن طاهر البرزنجى، ج 8، دار ابن الكثیر، بيروت، 2007، ص 15.

<sup>4</sup> - هو علي بن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي، القرشي الهاشمي. ابن عم الرسول صلى الله عليه وسلم وهو أول الناس إسلاماً (ت 40هـ) في رمضان. ينظر: ابن الأثير: أسد الغابة، ج 3، ص 588؛ أكرم ضياء العمري: عصر الخلافة الراشدة، ص-ص: 86-92.

<sup>5</sup> - أبو الفتح محمد بن عبد الكريم بن أبي بكر الشهري: الملل والنحل، تصحيح وتعليق أحمد فهمي محمد، ج 1، ط 2، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1992م ، ص 13.

<sup>6</sup> - سعد رستم : الفرق والمذاهب الإسلامية منذ البدايات، ط 1، أنوار للنشر والتوزيع ، الدار البيضاء، 2008م، ص.ص: 25.26.

من الأحاديث التي رواها الشّريف الرّضي في نهج البلاغة، من قول علي لما زعموا على بيعة عثمان حيث قال: "لقد علمتم أي أحق الناس بها من غيري، والله لا أسلم ما سلمت أمور المسلمين، و لم يكن جورا إلا على خاصة التماسا لأجر ذلك و فضله و زهده فيما تنافستموه من زخرفه و

<sup>1</sup> زيرجه

و تحدّر بنا الإشارة إلى أن المتمعن في هذا الحديث يجد أنه كلام مغلوط؛ وهذا استناداً لآراء أهل السنة وعلى رأسهم شيخ الإسلام ابن تيمية بعدم صحة نسب هذا الحديث لعلي بن أبي طالب، وذلك استناداً لحجج وبراهين، أهمّها عدم وجود سند لهذا الحديث المروي عن علي رضي الله عنه، كما أن مؤلف كتاب نهج البلاغة هو محمد بن الحسين بن موسى الذي تلقّبه الطائفة الإثناعشرية بالشّريف الرّضي، والذي كان موجوداً بعد علي رضي الله عنه بما يقارب من أربعين سنة عام.<sup>2</sup>

وكما يرى أهل السنة أنه يوجد في كلام البيان والتبيين - قام الشّريف الرّضي بدس قصص و روایات من البيان والتبيين و نسبها كأحاديث لعلي رضي الله عنه -، أنّ هذا الحديث قد أُسقط أصلاً من ناحية الإسناد<sup>3</sup>، فهم يرون أنّ هذا الكتاب مكذوب على الإمام علي لأنّ فيه السب الصريح والشتّم لعلي رضي الله عنه<sup>4</sup>.

بعد تولى أبي بكر الصديق رضي الله عنه الخلافة عين - بعد استشارة الصحابة - بعده مباشرة عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، و يليه عثمان ابن عفان رضي الله عنه<sup>5</sup>، فهذا الأخير كان

<sup>1</sup> - الشّريف الرّضي: نهج البلاغة من كلام علي بن أبي طالب، تحقيق: صبحي الصيالح، (د.ن)، (د.م)، (د.ت)، ص 102.

<sup>2</sup> - أبي العباس تقى الدين ابن تيمية: منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة القدريّة، تحقيق: محمد رشاد سالم، ج 7، (د.ن) (د.م)، 1996، ص 96.

<sup>3</sup> - المصدر نفسه، ج 8، ص 56.55.

<sup>4</sup> - أبي عبد الله شمس الدين الذهبي: ميزان الاعتadal في نقد الرجال، ج 3، تحقيق: محمد برّكات، دار الرسالة العلمية، (د.م)، 2009، ص 124.

<sup>5</sup> - عثمان بن عفان بن أب العاص بن أمية بن عبد مناف، الأموي القرشي ثالث الخلفاء الراشدين وأحد العشرة المبشرين بالجنة، من السباقين للإسلام يكتفى بذلك التورين لأنّه تزوج اثنتين من بنات الرسول صلى الله عليه وسلم استشهد سنة 35هـ وعمره 82 سنة دفن بالقيع بالمدينة المنورة. ينظر: أبي جعفر محمد بن جرير الطبرى: تاريخ الرسل والملوك، تحقيق أبي الفداء عبد الله القاضى، ج 3، ط 1، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، 1987، ص 74 و ما بعدها، أكرم ضياء العمري: عصر الخلافة الراشدة، ص 80-85.

## الفصل الأول : الأوضاع المذهبية في بلاد المغرب الإسلامي قبل القرن 5 هـ / 11 م

معروفا بالحياء والحلم والعدل والتواضع، وقد كان تعينه بعض أقاربه من -بني أمية- في مناصب الدولة أثار حفيظة بعض الرعية، فلم تحمد نار الثورة في نفوسهم، حتى قتلوا سنة (35هـ/655م).<sup>1</sup>

وحين تولى علي رضي الله عنه الخلافة كان على علم بهذا الحدث فأراد عزل معاوية ابن أبي سفيان<sup>2</sup>-حاكم الشام- لكن هذا الأخير رفض وطالبه بالاقتراض من قتلة عثمان رضي الله عنه فجرت بينهما حروب، منها معركة صفين.<sup>3</sup> التي نتج عنها في الأخير حزب الخوارج<sup>4</sup>، الذي شقّ أصحابه عصى الطاعة في وجه علي ومعاوية عند التحكيم، واعتصموا بأن "لا حكم إلا لله"، فحاربهم علي بعد أن يئس من رجوعهم إلى الهدى، وهزمهم في موقعة شهيرة هي موقعة النهراون<sup>5</sup> وقتل منهم كثيراً فزادتهم هذه المزيمة حقداً على علي حتى ذُررت مكيدة لقتله، واستعنوا في ذلك بعبد الرحمن بن ملجم سنة (40هـ/661م) هاته السنة التي تعتبر سنة معلمية غيرت مجرى التاريخ

<sup>1</sup> - إن تعين عثمان رضي الله عنه أقاربه ولاة ليس بحرام، فلا يوجد نص سواء في نصوص القرآن الكريم أو السنة النبوية يحرم على الحاكم إسناد الإمارة لأقاربه، ثم أن عثمان رضي الله عنه لم ينفرد عن الخلفاء الراشدين بتعيين أقاربه ولاة له، فقد أسندا علي بن أبي طالب رضي الله عنه الإمارة لأقاربه، وأناس مطعون فيهم. للمزيد ينظر: خالد كبير علال: الثورة على سيدنا عثمان بن عفان-دراسة في أساليبها الظاهرة والخفية-، ط١، دار البلاغ للنشر والتوزيع، الجزائر، 2003، ص 6 وما بعدها.

<sup>2</sup> - معاوية بن أبي سفيان الأموي القرشي من أصحاب الرسول عليه الصلاة والسلام، وأحد كتاب الوحي، وأول الخلفاء في دولة بني أمية، توفي سنة 60هـ. ينظر: ابن الأثير: أسد الغابة، ج 7، ص 281.

<sup>3</sup> - صفين: موقع بقرى الرقة على شاطئ الفرات من غربها، وهي معركة وقعت بين جيش علي بن أبي طالب وجيش معاوية بن أبي سفيان سنة (36هـ/657م) بعد موقعة الجمل بستة تقريباً وعندما استلم علي الحكم امتنع معاوية وأهل الشام عن مبايعته فأصر علياً الأمر بعزله(أي معاوية) وخرجت لمدة تسعه أيام. ينظر: الطبرى: تاريخ الأمم والملوك، ج 3، ص 161 و ما بعدها؛ أكرم ضياء العمري: عصر الخلافة الراشدة، ص 462.

<sup>4</sup> - من الأحزاب التي خرجت عن الأميين وكانوا من أشياع علي رضي الله عنه ثم خرجوا عليه، وستطرق إلى التعريف بالخوارج في البحث القادم. ينظر: حسن إبراهيم حسن: تاريخ الإسلام السياسي و الدیني و الثقافی و الاجتماعي، ج 2، دار الجليل، القاهرة، 1957، ص 8.

<sup>5</sup> - النهراون: هي إحدى المعارك الإسلامية وقعت سنة (37هـ/658م) بين علي بن أبي طالب رضي الله عنه وبين الخوارج و النهراون موقع بين حلوان وبغداد. انتهت هذه المعركة بانتصار علي ولم ينجحوا من الخوارج إلا أربعين شخصاً. ينظر: الطبرى: تاريخ الأمم والملوك، ج 3، ص 212 و ما بعدها؛ أكرم ضياء العمري: عصر الخلافة الراشدة، ص 479.

الإسلامي، وتفرّعت منها كل المذاهب والفرق (أهل السنة، الخوارج، الشيعة)، والتي ما زالت إلى يومنا هذا.<sup>1</sup>

## 1- المذاهب العقدية في المغرب الإسلامي قبل دخول المذهب<sup>2</sup> الأشعري:

لقد كانت بلاد المغرب أرضا خصبة لكثير من الفرق<sup>3</sup> التي مثّلت كل واحدة منها دعوى مذهبية معينة، وللتعرف أكثر على المذاهب التي كانت سائدة آنذاك كان من الضروري التعريف بهذه المذاهب.

### 1-1- أهل السنة و الجماعة :

يعرفهم الباحث خالد كبير علال بقوله: "... مثل أهل السنة و الجماعة جمهور المسلمين منذ أن عرّفوا بذلك الاسم ، على إثر انفصال الخوارج و الشيعة عن جماعة المسلمين ، في أثناء الفتنة الكبرى (35-655هـ/660م) ، و ما بعدها ، ثم انفصلت عنهم جماعات أخرى في القرن الثاني الهجري و ما بعده ، كان من بينها المعتزلة ، و الجهمية ، و الكرامية ، لكن أهل السنة- مع ذلك- ظلوا ظاهرين يمثلون جمهور الأمة الإسلامية ، مقابل هؤلاء الذين انفصلوا عنهم ، كالخوارج الشيعة و المعتزلة و المحسنة .

و أما أصولهم المذهبية -أي أصول أهل السنة- فهي معروفة و متواترة ، لا تحتاج إلى توثيق ، منها : الاعتماد على الكتاب و السنة الصحيحة ، كمصدرين معصومين وحيدين ، و منها تقديم

<sup>1</sup> - عبد العزيز المجدوب:الصراع المذهبي بإفريقية إلى قيام الدولة الزيرية، ط1، دار سحنون للنشر و التوزيع، تونس، 2008، ص32 و ما بعدها.

<sup>2</sup> - المذهب: يعرفه ابن عثيمين بأنه القول الذي يقتدي به بعده أو الذي يختاره أو يرجحه، ويسمى مذهبًا له أي مسلكاً سلكه، وقولاً يرجحه على غيره بدليل اقتنان به، أما المذاهب فيراد بها الأقوال التي تنسب إلى أربابها و يطلق المذهب على كل قول قاله إمام مجتهد مات وهو مجتهد ومتمسك به سواء اقتدى به أو لم يقتدى به، ينظر: محمد بن صالح ابن عثيمين: عقيدة أهل السنة والجماعة، مؤسسة الشيخ بن صالح العثيمين الخيرية، ط2، الرياض، 1929، ص20.

<sup>3</sup> - ينظر خريطة انتشار المذاهب و الفرق في بلاد المغرب خلال القرنين (3-10هـ/9-14م)، الملحق رقم: 01، ص363.

## الفصل الأول : الأوضاع المذهبية في بلاد المغرب الإسلامي قبل القرن 5 هـ / 11 م

الشرع على العقل ، و الاعتقاد بأن الإيمان هو اعتقاد بالجنان ، و قول باللسان ، و عمل بالجوارح  
يزيد و ينقص...<sup>1</sup>"

"...و منها أيضا : موالة كل الصحابة ، و إنهم عدول غير معصومين من الخطأ ، أفضلهم -  
بعد رسول الله عليه الصلاة و السلام- الخلفاء الأربعة بالترتيب : أبي بكر الصديق ، و عمر بن  
الخطاب ، و عثمان بن عفان ، و علي بن أبي طالب ، رضي الله عنهم .

و منها : إثبات كل الصفات التي أثبتها الله تعالى لنفسه ، و أو صفة بها رسوله -عليه الصلاة و  
السلام- في الأحاديث الثابتة عنه ، بلا تشبيه و لا تمثيل ، و لا تأويل ، و لا تعطيل ، و لا تكيف  
، و إنما هو إثبات و تزئيه . و هذا الأصل -أي الأخير- هو الذي نرَّكز عليه في مبحثنا هذا ،  
لأن دراستنا القادمة-بحول الله تعالى- تقوم عليه أساسا ...<sup>2</sup>"

و هم الفرقة الناجية الذين أخبر عنهم الرسول بأنهم سيسرون على طريقته وأصحابه الكرام دون  
الخراف ، متبعين الكتاب والسنّة<sup>3</sup> ، كما قال الرسول عليه الصلاة والسلام: "... و ستفترق أمتي  
على ثلات وسبعين فرقة كلها في النار إلا واحدة." قالوا: من هي يا رسول الله؟ قال: "ما أنا عليه  
و أصحابي" و في لفظ هي الجماعة.<sup>4</sup> و قال: "لا يزال ناس من أمتي ظاهرين على الحق حتى  
يأتיהם أمر الله و هم ظاهرون"<sup>5</sup> . و قال: "لا تجتمع أمتي على ضلاله"<sup>6</sup> ، وقد سمو أهل السنّة  
لاستمساكهم و إتباعهم لسنة النبي صل الله عليه وسلم و سمو بالجماعة لقوله صلى الله عليه  
وسلم في إحدى روايات الحديث السابق أنهم جماعة الإسلام ، الذين اجتمعوا على حق ، ولم يفترقوا

<sup>1</sup> - خالد كبير علال: الأزمة العقائدية بين الأشاعرة و أهل الحديث- حلال القربتين: 5-6 المجرين- مظاهرها ، آثارها ،  
أسبابها ، و الحلول المقترحة لها، ط١ ، دار مالك ، الجزائر، 2005، ص 07.

<sup>2</sup> - المرجع نفسه، ص 07.

<sup>3</sup> - أبي منصور عبد القاهر بن طاهر بن محمد البغدادي: الفرق بين الفرق ، تحقيق محمد بن عثمان الخشت ، مكتبة ابن سينا ،  
القاهرة، 1988، ص 26.

<sup>4</sup> - أخرجه أحمد و أبو داود و الطبراني و غيرهم و هو صحيح: ينظر، ربيع بن هادي عمير المدخلـي: منهج أهل السنّة و  
الجماعة في نقد الرجال و الكتب و الطوائف، ط١ ، دار المنهـاج، مصر، 2002م، ص 18.

<sup>5</sup> - أبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري: صحيح البخارـي، ط١ ، دار ابن كثـير للطبـاعة و النـشر و التـوزـع ، دمشق- بيـروـت ،  
1423هـ/2002م، الحديث رقم: 3640، ص 895.

<sup>6</sup> - الشهـرـستانـي: الملـلـ و النـحلـ، ج 1، ص 05.

## الفصل الأول : الأوضاع المذهبية في بلاد المغرب الإسلامي قبل القرن 5 هـ / 11 م

في الدين و اتبعوا منهاج أئمة الحق و أهل الأثر<sup>1</sup>. قال تعالى: ﴿سُنَّةَ مَنْ قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنْ رُسُلِنَا وَلَا تَجِدُ لِسُتُّنَّا تَحْوِيلًا﴾<sup>2</sup> بينما يعرفهم الغمام ابن حزم يقول: "... إن أهل السنة هم أهل الحق، فإنهم الصحابة رضوان الله عنهم وكل من سلك نهجهم من خيار التابعين رحمهم الله تعالى ومن اقتدى بهم من العوام في شرق الأرض وغربها..."<sup>3</sup>

### 1-2- الخوارج:

#### 1-2-1- التعريف بالخوارج:

لغة: الخوارج لفظ مأْخوذ من الخروج مصدر خرج. و لهذا الأصل تعريف عده رجع بها ابن فارس إلى معنيين: الأول: النفاذ عن الشيء و الثاني: اختلاف اللونين.<sup>4</sup>

أما من الناحية الأولى: الخراج و الخرج: الأتاوة، لأنه مال يخرجه المعطي، و منه الخارجي، و هو الرجل المسود بنفسه من غير أن يكون له قدسم، كأنه خرج بنفسه، و منه قول كثير عزه:  
أبا مروان لست بخارجي ﴿ و ليس قسم محبك بانتحال<sup>5</sup>

أما من الناحية الثانية: الخرج: لونان من سواد و بياض، و منه أرض مخرجة: إذا كان نبتها في مكان دون مكان<sup>6</sup>

و لعل التصارييف العائدة إلى المعنى الأول من الألائق أن يعاد بها إلى معنى الظهور و البروز، و لهذا يقال خرجت خوارجه، أي ظهرت نجابتـه<sup>7</sup>، و يوم الخروج أي يوم العيد، و خرج فلان من

<sup>1</sup> - البغدادي: الفرق بين الفرق، ص 26.

<sup>2</sup> - سورة الإسراء، الآية: 77.

<sup>3</sup> - أبي محمد علي بن أحمد ابن حزم الظاهري: الفصل في الملل والأهواء والنحل، تحقيق محمد ابراهيم نصر و عبد الرحمن عميرة، ج 4، ط 2، دار الجليل، بيروت، 1996، ص 217.

<sup>4</sup> - أحمد بن فارس بن زكريا ابن فارس: معجم مقاييس اللغة، تحقيق عبد السلام محمد هارون، ج 2، ط 1، دار الجليل، بيروت، 1991، ص 175.

<sup>5</sup> - محمد بن مكرم بن منظور الإفريقي المصري ، لسان العرب، ج 2، دار صادر، بيروت، د.ت، ص 250 (باب الجيم  
فصل الحاء)

<sup>6</sup> - ابن فارس: المصدر السابق، ج 2، ص 176.

<sup>7</sup> - محمد يعقوب الفيروز آبادي: القاموس المحيط، ج 1، دار الجليل، بيروت، د.ت، ص 192.

العلم و الصناعة خروجا إذا نبغ، و خرجت السماء، أصبحت و أنقشع عنها الغيم<sup>1</sup>، أما ربط المعنى الثاني باللون فلعله مجرد تمثيل، و إلا فإن تصاريف أخرى من الباب نفسه لا علاقة لها باللون و منه خرج عمله: جعله ضروبا مختلفة. و فلان خراج ولاج، للمتصرف و هو يعرف مواطن الأمور و مخارجها، و مواردتها و مصادرها. اللهم إلا إذ يحمل النفاذ على الحقيقة و الظهور على الجاز للمعنى الأول و يحمل اختلاف اللونين على الحقيقة و مجرد الاختلاف على الجاز الثاني، و هو جلي من ضلوع الزمخشري<sup>2</sup>.

و منه نستطيع القول أن لفظ الخوارج من الناحية اللغوية يدل على المعنى الأول أي النفاذ أو الظهور و البروز.

#### اصطلاحا:

اختلف الباحثون في التعريف الاصطلاحي للخوارج، و مرد ذلك يرجع إلى:

- منهم من عرفهم تعريفا سياسيا عاما، و اعتبر الخارج على الإمام المتفق على إمامته الشرعية خروجا من أي زمن كان.<sup>3</sup>

و في هذا الصدد يقول الشهريستاني: " كل من خرج على الإمام الحق الذي اتفقت الجماعة عليه يسمى خارجيا، سواء كان الخروج في أيام الصحابة على الأئمة الراشدين لو كان بعدهم على التابعين. لهم بإحسان و الأئمة في كل زمان."<sup>4</sup>

و منهم من خصهم بالطائفة الذين خرجوا على الإمام علي رضي الله عنه، قال الأشعري: " و السبب الذي سموا له خوارج؛ خروجهم على علي بن أبي طالب"<sup>5</sup>

و قد زاد ابن حزم بأن اسم الخارجي يلحق كل من أشبه بالخارجين على الإمام علي أو من شاركهم في أي زمن.

<sup>1</sup> - محمود بن عمر الزمخشري: أساس البلاغة، ط1، دار النفائس، بيروت، 1992، ص157.

<sup>2</sup> - الزمخشري: المصدر السابق، ص175.

<sup>3</sup> - غالب بن علي عواجي: فرق معاصرة، ج1، ط4، المكتبة العصرية الذهبية، جدة، 2001، ص227.

<sup>4</sup> - الشهريستاني: الملل والنحل، ج1، ص114.

<sup>5</sup> - أبي الحسن علي بن إسماعيل الأشعري: مقالات الإسلاميين و اختلاف المصلحين، تحقيق محمد محی الدين، تعلیق أحمد فهمي، ج1، ط2، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، 1992، ص156.

## الفصل الأول : الأوضاع المذهبية في بلاد المغرب الإسلامي قبل القرن 5 هـ / 11 م

و هو بذلك يتفق مع تعريف الشهريستاني.<sup>1</sup> بالمقابل يتافق كثيرون من الباحثين على أن الخوارج هم "الذين خرجوا على علي بن أبي طالب رضي الله عنه في حوراء<sup>2</sup> و النهروان". و من انتوى لهم فيما بعد<sup>3</sup> و هذا أشهر في تعريف الخوارج، و هو بالأحرى تعريف فرقٍ تاريجيٍّ، و يفهم من ضمن أهل النهروان مع من أطلق عليهم الخوارج كالآزارقة و النحدات و غيرهم من ينتمي إلى النهروان في نسق واحد أن الجامع بينهم أمراء، الخروج على الأئمة، و تكفير المخالفين لهم.

غير أن الحافظ ابن حجر قد وسع الدائرة لتشمل أهل النهروان في قسم أول للخوارج، و من خرج في طلب الملك لا للدعاء إلى معتقده في قسم ثان، و هؤلاء أيضاً قسمين:

- أ- قسم خرجوا غضباً للدين من أجل جور الولاة و ترك عملهم بالسنة النبوية و هؤلاء أهل الحق، و منهم الحسين بن علي و أهل المدينة في الحرة و القراء الذين خرجوا على الحجاج.

- ب- قسم خرجوا لطلب الملك فقط سواء كانت فيهم شبهة أم لا، و هم البغاة.<sup>4</sup>

و كلامها صريح في اعتبار أمر واحد و هو الخروج على الإمام المنصوب مع تخصيصه بالعادل فكل من يخرج على الإمام الحق الذي اتفقت عليه الجماعة أو اختارته غالبية الأمة يسمى خارجيا.<sup>5</sup>

<sup>1</sup> - ابن حزم: الفصل في الملل والأهواء والنحل ، ج 4، ص 157.

<sup>2</sup> - حوراء: وضبيطه ياقوت الحموي بفتح الحاء والراء المهمليتين ، وبعدهما واو ساكنة و ألف ممدودة ، وقيل : هي قرية بظاهر الكوفة . وقيل : موضع على ميلين منها نزل به الخوارج الذين خرجوا على علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، فنسبوا إليها . وقال ابن الأنباري : حوراء كورة . وقال أبو منصور : الحوراوية منسوبون إلى موضع بظاهر الكوفة نسبت إليه الحوروية من الخوارج ، وبها كان أول تحكيم واجتماعهم حين خالفوا عليه أنظر: ياقوت الحموي بن عبد الله: معجم البلدان ، ج 2 ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، لبنان ، د ت ، ص 245.

<sup>3</sup> - يوسف أحناة: تطور المذهب الأشعري في الغرب الإسلامي، منشورات وزارة الأوقاف و الشؤون الإسلامية، مطبعة اليديني، الرباط، المملكة المغربية، 2003، ص 10، 11؛ محمد بن عميرة: دور زناته في الحركة المذهبية بالغرب الإسلامي، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984، ص 47؛ خالد كبير علال: بحوث حول الخلافة و الفتنة الكبرى، دار كوز الحكم، الجزائر، 2009، ص 229، 230؛ الأمين شريف يحيى: معجم الفرق الإسلامية، ط 1، دار الأضواء، بيروت 1986، ص 122.

<sup>4</sup> - ابن حجر أَحمد بن علي العسقلاني: فتح الباري بشرح صحيح البخاري، ج 14، دار الفكر، بيروت، 1993، ص 289.

<sup>5</sup> - البغدادي: الفرق بين الفرق، ص 72.

## 1-2-2- نشأة الخوارج في المشرق الإسلامي:

ظهرت حركة الخوارج في المشرق الإسلامي بعد معركة صفين التي وقعت على شاطئ الفرات في سنة (37هـ/657م) بين الخليفة علي بن أبي طالب رضي الله عنه و معاوية بن أبي سفيان، حيث عندما أُوشكت المعركة على الانتهاء – انتصرت حيلة الأموي على أمانة علي رضي الله عنه<sup>1</sup> باهزم جيش معاوية بـأجلها الأخير إلى حيلة بارعة شتت بها جيش خصمه<sup>2</sup>

حيث رفعوا المصاحف على رؤوس الرماح و السيوف بطلب من عمر بن العاص، الذي اقترح على علي رضي الله عنه أيضاً أن يرفع المصاحف هو و جيشه فوافقه و أمر جيشه برفعها و دعوا إلى إحکام كتاب الله<sup>3</sup> و لما تبين لعلي رضي الله عنه أن معاوية خدعهم؛ فحاولوا استئناف القتال من جديد متظرين حكم الله قائلين " لا حكم إلا لله "، غير أن جماعة منهم اعتبرت أن قبول التحكيم جريمة كبيرة ، و طلبوا من علي رضي الله عنه أن يتوب عما ارتكب لأنَّه كفر عندما وافق على ذلك<sup>4</sup> و أنه ارتكب كبيرة كافر يجب قتلها و محاربتها، فعللي رضي الله عنه – في نظرهم- كن مؤمنا ، لكنه لما خضع للتحكيم صار كافرا، لأنَّ خضوعه إلى التحكيم اعترافاً لمعاوية بحقه في الخلافة، و تلك كبيرة الكبائر، لذلك وجب الخروج عليه و محاربته<sup>5</sup> و هنا انفصلت عنه جماعة فقد روى أن علي رضي الله عنه عندما رجع من صفين إلى الكوفة انفصلت عنه جماعة القراء- الخوارج- بمكان يعرف بحروراء، و خرجت عليه و آذنته بالحرب<sup>6</sup> و كان عددهم أربعة ألف، و نظراً لخروجهم من الكوفة قد سموا بالخوارج، أي الخارجون من المدينة التي كان فيها جيش علي

<sup>1</sup> - أبي محمد الحسن بن موسى النويحي: فرق الشيعة، تصحيح: هـ. رتر، مطبعة الدولة لجمعية المستشرقين الألمانية، استانبول، 1931، ص 56؛ ألفرد بل: الفرق الإسلامية في الشمال الإفريقي من الفتح العربي حتى اليوم، ترجمة عبد الرحمن بدوي، ط 2، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1981، ص 141؛ أكرم ضياء العمري: الخلافة الراشدة، مكتبة العبيكان، المدينة المنورة، 1414هـ، ص 464.

<sup>2</sup> - بن عميرة: المرجع السابق، ص 47.

<sup>3</sup> - خالد كبير علال: بحوث حول الخلافة و الفتنة الكبرى، ص 228.

<sup>4</sup> - الشهرستاني: الملل والنحل، ج 1، ص 106، 107؛ ألفرد بل: المرجع السابق، ص 141، 142.

<sup>5</sup> - يوسف أحناة: تطور المذهب الأشعري، ص 11.

<sup>6</sup> - الطبرى: تاريخ الرسل والملوك، ج 3، ص 202؛ خالد كبير علال، بحوث حول الخلافة و الفتنة الكبرى، ص 229.

رضي الله عنه أبان المدنية، و صاروا منذ ذلك يقاتلون عليا و معاوية و حتى من يخالفهم الرأي في الحكم على خلافة عثمان و علي رضي الله عنهم من المسلمين<sup>1</sup> و هذا ما دفع علي رضي الله عنه يواجههم و يدخل معهم في معركة النهروان في أواخر سنة (658هـ) فهزمو لأول مرة على يد جيش علي رضي الله عنه، فتشتت الخوارج و استروا و قرروا قتل علي رضي الله عنه و معاوية و عمر بن العاص، فنجحوا في قتل علي رضي الله عنه سنة 40هـ، و واصلوا القتال ضد الأمويين في الشام، و لم يتم اخضاعهم في العراق فيما بعد إلا على يد الوالي الحجاج بن يوسف الثقفي الذي أجرى فيهم مذابح و قضى عليهم نهائيا سنة 87هـ<sup>2</sup>.

و من هنا يمكن القول أن أساس مذهب الخوارج سياسي، ذلك أنهم اعتبروا أن عليا رضي الله عنه و معاوية كليهما إنما يتبعان في هذه المسألة مصلحتهما الخاصة للوصول إلى السلطة و لا يقودهما غير الطمع في الحكم.

### 1-2-3- أسماء الخوارج وألقابهم:

أطلق على الخوارج طائفة من الأسماء ، منها :  
**الخوارج**<sup>3</sup>: يعتبر هذا الاسم من أشهر الأسماء التي أطلقت على هذه الطائفة ، وقد غلب عليه الطابع اللغوي ، فكل من خرج على الإمام الحق الذي اتفقت عليه الجماعة يسمى خارجيا ، سواء كان الخروج في أيام الصحابة على الأئمة في كل مكان<sup>4</sup> وعلماء الشريعة يسمونهم بغاة<sup>5</sup>. وقد أطلق عليهم هذا الاسم لخروجهم على علي رضي الله عنه<sup>6</sup>.

<sup>1</sup> - ألفرد بل: المرجع السابق، ص 142.

<sup>2</sup> - ألفرد بل: المرجع السابق، ص 144؛ بن عميرة، المرجع السابق، ص 48؛ خالد كبير علال، بحوث حول الخلافة و الفتنة الكبرى، ص 230؛ أكرم ضياء العمري: المرجع السابق، ص 481.

<sup>3</sup> - جاء في القاموس المحيط : " الخوارج من أهل الأهواء ، وسموا به لخروجهم على الناس " ، الفيروز آبادي ، المصدر السابق ج 1، ص 885.باب الجيم .

<sup>4</sup> - الشهريستاني ، الملل و النحل، ج 1، ص 114.

<sup>5</sup> - عبد المنعم الحفني: الفرق والجماعات والمذاهب الإسلامية ، ط 1، دار الرشاد، 1413هـ | 1993 م ص 215.

<sup>6</sup> - الأشعري، مقالات الإسلاميين، ج 1، ص 207.

## الفصل الأول : الأوضاع المذهبية في بلاد المغرب الإسلامي قبل القرن 5 هـ / 11 م

أهل النهروان: ومن أسمائهم أهل النهروان ، لأن عليا قاتلهم هناك<sup>١</sup>.  
الحرورية: سموا بهذا الاسم نسبة إلى حروراء ، وهي قرية بظاهر الكوفة ، اخاز إليها الخوارج لما خرجوا على علي ، فنسبوا إليها<sup>٢</sup> ، ويدوّن أن هذا الاسم كان مشهورا بين المسلمين ، حيث وقع لمعاذة بنت عبد الله البدوية أنها سألت أم المؤمنين عائشة : أتقضي إحدانا الصلاة أيام تحبها ؟ فقالت له عائشة : أحرورية أنت ؟! قد كانت إحدانا تحبها على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم لا تؤمر بقضاء .

وربما أطلق علماء الفرق هذا الاسم على فرقة بعضها من فرق الخوارج ، يؤيد ذلك ما ذكره الملطي<sup>٣</sup> في التبيه ، حيث جعل الحرورية الفرقة السابعة من فرق الخوارج العشرين ، تم تحدث بإسهاب عن آرائها ومعتقداتها.<sup>٤</sup>

النواصب : جمع ناصبي ، وهو الغالي في بعض علي<sup>٥</sup> ، جاء في (القاموس المحيط) ما نصه : و النواصب والناصبية وأهل النصب : المتدينون ببعض علي رضي الله عنه ، لأنهم نصبو له أي عادوه .<sup>٦</sup>

<sup>١</sup> - تقى الدين أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية: الإيمان الأوسط ، تحقيق محمود أبو سن أبو يحيى ، ط١ ، دار طيبة ، الرياض ، المملكة العربية السعودية ، 1424هـ، ص27

<sup>٢</sup> - البغدادي : المصدر السابق ، ص75؛ عامر التجار: الإباضية و مدى صلتها بالخوارج، دار المعارف، مصر، د.ت، ص42.

<sup>٣</sup> - الملطي : (377.000 | 987هـ) محمد بن أحمد بن عبد الرحمن ، أبو الحسين ، الملطي العسقلاني ، عالم بالقرءات ، من فقهاء الشافعية ، من أهل " ملطية " نزل عسقلان ، وتوفي بها ينظر: خير الدين الزركلي : الأعلام ، ج 5 ، ط7 ، دار العلم للملايين ، بيروت ، لبنان ، 1986 ص311

<sup>٤</sup> - محمد بن أحمد بن عبد الرحمن أبو الحسيني الملطي: التبيه والرد على أهل الأهواء والبدع ، تقدیم و تحقيق و تعليق: محمد زینهم محمد عزب ، ط١ ، مكتبة مدبولي ، القاهرة ، 1992 ، ص42.

<sup>٥</sup> - الحفني : المرجع السابق ، ص216.

<sup>٦</sup> - الفیروز آبادی : المصدر السابق ، ج 1 ، ص133 ، فصل النون ، باب الباء.

الشراة : بضم الشين ، على وزن رماة وقضاة ، جمع شارٍ ، وهو من الأسماء المفضلة لدى الخوارج . وهم يفسرون ذلك على أن الشاري الذي هو مفرد الشراة ، اسم فاعل من الشراة ويزعمون أنهم سموا بذلك لأنهم باعوا أنفسهم لله تعالى على أن لهم الجنة ، وهم . كما يقولون عن أنفسهم . الذين قصدتهم الله تعالى بقوله : ﴿ إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُغْتَلُونَ ﴾<sup>1</sup>.

وأما خصومهم فيفسرون هذا الاسم تفسيراً مغايراً ، فيرون بأن الشاري اسم فاعل من شرى إذا استطiar وزاد وتفاقم ، وأيضاً فإننا نقول : شرى الرجل إذا غضب ولج في الخصومة وغيرها . و قريب منه ما ذكره ابن سيده<sup>3</sup> عن أبي علي الفاسي<sup>4</sup> أنهم سموا بذلك لأنهم لجوا وغضبوا ، فأما هم فقالوا : نحن الشراة .

من قوله عز وجل : ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ أَبْتِعَاهُ مَرْضَاتِ اللَّهِ ﴾<sup>5</sup>. يقول المقرئي : " والخوارج يقال لهم الشراة ! واحدهم شاري ، مشتق من شرى الرجل إذا ألج ، أو معناه يشتري بالشر ، أو من قول الخوارج : شربنا أنفسنا لدين الله ، فنحن لذلك شراة ، وقيل :

<sup>1</sup> - سورة : التوبة ، الآية: 112.

2 - الحفني ، المرجع السابق ، ص 216؛ بكير بن سعيد أعوشت: دراسات اسلامية في الأصول الإباضية، ط3، مكتبة وهبة، القاهرة، 1988، ص15.

3 - ابن سيدة : (398-458هـ / 1007-1066م) علي بن إسماعيل ، أبو الحسن : إمام في اللغة وأدابها ، ولد بمرسية (في شرق الأندلس) ، وانتقل إلى دانية فتوبي بها . كان ضريراً . ينظر : الزركلي : الأعلام ، ج 4، ص 262.

4 - أبو علي الفاسي (288-377هـ | 900-987م) الحسن بن أحمد بن عبد الغفار الفارسي الأصل ، أبو علي ، أحد الأئمة في علم العربية ، ولد في فسا (من أعمال فارس) ودخل بغداد سنة 307هـ ، فأقام مدة عند سيف الدولة ، وعاد إلى فارس ، فصبح عضد الدولة ابن بويه ، وتقى عنده ، ثم رحل إلى بغداد فأقام إلى أن توفي بها . أنظر الزركلي ،

المصدر نفسه ، ج 2 ، ص 179 ، 180.

<sup>5</sup> - سورة : البقرة ، الآية: 205.

إنه من قوله : شارته أي لاحته وماريته ، وقيل : شرى الرجل غضباً إذا استطار غضباً ، وقيل لهم هذا لشدة غضبهم على المسلمين<sup>1</sup>.

**المارقة**: سميت به الخوارج لخروجهم عن الدين<sup>2</sup> ، وقد اشتق هذا الاسم من حديث النبي صلى الله عليه وسلم : «يمرون من الدين كما يمرق السهم من الرمية»<sup>3</sup> ، وهم يررضون بهذه الألقاب كلها إلا المارقة ، فإنهم ينكرون أن يكونوا مارقة يمررون من الدين كما يمرق السهم من الرمية<sup>4</sup>

**المحكمة** : جاءت هذه التسمية من خلال الشعار الذي أطلقه الخوارج بعد قبول علي رضي الله عنه بالتحكيم : «لا حكم إلا لله ، ولا حكم للرجال»<sup>5</sup> ، فلما سمعنا علي قال : «كلمة حق أريد بها باطل»<sup>6</sup> ، وقد ضاق أمير المؤمنين ذرعاً بهذا الشعار ، وقد اتخذته الخوارج ديناً ودينناً ، فكانوا يقاطعونه في كثير من الأحيان وهو على المنبر يخطب بقولهم : لا حكم إلا لله<sup>7</sup>.

وقد اختلف فيمن كان أول المحكمة ، فقيل : إن أول من حكم عروة بن حمير أخوه مرداس الخارجي ، وقيل : أولهم يزيد بن عاصم الحاربي<sup>8</sup> ، وقيل : رجل منبني يشكر بن بكر بن وائل ، وكان مع علي بصفين ، فلما اتفق الفريقيان على التحكيم ، ركب جمله<sup>9</sup> وحمل على أصحاب علي علىقتل منهم واحداً ، ثم حمل على أصحاب معاوية فقتل منهم واحداً ، ثم نادى بين المعسكرين أنه بريء من علي ومعاوية ، وأنه خرج من حكمهم ، وقتله رجل من همدان<sup>10</sup>.

<sup>1</sup> - تقي الدين أبي العباس أحمد بن علي المقرizi: الموعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار ( الخطط المقرizية ) ، ج 3، مؤسسة حلبي وشركائه للنشر والتوزيع ، القاهرة ، ب.ت ، ص 419.

<sup>2</sup> - المقرizi : الموعظ والاعتبار ، ج 3 ، ص 419.

<sup>3</sup> - الشهستاني : الملل والنحل ، ج 1 ، ص 115.

<sup>4</sup> - الأشعري : مقالات الإسلاميين ، ج 1 ، ص 207.

<sup>5</sup> - المقرizi ، الموعظ و الاعتبار ، ج 3 ، ص 415.

<sup>6</sup> - الشهستاني : الملل والنحل ، ج 1 ، ص 116.

<sup>7</sup> - أحمد أمين : فجر الإسلام ، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة ، القاهرة ، مصر ، 2012 ، ص 277.

<sup>8</sup> - الأشعري : مقالات الإسلاميين ، ج 1 ، ص 209 .

<sup>9</sup> - البغدادي ، المصدر السابق ، ص 75.

<sup>10</sup> - الأشعري ، مقالات الإسلاميين ، ج 1 ، ص 209.

وقيل إن أول من حكم رجلان من عنزة ، اسمهما جعد ومعدان ، وكان مع علي منهم أربعة آلاف رجل ، وقد مر براياتهم الأشعـب بن قيس وهو يقرأ كتاب التحكيم ، فخرج جعد ومعدان ، فقالا : لا حكم إلا لله ثم شدا على أهل الشام ، فقاتلا حتى قتلا .  
وقال آخرون : أول من حكم رجل يقال له سعيد من بني محارب بن خصـفة بن قيس بن عيلان بن مضر .

وقال غيرهم : إن أول من حكم لفظ بالحكومة ولم يشد بها رجل من بني سعد بن زيد منة بن تميم بن مر من بني صريم ، يقال له الحجاج بن عبد الله ، ويعرف بالبرك ، وهو الذي ضرب معاوية على أليته يوم حاول اغتياله<sup>1</sup> .

وتزعم الخوارج أن أول من حكم عبد الله بن وهب الراسي<sup>2</sup> .

يقول الملطي : " وكان هؤلاء الحمقى يخرجون بسيوفهم في الأسواق ، فيجتمع الناس على غفلة ، فينادون : لا حكم إلا لله ، ويضعون سيفهم فيمن يلحقون من الناس ، فلا يزالون يقتلون حتى يقتلوا ، وكان الواحد منهم إذا خرج للتحكيم لا يرجع أو يقتل ، فكان الناس منهم على وجل وفتنة ، ولم يبق منهم اليوم أحد على وجه الأرض بحمد الله"<sup>3</sup> .

ويفهم من سياق مختلف الروايات التي ذكرناها آنفاً أن الذين حكموا لم يحكموا في وقت واحد أو موقف ، حيث جرى التحكيم في أكثر من مناسبة ، وأكثر من موقف ، فمنهم من حكم بين الصفين في موقعة صفين ، ومنهم من حكم حينما كان الأشعـث يطوف على الجند من كلا الطرفين المتحاربين ، يقرأ كتاب التحكيم الذي تم الاتفاق عليه بين علي ومعاوية رضي الله عنهما ، ومنهم من حكم في مواقف أخرى ، على نحو ما رواه البرد ، أن الخوارج حين استقرروا في الكوفة بعد عودتهم مع علي أول الأمر ، أشاعوا أنه رجع عن التحكيم ورأه ضللاً ، فأتى الأشعـث بن قيس علياً وأخبره بما يقول الخوارج ، فخطب علي الناس فقال : من زعم أني رجعت عن

<sup>1</sup> - الأشعري ، مقالات الإسلاميين ، ج 1، ص 209.

<sup>2</sup> - عماد الدين أبو الفداء إسماعيل ابن عمر بن كثير : البداية والنهاية ، ج 7 ، ط 6 ، مكتبة المعرف ، بيروت ، لبنان ، 1985 م ، ص 279.

<sup>3</sup> - الملطي : التنبـيه والرد على أهل الأهواء والبدع ، ص 38.

الحكومة فقد كذب ، ومن رآها ضلالاً فهو أضل. فخرجت الخوارج عن المسجد فحكمت ، فقيل  
لعلي : إنهم خارجون عليك ، فقال : لا أقاتلهم حتى يقاتلوني وسيفعلون<sup>1</sup>.  
كما سموا أيضا باسم " الوهبيين " نسبة إلى عبد الله بن وهب الراسي زعيم الخوارج في معركتهم  
الأولى بالنهران.<sup>2</sup>.

#### 1-2-4- أراء الخوارج:

كانت أراء الخوارج موحدة قبل جوئهم إلى الأهواز سنة 64هـ/684م منها أنهم كانوا يرون أن  
ال الخليفة لا يمكن أن يعين إلا بالاختيار الحر تقوم به جماعة من المؤمنين دون اعتبار المولد أو الأصل  
المكي القرشي ، و هكذا عادوا إلى مبدأ الاستفتاء و الذي تقرر غداة وفاة النبي صلى الله عليه  
 وسلم ، و عندهم الخليفة يستمر في مباشرة أعماله و مهامه ما دام مستقيماً أميناً و مخلصاً و  
 حارساً للشريعة، فإن حاد عن الصواب وجب عزله أو قتله.<sup>3</sup>

و قالوا: " أنه لا حاجة إلى إمام<sup>4</sup> إذا أمكن الناس أن يتناصفوا فيما بينهم، فإن رأوا أن التناصف لا  
 يتم إلا بالإمام، يحملهم على الحق فأقاموه حاز."<sup>5</sup>

و الخليفة عندهم لا يلقب إلا بـ " الإمام " أي الذي يؤمن الناس جماعة المصليين و يرأس الجماعة، و  
 يجب أن يكون مثلاً أعلى للتقوى؛ و الإمام عند الخوارج يمكن أن يكون عبداً أسود، إذا توافرت  
 فيه شروط العلم و الخلق.

و قد كفروا أهل الذنوب بكل مؤمن يرتكب أحد هذه الذنوب يستحق ليس فقط العذاب  
 الأبدى، بل يعد في نظر الخوارج عدواً ( إلا إذا تاب و كفر عن ذنبه) بما في ذلك الخطأ في الرأي

<sup>1</sup> - أحمد بن محمد ابن عبد ربه الأندلسي : العقد الفريد ، ج 1 ، ط 3، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، 1987 م ،  
 ص 233.

<sup>2</sup> - ألفرد بل: المرجع السابق، ص 145.

<sup>3</sup> - الشهريستاني: الملل والنحل ، ج 1، ص 108؛ ألفرد بل: المرجع السابق، ص 142؛ بن عميرة: المرجع السابق، ص 50.

<sup>4</sup> - هذا رأي فرقة النجدات من الخوارج.

<sup>5</sup> - محمد أبو زهرة: تاريخ المذاهب الإسلامية في السياسة و العقائد وتاريخ المذاهب الفقهية، دار الفكر العربي، القاهرة،  
 ب.ت، ص 61.

و هذا ما جعلهم يكفرون الخليفة علي رضي الله عنه لأنه قبل التحكيم، و كتاب الله واضح لا يقبل التحكيم.<sup>1</sup>

و اتفقوا على أن العمل جزء من الإيمان، فالإيمان ليس فقط الاعتقاد و النطق بالشهادتين، و إنما يجب أن يتم ذلك العمل بأوامر الدين كالصلوة و الصوم و الصدقة و العدل، و من آرائهم أيضا يقول شيخ الإسلام : "الخوارج هم أول من كفر المسلمين ، يكفرون من خالفهم في بدعهم، و يستحلون دمه و ماله".<sup>2</sup>

و من الأمور أيضا التي خالف فيه الخوارج أهل السنة و الجماعة توحيد الأسماء و الصفات، و هم معتزلة في هذا الباب، قال الأشعري: "فأما التوحيد فإن قول الخوارج فيه كقول المعترضة". و من آرائهم أيضا إنكار عذاب القبر و نعيمه قال الأشعري: "و الخوارج لا يقولون بعداً عن القبر و لا ترى أحداً يعذب في قبره".

و منها أيضا الخروج على أئمة المسلمين و عدم الطاعة و الانقياد لهم قال الأشعري: "و أما السيف، فإن الخوارج جميعاً يقول به و تراه، إلا الإباضية لا ترى اعتراف الناس بالسيف، و لكنهم يرون إزالة أئمة الجور، و منعهم أن يكونوا أئمة بأي شيء قدروا عليه بالسيف، أو بغير السييف"<sup>3</sup> كما يعتقدون أن جميع المسلمين كفار إلا من اعتقد عقيدتهم، و اتبع سبيلهم، و نهج

<sup>1</sup> - البغدادي: المصدر السابق، ص 73؛ أبو زهرة: المرجع السابق، ص 61، 62؛ ألفرد بل: المرجع السابق، ص 142، 143؛ بن عميرة: المرجع السابق، ص 50.

<sup>2</sup> - تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم الحراني ابن تيمية: مجموع الفتاوى، تحقيق عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، ج 3، مجمع الملك فهد للطباعة المصحف الشريف، المدينة المنورة ، السعودية، 1995، ص 279.

<sup>3</sup> - الأشعري: مقالات الإسلاميين، ج 1، ص 203.

مناهجهم، و اعتبروا أن جميع بلاد المسلمين بلاد كفر، يجب الهجرة منها، و بذلك استحلوا

<sup>1</sup> دمائهم، و البراء منهم، و كفروا من لم يهاجر إليهم.

و من آرائهم أيضاً ما ذكره الحافظ ابن حجر بقوله:<sup>2</sup> "و زاد نجاة على معتقد الخوارج: أن من لم يخرج و يحارب المسلمين، فهو كافر، و لو اعتقد معتقدهم."

هذه محمل اعتقاداتهم الباطلة التي خالفوا بها أهل السنة و الجماعة، و لهم أراء شاذة محلها كتب <sup>3</sup> السنة و العقائد.

## 1-2-5- فرق الخوارج:

تتعدد و تتضارب مصادر و كتب الفرق الإسلامية في تناولها الخوارج، و تختلف في تقسيم و ذكر فرقهم، بحيث من الصعوبة الوقوف على معتقدات الخوارج من واقع كتبهم نفسها لحرضهم الشديد عليها، و هي قليلة فالغالب أن مكتبات المسلمين تكاد تخلو من مؤلفاتهم<sup>4</sup>

و عند رجوعنا إلى كتب الفرق وجدنا اختلاف حول فرق الخوارج فمنهم من أفرد لهم عدداً كبيراً كالإمام الرازي الذي عدد لهم واحد و عشرين فرقة<sup>5</sup> أو ما يقرب من نصف هذا العدد عند الملطي<sup>6</sup> بينما جمعهم الإمام الأشعري في أربعة فحسب<sup>7</sup>

و الملاحظ على هذه الفرق أن اسم كل فرقة مأخوذ أحياناً من اسم زعمائهم الأوائل أو الكبار<sup>8</sup> و قد أوصلها الإمام البغدادي إلى عشرين فرقة حيث يقول: ((.....إن الخوارج عشرون فرقة و

<sup>1</sup> - الأشعري: مقالات إسلاميين، ج 1، ص 204.

<sup>2</sup> - ابن حجر العسقلاني: فتح الباري، ج 14، ص 285.

<sup>3</sup> - البغدادي: المصدر السابق، ص 264؛ الأشعري: مقالات إسلاميين، ج 1، ص 203؛ الشهري: الملل والنحل، ج 1، ص 122.

<sup>4</sup> - علي بن الحسين الماشي الخطيب: وقعة النهروان و الخوارج، مطبعة الحيدري، طهران، د.ت، ص 154.

<sup>5</sup> - فخر الدين محمد بن عمر الرازي: اعتقادات فرق المسلمين و المشركين، مراجعة علي سامي النشار، القاهرة، 1938، ص 46-51.

<sup>6</sup> - الملطي: المصدر السابق، ص 37-43.

<sup>7</sup> - الأشعري: مقالات إسلاميين، ج 1، ص 101.

<sup>8</sup> - ألفرد بل: المرجع السابق، ص 145.

## الفصل الأول : الأوضاع المذهبية في بلاد المغرب الإسلامي قبل القرن 5 هـ / 11 م

هذه أسماؤها: المحكمة<sup>1</sup> والأزارقة<sup>2</sup>، و النجادات<sup>3</sup> و الصفرية<sup>4</sup>، ثم العجارة المفترقة فرقا منها الخازمية و المعلومية، و المجهولية و أصحاب طاعة لا يراد الله تعالى بها، و الصلبية، و الآخنسية، و

<sup>1</sup> - المحكمة الأولى: هم الذين خرجن على أمير المؤمنين علي رضي الله عنه حين جرى أمر الحكمين، و اجتمعوا بحروراء من ناحية الكوفة و رئيسهم عبد الله بن الكواف، و عتاب بن الأعور، و عبد الله بن وهب الراسي و عروة بن حذير؛ و سموا بذلك لرفضهم تحكيم الحكمين، و مرددين كلمة (( لا حكم إلا لله )) رافعين سيفهم في الأسواق، ينظر: الملطي، المصدر السابق، ص 38؛ المقريزي: الموعظ و الاعتبار، ج 3، ص 415؛ البغدادي: المصدر السابق، ص 73؛ عبد الرحمن بن أحمد الإيجي: المواقف في علم الكلام، عالم الكتب، بيروت، لبنان، ب.ت، ص 424؛ الشهريستاني: الملل و النحل، ج 1، ص 107؛ غالب بن علي عواجي: المرجع السابق، ص 231؛ عامر النجار: الإباضية و مدى صلتها بالخوارج، ص 43، 42.

<sup>2</sup> - الأزارقة: هي أشد فرق الخوارج تطرفا و زعيمها نافع بن الأزرق الذي كان رأيه " البراءة من سائرة المسلمين و تكفيرهم و الاستعراض و قتل الأطفال و استحلال الأمانة لأنه يراهم كفاراً" وقد كتب رسالة في هذا الموضوع إلى زعيمي المعارضة ابن اباض و ابن الصفار و لما قرأت على أصحابها تفرقوا فالتفت جماعة منهم حول ابن اباض فسموا اباضية، بينما التفت جماعة أخرى حول ابن الأصفر فسموا صفرية. ينظر: المقريзи: الموعظ و الاعتبار، ج 3، ص 415؛ البغدادي: المصدر السابق، ص 78-81؛ الإيجي: المصدر السابق، ص 424؛ أبو زيد عبد الرحمن بن محمد بن خلدون: تاريخ ابن خلدون ، المسماى ديوان المبتدأ و الخبر في تاريخ العرب و البربر و من عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر ، مراجعة سهيل زكار، ج 3، دار الفكر للطباعة و النشر و التوزيع، بيروت، لبنان، 2000، ص 182؛ الشهريستاني: الملل و النحل، ج 1، ص 111؛ ألفرد بل: المرجع السابق، ص 145؛ بن عميرة محمد: المرجع السابق، ص 50، 51.

<sup>3</sup> - النجادات: و هم أصحاب نجدة بن عامر الحنفي، و قيل عاصم، و هم يختلفون عن الأزارقة في كل ما سبق، و الدين عندهم أمران: الأول معرفة الله تعالى و معرفة رسله، و الثاني ما سوى ذلك الناس معذرون فيه، و أجمعوا النجادات على أن لا حاجة للناس إلى إمام قط، و قد افترقت هذه الفرقة إلى عطوبية (الذين نسبوا إلى عطية بن الأسود اليماني الحنفي) و فديكية (نسبوا إلى أبي فديك الخارجي أحد بنى قيس بن ثعلبة) ينظر: المقريзи: الموعظ و الاعتبار، ج 3، ص 416؛ البغدادي: المصدر السابق، ص 81-84؛ الإيجي: المصدر السابق، ص 424؛ ابن خلدون: المصدر السابق، ج 3، ص 182؛ الشهريستاني: الملل و النحل، ج 1، ص 118، 119.

<sup>4</sup> - الصفرية: هي أقل الفرق تطرفا، و هم أتباع زياد بن الأصفر، و قوله في مجمله كقول الأزارقة في أن أصحاب الذنوب مشركون، غير أن الصفرية لا يرون قتل أطفال مخالفتهم و نسائهم، و أهم أراء الصفرية تدور حول القعدة عن القتال (أي التخلف عن الخروج إلى القتال) فهم لم يكفروهم و لم يسقطوا الرجم، و قالوا: التقية جائزة في القول دون العمل، و قد انقسمت هذه الفرقة على ثلاث فرق حسب البغدادي، ينظر: البغدادي: المصدر السابق، ص 81-84؛ الإيجي: المصدر السابق، ص 424؛ الشهريستاني: الملل و النحل، ج 1، ص 134؛ ألفرد بل: المرجع السابق، ص 145؛ بن عميرة: المرجع السابق، ص 52؛ كمال السيد أبو مصطفى: جوانب من الحياة الاجتماعية و الاقتصادية و الدينية و العلمية في المغرب الإسلامي من خلال نوازل و فتاوى المعيار المغرب للنشر العربي، مركز الإسكندرية للكتاب، مصر، 1996، ص 95.

## الفصل الأول : الأوضاع المذهبية في بلاد المغرب الإسلامي قبل القرن 5 هـ / 11 م

الشيبانية، و المعبدية و الرشيدية و المكرمية، و الخمرية، و الشمراخية، و الابراهيمية، و الواقفة و الإباضية<sup>1</sup> منها ما افترقت فرقاً معظمها فريقان: حفصية و حداثية. فأما اليزيدية من الإباضية و الميمونية من العجارة فلأنهما فرقتان من غلاة الكفرة الخارجين عن فرق الأمة....)<sup>2</sup>.

### 1-2-6- دخول و انتشار مذهب الخوارج في بلاد المغرب الإسلامي:

كان فشل الخوارج في المشرق نتيجة لاضطهادات العنيفة التي وجهت ضدهم من طرف قادة بني أمية، فالخوارج لم يستطعوا أن يحققوا أهدافهم بسبب أن حركاتهم كانت ينقصها التنظيم السياسي، و كذا التنظيم العسكري نتيجة غياب الإعداد المسبق<sup>3</sup> مما سهل على الخلافة الأموية ولاتخاذها مهمة مناهضتها و استئصال أصولها، و ما كاد ينتهي القرن الأول الهجري اندثرت فرقتي الأزرقة و النجدات و هما من أهم فرق الخوارج<sup>4</sup>.

<sup>1</sup> - الإباضية: هم أصحاب عب الله بن اباض، و يرى أنصار هذا التيار أن مخالفينا من أهل القبلة كفار غير مشركين أي يحكم لهم بحكم المنافقين، فهم "كفار بالنعم والأحكام"، لكنهم "براء من الشرك والإيمان"، و أجازوا مناكحتهم و غنائمهم من سلاحهم حلال، و ما سواه حرام، و حرام قتلهم و سبيهم في السر غليلة إلا بعد نصب القتال و إقامة الحجة، و قالوا: "إن دار مخالفيهم من أهل الإسلام دار توحيد إلا معسكر السلطان فهو دار بغي، و أن مرتكي الكبائر موحدون لا مؤمنون" ، كما توافقوا في أطفال المشركين، و جوزوا تعذيبهم على سبيل الانتقام، و تتميز هذه الفرقة بالاعتدال بالمقارنة مع الفرق الأخرى و هذا ما حقق لها انتشاراً و نجاحاً كبيراً في شمال إفريقيا و لا يزال إلى اليوم في كل من ميزاب و عمان و زنجبار، ينظر: المقرizi: الموعظ و الاعتبار، ج 3، ص 417؛ البغدادي: المصدر السابق، ص 95؛ الإيجي: المصدر السابق، ص 425؛ الشهستاني: الملل والنحل، ج 1، ص 131؛ ابن خلدون: تاريخ ابن خلدون، ج 3، ص 182.

و أيضاً: ألفرد بل: المرجع السابق، ص 145؛ بن عميرة: المرجع السابق، ص 51؛ عبد الحميد معلومي: منهج علماء الأشاعرة في تقرير العقيدة، ط 1، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، المغرب، 2006، ص 31.

<sup>2</sup> - البغدادي: المصدر السابق، ص 72، 73.

<sup>3</sup> - موسى لقبال: المغرب الإسلامي، ط 2، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1981، ص 153؛ محمود إسماعيل عبد الرزاق: الخوارج في بلاد المغرب حتى منتصف القرن الرابع الهجري، دار الثقافة، المغرب، 1985، ص 42.

<sup>4</sup> - إسماعيل عبد الرزاق: الخوارج في بلاد المغرب، ص 42.

## الفصل الأول : الأوضاع المذهبية في بلاد المغرب الإسلامي قبل القرن 5 هـ / 11 م

و كان من الطبيعي أن تلجم فرقتا الصفرية و الإباضية إلى أسلوب جديد و معاير قوامه تنظيم الدعوة السرية<sup>1</sup> و بعث الدعوة في أطراف العالم الإسلامي لنشر المذهب<sup>2</sup> ، و من هنا بدأنا التنقل بين الأمصار الإسلامية، و المحرجة إلى حيث لا تناهم أيدي البطش و الطغيان، أي في البيئات التي ما زال مسلموها ينعمون بجياثم الدينية في إطار البساطة المذهبية و الاتجاهات الغير المتحزبة<sup>3</sup>. لقد وجد الخوارج في بلاد المغرب البيئة المناسبة، و التربة الخصبة لنشر أفكارهم، و تقوية نفوذهم و صفوفهم، و بث دعوتهم، فقد كانت بلاد المغرب من أهم أقاليم الأطراف التي اتجهت إليها جهود الخوارج<sup>4</sup>.

وفي هذا الصدد يذهب ألفرد بل إلى قوله: "... و قد انحذب دعوة الخوارج إلى بلاد الشمال الإفريقي منذ عهد مبكر لأنها كانت بعيدة عن سلطان الخلافة، و كان أهلها يقاومون القواد و الولاة و العرب بشدة، فاستطاعوا أن يجدوا فيها تربة خصبة لبذار أفكارهم".<sup>5</sup>

يستشف من هذا القول أن حركة الخوارج قد كان تواجدها في بلاد المغرب في وقت مبكر ، أي مع منتصف القرن الأول الهجري، غير أن الخوارج باعتبارها فرقة كلامية تمكنت أفكارها من أن تصل إلى بلاد المغرب الإسلامي في أواخر القرن الأول الهجري و أوائل القرن الثاني الهجري، و بالضبط في الزمن الذي سبق وواكب الخليفة الأموي هشام بن عبد الملك(105هـ-125هـ)

<sup>1</sup> - و قد نصح التنظيم الدعوي السري في عهد أبي عبيدة مسلم بن أبي كريمة، و ساعد على انتشار الإباضية الظروف السياسية و الاجتماعية، و الاقتصادية التي سادت المغرب، ينظر: عمار طالبي: الاتجاه الكلامي عند الإباضية بالغرب الإسلامي أبو يعقوب الورجاني نموذجا ، فصل من كتاب: الاتجاهات الكلامية في الغرب الإسلامي، تنسيق علي الإدريسي، ط1، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، المغرب، 2005، ص97؛ ينظر: رسالة أبي عبيدة مسلم بن أبي كريمة إلى شيخ الإباضية بالمغرب، الملحق رقم: 366، ص363.

<sup>2</sup> - إسماعيل عبد الرزاق: الخوارج في بلاد المغرب ، ص 42، 43.

<sup>3</sup> - موسى لقبال: المغرب الإسلامي، ص153.

<sup>4</sup> - إسماعيل عبد الرزاق: المرجع السابق، ص43؛ موسى لقبال: المغرب الإسلامي، ص153.

<sup>5</sup> - ألفرد بل: المرجع السابق، ص 145، 146.

## الفصل الأول : الأوضاع المذهبية في بلاد المغرب الإسلامي قبل القرن 5 هـ / 11 م

723-742م) الذي نكل بالخوارج و طاردهم من المشرق الإسلامي، فاضطرتهم الظروف إلى الفرار من ملاحقة و بطيشه لهم إلى الاتجاه صوب بلاد المغرب فكتب لها الانتشار بها.<sup>1</sup> و من أهم العوامل التي ساعدت دعوة الخوارج في نشر مذهبهم، السرية التامة في الدعوة، واستغلال التجارة و الرحلة للكسب كعامل مهم في نشر الأفكار و العادات لاسيما الفكرة الخارجية<sup>2</sup>، و ما جعل مذهب الخوارج يلقى نجاحاً كبيراً بين قبائل البربر أنه كان يناسب وضعهم الاجتماعي و السياسي، فاتخذوه عنواناً للمعارضة القومية ضد أي سيادة تفرض عليهم كالسيادة العنصرية أو المذهبية.<sup>3</sup>

كما يقف على رأس العوامل المساعدة في نشر الحركة الخارجية في بلاد المغرب حركة الدعاة، وأول من دعا إليها و جاء بها إلى المغرب الداعية سلمة بن سعيد<sup>4</sup> - الذي كان يدعوا إلى الإباضية<sup>5</sup> - أقبل من البصرة مع عكرمة<sup>6</sup> بن عبد الله مولى ابن عباس (ت 105هـ/723م) -

<sup>1</sup> - يوسف أحتانة: تطور المذهب الأشعري، ص 145، 146؛ إسماعيل عبد الرزاق: المراجع السابق، ص 43؛ عمار طالبي: الاتجاه الكلامي عند الإباضية بالغرب الإسلامي أبو يعقوب الورجلاني ، ص 97.

<sup>2</sup> - موسى لقبال: المغرب الإسلامي، ص 153.

<sup>3</sup> - لسان الدين ابن الخطيب: تاريخ المغرب العربي في العصر الوسيط، القسم الثالث من كتاب أعمال الأعمال، تحقيق و تعليق: أحمد مختار العبادي و محمد إبراهيم الكتاني، دار الكتاب العربي، الدرا البيضاء، المغرب، 1964، ص 10.

<sup>4</sup> - كان حياً في سنة 135هـ/752م

<sup>5</sup> - من عبقرية سلمة بن سعيد في تكوين الدعوة، أنه احتار خمسة طلاب و أرسلهم إلى مدينة البصرة، المركز العلمي الثقافي حيث ذهب في العراق، و هم عاصم جميل السدراني، و إسماعيل بن درار الغدامسي، و أبو داود النفزاوي، و عبد الرحمن بن رستم، و أبو الخطاب عبد الأعلى بن السمح المغاوري اليمني الأصل، و كانت هذه البعثة قد توجهت إلى البصرة سنة 135هـ و عادت بعد خمس سنوات إلى المغرب و بعد خمس وعشرين سنة كللت جهود هؤلاء بإقامة دولة إباضية مستقلة سنة 160هـ في تيهرت دامت إلى سنة 296هـ حين قضى عليها العبيدون.أنظر: عمار طالبي: الاتجاه الكلامي عند الإباضية بالغرب الإسلامي أبو يعقوب الورجلاني ، ص 97، 98.

<sup>6</sup> - ييدوا أن عكرمة البريري استطاع أن يكون بالمسجد الجامع بالقيروان مدرسة صفرية نفذت تعاليمها إلى قلوب البربر و أهواهم بمختلف بلاد المغرب، وجد دعائهما هنا و هناك يؤلبون القوم للانقضاض على الدولة الأموية التي بدلت الخوارج بالشرق و ظلمت البربر بالمغرب، و أقامت سلطتها على نسق جاهلي تحكم فيها العصبية. لذلك أثمرت تعاليم عكرمة بينهم فقد تمكّن حفيده تلميذه سعد، عيسى بن يزيد بن سعد أن يجمع حوله قبائل كثيرة من زناته التي سرى إليها من قبل مذهب الصفرية، و يكون بجم دولته بسجل ماسة بأقصى الجنوب للمغرب سنة (140هـ/757م) على أساس مذهبي مستغلًا سقوط

## الفصل الأول : الأوضاع المذهبية في بلاد المغرب الإسلامي قبل القرن 5 هـ / 11 م

- الذي كان يدعوا إلى الصفرية - يتداولان بعيرا واحد ركوبا، وصلا إلى المغرب و نشطا في دعوتهما نشاطا ملحوظا<sup>2</sup> وقد اتبعوا طريقة في نشر آرائهم و هي الدعوة باسم الدين وحده و هو أحسن شيء يتفق مع مزاج البربر<sup>3</sup> ، إضافة إلى أنهما جاءا في فترة حساسة، إذ أن البربر قد ضاقوا ذرعا بحكم الولاة الأمويين وجورهم<sup>4</sup> ، و رما استغلوا خصومات العرب المشهورة فيما بينهم من قيسية و يمنية.<sup>5</sup>

و هكذا تكون الأسباب قد تكاثفت لقيام ثورات البربر أو كما يطلق عليها ثورات الخوراج في المغرب الإسلامي ابتداء من سنة 122هـ/740م، حيث شهد المغرب الإسلامي العديد من الثورات لكن كان أولها ثورة ببريرية صفرية بقيادة ميسرة المطغربي سنة 122هـ/740م، تم تلتها ثورة إباضية أبي الخطاب عبد الأعلى بن السمح المعافري اليمني سنة 140هـ/757م، و قد استمرت هذه الثورات دون توقف إلى أن يؤسس الصفريون دولتهم المدرارية بسجلماسة في المغرب الأقصى

=الدولة الأموية، و اضطراب الدولة العباسية في بدايتها لتكون أول دولة خارجية في التاريخ. ينظر: علي الشامي: مباحث في علم الكلام، ط 1 ، دار المدار الإسلامي، بيروت، لبنان، 2002، ص: 148، 149.

<sup>1</sup> - هو أبو عبد الله عكرمة، عبد ببريري، من أهل المغرب، أو من سبئهم، وصل المدينة فاشترأه عبد الله بن عباس، أو وهبه له ولـي البصرة الحصين بن أبي الحر العنبرـي. للمزيد ينظر: لطيفة بشاري: أبو عبد الله عكرمة المغربي مولى عبد الله بن عباس، مجلـة الدراسـات التـارـيخـية، العـدـدـ الثـالـثـ عـشـرـ، كـلـيـةـ الـعـلـمـ الـإـنـسـانـيـ وـ الـاجـتمـاعـيـ، جـامـعـةـ الـجـزاـئـرـ 2ـ 1433ـ 2011ـ، صـ 23ـ وـ ماـ بـعـدـهاـ.

<sup>2</sup> - عمار طالبي، الاتجاه الكلامي، ص 97؛ موسى لقبال: المغرب الإسلامي، ص 153؛ يوسف أحناـنةـ، تطور المذهب الأشعـريـ، صـ 34ـ.

<sup>3</sup> - ألفـرـدـ بلـ: المرـجـعـ السـابـقـ، صـ 147ـ؛ بنـ عـمـيرـةـ: المرـجـعـ السـابـقـ، صـ 65ـ.

<sup>4</sup> - و في عهد هشام بن عبد الملك اشتكتى وفد من البربر ما يعانونه من تصرفات الولاة من أخذ الـباتـ الجـمـيلـاتـ، وـ الـجلـودـ العـسلـيـةـ المـزاـودـ الـتيـ يـذـبـحـ منـ أـجـلـهـاـ العـشـرـاتـ منـ الـأـغـنـامـ، وـ لـكـنـ هـذـاـ الـوـفـدـ لمـ يـسـتـقـبـلـ وـ لـمـ يـقـعـ الـاـهـتـمـامـ بـهـ فـعـادـ خـائـبـاـ وـ عـزـمـ عـلـىـ التـغـيـرـ. وـ اـبـتـدـاءـ مـنـ سـنـةـ 124ـهـ/743ـمـ أـحـذـتـ الـثـورـةـ تـنـتـشـرـ مـنـ طـرـابـلـسـ إـلـىـ طـنـحةـ، وـ تـجـمـعـواـ حـوـلـ إـمـارـةـ سـجـلـماـسـةـ إـلـىـ أـوـاسـطـ الـقـرـنـ الـرـابـعـ الـمـجـرـيـ. يـنـظـرـ: عـمـارـ طـالـبـيـ: الـاتـجـاهـ الـكـلـامـيـ عـنـ الـإـبـاضـيـةـ بـالـمـغـرـبـ إـلـيـهـ أـبـوـ يـعقوـبـ الـوـرـجـلـانـيـ، صـ 98ـ.

<sup>5</sup> - بنـ عـمـيرـةـ: المرـجـعـ السـابـقـ، صـ 65ـ.

## الفصل الأول : الأوضاع المذهبية في بلاد المغرب الإسلامي قبل القرن 5 هـ / 11 م

سنة 140هـ/757م، و يؤسس الإباضيون دولتهم الرستمية<sup>1</sup> بالغرب الأوسط والأدنى سنة 160هـ/777م.<sup>2</sup>

إن الإباضية و الصفرية بعدهما أسستا دولتين مستقلتين عن المشرق الإسلامي (الخلافة العباسية) استطاعت أن تحقق نجاحاً باهراً في نشر الدعوة، حيث سلاحظ اعتناق البربر المذهبين بكثرة وأخلصوا لهما، و هذا ما أمكن مذهب الخوارج أن ينتشر بشكل سريع في المغرب الإسلامي لما تحمله تعاليمه من التزام بتطبيق الشعور، و التشدد في ذلك ، و الابتعاد عن الظلم و الظالمين، و الثورة على كل حاكم ظالم لا يقيم الشرعا.

و الجدير بالذكر أن هاتين الدولتين - المدرارية و الرستمية - لم تعمرا طويلاً، حيث ارتبطت نهاية دولتي الخوارج بظهور الدعوة العبيدية، فقيام الدولة العبيدية سنة 297هـ/909م تم على أنقاض الدول المستقلة في بلاد المغرب، و من بينها دولتي بني مدار و بني رستم الخارجيتين<sup>3</sup> فضلاً عن ذلك فإن حركة الخوارج لم تنطفئ بقدوم الشيعة في بداية القرن الثالث الهجري التاسع الميلادي بل استردت قوتها بعد ذلك بعده سنوات<sup>4</sup>

حيث اندلعت ثورات الصفرية في سحلماسة على أثر رحيل (المهدي) منها إلى رقادة سنة 297هـ/909م، و لم تفلح سياسة القمع و العنف التي جأ إليها العبيديين تارة، و لا سياسة اللين و الدهاء لم تأت أكلها بجعل و تحويل البربر الصفرية عن ولائهم لبني مدار.<sup>5</sup>

<sup>1</sup> - تُنسب هذه الدولة إلى مؤسسها عبد الرحمن بن رستم الفارسي الإباضي، الذي فر إلى تيهرت بعدما طاردته الأغالبة عمال الخلافة العباسية من القiroان، حيث توافد عليه مجموعة من العلماء من جميع الأقطار من طرابلس من جبل نفوسة ثم بوبع بالإمامية نظراً لعلمه ومكانته، وكان ذلك عن طريق الشّوري، ينظر: ابن الصغير المالكي: أخبار الأئمة الرستميين، تحقيق: محمد ناصر و إبراهيم بحاز، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1986، ص 26؛ يحيى بن أبي بكر أبو زكرياء: سير الأئمة الرستميين و أخبارهم، تحقيق: إسماعيل العربي، ط 3، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1984، ص 35.

<sup>2</sup> - أفرد بل: المرجع السابق، ص 148؛ بحاز إبراهيم بكر: الدولة الرستمية (296-160هـ/909-777م) دراسة في الأوضاع الاقتصادية و الحياة الفكرية، ط 2، المطبعة العربية، الجزائر، 1993، ص 95-62.

<sup>3</sup> - إسماعيل عبد الرزاق: المرجع السابق، ص 42، 43، 210؛ يوسف أحناة، تطور المذهب الأشعري، ص 34.

<sup>4</sup> - أفرد بل: المرجع السابق، ص 150، 151.

<sup>5</sup> - أبي عبيد البكري: المغرب في ذكر بلاد افريقية و المغرب (جزء من كتاب المسالك و الممالك)، دار الكتاب العربي، القاهرة، ب.ت، ص 150؛ إسماعيل عبد الرزاق: المرجع السابق، ص 219.

و قد تعددت أسباب اندلاع هذه الثورات بين سياسية و اقتصادية و اجتماعية و مذهبية و حتى جغرافية<sup>1</sup> لتزيد في عداء الخوارج الصفرية للحكم العبيدي الشيعي، و استمرار ثوراتكم عليه<sup>2</sup> التي انتهت بعدم استسلام الصفرية للحكم العبيدي، و من هنا نستنتج أن سياسة العبيديين المتأرجحة بين اللين و العنف لم تجد نفعا في دعم نفوذهم في سحلماسة معقل الخوارج الصفرية في المغرب<sup>3</sup>، و بالمقابل رغم زوال الحكم الرسمي من تيهرت<sup>4</sup> سنة 297هـ/909م و تبدد شمل الخوارج الإباضية لما تعرضوا له من اضطهاد مذهبي على يد العبيديين، حيث رفضوا الإذعان للمذهب الشيعي، و استكانوا إلى حين للمسالمة و الرضى بالواقع انتظارا لسنج الفرصة، و رغم بروز محاولات للثورة على العبيديين نذكر منها ثورة القرلين من إباضية هوراة بناحية طرابلس ، إلا أنه كان مصيرها الفشل، و بقي الإباضية قابعين في نفوسة يتظرون الفرصة حتى أتت ثورة الإباضية الكبرى التي احتوت كافة عناصر الإباضية وهيبة<sup>5</sup> و خلفية و نفاثية

<sup>1</sup> - للوقوف على هذه الأسباب بالتفصيل ينظر: إسماعيل عبد الرزاق: المرجع السابق، ص-ص 219-228.

<sup>2</sup> - إسماعيل عبد الرزاق: نفسه، ص 219.

<sup>3</sup> - المرجع نفسه: ص 228.

<sup>4</sup> - مدينة كبيرة من مدن المغرب الأوسط، أسسها عبد الرحمن بن رستم سنة (160هـ/777م)، وكانت فيما سلف مدينتين كبيرتين، إحداهما قديمة و الأخرى محدثة، فالقديمة منها ذات سور على قمة جبل ليس بالعالى، و بها خيرات المزارع و المياه المتدايققة ، و هي في سفح الجبل يدعى حزول و لها ثلاثة أبواب باب الصفا و باب المنازل و باب المطاحن، و تتميز بقصاؤه المناخ، و تيهرت الحديثة في قبليها لواتة و هوراة و غربتها زواغة و مطمطة و زناته و مكتناسة و في شرقها حصن هو تاهرت القديمة؛ ينظر: عيسى بن الذيب و آخرون : الحواضر و المراكز الثقافية في الجزائر في العصر الوسيط، سلسلة المشاريع الوطنية للبحث ، منشورات المركز الوطني للدراسات و البحث في الحركة الوطنية و ثورة أول نوفمبر 1954م، الجزائر ، 2007.ص 28، 29.

<sup>5</sup> - الإباضية الوهبية: هي فرقه الإباضية الأم التي حكمت الدولة الرستمية بتيهرت (المغرب الأوسط)، و هي تنسب إلى الإمام عبد الوهاب بن عبد الرحمن بن رستم، فالوهبية هم أتباع الإمام عبد الوهاب، و قد ظهرت تلك التسمية إثر فتنة أشعل نارها يزيد بن فندين الذي أنكر إمامية عبد الوهاب بن رستم، فعرف أتباعه لذلك بالنكارية، ينظر: كمال السيد أبو مصطفى: جوانب من الحياة الاجتماعية و الاقتصادية و الدينية و العلمية في المغرب الإسلامي من خلال نوازل و فتاوى المعيار المغرب للنشرسي، ص 96.

## الفصل الأول : الأوضاع المذهبية في بلاد المغرب الإسلامي قبل القرن 5 هـ / 11 م

و نكارية<sup>1</sup> ، و التي هددت بها الحكم العبيدي ، و كانت هذه الثورة بزعامة أبي يزيد<sup>3</sup> الملقب بصاحب الحمار الذي هدد المهدية<sup>4</sup> نفسها و هي عاصمة (المهدي) الشيعي في محاولة أخيرة قام

<sup>1</sup> - يقال لهم النجويه وهم خوارج المغرب والأندلس من الإباضية وهم جماعة يزيد بن فندين الذين أنكروا إماما عبد الوهاب بن عبد الرحمن أنه لم يكن إماما بالإجماع.أنظر:عبد المنعم المتقي:موسوعة الفرق والجماعات والمذاهب، ط2، مكتبة مدبولي، القاهرة، 1999، ص.252-253.

<sup>2</sup> - المادي روجي إدريس: الدولة الصنهاجية (تاريخ افريقيا في عهديبني زيري من القرن 10 إلى 12م)، تر: حمادي الساحلي، ج2، ط1 ، دار الغرب الإسلامي، لبنان، 1992، ص-ص، 335-360.

<sup>3</sup> - أبي يزيد مخلد بن كيداد بن سعيد الله بن مغيث بن كرمان بن مخلد بن عثمان ابن ورمت بن تنفراس بن سعيد بن يفرن، و يفرن هو أبو الكاهنة، كنيته أبو يزيد واسمها مخلد بن كيداد بن سعيد الله بن مغيث بن كرمان بن مخلد من قبيلة يفرن الزناتية، كان أبو كيداد من أهل توزر، وكان يستغل بالتجارة بين بلاد السودان وإفريقيا ومن المعروف أن قوافل التجارة كانت تمر بمدينة أورجلان وهي ورقلة حاليا وكان سكانها من الإباضية وأكثراهم من أهل تيهرت الذين رحلوا عنها بعد سقوطها في أيدي الفاطميين واستقرارهم في ورجلان. ولد أبو يزيد مخلد بالسودان من جارية هوارية فأتى بها أبوه إلى توزر فنشأ بها، وتعلم القرآن منذ طفولته وحالط جماعة من النكاريه فمالت نفسه إلى مذهبهم الخارجي، وهو من الإباضية أتباع ابن فندين الذين أنكروا إماما عبد الوهاب بن رستم، أما ابن خلدون فيقول «وحالط النكاريه من الخوارج وهم الصفرة و مال إلى مذهبهم» ثم رحل إلى تيهرت واشتغل بتعليم الصبيان العلوم الدينية وأخذنا يدعوا إلى الخروج على سلطان الفاطميين، في سنة (316هـ/928م) اتجه بدعوته إلى تغيير المنكر وتکفير الفاطميين والثورة عليهم واستباحة أموالهم، لقب بصاحب الحمار، لزكوبه حمار أشهب أهدي له برماجنة لما أراد القيام بالثورة له أربعة أولاد، يونس، أيوب، يزيد، فضل، ينظر: ابن خلدون: المصدر السابق، ج 4، ص 52؛ أبو عبد الله محمد ابن عذاري المراكشي:البيان المغرب في أخبار الأندلس و المغرب ،تحقيق:ج.س.كولان و إ. ليفي بروفنسال، ج 1، ط3، دار الثقافة، بيروت، لبنان، 1983، ص 216؛ تقي الدين أحمد بن علي المقريزي ، إتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء ، تحقيق، جمال الدين الشيال، ج 1، ط 2،لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة، 1996، ص 85؛ أبي الفداء : تاريخ المختصر في أخبار البشر ، ص 427؛ محمد بن عميرة،المرجع السابق، ص-ص 197-198؛ عبد العزيز الجدوبي:الصراع المذهبي بإفريقيا،ص- ص ، 223 - 216؛ عبد الفتاح مقلد الغيمي، موسوعة تاريخ المغرب العربي ، ج 1، ط3،مكتبة مدبولي،القاهرة،1994، ص 78،79. ينظر كذلك:

Mahfoud kaddache, «L'Algérie des Algériens de la pré histone a 1994», Edif, alger, 2000, p.202

<sup>4</sup> - مدينة استحدثها عبيد الله المهدي بالمغرب(303هـ/308) وهي في نهر البحر، أصبحت عاصمة للخلافة العبيدية (الفاطمية) سنة ثمان وثلاثمائة، بينها وبين القิروان مرحلتين، كثيرة البضائع إليها محلوبة من سائر البلاد و الأقطار . حسب ابن حوقل: المصدر السابق، ص 73؛ و يقول عنها بونار أنها مدينة جليلة بناها عبيد الله بشبه جزيرة جمة بين سوسة و صفاقس ، و لما أتم بناها أطلق عليها اسم المهدية ، و نقل إليها حكومته سنة 308هـ و اتخذها عاصمة دولته، و قد وصفها الأديب التيجاني في رحلته بالقرن السابع الهجري فقال : " المهدية مدينة جليل قدرها ، شهير في قواعد الإسلام ذكرها، و هي من بناء

## الفصل الأول : الأوضاع المذهبية في بلاد المغرب الإسلامي قبل القرن 5 هـ / 11 م

بها البربر في سبيل استقلالهم سنة 945هـ/333م . وتعبر هذه الثورة عن السخط الذي كان يجيش في صدور أهل إفريقيا والمغرب الأوسط من جراء السياسات العبيدية الزامية لفرض المذهب الشيعي الإسماعيلي<sup>1</sup> على السكان و على السياسة المالية الصارمة التي كانت تنهجها الدولة والمتمثلة أساساً بالضرائب الفادحة التي تفرضها على التحارات والزروع<sup>2</sup> و لكن هذه الثورة لم يكتب لها النجاح حيث سقط زعيمها أسيرا جريحاً في يد الخليفة العبيدي المنصور، و مات متأثراً بجراحه، وسلح و حشى جلده بالقش ووضع في قفص ليكون أعلوبة، فكان مصيرها الفشل كالثورة التي لحقت بها ثورة أبو خزر يغلى بن زلتان وأبي سعيد سنة 358هـ/969م، و هكذا انتهى آخر فصل من فصول الثورات الخارجية في الشمال الإفريقي، و هكذا قضى على الخوارج الذين أوشكوا أن يغرقوا المغرب في مذهبهم، و زال مذهب الخوارج من المغرب بوصفه دين الدولة. و لم ينهض من هذه الضربة بعد ذلك.<sup>3</sup>

### - الشيعة:

#### 1-1-3 التعريف بالشيعة:

لغة:

---

= عبيد الله المهدى أول خلفاء العبيدين ، المغرب العربي تاريخه وثقافته، ط2، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1981م  
، ص 130.

<sup>1</sup> - وكانت هذه السياسة سبباً في انضمamation فقهاء المالكية لثورة أبي يزيد بن مخلد بن كيداد ضد العبيدين، و يذكر أبو العرب أنه: " لما كان يوم الجمعة تقلدوا أسلحتهم و أتوا حتى ركزوا بنودهم قبالة الجامع و صلى بهم أحمد بن الوليد و دعاهم للجهاد" ، ينظر: أبي العرب محمد بن أحمد بن تيم: طبقات علماء افريقيا، دار الكتاب اللبناني، بيروت، لبنان، ب.ت ، ص 19، 67-68، دمشق، كانون الثاني حزيران، 1999م، ص. 141-142.

<sup>2</sup> - بوية مجاني: أثر الضرائب في ثوابت ومتغيرات سياسة الخلافة الفاطمية في مرحلتها المغربية، مجلة الدراسات التاريخية، العدد: 67-68، دمشق، كانون الثاني حزيران، 1999م، ص. 141-142.

<sup>3</sup> - المقريري: المفقى الكبير – ترجم أغلبية و مشرقية من الفترة العبيدية-، تحقيق محمد البعلawi، ط1 ، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1987، ص 171؛ ألفرد بل: المرجع السابق، ص 163.

## الفصل الأول : الأوضاع المذهبية في بلاد المغرب الإسلامي قبل القرن 5 هـ / 11 م

أطلقت كلمة الشيعة مراداً بها الأتباع والأنصار والأعونان والخاصة<sup>1</sup> ، يقول ابن خلدون: "اعلم أن الشيعة لغة هم الصحب و الأتباع و يطلق على عرف الفقهاء و المتكلمين من الخلف و السلف"<sup>2</sup> يقول ابن دريد (ت 321هـ/933م) في تعريف الشيعة: "فلان من شيعة فلان أي من يرى برأيه و تشيع الرجل على الأمر تشييعاً إذا أعتنجه عليه، و شاعت الرجل على الأمر مشائعاً".<sup>3</sup> والشيعة أنصار الرجل وأتباعه، وكل قوم اجتمعوا على أمر فهم شيعة. و كل قوم اجتمعوا على أمر فهم شيعة، وكل من عاون إنساناً وتحزب له فهو شيعة له، وأصله من المشائعة وهي المطاوعة والمتابعة.

استعمال مادة (شيعة) في القرآن الكريم:

وردت كلمة شيعة ومشتقاتها في القرآن الكريم مراداً بها معانيها اللغوية الموضوعة لها على المعاني التالية:

- بمعنى الفرقة أو الأمة أو الجماعة من الناس

قال الله تعالى: ﴿ ثُمَّ لَنَزِعَنَّ مِنْ كُلِّ شِيَعَةٍ أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى الرَّحْمَنِ عِتْيَا﴾<sup>4</sup> أي من كل فرقة وجماعة وأمة.<sup>5</sup>

- بمعنى الفرقة:

قال تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ فَرَقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ ﴾<sup>6</sup> أي فرقاً

- وجاءت لفظة أشیاع بمعنى أمثال ونظائر:

قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا أَشْيَاعَكُمْ فَهَلْ مِنْ مُذَكَّرٍ ﴾<sup>7</sup> أي أشباهكم في الكفر من الأمم الماضية. الماضية.

<sup>1</sup> - الفيروز آبادي: القاموس المحيط، ج 3، ص 47.

<sup>2</sup> - ابن خلدون: المصدر السابق، ج 1، ص 246.

<sup>3</sup> - أبوياكر محمد بن الحسن ابن دريد: جمهرة اللغة، تحقيق: منير بعلبكي، ج 2، دار العلم للملاتين، بيروت، 1987، ص 87.

<sup>4</sup> - سورة: مرثيم، الآية: 69.

<sup>5</sup> - عواجي: فرق معاصرة، ج 1، ص 306.

<sup>6</sup> - سورة: الأنعام، الآية: 160.

<sup>7</sup> - سورة: القمر، الآية: 51.

- بمعنى المتابع والموالي والمناصر:

قال تعالى: ﴿فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَلَانِ هَذَا مِنْ شِيعَتِهِ وَهَذَا مِنْ عَدُوِّهِ فَاسْتَعَاثَهُ اللَّذِي مِنْ شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ فَوَكَرَهُ مُوسَى فَقَضَى عَلَيْهِ﴾<sup>1</sup><sup>2</sup>

يعرف الإمام الأشعري الشيعة بقوله: "... و إنما قيل لهم الشيعة لأنهم شارعوا علينا رضوان الله عليه، و يقدمونه على سائر أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم."<sup>3</sup>

أما ابن خلدون فيعرف الشيعة بقوله: "...هم الذين كانوا يرون أنهم أحق بالأمر بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم، وأن الخلافة لرجاهم دون سواهم من قريش"، و هم أيضاً : "جماعة كانوا يت Shi'ah who believed they were entitled to rule after the death of the prophet. They claimed that the Caliphate belonged to them, specifically the Quraish tribe." This statement is attributed to Ibn Khaldun, a prominent historian and philosopher from the 14th century.

يبينما عرّفه الشهرياني بقوله: "...هم الذين شأيعوا عليا عليه السلام على الخصوص، و قالوا بإمامته نصا، و وصية، إما حلياً أو خفياً، و اعتقدوا أن الإمامة لا تخرج من أولاده، و إن خرجت فبظلم يكون من غيره، أو بتقية من عنده، قالوا: أن ليست الإمامة قضية مصلحية تناط باختيار العامة، و ينتصب الإمام، بل هي قضية أصولية. هو ركن الدين لا يجوز للرسول عليه السلام إغفاله و إهماله." و قالوا أيضاً بعصمة الأنبياء و الأئمة و حجوباً عن الكبائر و الصغائر، و التبرير قوله، و فعلاً، و عقداً إلا في حالة التقية.<sup>5</sup>

كما يطلق اسم الشيعة على كل من فضل عليا رضي الله عنه على الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم جميعا، ويرون أن أهل البيت أحق بالخلافة، وأن خلافة غيرهم باطلة.<sup>6</sup>

و بذلك تكون الشيعة في الأصل أولئك الذين شایعوا عليا، و أیدوه، غير أئمهم في تشیعهم افترقوا

١- سورة: القصص ، الآية:

٣٠٧ - عواجح : فرق معاصرة، ج ١، ص ٢

<sup>3</sup> - الأشعري: مقالات الإسلاميين، ج 1، ص 65.

<sup>4</sup> - ابن خلدون: المصدر السابق، ج 3، ص 214، 215.

<sup>5</sup> - الشهري: الملل والنحل، ج 1، ص 144، 145.

٦ - عواجي: فرق معاصرة، ج ١، ص ٣٠٨.

منهم بمعالمتهم الباطلة و دعاويمهم الزائفة في الكفر عندما ادعى بعضهم الألوهية لعلي رضي الله عنه، في حين ادعوا آخرون بعض ذريته. و الشيعة بهذا تصبح أقدم المذاهب السياسية الإسلامية، و إن هذا الفريق نما و ترعرع في عهد علي رضي الله عنه من غير أن يعمل على تنميتها.<sup>1</sup>

### 1-3-2- مبادئ الشيعة:

على العموم فإن الشيعة بدورهم تمكنا من تأسيس مجال نظري لتوجهاتهم و أفكارهم العقدية، لخصوصها في أربعة ثوابت و هي: - - الوصية.

- الإمامة.

- العصمة.<sup>2</sup>

- المهدية.<sup>3</sup>

- التقىة.

فالشيعة آمنوا بأن الخلافة ينبغي أن تكون خاضعة لمبدأ الوصية؛ و أن تستمد منها مشروعيتها، فالرسول صلى الله عليه وسلم - في نظرهم- كان قد أوصى لعلي رضي الله عنه بالخلافة إلا أن أبو بكر و عمر و عثمان رضي الله عنهم، قاموا باغتصاب هذا الحق. و من أهم شروط الخلافة عندهم هو انتماء الإمام إلى آل البيت، و بذلك يكون معصوما من الأخطاء: لا يخطئ، و لا ينسى، و لا يرتكب الكبائر و لا الصغائر، بل أنه المرجع الوحيد لتأويل الشريعة الإسلامية.

في ظل هذه المبادئ العامة<sup>4</sup> يمكن أن نعدد الأفكار التي كانت تنادي بها فرقة الشيعة في نقاط أهمها كالتالي:

- إن الإمامة ليست من المصالح العامة التي تفوض إلى نظر الأمة، بل هي ركن الدين و قاعدة، و لا يجوز للنبي إغفالها، بل يجب عليه تعين الإمام لهم، و يكون من الصغار.

<sup>1</sup> - عبد الجيد معلومي: المرجع السابق، ص 32.

<sup>2</sup> - ينظر تعريفها عند: محمد المنوي: حضارة الموحدين، ط 1، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، 1989، ص 42.

<sup>3</sup> - ينظر تعريفها عند: أحمد أمين بك: المهدى و المهدوية، ط 1، شركة نوایع الفكر، القاهرة، 2009، ص 6 و ما بعدها.

<sup>4</sup> - يوسف أحناة: تطور المذهب الأشعري، ص 12.

و الإمامة أو الخلافة كما يبين ابن خلدون حقيقتها: "إن حقيقة الخلافة نيابة عن صاحب الشرع في حفظ الدين و سياسة الدنيا، فصاحب الشرع متصرف في الأمرين:

أما في الدين فبمقتضى التكاليف الشرعية الذي هو مأمور بتبليغها و حمل الناس عليها.

و أما سياسة الدنيا فبمقتضى رعايته لصالحهم في العمران البشري.<sup>1</sup>"

- عين رسول الله صلى الله عليه وسلم عليا للخلافة بنصوص ينقلونها و يؤولونها لا يعرفها فقهاء الشريعة و أهل الحديث، و من هنا نشأت فكرة الوصية، و لقب علي بالوصي، فهو إمام بالنص لا بالانتخاب، و قد أوصى علي رضي الله عنه لمن بعده. و هكذا على كل إمام أن يوصي لمن بعده.

- علي رضي الله عنه أفضلخلق في الدنيا و الآخرة بعد الرسول صلى الله عليه وسلم فمن عاده أو حاربه فهو عدو الله إلا إن ثبتت توبته و مات على حبه.

- لم يكن الشيعة على درجة واحدة، بل منهم المغالي و المقتضى. و قد اقتصر المعتدلون على تفضيله على بقية الصحابة من غير تكفير أو تفسيق لأحد، و قالوا: ليس بين النبي صلى الله عليه وسلم و بين علي رضي الله عنه إلا مرتبة النبوة.

أما المغالون المنطوفون فلم يكتفوا بتفضيله على الخلفاء و عصمه، بل رفعوه إلى مرتبة النبوة، و منهم من ألهه أي زعم حلول الإله فيه.<sup>2</sup>

يقول ابن خلدون: "... و منهم طوائف يسمون الغلاة تجاوزا حد العقل و الإيمان في القول بألوهية هؤلاء الأنئمة، إما على أنهم بشر اتصفوا بصفات الألوهية أو أن الإله حل في ذاته البشرية و هو قول بالحلول يوافق مذهب النصارى في عيسى صلوات الله عليه و لقد حرق علي رضي الله عنه بالنار من ذهب فيه إلى ذلك منهم و سخط".<sup>3</sup>

وهكذا كان التشيع أرضا خصبة لظهور القول بالرجعة والحلول و التناصح و التجسيم و التشبيه. و يمكن القول بأن التشيع كان مأوى يلجأ إليه كل من يريد هدم الإسلام لعداوة أو حقد، و من يريد

<sup>1</sup> - ابن خلدون: المصدر السابق، ج 1، ص 246، يوسف أحناة : تطور المذهب الأشعري، ص 12.

<sup>2</sup> - عبد الجيد معلومي : المرجع السابق ، ص 33، 34.

<sup>3</sup> - ابن خلدون: المصدر السابق، ج 1، ص 248.

إدخال تعاليم آبائه من يهودية ونصرانية ومحوسية وغيرها في الإسلام. كل هؤلاء كانوا يتخدون حب آل البيت ستاراً يضعون وراءه كل ما شاءت أهوائهم.

### 1-3-3-1 نشأة الشيعة في المشرق الإسلامي:

ترجع جذور المذهب الشيعي إلى فترة مبكرة في تاريخ الإسلام، حيث أن هذه الفرقة نشأت هي الأخرى لأسباب سياسية في المشرق هي اختيار الخليفة ، فقد بُرِزَت مقدماته منذ أن توفي النبي صلى الله عليه وسلم 632هـ/11م. و كان رأي بعض الصحابة أن أولى الناس بخلافة النبي صلى الله عليه وسلم هم أهل بيته- رغم أنه لم يرد عن النبي صلى الله عليه وسلم نص قاطع أو إشارة واضحة إلى من يكون الخليفة من بعده- من بني هاشم و أبرز هؤلاء علي بن أبي طالب رضي الله عنه.<sup>1</sup> و لكن اجتماع السقيفة المشهور انتهى باختيار أبي بكر الصديق رضي الله عنه ك الخليفة للمسلمين ، و اضطر علي رضي الله عنه أن يبايع له، لكن غلاة المتمحمسين لآل بيت الرسول صلى الله عليه وسلم لم يستطعوا قبول أن يكون خليفة النبي صلى الله عليه وسلم من غير آل بيته<sup>2</sup>. يقول أفرد بل: "... لهذا كون أنصار علي رضي الله عنه "شيعة" له ، أي حزبا؛ و سمي كل منهم "شيعياً" أي نصيراً لعلي..."<sup>3</sup> و قبل وفاة الخليفة أبو بكر رضي الله عنه قام باختيار عمر بن الخطاب رضي الله عنه خليفة له عن طريق التعيين، و أوصى عمر بن الخطاب رضي الله عنه من بعده إلى ستة من بينهم علي رضي الله عنه. لكن تم اختيار عثمان بن عفان رضي الله عنه، و خلال هذه الفترة نشأت الشيعة يقول أبو زهرة: "... قامت الشيعة كظاهرة في آخر عصر الخليفة عثمان بن عفان رضي الله عنه، و قد نمت و ترعرعت في عهد علي رضي الله عنه، من غير أن يعمل على تنميتها..."<sup>4</sup>

<sup>1</sup> - النويحي: فرق الشيعة، ص 20؛ أبو زهرة: تاريخ المذاهب الإسلامية، ص 21؛ أفرد بل: المرجع السابق، ص 151؛ بشير رمضان التليسي: الاتجاهات الثقافية في الغرب الإسلامي ، ط 1، دار المدار الإسلامي، بيروت ،لبنان، 2003، ص 257.

<sup>2</sup> - بنظر: شجرة نسب آل أبي طالب، الملحق رقم: 367، ص 04.

<sup>3</sup> - أفرد بل: المرجع السابق، ص 151.

<sup>4</sup> - المرجع نفسه: ص 152.

<sup>5</sup> - أبو زهرة: تاريخ المذاهب الإسلامية، ص 31.

## الفصل الأول : الأوضاع المذهبية في بلاد المغرب الإسلامي قبل القرن 5 هـ / 11 م

و الجدير بالذكر أنه خلال فترة أبو بكر و عمر رضي الله عنهم سُكِنَ الخلاف بين المسلمين، و خلال فترة خلافة عثمان بن عفان رضي الله عنه بالذات بُرِزَ من جديد التنافس بين بني أمية و بني هاشم على الخلافة.<sup>1</sup>

و ما لا شك فيه أنه لما تولى عثمان بن عفان رضي الله عنه الخلافة ساد المجتمع الإسلامي العدل بكل مظاهره، و قام عثمان بن عفان رضي الله عنه بدوره المنوط به، كما كان ولاته عادلين و مع هذا ثارت طائفة من رعيته متذريين بأسباب واهية تحججوا بها للثورة على الخليفة عثمان بن عفان رضي الله عنه، و الواقع أن السببين الرئيسيين الحاسمين وراء هذه الثورة أولهما الحسد و الحرص على متع الدنيا، و ثانيهما الدور الخفي الذي لعبته السببية في تأليب الناس و الكيد للخليفة عثمان بن عفان رضي الله عنه<sup>2</sup>. وهذا ما أدى إلى مقتل الخليفة الثالث عثمان بن عفان رضي الله عنه سنة 35هـ/655م، و الذي كان إيزاناً بانقسام المسلمين و تقطيعهم فرقاً تحارب بعضها البعض، و بدأ صراع سياسي على الساحة الإسلامية من جديد حول الخلافة.

بالطبع فقد كان مقتل عثمان رضي الله عنه، و تولي علي بن أبي طالب رضي الله عنه الخلافة بعده،<sup>3</sup> حدثاً دفع معاوية بن أبي سفيان إلى المعارضة السياسية، فحمل قميص عثمان المدمى، و راح يطوف به بين القبائل العربية يحمسها، و يدفعها إلى الأخذ بدم القتيل، و الاقتصاص من القاتلين قبل كل شيء. فكان هذا أول حادث سياسي عرف على إثره المسلمون انشقاقاً و انقساماً، جعلهم طائفتين: طائفة يمثلها الخليفة علي بن أبي طالب رضي الله عنه، و من معه كابن

<sup>1</sup> - النوجحي: فرق الشيعة، ص 03؛ أبو زهرة: تاريخ المذاهب الإسلامية، ص 23؛ بشير رمضان التلبيسي: : الاتجاهات الثقافية في الغرب الإسلامي ، ص 257.

<sup>2</sup> - السبب الأول: قد تمثل ذلك في طائفة من الناس دفعها الحسد و الحرص على المتع الزائل، إلى الطعن في عثمان رضي الله عنه و رجاله، و العمل على الإطاحة بهم، و قد مثل هذه الطائفة رؤوس الفتنة، كالأشتر التنجي، و ابن الكواء، و عمر بن ضابيء، و محمد بن أبي حذيفة، و محمد بن أبي بكر، و السبب الثاني: هو الدور الخفي الذي لعبه أعداء الإسلام و المسلمين، قصد إفساد الدين و تسميم الفكر الإسلامي، و الكيد للمسلمين، و قد قام بهذا الدور عبد الله بن سلامة و أعونه ينظر: خالد كبير علال: الثورة على سيدنا عثمان بن عفان، ص 59.

<sup>3</sup> - بايع أهل المدينة و بعض أهل مكة علياً خليفة في سنة 36هـ/656م و رأى أنصار علي رضي الله عنه أن أملهم تحقق. ينظر: ألفرد بل: المرجع السابق، ص 152.

## الفصل الأول : الأوضاع المذهبية في بلاد المغرب الإسلامي قبل القرن 5 هـ / 11 م

عباس، و عمارة بن ياسر، و الحسن و الحسين رضي الله عنهم جميعاً، حيث أصر على موقفه في تأجيل القصاص من قتلة عثمان رضي الله عنه، و عزم على استخدام القوة تجاه كل من خالقه. و طائفة أخرى يمثلها أهل الشام و في مقدمتها معاوية بن أبي سفيان و عمرو بن العاص و النعمان بن البشير رضي الله عنهم، الذين رأوا ضرورة التعجيل بالقصاص لدم عثمان رضي الله عنه، هذا التباهي في وجهات النظر، و الإصرار على الموقف مما اللدان جرا الطائفتين إلى اصطدامات عسكرية كثيرة كان أشهرها موقعة صفين<sup>1</sup> التي كاد النصر يكون حليف علي رضي الله عنه و أتباعه، لو لا أن معاوية التجأ و بإيعاز من الدهاية عمرو بن العاص إلى حيلة رفع المصاحف على الرماح و السيف، و حمل شعار "لا حكم إلا لله"، و بعد اخذ و رد، توقف القتال و انتهت بقبول علي رضي الله عنه بالتحكيم، هذه العملية أفرزت خيبة أمل كبيرة في صفوف أتباع علي رضي الله عنه، و أنقسم جيشه إلى ثلاث طوائف: طائفة أولى خرجوا على صفوف علي و كفروه، بحجة أنه خضع للتحكيم ارتكب كبيرة فسميت هذه الطائفة بهذا الخروج السياسي طائفة الخوارج، أما الطائفة الثانية التزمت الحياد السياسي، و لم تساند في هذه الحرب لا عليها و لا معاوية، و نظرت إليهما نظرة واحدة، و هذه الطائفة أطلق عليها اسم طائفة المرجعية، أما الطائفة الثالثة فهي التي ظلت متشبّهة بموقفها السياسي المساند لعلي رضي الله عنه، و التشيع له دون قيد أو شرط، و هي التي عرفت لذلك التشيع السياسي بطائفة الشيعة.<sup>2</sup>

و بعد التحكيم استمرت الحرب بين أتباع علي رضي الله عنه و معاوية بن أبي سفيان، حتى انتهى الأمر فيما بعد بقتل الخليفة الرابع علي بن أبي طالب رضي الله عنه على يد الخوارج ، يقول التوبيخ<sup>3</sup>: "... حتى قتل علي - عليه السلام - قتل في شهر رمضان ضربه عبد الرحمن بن ملجم المرادي لعنه الله ليلة تسع عشرة و توفي ليلة إحدى وعشرين ليلة الأحد سنة أربعين من الهجرة و هو ابن ثلث و ستين سنة..."

<sup>1</sup> - يوسف أحنانة: تطور المذهب الأشعري، ص 10؛ خالد كبير علال: الصحابة المعزلون للفتن الكبيرة، ط 1، دار البلاغ للنشر والتوزيع، الجزائر، 2003، ص 8، 9؛ عبد العزيز المخدوب: الصراع المذهبي بإفريقية، ص 31.

<sup>2</sup> - يوسف أحنانة: تطور المذهب الأشعري، ص 10، 11؛ عبد العزيز المخدوب: الصراع المذهبي بإفريقية، ص 32.

<sup>3</sup> - التوبيخ: فرق الشيعة، ص 17.

و هكذا بدأت الأمور تسير شيئا فشيئا لصالحة الأمير الأموي معاوية بن أبي سفيان الذي أعلن نفسه خليفة في السنة التالية 41هـ/661م، وقد اكتسب شرعيته بعد تنازل الحسن بن علي رضي الله عندهما على الخلافة حرصا على الجماعة، واحتبا للفرقة.<sup>1</sup>

أما الشيعة فكانت أهم حركاتهم الثورية خروج الحسين بن علي في أيام يزيد بن معاوية، وانتهت ثورته بقتله وجميع من كانوا معه في مذبحة كربلاء عام 61هـ/680م، كما أوقع يزيد بعد ذلك بأهل المدينة من الأنصار في موقعة الحرة سنة 63هـ/682م حيث كان الأنصار يعطفون على قضية الشيعة خاصة بعد مذبحة كربلاء التي أثرت فيهم كثيرا.<sup>2</sup> ورغم الإخفاقات السابقة واصل الشيعة كفاحهم من أجل ما يرون هم وأتباعهم حقا شرعا لهم وتمثل في الإمام "الخلافة"، ولم يتحقق لهم ذلك رغم سقوط الدولة الأموية عام 132هـ/750م وقيام الدولة العباسية، ومن ثم لم يجد الشيعة بدا من الاستمرار في تنظيم أنفسهم في محاولة جديدة للقضاء على الدولة العباسية التي لقي العلويون في عهدها مشقة وعنة يفوق ما كانوا يلاقونه أيامبني أمية، يقول أبو زهرة: "...وقد كان العصر الأموي محضا على المغالاة في تقدير علي رضي الله عنه، لأن معاوية سن سنة سيئة في عهده وفي عهده ابنه ومن خلفه من الأمويين حتى عهد عمر بن عبد العزيز، وتلك السنة هي لعن إمام المدى علي بن أبي طالب رضي الله عنه عقب تمام الخطبة، ولقد استنكر ذلك بقية الصحابة ونحوها معاوية وولاته عن ذلك، حتى لقد كتبت أم سلمة زوج رسول الله صلى الله عليه وسلم إليه كتابا تنهاه و تقول فيه" إنكم تلعنون الله و رسوله على منابركم، ذلك أنكم تلعنون علي بن أبي طالب و من أحبه، وأشهد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أحبه" و فوق ذلك فإنه في عهد يزيد قتل "الحسين بن علي" الذي هو وأخوه سيدا شباب أهل الجنة؟ كما ورد في الأثر - قتلة فاجرة و ذهب دمه عبيطا، من غير أن ترعى حرمة دين. وأخذت بنات

<sup>1</sup> - بشير رمضان التليسي: : الاتجاهات الثقافية في الغرب الإسلامي ،ص258.

<sup>2</sup> - النويختي: فرق الشيعة،ص23؛ألفرد بل: المرجع السابق،ص158؛ بشير رمضان التليسي: : الاتجاهات الثقافية في الغرب الإسلامي ،ص258

"الحسين" و بنات علي رضي الله عنه سبايا إلى يزيد بن معاوية، و هم بنات النبي صلى الله عليه وسلم، و العترة النبوية الطاهرة...<sup>1</sup>

و عندما اشتدت متابعة العباسيين للعلويين، اضطر العلويون أن ينهاوا نهجا آخر خوفا على أئمتهم فتبعوا مبدأ لتقية في تعين الإمام، و في نشر الدعوة أيضا و كسب الأتباع، و قد حقق العلويون نتيجة لذلك بناحاها كبيرة شهد به خصومهم من العباسيين، فانتشر أتباع الشيعة - قبل قيام الدولة العبيدية بالغرب الإسلامي - في كل من مصر، و بلاد الشام و اليمن و بلاد المغرب و في بغداد نفسها مركز الخلافة.<sup>2</sup>

و هكذا نشأ المذهب الشيعي، الذي ظل إمامه يطمح في إقامة دولة - علوية - شيعية تحمل محل الخلافة العباسية، و تيسر ذلك الأمل جزئيا بقيام الدولة العبيدية في إفريقيا و بلاد المغرب منذ عام 297هـ/909م.

**4-3-1 فرق الشيعة:** تفرقت فرق الشيعة بين فرق غالوا، و فرق قد اقتصدوا، و فرق بين هؤلاء و أولئك، فالغلاة المتطرفون قد رفعوا عليا رضي الله عنه إلى مرتبة الألوهية<sup>3</sup> و منهم من رفعه إلى مرتبة النبوة، و جعلوه في منزلة أعلى من النبي صلى الله عليه وسلم ، و لذك بعض من هؤلاء الغلاة الذين خرجوا بمعاളهم عن الإسلام، و ينكر الشيعة الحاضرون نسبتهم إلى الشيعة، و نحن ننكر نسبتهم إلى الإسلام. و من هؤلاء:

- السبيئة (الغلاة):

وهم أول فرق الشيعة التي قالت بالغلو، وهم أتباع عبد الله بن سباء، كان يهوديا من أهل الحيرة، و أمه أمة سوداء، و لذلك يقال عنه "ابن السوداء"، أظهر الإسلام في خلافة عثمان رضي الله عنه، و أخذ يطوف بالحجاز و البصرة و الكوفة و الشام و مصر، و كان له دور في الثورة على

<sup>1</sup> - أبو زهرة: تاريخ المذاهب الإسلامية، ص 32.

<sup>2</sup> - بشير رمضان التليسي: : الاتجاهات الثقافية في الغرب الإسلامي ،ص 259 .

<sup>3</sup> - على رأسهم عبد الله بن سباء الذي لا يقل شأنه عن سلمان الفارسي غير أنه مال إلى عدم التصديق بجزءة علي أو مقتله مؤكدا أن هذا الأخير يحمل رسالة إلهية ( ليقود الناس بعصاه) و يجبر من خرجوا عليه من المسلمين على التسليم به، لذا ظل يترقب رجوعه؛ أنظر: مارشال هودجسون: كيف تطور التشيع إلى مذهب، مجلة الاجتهاد، العدد:19، السنة الخامسة، دار الاجتهاد للأبحاث و الترجمة و النشر، بيروت، لبنان، 1993، ص: 142، 143 .

## الفصل الأول : الأوضاع المذهبية في بلاد المغرب الإسلامي قبل القرن 5 هـ / 11 م

عثمان رضي الله عنه، ثم اتصل بعلي رضي الله عنه وأظهر له الولاء، ثم أخذ ينشر بين الناس أنه وجد في التوراة أن لكلنبي وصيا، وأن علياً رضي الله عنه وصي محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأنه خير الأوصياء، ثم ناداه بصفات الألوهية: أنت الإله، فنفاه علي رضي الله عنه إلى المدائن، ونقل من أتباعه من قال له : أنت إله.<sup>1</sup>

و لما قتل علي رضي الله عنه استغل ابن سبأ محبة الناس له كرم الله وجهه وألمهم لفقده، فأخذ ينشر حول موته الأكاذيب التي تجود بها قريحته إضلالاً للناس و إفساداً لهم. فصار يذكر للناس أن المقتول لم يكن علياً رضي الله عنه وإنما كان شيطاناً تصور للناس في صورته، وأن علياً رضي الله عنه صعد إلى السماء، كما صعد إليها ابن مريم عليه السلام، وأن الرعد صوته، والبرق تبسمه، و من سمع من السبيعين صوت الرعد يقول: السلام عليك يا أمير المؤمنين، وقد روى عمر بن شرحبيل أن ابن سبأ قيل له: إن علياً رضي الله عنه قتل، فقال: إن جئتمونا بدماغه في صرة لم نصدق بموته، لا يموت حتى ينزل من السماء و يملأ الأرض بحذافيرها.<sup>2</sup>

و هذه الطائفة تزعم أن المهدي المنتظر إنما هو علي رضي الله عنه دون غيره، وفي هذه الطائفة قال إسحاق بن سويد العدوبي قصيدة برئ فيها من الخوارج، والروافض، والقدرية منها، هذه الآيات:

برئت من الخوارج لست منهم ﴿ من الغزال منهم و ابن باب  
و من قوم إذا ذكروا عليا ﴿ يردون السلام على السحاب  
و لكني أحب بكل قلبي ﴿ وأعلم أن ذاك من الصواب  
رسول الله و الصديق حبا ﴿ به أرجو غداً حسن الثواب

<sup>1</sup> - غلا ابن سبأ في علي رضي الله عنه و زعم أنه كان نبياً ثم غلا فيه حتى زعم أنه إله، و دعا إلى ذلك قومه من غالة الكوفة فرفع خيرهم إلى علي رضي الله عنه فأمر بإحرق قوم منهم في حفرتين، ينظر: المقريزي: الموعظ و الاعتبار، ج 3، ص 412؛ النويختي: فرق الشيعة، ص 19؛ البغدادي: الفرق بين الفرق، ص 206؛ الشهريستاني: الملل و النحل، ج 1، ص 177؛ محمد أبو زهرة: تاريخ المذاهب الإسلامية، ص 35؛ عبد الحميد معلومي: المرجع السابق، ص 34.

<sup>2</sup> - البغدادي: الفرق بين الفرق، ص 205؛ محمد أبو زهرة: تاريخ المذاهب الإسلامية، ص 36.

و إن من هؤلاء السبئية من كان يقول: أن الإله حل فيه و في الأئمة من بعده، و هو قول يوافق بعض الديانات القديمة التي كانت تقول بحلول الآلهة في بعض البشر، و أن روح الإله تتناوب الأئمة إماماً بعد إمام، كما كان يقول المصريون القدماء في الفراعنة.<sup>1</sup>

و من السبئية أيضاً طائفة كانت تقول عن علي رضي الله عنه: "إن الإله قد تجسد فيه" و قالوا له: "هو أنت الله".<sup>2</sup>

### - الغرانية:

و هي فرقة من الغلاة، و هذه الفرقة لم تؤله علياً رضي الله عنه، كما فعل السبئية و لكنها كادت تفضلها على النبي صلى الله عليه وسلم، فزعموا أن الرسالة كانت لعلي رضي الله عنه، و لكن جبريل عليه السلام أخطأ فنزل على محمد صلى الله عليه وسلم بدل أن ينزل على علي رضي الله عنه، و سمو (الغرانية) لأنهم قالوا أنه يشبه النبي صلى الله عليه وسلم كما يشبه الغراب الغراب و الذباب بالذباب، و زعموا أن علياً رضي الله عنه كان الرسول و أولاده بعده هم الرسل. و هذه الفرقة تقول لأتباعها: "عنوا صاحب الريش"، يعنون جبريل عليه السلام، و كفر هذه الفرقة أكثر من كفر اليهود، فالغرانية من الرافضة<sup>3</sup> يعنون جبريل عليه السلام و محمد صلى الله عليه وسلم..<sup>4</sup>

<sup>1</sup> - البغدادي: الفرق بين الفرق، ص206؛ الشهري: الملل و النحل، ج1، ص177؛ محمد أبو زهرة: تاريخ المذاهب الإسلامية، ص36.

<sup>2</sup> - محمد أبو زهرة: تاريخ المذاهب الإسلامية، ص36.

<sup>3</sup> - الرافضة: عرفهم المقريزي بقوله: (هم الغلاة في حب علي بن أبي طالب رضي الله عنه، و بعض أبي بكر و عمر و عثمان و معاوية و آخرين من الصحابة رضي الله عنهم أجمعين، و سموا رافضة لأن زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم، امتنع من لعن أبي بكر و عمر رضي الله عنهما، و قال: "ما وزراء جدي محمد صلى الله عليه وسلم، فرفضوا رأيه)، الموعظ و الاعتبار، ج3، ص407.

<sup>4</sup> - المقريزي: الموعظ و الاعتبار، ج3، ص413؛ البغدادي: الفرق بين الفرق، ص221؛ محمد أبو زهرة: تاريخ المذاهب الإسلامية، ص36

### - الزيدية:

تعتبر هذه الفرقة من أشهر فرق الشيعة و هي أقربها إلى مذهب أهل السنة و الجماعة و أكثرها اعتدالا ، و هم أتباع زيد بن علي بن الحسين بن علي رضي الله عنه، و كان تلميذا لواصل بن عطاء، ساقوا الإمامة في أولاد فاطمة رضي الله عنها، و لم يجوزوا ثبوت إماماة في غيرهم إلا أنهم حوزوا أن يكون كل (فاطمي) عالم شجاع سخي خرج بالإماماة يكون إماما واجب الطاعة سواء كان من أولاد الحسن أو الحسين رضي الله عنهم.<sup>1</sup>

و هذه الفرقة لم ترفع الأئمة إلى مرتبة النبوة، بل لم ترتفعهم إلى مرتبة تقاربها بل اعتبروهم كسائر الناس، و لكنهم أفضل الناس بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم، و قد خرج إمامتها على هشام بن عبد الملك بالكوفة فقتل و صلب، و يحيى بن زيد الذي خلفه في الإمامة قتل بجوزجان خراسان قتلته أميرها، و محمد الإمام الذي خلف يحيى قتله بالمدينة عيسى بن ماهان، و إبراهيم الإمام قتل بالبصرة أمر بقتله المنصور، و لم ينتظم أمر الزيدية بعد ذلك، و الزيدية ثلاثة أصناف جارودية و سليمانية و بتية، و الصالحية منهم و البتية على مذهب واحد.<sup>2</sup>

و الملاحظ على هذه الفرقة أنها لم تغل في عقائدها و لم يكفر الأكثرون منهم أحدا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، و دليل ذلك ما أورده البغدادي بقوله: "... و كان زيد بن علي قد بايعه على إمامته خمسة عشر ألف رجل من أهل الكوفة ، وخرج بهم على والي العراق و هو يوسف بن عمر الثقفي عامل هشام بن عبد الملك على العراقيين، فلما استمر القتال بينه و بين يوسف بن عمر الثقفي قالوا له: "إنا ننصرك على أعدائك بعد إن تخبرنا برأيك في أبي بكر و عمر اللذين ظلموا جدك علي بن أبي طالب" ، فقال زيد: "إني أقول فيهما إلا خيرا، و ما سمعت أبي يقول فيهما إلا خيرا، و إنما خرجت علىبني أمية الذين قتلوا جدي الحسين، و أغروا على المدينة

<sup>1</sup> - الشهري: الملل و النحل، ج 1، ص 153، 154؛ محمد أبو زهرة: تاريخ المذاهب الإسلامية، ص 40؛ عبد المجيد معلومي: المرجع السابق، ص 35.

<sup>2</sup> - المقريزي: الموعظ و الاعتبار، ج 3، ص 411؛ الشهري: الملل و النحل، ج 1، ص 156؛ محمد أبو زهرة: تاريخ المذاهب الإسلامية، ص 41-43؛ عبد المجيد معلومي: المرجع السابق، ص 35.

## الفصل الأول : الأوضاع المذهبية في بلاد المغرب الإسلامي قبل القرن 5 هـ / 11 م

يوم الحَرَّة، ثم رموا بيت الله بحجر المنجنيق و النار، ففارقوا عند ذلك حتى قال لهم: "رفضتموني" و من يومئذ سمو رافضة.<sup>1</sup>

- الإمامية<sup>2</sup>:

و هم القائلون بإمامنة علي رضي الله عنه بعد النبي صلى الله عليه وسلم نصاً ظاهراً، و تعينا صادقاً، من غير تعريض بالوصف، بل إشارة إليه بالعين، و سعوا إمامية لتركيز آرائهم حول الإمامة، و لقد اتفق الإمامية فيما بينهم على أن علياً رضي الله عنه وصي النبي صلى الله عليه وسلم بالنص، و قرروا أن الأووصياء من بعد علي رضي الله عنه هم أولاده من فاطمة، الحسن و الحسين رضي الله عنهم و هؤلاء هم الجماعة عليهم، و يستدلون بحديث غدير خم الذي يزعمون فيه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد أن وصل إلى غدير خم أمر بالدروhat فقمn و نادوا الصلاة جامعة، ثم قال عليه السلام وهو على الرجال: "من كنت مولاً فعلي مولاً، اللهم والي من والاه، و عاد من عاداه، و انصر من نصره، و اخذل من خذله، أدر الحق معه حيث دار، ألا هل بلغت ثلاثة"، فادعت الإمامية أن هذا النص صريح، و يستدل الإمامية أيضاً باستنباطات استنبطوها من وقائع كانت من النبي صلى الله عليه وسلم، و منها أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يؤمر على علي رضي الله عنه أحداً من الصحابة قط، حينما انفرد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة أو سرية كان هو الأمير.<sup>3</sup>

و لم تقتصر هذه الطائفة على القول باستحقاق علي رضي الله عنه للخلافة بل حكموا بتكفير كل الصحابة و على رأسهم أبو بكر و عمر رضي الله عنهم، يقول الشهري: "... ثم إن الإمامية

<sup>1</sup> - البغدادي: الفرق بين الفرق، ص 44، 45.

<sup>2</sup> - الإمامية: "... ساقوا الخلافة في ولد فاطمة بالنص عليهم واحداً بعد واحداً... يسمون الإمامية نسبة إلى مقاتلتهم باشتراط معرفة الإمام و تعينه في الإيمان و هي أصل عندهم ... " ، ينظر: المقريزي: الموعظ و الاعتبار، ج 3، ص 408؛ ابن حليدون: المصدر السابق، ج 3، ص 247.

<sup>3</sup> - الشهري، الملل و التحل، ج 1، ص 163، 164؛ محمد أبو زهرة: تاريخ المذاهب الإسلامية، ص 46؛ أفرد بل: المرجع السابق، ص 155؛ عبد المجيد معلومي: المرجع السابق، ص 35.

## الفصل الأول : الأوضاع المذهبية في بلاد المغرب الإسلامي قبل القرن 5 هـ / 11 م

تحطت عن هذه الدرجة إلى الواقعية في كبار الصحابة طعنا و تكفيرا، و أقلمه ظلما و عدوا...<sup>1</sup> و قد شهدت نصوص القرآن على عدالتهم، و الرضا عن جماعتهم قال تعالى: ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ﴾<sup>2</sup>، و كانوا إذ ذاك ألفاً أربعينائة، و قال تعالى ثناء على المهاجرين و الأنصار و الذين اتبعوهم بإحسان، ﴿وَالسَّائِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ﴾<sup>3</sup>، و قال: ﴿لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ﴾<sup>4</sup>، و قال: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ﴾<sup>5</sup>

و قد كانت الإمامية أول الأمر على مذهب أئمتهم في الأصول، ثم لما اختلفت الروايات عن أئمتهم و تمادي الزمان اختار كل فرقة طريقة، و صارت الإمامية بعضها معزولة، إما وعديية، أو تفصيلية، و بعضها إخبارية إما مشبهة و إما سلفية. و الجدير بالذكر أن فرقة الإمامية تميزت بعدها و مخالفتها للزيدية و الكيسانية و الغلاة، و قد افترقت حسب البغدادي: "... إلى خمس عشرة فرقة: الكاملية، و الحمدية، و الباقيبة، و الناووسية، و الشيميطية، و العمارية، و الإسماعيلية و المباركية، و الموسوية، و القطعية ، و الإناثا عشرية، و الهشامية ، و الزرارية، و اليونسية ، و الشيطانية."، بينما يذهب أبو زهرة في اختلاف فرقة الإمامية مذهبًا آخر فيقول: "... و قد اختلفوا من بعد ذلك على فرق مختلفة للأئمة بعد هؤلاء، بل قيل أنهم قد اختلفوا من بعد ذلك على أكثر من سبعين فرقة. و أعظمها فرقتان، (الإناثا عشرية) و ( و الإسماعيلية)."<sup>6</sup>

<sup>1</sup> - الشهريستاني، الملل و النحل، ج 1، 164

<sup>2</sup> - سورة: الفتح، الآية: 18.

<sup>3</sup> - سورة التوبة، الآية: 101.

<sup>4</sup> - سورة: التوبة، الآية: 118.

<sup>5</sup> - سورة: النور، الآية: 53.

<sup>6</sup> - البغدادي: الفرق بين الفرق، ص56؛ الشهريستاني، الملل و النحل، ج 1، ص166؛ محمد أبو زهرة: تاريخ المذاهب الإسلامية، ص46.

## - الإثنا عشرية<sup>1</sup>:

يرى الإثنا عشرية أن الخلافة بعد الحسين رضي الله عنه لعلي زين العابدين، و من بعده محمد الباقي ثم لأبي عبد الله جعفر الصادق بن محمد الباقي، ثم لابنه موسى الكاظم، ثم لعلي الرضا، ثم محمد الجواد ثم لعلي المادي، ثم للحسن العسكري، ثم محمد ابنه، و هو الإمام الثاني عشر، و يعتقدون أنه دخل سردايا في دار أبيه و لم يعد بعد، ثم اختلفوا في سنه و وقت اختفائه، فقيل كانت سنة إذ ذاك أو أربع سنين و قيل ثاني سنوات، و يزعمون أنه لا يزال يعيش منذ ذلك الحين مستورا عن الناس في مكان خفي، إلى أن يظهر في لآخر الزمان، و كذلك اختلفوا في حكمه، فقال بعضهم إنه كان في هذه السن عالما بما يجب أن يعلمه الإمام، و أن طاعته كانت واجبة، و قال آخرون: كان الحكم لعلماء مذهبه. و إن الإمامية الإثنا عشرية كسائر الإمامية يفرضون في الإمام سلطانا مقدسا يأخذه بإيمانه عن النبي صلى الله عليه وسلم.<sup>2</sup>

و عقيدة هذه الفرقة التوحيد الحض بالنسبة لصفات الله، و تنزيه الحالق، و بطلان التناسخ و الإتحاد و الحلول و التحسيم و غير ذلك مما تورطت فيه فرق كثيرة من فرق الشيعة، و الإثنا عشرية يزيدون على أركان الإسلام ركنا سادسا هو الاعتقاد بالإمامية. و يقولون برجعة الإمام المعروف عندهم باسم المهدى المنتظر.<sup>3</sup>

و من العجب أن القائلين بإمامية المنتظر مع هذا الاختلاف العظيم لا يستحيون فيدعون فيه أحكام إلهية و يتأنلون قوله تعالى عليه: ﴿ وَقُلِّ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ

<sup>1</sup> - سموا بهذا الاسم لأنهم يؤمنون باثنى عشر إماما متتابعين و هم علي بن أبي طالب رضي الله عنه، ثم ابناه الحسن فالحسين، ثم علي زين العابدين بن الحسين، ثم محمد بن علي، ثم جعفر بن محمد، ثم موسى بن جعفر، ثم علي بن موسى، ثم محمد بن علي، ثم علي بن محمد، ثم الحسن بن علي، ثم محمد بن الحسن، ينظر: هنري كوريان: تاريخ الفلسفة الإسلامية، =ترجمة نصر مروة و حسن قبسي، ط2، عويدات للنشر و الطباعة، بيروت، 1998، ص76 و ما بعدها؛ عبد المجيد معلومي: المرجع السابق، ص35.

<sup>2</sup> - محمد أبو زهرة: تاريخ المذاهب الإسلامية، ص46، ألفرد بل: المراجع السابق، ص155.

<sup>3</sup> - عبد المجيد معلومي: المراجع السابق، ص35.

## الفصل الأول : الأوضاع المذهبية في بلاد المغرب الإسلامي قبل القرن 5 هـ / 11 م

وَسَتُرْدُونَ إِلَى عَالَمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ<sup>1</sup> قالوا هو الإمام المنتظر الذي يرد إليه علم الساعة، ويدعون فيه انه لا يغيب عنا، ويستخربنا بأحوالنا حين يحاسب الخلق.<sup>2</sup>

و ما لبث الشيعة الإثناعشريون من بعد و الذين وصفوا أنفسهم بالمعتدلين أن استخدموا مفرد الغلاة للدلالة على كل شيعي آخر متطرف ذي أفكار أثارت في أنفسهم صدمة معينة ، و تعتبر إدانة الشيختين و عثمان أول ما قد يؤدي إلى إطلاق صفة الغلو على شخص ما، فقد كان ابن سباء أول من نشر عقيدة الغلو و عقيدة الوقف و هي رفض التسلیم بموت آخر الأئمة و عددهم إثنا عشر إماماً.<sup>3</sup>

- الإسماعيلية<sup>4</sup>:هم أحد فرق الشيعة الباطنية<sup>5</sup> نادوا بإماماة إسماعيل بن جعفر الصادق، و قد اختلف أحفاد الحسين فقد تخلى جعفر الصادق بن محمد الباير بن علي بن زين العبددين بن الحسين عن محمد بن عبد الله لbin الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وأخذ جعفر الصادق يعمل ليصل أبناؤه من بعده للخلافة و استطاع أن يقنع بقايا العلوين من نسل

<sup>1</sup> - سورة: التوبه، الآية: 106.

<sup>2</sup> - الشهري، الملل و التحل، ج 1، ص 176.

<sup>3</sup> - مارشال هودجسون: كيف تطور التشيع إلى مذهب، ص 146.

- الإسماعيلية: الإسماعيلية طائفة من الإمامية، سموا بالواقفية لأنهم يوقفون الأئمة عند إسماعيل بن جعفر الصادق، و يقولون بتعيينه بالنص من أبيه، و قد افتقدوا فرقتين فرقية متطرفة لإسماعيل بن جعفر، مع اتفاق أصحاب التواريخ على موت إسماعيل في حياة أبيه، و فرقة قالت: كان الإمام بعد جعفر سبطه محمد بن إسماعيل بن جعفر؛ حيث أن جعفر نصب ابنته إسماعيل للإمامية بعده، فلما مات إسماعيل في حياة أبيه علمنا انه إنما نصب ابنته إسماعيل للدلالة على إمامية ابنته محمد بن إسماعيل، و إلى هذا القول مالت الإسماعيلية من الباطنية، ينظر: البغدادي: الفرق بين الفرق، ص 63؛ هنري كوريان: تاريخ الفلسفة الإسلامية، ص 132 و ما بعدها؛ عبد الحميد معلومي: المرجع السابق، ص 35.

- الباطنية: يعرفهم الشهري، بقوله: "... و إنما لزمهم هذا اللقب لحكمهم، بأن لكل ظاهر باطن، و لكل تنزيل تأويلا، و لهم ألقاب كثيرة منها القرامطة، الملحدة...." ، أبو زهرة فيعرفهم: "... و قد سموا الباطنية أو الباطنيين، و ذلك لاتجاههم إلى الاستخفاف عن الناس الذي كان ولد الاضطهاد أولا، ثم صار حالة نفسية عند طوائف أخرى، و منهم الذين كانوا يسمون بالحشاشين، و قد ظهرت أعمالهم في أبان الحروب الصليبية و إبان حرب التتار. و كان بعضها سوءاً على الإسلام و المسلمين."، الشهري، الملل و التحل، ج 1، ص 201، 202؛ محمد أبو زهرة: تاريخ المذاهب الإسلامية، ص 52؛ للمزيد ينظر: محمد بن مالك بن أبي الفضائل الحمادي اليماني: كشف أسرار الباطنية و أخبار القرامطة و كيفية مذهبهم و بيان اعتقادهم، تحقيق: محمد عثمان الخشت، مكتبة الساعي، الرياض، 1985، ص 22 و ما بعدها.

## الفصل الأول : الأوضاع المذهبية في بلاد المغرب الإسلامي قبل القرن 5 هـ / 11 م

الحسن على تأييده باعتباره الوارث الحقيقى للخلافة عن علي و فاطمة رضي الله عنهم، و جعفر الصادق هو الإمام السادس - الموصوم - عند طائفة الإمامية التي ترى أن الإمامة تكون في سلالة علي رضي الله عنه عن ابنه الحسين و لا تكون في الأعقاب، و بعد موت جعفر الصادق سنة 148هـ/765م انقسمت الإمامية إلى فريقين الموسوية الذين نادوا بإماماً موسى الكاظم بن جعفر الصادق، و الإسماعيلية الذين نادوا بأنه إسماعيل بن جعفر الصادق و هو أكبر أولاد أبيه.<sup>1</sup>

و يقول التوبيخى فيها: "... و فرقه زعمت أن الإمام جعفر بن محمد ابنه اسماعيل بن جعفر، و أنكرت موت اسماعيل في حياة أبيه و قالوا كان ذلك على جهة التلبيس من أبيه على الناس لأنّه خاف فغييه عنهم، و زعموا أن اسماعيل لا يموت حتى يملأ الأرض يقوم بأمر الناس و أنه هو القائم لأنّه أشار عليه بالإمامية بعده و قلدتهم ذلك له و أخبرهم أنه صاحبه و الإمام لا يقول إلا الحق فلما ظهر موته علمنا أنه قد صدق و أنه القائم و أنه لم يمت، و هذه هي الفرقة هي " الإسماعيلية " الخالصة...".<sup>2</sup>

و يؤكّد ذلك الإمام أبو زهرة فيقول: "... أما الإسماعيلية فيقررون أن الإمام بعد جعفر الصادق ابنه إسماعيل. و قد قالوا عن ذلك كان بنص من أبيه جعفر و لكنه مات قبله، و مع انه مات قبله أعملوا النص على إقامته من بعده، و كان إعمال هذا النص، بأن تبقى الإمامة في عقبه، فإن إعمال النص الذي يقوله الإمام أولى من إهماله. و لا عجب في ذلك، فإنهم يعتبرون أقوال الإمام كنصول الشرع تماماً، يجب إعمالها، و لا يسوغ إهمالها ، و قد انتقلت عن طريق إسماعيل إلى ابنه محمد المكتوم و هذا أول الأئمة المكتومين، أو المستورين إذ هم يقررون أن الإمام يصح أن يكون مستوراً و تجحب طاعته، و لا يمنع ذلك من إمامته...".<sup>3</sup>

بينما يذهب الشهريستاني إلى القول: "... الواقعية قالوا عن الإمام بعد جعفر، إسماعيل نصاً باتفاق من أولاده، إلا أنهم اختلفوا في موتة في حال حياة أبيه. فمنهم من قال لم يمت إلا أنه أظهر موته

<sup>1</sup> - البغدادي: الفرق بين الفرق، ص62؛ محمد أبو زهرة: تاريخ المذاهب الإسلامية، ص50؛ ألفرد بل: المرجع السابق، ص155.

<sup>2</sup> - التوبيخى: فرق الشيعة، ص57، 58.

<sup>3</sup> - محمد أبو زهرة: تاريخ المذاهب الإسلامية، ص51؛ عبد المنعم الحفني: الفرق والجماعات والمذاهب الإسلامية ، ص43.

**الفصل الأول : الأوضاع المذهبية في بلاد المغرب الإسلامي قبل القرن 5 هـ / 11 م**

تقية من خلفاء بني العباس و عقد محضرا، وأشهد عليه عامل المنصور بالمدينة، و منهم من قال الموت صحيح، و النص لا يرجع قهقري، و الفائدة من النص بقاء الإمامة في أولاد المنصوص عليه دون غيره، فالإمام بعد إسماعيل محمد بن إسماعيل...<sup>1</sup>

و يسمون أيضاً بالباطنية لقولهم: إن القرآن ظاهراً و باطناً و لاعتقادهم بالإمام الباطن، وقد أثبتت المصادر التاريخية إن من وضعوا أساس مذهب الإسماعيلية كانوا من المحسوس. وأهم مبادئهم:

- القول بقدم العالم و أن له مدبرين: الأول الله و الثاني النفس.
  - الإمام يعين بالنص لا بالانتخاب.
  - تكفير من اغتصبوا الخلافة من الإمام.
  - للقرآن معنى ظاهر و معنى باطن لا يعلم باطنه إلا الأئمة، لأنك
  - لا يؤمنون بعلم و لا بحديث إلا ما روي عن أئمتهم.
  - إنكار معجزات الأنبياء.

### **٣-٥- دخول و انتشار المذهب الشيعي في بلاد المغرب الإسلامي:**

لقد كانت بداية دخول الشيعة إلى بلاد المغرب و انتشاره على يد الداعين الذين أرسلهم الإمام جعفر الصادق - هذا تلفيق و كذب على جعفر الصادق المعروف أن الشيعة لفقوا أكثر من 300 ألف حديث - (ت 148هـ / 765م)<sup>3</sup> إلى بلاد المغرب و قال لهم: "إنكمما تدخلان أرضا بورا لم تحرث قط فاحرثها و كريها و ذللها حتى يأتي صاحب البذر فيضع حبه فيها".<sup>4</sup>

<sup>1</sup> - الشهري: الملل والنحل، ج 1، ص 170، 171.

<sup>2</sup> - محمد أبو زهرة: تاريخ المذاهب الإسلامية، ص 52؛ عبد الجيد معلومي، المرجع السابق، ص 36.

<sup>3</sup> - هو الإمام أبو جعفر الصادق بن محمد بن علي زين العابدين بن الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم جميعاً، ولد بالمدينة المنورة سنة (699هـ/80م) و هو الإمام السادس في اعتقاد الشيعة توفي سنة (765هـ/148م) ينظر: أبي العباس شمس الدين ابن خلkan: وفيات الأعيان وأئمـاء أبناء الزمان ، تحقيق: إحسان عباس، ج1، دار صادر، بيروت، 1968، ص 327، 328.

<sup>4</sup> المقريزي: اتعاظ المتنف، ج 1، ص 41؛ إبراهيم التهامي: جهود علماء المغرب في الدفاع عن عقيدة أهل السنة، مؤسسة الرسالة، بيروت، 2005، ص 293؛ بشير رمضان التلissi: الاتجاهات الثقافية في الغرب الإسلامي ، ص 263.

## الفصل الأول : الأوضاع المذهبية في بلاد المغرب الإسلامي قبل القرن 5 هـ / 11 م

و كان وصول الداعين إلى مرماجنة<sup>1</sup> بلاد المغرب عام 145هـ/762م ، أوهما كان أبو سفيان الحسن ابن القاسم الذي نزل بإحدى المدن المغربية و اسمها تالة و أقام بها مسجد وأظهر العبادة و النسك و الفضل فأقبل عليه الكثير من الناس من جميع الجهات، فكان يروي لهم أحاديث في فضل آل البيت و علمهم و قد تشيع على يده عدد كبير من أهل هذا البلد.

أما الداعية الثاني فكان يدعى عبد الله ابن علي ابن أحمد المعروف بالحلواني الذي نزل بإحدى المدن التونسية، فتروج و ابتهن مسجدا و أظهر العبادة و النسك، فلم يزل يدعو الناس لطاعة أهل البيت و ينشره في أوساط سكانها حتى تشيع به كثير من أهل تلك المدينة، وقد وجد عدد كبير من يحمل الفكر الشيعي و يدين به، و ذلك قبل دخول أبي عبد الله الشيعي، و لعل ذلك بتأثير دعوة هذين الرجلين و سريانها في المغرب<sup>2</sup>

و من هنا يمكننا القول: أن هذه الرواية المنقولة عن الإمام جعفر الصادق لا ندري مدى صحتها، لأننا نعتقد أن الإمام جعفر الصادق كان من أهل السنة الذين يوالون أصحاب رسول -الله صلى الله عليه وسلم- جميا و لا يفرقون بين أحد منهم، فلا يعقل أن يرسل داعيين ليتمهدا بدعوتهما إلى قيام دولة باطنية ملحدة تضمر الإلحاد، و تظهر الإسلام و حب آل بيت الرسول - صلى الله عليه وسلم- و إذا سلمنا أن هذه الرواية صحيحة فعلى افتراض لا يعدوا أن يكون إرسال هذين الداعين، هو دعوة أهل تلك البلاد إلى الإسلام الذي جاء به نبينا محمد صلى الله عليه وسلم، و مهما يكن الأمر فإن بجهود هذين الداعين دخل التشيع إلى المغرب الإسلامي.<sup>3</sup>

فقد لعب الداعيان دورا بارزا في بذر بذور التشيع ، و ييدوا أن مهمتهما كانت محدودة في هذا الإطار فلم نسمع عن ثورة شيعية قامت قبل مجيء أبي عبد الله الشيعي كانت من نتائج جهود

<sup>1</sup> - مرماجنة: مدينة كبيرة قديمة أزلية، فيها آثار كثيرة و لها عيون سائحة و هي على نظر واسع كثير الزرع و الخيرات، ينظر: مؤلف مجهول: الاستبصار في عجائب الأمصار، تعليق: سعد زغلول عبد الحميد، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ب.ت، ص162؛ ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج5، ص109؛ البكري: المغرب في ذكر بلاد افريقيا و المغرب، ص715.

<sup>2</sup> - إبراهيم التهامي: جهود علماء المغرب في الدفاع عن عقيدة أهل السنة، ص293؛ بشير رمضان التليسي: الاتجاهات الثقافية في المغرب الإسلامي، ص264.

<sup>3</sup> - إبراهيم التهامي: جهود علماء المغرب في الدفاع عن عقيدة أهل السنة ، ص292.

## الفصل الأول : الأوضاع المذهبية في بلاد المغرب الإسلامي قبل القرن 5 هـ / 11 م

الداعيين أبي سفيان و الحلواني، ثم تنقطع الأخبار حول جهود دعوة الشيعة في بلاد المغرب و لفترة ليست قصيرة إذ إن المدة التي تفصل بين الداعيين و بين قدوم أبو عبد الله الشيعي كانت طويلة أي حوالي 130 سنة<sup>1</sup>، خلال هذه الفترة كلف أبو سفيان و الحلواني بتهيئة الأذهان و النفوس لتقبل تعاليم المذهب و مبادئه، إلى أن يحيى زمن نشر هذه التعاليم و أساسها أحقيّة آل البيت في الإمامة. لينتقل بعد ذلك إلى العمل العسكري، بتأسيس إمارة شيعية و هو كلف به أبو عبد الله الداعي سنة 280هـ/893م<sup>2</sup>، وهو الذي لم يقدر لهذين الداعيين أن يشهداه أو يعودا إلى المشرق، إذ ماتا حيث قاما بدعوتهما، و بهما انتشرت الدعوة الشيعية في جزء كبير من بلاد المغرب و أصبحت تلك البلاد مهيئة لقدوم الداعي صاحب البذر الذي سيذر فيها دعوة آل البيت و مذهبهم، هذا الداعي هو أبو عبد الله الشيعي<sup>3</sup>، الذي سيره أبو الشلعل إلى المغرب و أمره بالمرور على ابن حوشب باليمن ليفيد من علمه ، فجاءه و لزمه و أفاد منه حتى صار من كبار أصحابه فعهد إليه ابن حوشب بالذهاب إلى المغرب للدعوة، و قال له: "إن أرض كناتة من المغرب قد حرثها الحلواني و أبو سفيان، و ليس لها غيرك فبادر، فإنها موطأة ممهدة"<sup>4</sup>، و قبل التوجه إلى المغرب - كما أمر - مر أبو عبد الله الشيعي بمكة المكرمة و ذلك أواخر ذي القعدة و بداية ذي

<sup>1</sup> - بشير رمضان التليسي: الاتجاهات الثقافية في الغرب الإسلامي، ص 265.

<sup>2</sup> - بوبة مجاني: المذهب الإسماعيلي و القيادات الدينية و العسكرية الكتامية في المرحلة المغربية، فصل من كتاب (قضايا التاريخ الفاطمي في دوره المغربي)، ط 1، دار هباء الدين للنشر و التوزيع، قسنطينة، الجزائر، 2007، ص 80.

<sup>3</sup> - هو أبو عبد الله الحسين بن أحمد بن زكريا، و أصله من الكوفة و يعرف بالمعلم، ذهب إلى اليمن التي كانت مركزاً هاماً للدعوة الشيعية و هناك اتصل بداعي الشيعة فيها و اسمه ابن حوشب، فأخذ يحضر مجالسه و يفيد منه و يتمثل لأمره، و لما وثق به ابن حوشب أرسله للدعوة بالمغرب، قتل على يد عبيد الله المهدي سنة 297هـ ينظر: ابن عذاري: البيان المغرب في أخبار الأندرس و المغرب، ج 1، ص 164؛ أبي حنيفة النعمان بن محمد التميمي المغربي: افتتاح الدعوة، مؤسسة الأعلمى للمطبوعات، لبنان، 2005، ص 26؛ الذهي: سير أعلام النبلاء، ج 14، ص 57-59؛ ابن الأثير: الكامل في التاريخ، تحقيق: محمد يوسف الدقاق، ج 7، ط 1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1987، ص 31-37؛ المقريزي: إتعاظ الحنف، ص 84-88.

<sup>4</sup> - القاضي النعمان: افتتاح الدعوة، ص 26؛ ألفر بل: المرجع السابق، ص 157؛ إبراهيم التهامي: جهود علماء المغرب في الدفاع عن عقيدة أهل السنة ، ص 294؛ بشير رمضان التليسي: الاتجاهات الثقافية في الغرب الإسلامي، ص 266.

## الفصل الأول : الأوضاع المذهبية في بلاد المغرب الإسلامي قبل القرن 5 هـ / 11 م

الحجـة سـنة 279هـ/892م حيث لـقي جـمـاعة كـتـامة<sup>1</sup> الـذـين يـسـروا لـه الطـرـيق إـلـى المـغـرب الـتي دـخـلـها فـي ثـوـب مـعـلم لـلـقـرـآن<sup>2</sup>، و قد تم استقبالـه عند وصولـه من طـرف أـبـو عـبد الله عـلـيـ بن حـمـدون بن سـماـك الجـذـامي الأنـدـلـسي الـذـي تـرـبطـه عـلـاقـة مـصـاـهـرـة مـع قـبـيلـة جـيـمـلـة<sup>3</sup> فـزـوجـتـه كـانـت إـحـدى بـنـاتـها، و يـعـتـقـد أـن رـئـاسـة الدـعـوـة فـي المـغـرب آـلت إـلـيـه بـعـد مـوـتـه الـحـلوـانـي و أـبـي سـفـيـانـ، و قد كانـ لهـذـه الـقـبـيلـة السـبـقـ فـي اـعـتـنـاقـ المـذـهـبـ و اـحـتـضـانـ دـعـاتـهـ، كـما كـانـ لـهـا السـبـقـ كـذـلـكـ فـي حـمـلـ السـلاحـ لـلـتـمـكـينـ لـلـمـذـهـبـ. فالـدـاعـيـ استـقـرـعـنـدـ فـرعـ مـنـ فـروعـهاـ وـ هـمـ بـنـو سـكـتـانـ وـ كـانـتـ جـيـمـلـةـ هيـ الـنـواـةـ الـتـيـ كـوـنـتـ اـجـهـازـ اـلـعـسـكـرـيـ العـبـيـدـيـ فـيـ بـلـادـ المـغـربـ<sup>4</sup>.

وـعـنـدـمـاـ تـيـقـنـ أـبـو عـبدـ اللهـ مـنـ نـصـرـةـ كـتـامـةـ لـدـعـوـتـهـ، أـعـلـنـ بـإـمامـتـهـ لـلـرـضـاـ مـنـ آلـ مـحـمـدـ صـلـىـ اللهـ عـلـيـهـ وـسـلـمـ وـ قـالـ: "أـنـتـمـ أـنـصـارـ أـهـلـ الـبـيـتـ وـ شـيـعـتـهـ"، وـ أـخـبـرـهـ عـنـ نـفـسـهـ بـأـنـهـ صـاحـبـ الـبـذرـ

<sup>1</sup> - يـذـكـرـ القـاضـيـ النـعـمـانـ اـحـتـمـاعـ عـبـدـ اللهـ الشـيـعـيـ بـرـحـالـ كـتـامـةـ مـكـةـ وـ مـسـيرـهـ لـبـلـادـ المـغـربـ بـقـوـلـهـ: " وـوـصـلـ أـبـو عـبدـ اللهـ مـعـ جـمـلةـ الـحـجـيجـ مـنـ أـهـلـ الـيـمـنـ إـلـىـ مـكـةـ، فـلـمـاـ قـضـيـ النـاسـ حـجـمـ وـ اـسـتـقـرـوـاـ بـهـنـيـ جـعـلـ أـبـو عـبدـ اللهـ يـمـشـيـ بـهـنـيـ، فـمـرـ عـلـىـ جـمـاعـةـ مـنـ رـجـالـ كـتـامـةـ مـنـ حـجـ تـلـكـ السـنـةـ، وـ هـمـ فـيـ رـحـلـمـ وـ فـيـهـمـ مـنـ الشـيـعـةـ الـذـينـ كـانـوـاـ تـشـيـعـوـاـ بـأـسـبـابـ الـحـلوـانـ = رـحـلـانـ: حـرـيـثـ الـجـمـيـلـيـ وـ مـوـسـيـ بـنـ مـكـارـمـةـ، فـسـمـعـهـمـاـ أـبـو عـبدـ اللهـ يـذـكـرـانـ لـأـصـحـاحـهـمـاـ فـضـائـلـ عـلـيـ رـضـيـ اللهـ عـنـهـ، فـجـلـسـ إـلـيـهـمـاـ يـذـكـرـ شـيـئـاـ مـنـ ذـلـكـ مـعـهـمـاـ، فـأـقـبـلـ عـلـيـهـ جـمـيعـهـمـ، وـ حـدـثـهـمـ حـدـيـثـ طـوـيـلـاـ ثـمـ نـخـضـ لـيـقـوـمـ فـقـامـوـاـ مـعـهـ وـ مـشـوـلـمـشـيـهـ وـ قـالـوـاـ: نـحـبـ أـنـ نـعـرـفـ مـكـانـ رـحـلـكـ فـجـاءـهـمـ إـلـيـهـ، فـلـمـاـ كـانـ مـنـ غـدـ أـتـوـهـ فـحـدـثـهـمـ وـ أـوـسـعـ فـيـ الـحـدـيـثـ، وـ اـزـدـادـوـاـ فـيـهـ رـغـبـةـ وـ عـلـيـهـ إـقـبـالـاـ، فـجـعـلـ يـسـأـلـهـمـ عـنـ بـلـدـهـمـ فـيـخـبـرـوـنـهـ، فـلـمـاـ حـضـرـ النـفـرـ مـنـ مـنـيـ قـالـوـاـ: أـيـنـ تـوجهـكـ؟ فـقـالـ: إـلـىـ مـصـرـ، فـسـرـوـاـ بـذـلـكـ وـ رـحـلـوـ بـرـحـلـهـ وـ جـعـلـوـيـمـشـونـ حـولـهـ إـلـاـ سـارـ وـ يـنـزلـوـ بـقـرـيـهـ إـلـاـ نـزـلـ وـ يـخـدـمـونـهـ وـ يـعـظـمـونـهـ. فـلـمـاـ نـزـلـوـاـ أـوـلـ مـنـهـلـ اـشـتـرـوـلـهـ شـاءـ رـحـلـواـ بـرـحـلـهـ وـ جـعـلـوـيـمـشـونـ حـولـهـ إـلـاـ سـارـ وـ يـنـزلـوـ بـقـرـيـهـ إـلـاـ نـزـلـ وـ يـخـدـمـونـهـ وـ يـعـظـمـونـهـ. فـلـمـاـ نـزـلـوـاـ أـوـلـ مـنـهـلـ اـشـتـرـوـلـهـ شـاءـ فـذـبـحـوـهـاـ وـ هـيـأـوـلـهـ طـعـاماـ وـ نـزـلـوـاـ مـعـهـ فـأـتـوـهـ بـطـعـامـ قـالـ: مـاـ هـذـاـ؟ قـالـوـاـ: هـذـهـ سـنـتـنـاـ فـيـ الـضـيـفـ، وـ أـنـتـ ضـيـفـ فـيـنـاـ فـدـارـاهـمـ فـذـبـحـوـهـاـ وـ هـيـأـوـلـهـ طـعـاماـ وـ نـزـلـوـاـ مـعـهـ فـأـتـوـهـ بـطـعـامـ قـالـ: مـاـ هـذـاـ؟ قـالـوـاـ: هـذـهـ سـنـتـنـاـ فـيـ الـضـيـفـ، وـ أـنـتـ ضـيـفـ فـيـنـاـ فـدـارـاهـمـ ذـلـكـ.... وـ كـذـلـكـ شـأنـ كـتـامـةـ الـيـمـ، يـعـظـمـونـ مـنـ كـانـ قـبـلـهـ أـقـلـ شـيءـ مـنـ الـعـلـمـ وـ يـقـدـمـونـهـ، حـتـىـ الـمـعـلـمـ الـذـيـ يـكـونـ عـنـدـهـ وـ إـنـ كـانـ لـاـ يـخـسـنـ غـيرـ الـقـرـآنـ فـإـنـهـ لـهـ عـنـدـهـمـ قـدـراـ وـ حـالـاـ وـ مـكـانـاـ." للـمـزـيدـ عـنـ بـقـيـةـ تـفـاصـيلـ رـحـلـةـ حـجـاجـ كـتـامـةـ بـصـحـبةـ عـبـدـ اللهـ الشـيـعـيـ مـنـ مـكـةـ بـاـنـجـاهـ بـلـادـ المـغـربـ، يـنـظـرـ: القـاضـيـ النـعـمـانـ: اـفـتـاحـ الدـعـوـةـ، صـ29ـ وـ مـاـ بـعـدـهـ.

<sup>2</sup> - إـبرـاهـيمـ التـهـامـيـ: جـهـودـ عـلـمـاءـ الـمـغـربـ فـيـ الدـفـاعـ عـنـ عـقـيـدـةـ أـهـلـ الـسـنـةـ ، صـ295ـ .

<sup>3</sup> - هيـ قـبـيلـةـ جـيـمـلـةـ الـكـتـامـيـةـ الـتـيـ تـتـمـيـزـ بـالـبـأـسـ وـ الشـدـةـ وـ الـأـمـوـالـ، وـ لـقـدـ اـخـتـيـرـتـ لـأـنـهـ توـفـرـ عـلـىـ عـوـمـالـ النـجـاحـ، فـأـرـاضـيـهـاـ تـصـلـحـ لـلـعـلـمـ الدـعـوـيـ، كـمـاـ تـصـلـحـ لـلـعـلـمـ الـعـسـكـرـيـ بـسـبـبـ طـبـيـعـتـهـ الـجـبـلـيـ الـوـعـرـةـ، كـمـاـ إـنـهـ تـقـعـ عـلـىـ طـرـفـ اـفـرـيقـيـةـ فـهـيـ بـعـيـدةـ عـنـ قـلـبـ الـإـمـارـةـ الـأـغـلـيـةـ. يـنـظـرـ: القـاضـيـ النـعـمـانـ: اـفـتـاحـ الدـعـوـةـ، صـ36ـ؛ بـوـبـةـ مـجـانـيـ: الـمـذـهـبـ الـإـسـمـاعـيـلـيـ وـ الـقـيـادـاتـ الـدـينـيـةـ وـ الـعـسـكـرـيـةـ الـكـتـامـيـةـ فـيـ الـمـرـحـلـةـ الـمـغـرـبـيـةـ، صـ81ـ؛ رـشـيدـ بـورـوـيـةـ: الـدـوـلـةـ الـحـمـادـيـةـ تـارـيـخـهـاـ وـ حـضـارـهـاـ، دـيـوـانـ الـمـطـبـوعـاتـ الـجـامـعـيـةـ، الـجـزاـئـرـ، 1977ـ، صـ163ـ.

<sup>4</sup> - بـوـبـةـ مـجـانـيـ: الـمـذـهـبـ الـإـسـمـاعـيـلـيـ وـ الـقـيـادـاتـ الـدـينـيـةـ وـ الـعـسـكـرـيـةـ الـكـتـامـيـةـ فـيـ الـمـرـحـلـةـ الـمـغـرـبـيـةـ، صـ80ـ، 81ـ.

الذي ذكر لهم أبو سفيان و الحلواني، ثم قال لهم: "أنا لا أدعوكم لنفسي، و إنما أدعوكم لطاعة الإمام المعصوم من أهل البيت". ، عند ذلك أعلن أهل كتامة طاعتهم له، و بدأ هو في تنظيم مجتمعهم بمحاربة بعض السلوكات القبيحة<sup>1</sup> – كما زعم<sup>2</sup> أما عن أسلوب الدعاية الإسماعيلية قبل قيام الدولة العبيدية، فيختلف عنه بعد قيامها، حيث ارتكز على الإقاع السلمي<sup>3</sup>، و التركيز كان على الريف المغربي – كتامة – حيث ركزت الدعوة الإسماعيلية نشاطها في المناطق الريفية الأقل تحضيرا و البعيدة عن المراكز الإدارية الحيوية، لهذا اختيرت منطقة كتامة الجبلية الريفية لتكون مجالا لبذر المبادئ الشيعية الداعية إلى إقامة إمامية إسماعيلية، و استطاع الداعي أن يكون مجتمعا جديدا من مجتمع كتامة الريفي بفضل بعد نظره و ذكائه و خبرته، فاصطنع لنفسه منهاجا ربيّ عليه أتباعه ليصبح ولاء الفرد فيه ولاء للمذهب و ليس للقبيلة أو العصبية، و هذا بفضل سيرته فيهم و بما تميّز به تصرفاته من تعفف و إعراض عن الحياة الدنيا.<sup>4</sup>

و لقد ترك الداعي تازورت و استقر في إيكجان، و هذا من أجل أن ينقل الدعوة إلى مرحلتها العسكرية الهجومية حيث بدأ في حشد أكبر عدد من البربر ليكون جيشا قويا قادرا على التغلب على الأغالبة، ليسيطر سلطان الدعوة الشيعية، الدينية، لأن الغرض من حركته كان إحلال مذهب

<sup>1</sup> - على العكس من ذلك كانت قبيلة كتامة على أفضل حال من جميع الجوانب عكس بني عبيد و سيرتهم ببلاد المغرب، و ما يؤكد ذلك ما يورده إبراهيم التهامي بقوله: "...و الذي يؤكد هذا سلوك بني عبيد و سياساتهم المترددة في الحالات المختلفة، فقد كان سلوكهم لا يمت إلى الإسلام بصلة حيث تميز حكمهم بقتل العلماء، و العمل على إزالة ملة الإسلام و إشاعة الفاحشة و إباحة الخمر و الفروج...." إبراهيم التهامي: جهود علماء المغرب في الدفاع عن عقيدة أهل السنة ، ص 297، أما حال قبيلة كتامة فيورده ابن حوقل بقوله: "...و كتامة يضيفون المارة و يطعمون الطعام، و يتخلقون قوم منهم بخلق ذميم من بذل أنفسهم لأضيفهم على سبيل الإكرام و لا يختشمون به...." للمزيد ينظر: أبي القاسم ابن حوقل النصيبي: صورة الأرض، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان، 1992، ص 91.

<sup>2</sup> - إبراهيم التهامي: جهود علماء المغرب في الدفاع عن عقيدة أهل السنة ، ص 295 .

<sup>3</sup> -Charles( A . J ), Histoire De L'afrique Du nord, payot, paris, 1952, p54.

<sup>4</sup> - بوية مجاني: المذهب الإسماعيلي و فلسنته في بلاد المغرب، منشورات الزمن، مطبعة النجاح ، الدار البيضاء، المغرب، 2005، ص 54.

## الفصل الأول : الأوضاع المذهبية في بلاد المغرب الإسلامي قبل القرن 5 هـ / 11 م

الشيعة محل مذهب أهل السنة المعادي لمذهب الشيعة.<sup>1</sup> إذن باسم الدعوة الدينية قام الداعي الشهير بتمهيد السبيل بمحىء مولاه "المهدي" عبيد الله<sup>2</sup>، و ذلك بتحقيق انتصارات و مكاسب إقليمية؛ فدفع قبيلة كتامة إلى مهاجمة دولة الأغالبة أولاً<sup>3</sup>، حيث استطاع أن يقضي على الدولة الأغالبة و نزل برقادة حيث غادرها آخر ملوك الأغالبة زيادة الله فاراً إلى المشرق<sup>4</sup>، فبعث حينئذ إلى عبيد الله "المهدي" بن محمد بن الحبيب بن جعفر الصادق زعيم الإسماعيلية و إمامها يستقدمه و هو يومئذ مستخفيا بمصر، فخرج و معه ولده أبو القاسم و أبو العباس أحمد أخو الصناعي، و اضطر إلى تجنب المناطق المراقبة خوفاً من أن يقع في أيدي الأغالبة و قد علموا برحلته، لكنه وصل إلى سجلماسة في الجنوب، في نواحي تافيلالت، فوقع في قبضة أمراء بني مدرار في النواحي، و كانوا من الخوارج المتهاودين، فألقوا به في السجن، بناء على أمر الخليفة العباسى، و كانوا آنذاك على علاقة طيبة، و هنا جاء داعيه المخلص أبو عبد الله الشيعي

<sup>1</sup> - أفرد بل: المرجع السابق، ص 157؛ بوبة مجاني: المذهب الإسماعيلي و القيادات الدينية و العسكرية الكتامية في المرحلة المغربية، ص 85.

<sup>2</sup> - عبيد الله المهدي اختلف في نسبة فادعى انه عبيد الله بن محمد بن إسماعيل بن علي بن الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه، و قال سائر الناس إنه دعي، و إن انتسابه للطلابيين دعوة باطلة؛ و ذكروا عن أبي القاسم ابن طباطبا العلوي انه قال: "والله الذي لا إله إلا هو ! ما عبيد الله الشيعي منا، ولا بيننا وبينه نسب" و قال مقاتل: هو عبيد الله بن محمد بن عبد الرحمن البصري، و قد فضح القاضي أبو بكر ابن الطيب الباقياني نسبة في كتاب (كتاب كشف الأسرار، و هتك الأستار) و ذكر: "أعلم قرامطة، و أن أبا عبد الله الشيعي أحدث لهم هذا المذهب، و نسبهم هذا النسب."، و حكى بعض المؤرخين أن جعفر بن علي كانت له جارية، فغشتها رجل من القرامطة، و قيل من اليهود، دفعت له مالاً؛ فكان يهواها و تمواه، و قتلت جعفرا مولاها؛ فولدت جد عبيد الله هذا. فمن خفيت عليه هذه القصة قال أنه علوي، و من علمها علم دعوته و كذبه. ينظر: ابن عذاري: البيان المغرب في أخبار الأندلس و المغرب، ج 1، ص 158، 159.

<sup>3</sup> - أفرد بل: المرجع السابق، ص 157، 158.

<sup>4</sup> - ابن عذاري: البيان المغرب في أخبار الأندلس و المغرب، ج 1، ص 146-149.

## الفصل الأول : الأوضاع المذهبية في بلاد المغرب الإسلامي قبل القرن 5 هـ / 11 م

حوالي 297هـ/909م لتخليصه من السجن، بعد أن كان قد بسط نفوذه على الأغالبة في إفريقية<sup>1</sup> أولاً.

و دولة الرستميين في تيهرت ثانياً<sup>2</sup>، حتى أن المدّ الشيعي قد وصل إلى منطقة السوس متمثلاً في الشيعة البجلية.<sup>3</sup> حيث يذكر ابن عذاري طريق جيوش أبي عبد الله الشيعي و دخوله مدينة سحملماسة بقوله: "... و نظر أبو عبد الله في إقامة الجيوش و الاستعداد للغزو إلى سحملماسة. و كان بها عبيد الله الشيعي، و ابنه أبو القاسم، محبوسين... و استختلف على إفريقية أخاه العباس...."<sup>4</sup> ، فسار أبو عبد الله حتى حل بمدينة تيهرت؛ فدخلها بالأمان، و قتل بها من الرستمية يقطنان بن أبي اليقظان ثم نُفِّض حتى احتل على مدينة سحملماسة يوم السبت لست خلون من ذي الحجة. فأحاط بها جموعه و جيوشه، و حارب يوم الأحد لسبع خلون منه؛ ففتحها في هذا اليوم، و أخرج منها عبيد الله الشيعي و ابنه أبي القاسم؛ و كانوا محبوسين في غرفة عند مررم بنت مدرار. فلما بصر به أبو عبد الله الشيعي ترجل له، و خضع بين يديه، و بكى من إفراط سروره به. ثم مشى أمامه راجلاً حتى أنزله في الفارة و سلم إليه الأمر، و قال لمن معه: "هذا هو

<sup>1</sup> - القاضي النعمان: افتتاح الدعوة، ص 101؛ ابن عذاري: البيان المغرب في أخبار الأندلس و المغرب، ج 1، ص ألفه بل: المرجع السابق، ص 158.

<sup>2</sup> - للرجوع إلى حيثيات سقوط الدولة الرستمية على يد أبي عبد الله الشيعي ينظر: القاضي النعمان: افتتاح الدعوة، ص 141 و ما بعدها؛ ابن عذاري: البيان المغرب في أخبار الأندلس و المغرب، ج 1، ص 153؛ بجاز إبراهيم بكير: الدولة الرستمية، ص 128.

<sup>3</sup> - عبد الجيد النجار: تجربة الإصلاح في حركة المهدى بن تومرت (الحركة الموحدية بالمغرب أوائل القرن السادس المجري)، ط 1، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، هيرندين - فرجينيا، 1995، ص 50.

<sup>4</sup> - يبدو أن أبي العباس قد تحين فرصة خروج أبي عبد الله الشيعي لإنقاذ عبيد الله المهدى من سحملماسة، ليقوم باضطهاد فقهاء القиروان، و إرغامهم على تقبيل المذهب الإسماعيلي، بل و أقدم على قتل بعضهم منهم إبراهيم بن محمد الفقي و أبو بكر بن هذيل و علي بن أبي العباس قتلهم بتهمة الطعن في إمامته علي رضي الله عنه بنظر: ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج 7، ص 461. ابن عذاري: البيان المغرب في أخبار الأندلس و المغرب، ج 1، ص 155.

## الفصل الأول : الأوضاع المذهبية في بلاد المغرب الإسلامي قبل القرن 5 هـ / 11 م

مولاي و مولاكم! قد أنجز الله وعده، و أعطاه حقه، و أظهر أمره!" و انتهب أبو عبد الله الشيعي و رجاله...<sup>1</sup> و رجع به قافلا إلى إفريقية.

و يذكر القاضي النعمان قدوم "المهدي" من سجلماسة إلى إفريقية قائلا: "...و أقبل "المهدي" فلما حاذى بلد كتامة مال إليه ووصل إلى ايڭجان و أمر بإحضار الأموال التي كانت على أيدي الدعاة و المشايخ، و كانوا قد دفونها هناك، فأحضروها إليه و أمر بقبضها منهم و شدها أحمالا و قدم بها، فكان ذلك من أول ما أحال القلوب الفاسدة و توهموا أنهم يكونون كما عودهم أبو عبد الله يأمرؤن و ينهون و يقبحون و يبسطون."<sup>2</sup>

و يروي أيضا ابن الأثير خبر قدوم عبيد الله "المهدي" من سجلماسة بقوله: "...فلما قرب من رقادة تلقاء أهلها و أهل القiroان<sup>3</sup> و أبو عبد الله، و رؤساء كتامة مشاة بين يديه، و ولده خلفه، فسلموا عليه، فرد جميلا و أمرهم بالانصراف و نزل بقصر من قصور رقادة. و أمر يوم الجمعة بذكر اسمه في الخطبة في البلاد، و تلقب "بالمهدي" أمير المؤمنين...".<sup>4</sup> و من هنا نلاحظ أنه لم يكن هدف العبيديين في بلاد المغرب تأسيس دولة لهم فحسب، بقدر ما كانوا يعتقدون أنه لا خلاص للناس إلا إذا اعتنقوا المبادئ الشيعية، حيث كانت المذاهب الدينية تمثل الاتجاه السياسي، و وخاصة خلال القرن الرابع الهجري الحادي عشر ميلادي و من ثم عمل العبيديون منذ الأيام الأولى لتأسيس دولتهم على انتهاج طريقين لاستدرج الناس و دعوتهم إلى مذهبهم.

الطريقة الأولى: أظهر فيها العبيديون مزيجا من الشدة و اللين إذ يروي ابن الأثير ذلك بقوله: "...

<sup>1</sup> - القاضي النعمان: افتتاح الدعوة، ص 168؛ ابن عذاري: البيان المغرب في أخبار الأندلس و المغرب، ج 1، ص 151، 152.

<sup>2</sup> - القاضي النعمان، افتتاح الدعوة، ص 176.

<sup>3</sup> - أول المدن التي أنشأها المسلمون أثناء الفتح الإسلامي لبلاد المغرب، أسسها عقبة بن نافع الفهري سنة 50هـ/670م، تعتبر منبر و منارة العلم، و مركز أشعاع و انتشار الحضارة و العمران ببلاد المغرب، للمزيد ينظر دراسة: أمبارك بوطارن: تطور العمران الإسلامي مدینتنا القiroان و سجلماسة نمودجا(دراسة تاريخية عمرانية)، أطروحة دكتوراه ، معهد الآثار ، جامعة الجزائر، 2006، ص 242-254.

<sup>4</sup> - ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج 7، ص 461.

## الفصل الأول : الأوضاع المذهبية في بلاد المغرب الإسلامي قبل القرن 5 هـ / 11 م

و جلس بعد الجمعة رجل يعرف بالشريف، و معه الدعاة، و أحضروا الناس بالعنف، و دعوهم إلى مذهبهم، فمن أجاب أحسن إليه، و من أبي حبس، فلم يدخل في مذهبهم إلا بعض الناس - و هم قليل - و قتل كثير من لم يوافقهم على قولهم....، و إذا سلمنا بقول ابن الأثير، فإن عبيد الله "المهدي" أحب منذ الأيام الأولى لخلافته أن يغير الاتجاه المذهبي لأهل افريقية تمهيدا لنشر المذهب الشيعي في جميع المناطق التي تخضع لسلطاته و لكنه اصطدم بإتباع المذهب المالكي الذين رفضوا دعوته، و وقفوا ضد أتباع الشيعة، و لقي عدد منهم القتل ليكونوا عبرة لغيرهم.<sup>1</sup>

و هذا ما يؤكده كلام ابن عذاري الذي ذكر: "... أن عبيد الله "المهدي" بمجرد وصوله من سجلماسة إلى القيروان<sup>2</sup> حتى أظهر تشييعه القبيح، فسب أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم و أزواجها، و حكم بکفرهم و ارتداهم عن الإسلام بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم، و لم يستثن منهم إلا عليا و بعضا قليلا من أئدوه..... و منع المروزي الفقهاء أن يفتني أحدhem إلا بمذهب زعم أنه مذهب جعفر بن محمد...".<sup>3</sup>

".... و مدحت الشعراء عبيد الله بالكفر، فاستجازه...", و كان فيما مدح به شعر لحمد بن

حل بها آدم و نوح	❖	حل برقادة المسيح	البديل:
حل بها الكبش و الذبيح	❖	حل بها أحمد المصفي	
و كل شيء سواه ريح	❖	حل بها ذو المعالي	

وكانت أيمان كتامة أول دخولهم افريقية: "... و حق عالم الغيب و الشهادة مولانا المهدى الذى برقادة!", و قد سخر بعض أحداث القيروان من تلك الدعوى، و كتب هذين البيتين إلى "المهدي" و أرسلهما إليه في بطاقة يقول فيها:

<sup>1</sup> - ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج 7، ص 461، بشير رمضان التليسي: الاتجاهات الثقافية في الغرب الإسلامي، ص 264.

<sup>2</sup> - رأى المهدى عبيد الله أن من الخير إلا يتحذى من القيروان عاصمة له، لأنها كانت شديدة التعرض لهجمات البربر، و هو لم يكن يثق بهؤلاء، فأمر بتأسيس مدينة على لسان صغير يتقدم في البحر جنوي المستير و يسهل حمايتها من ناحية البر، و هي مدينة المهدية نسبة إليه و المعروفة باسم البيضاء أيضا، و صارت قاعدة حكمه و حكم العبيدرين طول إقامتهم بالمغرب، و كان آخر عهده بها إلى أن رفع مصلوبا على سورها. ينظر: القاضي النعمان: افتتاح الدعوة، ص 199؛ ألفرد بل، المرجع السابق، ص 185.

<sup>3</sup> - ابن عذاري: البيان المغرب في أخبار الأندرس و المغرب، ج 1، ص 159.

الجور قد رضينا لا الكفر و الحماقة

يا مدعى الغيوب <sup>1</sup> من كاتب البطاقة

الطريقة الثانية: وهي محاولة الحوار مع بعض علماء مذهب مالك لإقناعهم بأحقية العلوين في الإمامة، وبفضل علي رضي الله عنه وبنيه وتقديمهم على جميع الخلفاء الراشدين، وقد فشل العبيديون في هذه الطريقة أيضاً، وقد استطاع عبيد الله "المهدي" أن يستميل من بقي من أتباعه بني الأغلب من مواليهم، ورجالهم وأتباعهم الذين خافوا سوء العاقبة بعد سقوط دولة بني الأغلب، لكن عبيد الله المهدي عاملهم معاملة أتباعه فاندمجو في الدولة الجديدة، وقاموا بدور فعال في تأييدها ومساندتها، وعلى الرغم من استمالة عبيد الله المهدي لكثير من أتباع الأغالبة، فإنه عجز عن استمالة أتباع مذهب مالك الذين وقفوا صفاً واحداً يذبون ويدافعون عن المذهب وأتباعه، وكانوا يرون أن عبيد الله المهدي وأتباعه متطرفون ومتغرون في التشيع وإظهار أمور تخالف في أحيان كثيرة قواعد الإسلام.<sup>2</sup>

كما واجه عبيد الله "المهدي" خطر انقلاب قادته عليه وكبير دعاته أبو عبد الله الداعي وأخوه أبو العباس، و كان على " الخليفة المهدي " أن يختار بين داعيته وبين مصلحة الدولة فاختار مصلحة الدولة و تخلى عن دعاته و قبيلة كتامة أنصار دعوته. و تعود أسباب هذا الانقلاب إلى الخلاف حول الأسلوب الذي سيست به كتامة جيش الدولة وقادتها، فالداعي يرى ألا تولى كتامة الأعمال الإدارية لأن ذلك سيفضي إلى حياة الترف و النعم. إضافة إلى ذلك كان سبب الخلاف هو السياسة العسكرية الذي سلكها "المهدي" اتجاه آل مدرار بسجله الماسة، فالداعي لم يكن راضياً عن قتلهم و استباحة أموالهم و نسائهم، و السبب التي تجمع عليه معظم الروايات هو رفض الداعي مهدوية عبيد الله "المهدي"، و التي استند فيها إلى معرفة أخيه أبا العباس بحقيقة إمامته المهدي الإستيداعية، هذا الأخير لم يتواتي في تحريض أخيه و دفعه إلى رفض إمامته، هذا الأمر دفع

<sup>1</sup> - ابن عذاري: البيان المغرب في أخبار الأندرس و المغرب، ج 1، ص 160.

<sup>2</sup> - بشير رمضان التليسي: الاتجاهات الثقافية في المغرب الإسلامي، ص 270.

## الفصل الأول : الأوضاع المذهبية في بلاد المغرب الإسلامي قبل القرن 5 هـ / 11 م

عبيد الله "المهدي" بأمر بتصفيه الداعي<sup>1</sup> و أخيه و كبير القادة الكتاميين أبو زاكي تمام بن معارك الأجانى عام 298هـ/910م.<sup>2</sup>

و الحديري باللحاظة أنه بعد نكبة الداعي و تصفيته حسديا مع من ناصره ضد الإمام "المهدي" ، بدأ تهميش دور قبيلة كتامة<sup>3</sup> ، إذ أن عبيد الله "المهدي" كان منذ البداية يهدف و يعمل على إشراك عصبيات مغربية أخرى في الجيش و في تسيير أمور الدولة، و هذا لكي لا تنفرد كتامة وحدها بهذه المهمة فتتحكم في أمور "الخلافة" ، حيث أن "المهدي" عند قدومه من سجلماسة إلى رقاده و أثناء مروره ببلاد صنهاجة<sup>4</sup> عند الموضع الذي بنيت عليه مدينة أشير<sup>5</sup> سأل عن جبل صنهاجة فأشير له عليه فقال: "لنا في هذا الجبل كنز" ، و المراد بالكنز هو قبيلة صنهاجة، و عندما تولى "ال الخليفة" الثالث المنصور الذي سلك أسلوبا آخر مع كتامة لاستعادة مكانتها في

<sup>1</sup> - للوقوف على أسباب وحيثيات قتل عبيد الله "المهدي" لداعيه عبد الله الشيعي ينظر: ابن عذاري:البيان المغرب في أخبار الأندرس و المغرب، ج1، ص 164، 165.

<sup>2</sup> - القاضي التعمان، افتتاح الدعوة، ص 176؛ بوية مجازي: المذهب الإسماعيلي و القيادات الدينية و العسكرية الكتامية في المرحلة المغربية، ص، 87، 88.

<sup>3</sup> - بعد قتل الداعي عبد الله الشيعي و أخيه العباس و أبي زاكي، بدأ عبيد الله "المهدي" بارتكاب سلسلة من أصناف التقتل و التصفية الجسدية للقادة الكتاميين، عن طريقة الدعوة الفردية أو عن طريق نفيمهم للأقاليم البعيدة لكي يسهل قتلهم، ينظر: ابن عذاري:البيان المغرب في أخبار الأندرس و المغرب، ج1، ص 165.

<sup>4</sup> - صنهاجة مشتقة من صنهاج وهو اسم لرجل يدعى صنهاج بن يصوكان بن مسيور ، و نسبة يرتفع إلى يعرب بن قحطان ، وقد أكد هذا الطبراني وأنكره غيره ، انظر : مفاخر البربر، المصدر السابق ، ص 144 ؛ ويدرك ابن حزم الأندلسي أن منهم بنو الغليظ رهط أبي عبد الله محمد بن عبد الأعلى الأديب و منهم بنو دراج و منهم بأشونة بنو عبد الوهاب من ولد ميمون بن أبي جمبل وهو ابن أخت طارق بن زياد .ينظر: ابن حزم الأندلسي : جمهرة أنساب العرب ، تحقيق : عبد السلام محمد هارون ، ط 5 ، دار المعارف ، القاهرة ، 1982 ، ص . 501 – 502 .

<sup>5</sup> - مدينة من مدن المغرب الأوسط تم إنشائها بعد قرار من زيري بن مناد الصنهاجي في أيام القائم بأمر الله سنة (324هـ/935م) و تعتبر أول الحواضر الثقافية الزيرية التي أصبحت فيما بعد تابعة للدولة الحمدانية ، تتكون مدينة أشير من ثلاث تجمعات بشرية : متنه بنت السلطان، و أشير و بنية، و يقول البكري: « و هي جليلة حصينة يذكر أنه ليس في تلك الأقطار أحسن منها ولا أبعد متناولا و مrama... بني سورها بلجين يوسف بن زيري بن مناد الصنهاجي سنة سبع و ستين وثلاثمائة و خربها يوسف بن حماد بن زيري...»، البكري: المغرب في ذكر بلاد إفريقيا والمغرب، ص 60؛ ابن حوقل، المصدر السابق، ص 89؛ بن الذيب و آخرون: الحواضر و المراكز الثقافية في الجزائر في العصر الوسيط، ص - ص ، 104- 114.

## الفصل الأول : الأوضاع المذهبية في بلاد المغرب الإسلامي قبل القرن 5 هـ / 11 م

الدولة و تظل قرية منه، حيث قام بناء قاعدة حكم جديدة بعد انتصاره على صاحب الحمار و سماها المنصورية و فرض على أربعة عشر ألف بيت كتامي من مدينة سطيف أن ينتقلوا إلى عاصمته الجديدة لتعميرها.

و لما تولى "ال الخليفة" الرابع المعز لدين الله الخلافة عمل على إعادة الاعتبار لكتامة بعد أن أبعدت عن العمل السياسي و العسكري، بسبب مناصرتها للداعي أثناء خروجه على الإمام "المهدي".<sup>1</sup>

حيث كان المعز يعقد المجالس لكتام و يبني عليهم لكي يعودوا إلى لعب دورهم في السياسة و الجيش الذي سوف يفتح بلاد المشرق.<sup>2</sup>

و لما عزم المعز الرحيل إلى مصر<sup>3</sup>، فكر فيمن سيخلفه في بلاد المغرب، فمن يتوفّر صدق التشيع كما ذكر ابن خلدون.<sup>4</sup> حيث لم يجد الإمام المعز لدين الله مخرجاً سوى التوجه إلى قائد صنهاجة بلكين بن زيري<sup>5</sup>، ليعرض عليه ولاية إفريقية والمغرب، دون كتامة التي وقفت هي الأخرى موقفاً حافياً، أشبه ما يمكن بموقف جعفر بن علي بن حمدون.<sup>6</sup>

<sup>1</sup> - بوية مجاهي: المذهب الإسماعيلي و القيادات الدينية و العسكرية الكتامية في المرحلة المغربية، ص: 86، 87، 93.

<sup>2</sup> - المرجع نفسه: ص 90.

<sup>3</sup> - كان موقف أهل إفريقية تجاه الدعوة الإسماعيلية و معارضتهم و تمسكهم بالمالكية سبباً في أن يتجه العبيديون نحو مصر، ينظر: حورية عبد الحليم سلام: علاقات مصر ببلاد المغرب من الفتح العربي حتى قيام الدولة الفاطمية، رسالة دكتوراه، جامعة القاهرة، مصر، 1974، ص 33.

<sup>4</sup> - ابن خلدون، المصدر السابق، ج 6، ص 205؛ أبي عبد الله محمد بن عبد الله البنسي ابن الآبار: الحلة السيراء، تحقيق، حسين مؤنس، دار المعارف، القاهرة ب.ت، ص 393؛ ابن عذاري، المصدر السابق، ج 1، ص 228.

<sup>5</sup> - عبد العزيز فيلالي: العلاقات السياسية بين الدولة الأموية في الأندلس ودول المغرب، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، الجزائر، 1982 ، ص 190.

<sup>6</sup> - بعث المعز إلى شيوخ كتامة رسولاً من أمنائه يختبر حقيقة طاعتهم و ولائهم للخلافة العبيدية وقال لهم: «يا إخواننا إن ننفذ ننفذ رجالاً من قبلنا إلى بلدان كتامة يقيمون بينهم، و يأخذون صدقاتهم و مراجعهم و يحفظونها علينا في بلادهم فإذا احتجنا إليها أخذنا خلفها، فاستعينا بها على ما نحن سبيله» فرد شيخ كتامة بكرياء قائلين له: «قل ملولانا والله لأفعلنا هذا أبداً، كيف تؤدي كتامة الجزية، يصير عليها في الديوان ضريبة؟ وقد أعزها الله قدّيمها بالإسلام و حديثاً معكم بالإيمان، سيفوتنا بطاعتكما في المشرق و المغرب»، ينظر: المقرني، اتعاظ الحنفاء، ج 1، ص 98.

و بهذا يكون بلکین قد کشف عن سیاسته ماهرة في الحوار الذي جمعه مع الإمام المعز لدین الله، مما يدل على نضجه السياسي ووعيه الدبلوماسي، فلعله يتحين الفرصة كما ذكر عبد العزيز فیلالي<sup>1</sup>، حتى يحصل على ما كان ينشده، فقد تصنع الخوف من مسؤولية ولاية إفريقية والمغرب بكل ما فيها من فوضي سياسية واضطرابات اجتماعية وتناقضات مذهبية، بقوله لم تصف لأهل بيت رسول الله صلی الله علیه وسلم، فكيف تصفو لیوسف بلکین وهو صنهاجي بربی.<sup>2</sup>

#### 4-1- المعتزلة<sup>3</sup>:

<sup>1</sup> - عبد العزيز فیلالي، المرجع السابق، ص 190.

<sup>2</sup> - نص الحوار الذي دار بين المعز و بلکین بن زبیر: « قال له تأهب لخلافة المغرب فأكبر ذلك، وقال يا مولانا أنت وأباوك الأئمة من ولد رسول الله صلی الله علیه وسلم ما صفا لكم المغرب، فكيف يصفو لي وأنا صنهاجي بربی قتلتنی يا مولانا بغير سيف ولا رمح، فما زال به المعز حتى أحباب بشريطة أن المعز يولى القضاء والخروج لمن يراه ويختاره و يجعل الحيز ملن يشق به و يجعله قائما بين أيدي هؤلاء فمن استعصى عليهم يأمره هؤلاء به حتى يعمل به ما يجب ويكون الأمر لهم، ويصير كالخادم بين أولئك» ينظر: المقریزی، المواعظ و الاعتبار، ج 2، ص 36-37.

<sup>3</sup> - المعتزلة: فرقہ کلامیہ سبقھا فی النشأة فرق کالجھمیہ و القدیریہ، و لکن المعتزلة أھم فرقہ عرضت موضوعات علم الکلام فی نسق مذهبی متکامل، بل قد أصبحت مسائل علم الکلام تناقش فی إطار الحدود التي وضعھا رجال المعتزلة، و من المعروف أن المعتزلة نشأت بسبب الخلاف الذي دار بين أهل السنة و الخوارج، حول مرتکب الكبیرة، فالخوارج يقولون أن مرتکب الكبیرة کافر، و لو لأننا سلمنا بذلك لكان التیتھ خروجھ عن الدين الإسلامی، و لا تقبل له شهادة، أما أهل السنة فیرون أن مرتکب الكبیرة مؤمن، له أن يتمتع بكل حقوقه، و ليس المعتزلة هو الاسم الوحید الذي أطلق على هذه الفرقہ، فالمعتزلة يحبون أن يسموا باسم الفرقہ العدلیة، لأن العدل أحد أھم أصولهم الخمسة، كما يسمون أنفسهم أهل التوحید و العدل، أما حصومهم فقد نبذوھم بعدة ألقاب منها المعتلة لأنھم نفوا الصفات القدیمة عن الله، و على رأسھم واصل بن عطاء بدھوی أنه لو كانت هذه الصفات لشاركت الله في القدم الذي هو أخص الوصف له. و المعتلة و الصفاتیة ضدان، و مذهبھم مبني على أساس انتقائی للأفکار و الآراء السائدة فی عصرھم، فعن الجھمیہ أخذوا القول بنفي الصفات و القول بخلق القرآن، كما أخذوا مبدأ الأمر بالمعروف و النهي عن المنکر من الخوارج، و اتفقا مع الشیعۃ فی كثير من الآراء الخاصة بالإمامۃ، و برى أبو الحسن الخیاط: "أن ما من أحد يستحق اسم اعتزال حتى يقول بالأصول الخمسة". ينظر: الشھرستاني، الملل والنحل، ج 1، ص: 38-39؛ لویس غارديه، ج. فنواتی: فلسفة الفكر الدینی بین الإسلام و المسيحیة، ترجمة الشیخ صبحی الصالح، ج 1، ط 1، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، 1967، ص 91؛ عبد الرحمن بدوي: التراث اليوناني في الحضارة الإسلامية، ط 4، دار العلم، بيروت، لبنان، 1980، ص 180؛ أحمد محمود صبحی: فی علم الكلام - دراسة فلسفية لآراء الفرق الإسلامية في أصول الدين - المعتزلة ، ج 1، ط 5، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، 1985، ص 112؛ أبو الحسن الخیاط:

### ١-٤-١- التعريف بالمعتزلة:

لغة:

الاعتزال مأخذ من اعتزل الشيء وتعزله بمعنى تنجي عنه، ومنه تعازل القوم بمعنى تنجي بعضهم عن بعض، وكنت بعزل عن كذا وكذا أي: كنت في موضع عزلة منه، واعتزلت القوم أي فارقتهم، وتنحيت عنهم، ومنه قوله تعالى: ﴿وَإِنْ لَمْ تُؤْمِنُوا لِي فَاعْتَرِلُونَ﴾<sup>١</sup>. أراد إن لم تؤمنوا بي، فلا تكونوا علي ولا معى.<sup>٢</sup> وعلى ذلك: فالاعتزال معناه: الانفصال والتنحي، والمعتزلة هم المنفصلون.<sup>٣</sup>

اصطلاحاً:

هم أتباع واصل بن عطاء الغزال<sup>٤</sup> تلميذ الحسن البصري " ت 110 هـ/ 728 م" ، و هو المؤسس الأول لفرقة المعتزلة و السبب في ظهورهم أن رجلا دخل على الحسن البصري فقال: يا إمام الدين، لقد ظهرت في زماننا جماعة يكفرون أصحاب الكبائر، و الكبيرة عندهم كفر يخرج عن الملة و هم وعديمة الخوارج، و جماعة يرجئون أصحاب الكبائر، و الكبيرة عندهم لا تضر مع الإيمان كما لا ينفع مع الكفر طاعة و هم مرجة الأمة فكيف تحكم لنا اعتقدا؟ فتفكر الحسن في ذلك و قبل أن يجيب قال واصل بن عطاء: أنا لا أقول إن صاحب الكبيرة مؤمن مطلقا و لا كافر مطلقا، بل في منزلة بين المترفين لا مؤمن و لا كافر، ثم قام واعتزل إلى اسطوانات المسجد، يقرر ما

=الانتصار و الرد عن ابن الروندي الملحد، تحقيق نبيج، ط2، الدار العربية للكتاب، لبنان، 1993، ص121؛ عبد المنعم الحفني: الفرق والجماعات والمذاهب الإسلامية، ص380؛ هنري كوريان: تاريخ الفلسفة الإسلامية، ص169 و ما بعدها.

<sup>١</sup> - سورة : الدخان، الآية: 20.

<sup>2</sup> - عواد بن عبد الله المعتق: المعتزلة و أصحابهم الخمسة و موقف أهل السنة منها، ط2، مكتبة الرشد، الرياض، 1995، ص13.

<sup>3</sup> - ابن منظور: لسان العرب، ج11 ، ص 440 ، الفيروز آبادي: قاموس المحيط، ج4، ص 15 .

<sup>4</sup> - واصل بن عطاء: "80-131 هـ/ 700-748 م" ولد بالمدينة، و نشأ بالبصرة، من أئمة البلغاء والمتكلمين، له تصانيف منها "المنزلة بين المترفين" و "أصناف المرجئة" و "معاني القرآن" . ينظر ترجمته: البغدادي، الفرق بين الفرق، ص107؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج5، ص464، 465، عبد العزيز المداوب: الصراع المذهبى بافريقية، ص105.

أجاب به على جماعة من أصحاب الحسن فقال الحسن البصري: اعزز عننا واصل، فسمي هو وأصحابه معتزلة.<sup>1</sup>

و المعتزلة باعتبارها طائفة كلامية حملت على عاتقها مهمة إصلاحية، تمثلت في تأسيس مفهوم للتوحيد، يقوم على التزكية المطلق للذات الإلهية، وعلى إصلاح المجتمع من المظالم و المفاسد، وذلك من خلال تقديم فكرة الجبر، وإقامة تصور جديد عن العدل الإلهي. و بذلك استطاعت هذه الطائفة أن تقدم بناء فكريًا متاغماً و منسجماً.<sup>2</sup>

#### ١-٤-٢- نشأة المعتزلة في المشرق الإسلامي:

هناك اختلاف في بداية ظهور المعتزلة، حيث نجد ثلاثة مذاهب في ذلك:  
**المذهب الأول:** يرى أصحابه أن بدايتهم من عهد الصحابة، وأن مذهبهم هو المذهب الحق، وهو قول المعتزلة.

**المذهب الثاني:** يرى أصحابه أن بداية نشأة المعتزلة كانت سنة 40هـ/660م عندما تنازل الحسن بن علي رضي الله عنهما لمعاوية و في ذلك يقول الملطي: "و هم سموا أنفسهم معتزلة و ذلك عندما بايع الحسن بن علي عليه السلام معاوية وسلم إليه الأمر. اعتزلوا الحسن و معاوية و جميع الناس، و ذلك لأنهم كانوا من أصحاب علي، و لزموا منازلهم و مساجدهم و قالوا: نشتغل بالعلم و العبادة فسموا بذلك معتزلة. و الاعتزال هنا هو من ناحية اللغة فقط، أما من ناحية الاعتقاد و الفكر فلم يكن لهم اعتقاد خاص يميزهم عن غيرهم".<sup>3</sup>

<sup>1</sup> - يحيى بن أبي الخير العمري: الانتصار في الرد على المعتزلة القدريّة الأشرار، تحقيق سعود بن عبد العزيز الخلف، ج ١، أضواء سلفية، المدينة المنورة، 1419هـ، ص 67؛ البغدادي، الفرق بين الفرق، ص 107؛ أبو زهرة: تاريخ المذاهب الإسلامية، ص 118؛ الشهرستاني: الملل والنحل، ج ١، ص 38؛ إبراهيم التهامي: جهود علماء المغرب في الدفاع عن عقيدة أهل السنة، ص 195؛ عواجي : فرق معاصرة، ج ١، ص 1163؛ عبد المنعم الحفيقي: الفرق والجماعات والمذاهب الإسلامية، ص 358؛ عبد المجيد معلومي: المرجع السابق، ص 37؛ نسيم نوار: التراث السنوي الشيعي ببلاد المغرب و آثره في تحديد المذهب المالكي " من قيام الدولة الفاطمية إلى حدوث القطعية الزيرية 269-443هـ/909-1051م" ، مذكرة ماجستير ، جامعة الجزائر 2، بوزريعة، 1432هـ/2011م، ص 35.

<sup>2</sup> - يوسف أححانة : تطور المذهب الأشعري، ص 13.

<sup>3</sup> - الملطي: التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع، ص 30؛ جهود علماء المغرب في الدفاع عن عقيدة أهل السنة، ص 195

و هذا ما ذهب إليه أبو زهرة بقوله: "نشأت هذه الفرقـة في العصر الأموي. و لكنـها شـغلـتـ الفكرـ الإـسـلامـيـ فيـ العـصـرـ الـعـبـاسـيـ رـدـحاـ طـويـلاـ منـ الزـمـنـ . و يـخـتـلـفـ الـعـلـمـاءـ فيـ وقتـ ظـهـورـ المـعـتـلـةـ، فـبعـضـهـمـ يـرـىـ أـنـهـاـ اـبـتـدـأـتـ فيـ قـوـمـ مـنـ أـصـحـابـ عـلـيـ رـضـيـ اللـهـ عـنـهـ اـعـتـزـلـواـ السـيـاسـيـةـ وـ اـنـصـرـفـواـ إـلـىـ الـعـقـائـدـ عـنـدـمـاـ نـزـلـ الحـسـنـ عـنـ الـخـالـفـةـ لـمـاعـوـيـةـ بـنـ أـبـيـ سـفـيـانـ...ـ"ـ، وـ يـسـتـدـلـ هـذـاـ القـوـلـ منـ أـبـوـ الحـسـنـ الطـرـائـفـيـ فيـ كـاتـبـهــ أـهـلـ الـأـهـوـاءـ وـ الـبـدـعـ.<sup>1</sup>

**المذهب الثالث:** و هو مذهب جمهور مؤرخي الفرقـ، الذين يـرـونـ أنـ الـبـدـاـيـةـ الـحـقـيقـيـةـ لـظـهـورـ فـرـقـةـ المـعـتـلـةـ كـانـتـ عـلـىـ عـهـدـ وـاصـلـ بـنـ عـطـاءـ الـمـؤـسـسـ الـأـوـلـ لـفـرـقـتـهـ.<sup>2</sup>

وـ منـ هـنـاـ نـلـاحـظـ اـتـفـاقـ بـيـنـ مـعـظـمـ الـبـاحـثـيـنـ عـلـىـ مـسـأـلـةـ اـعـتـزـالـ وـاصـلـ بـنـ عـطـاءـ حـلـقـةـ أـسـتـاذـهـ الحـسـنـ الـبـصـرـيـ، بـسـبـبـ اـخـتـلـافـهـ مـعـهـ فيـ قـضـيـةـ مـرـتـكـبـ الـكـبـيـرـ كـمـاـ أـشـارـنـاـ لـهـ سـابـقـاـ، وـ هـوـ سـبـبـ تـسـمـيـةـ هـذـهـ فـرـقـةـ بـالـمـعـتـلـةـ، وـ يـؤـرـخـونـ لـظـهـورـهـاـ بـالـثـلـثـ الـأـوـلـ مـنـ الـقـرـنـ الثـانـيـ الـمـجـرـيـ ، وـ النـصـفـ الـأـوـلـ مـنـ الـقـرـنـ الثـامـنـ الـمـيـلـادـيـ ، وـ هـوـ الرـأـيـ الـرـاجـعـ عـنـدـهـمـ فيـ ظـهـورـ هـذـهـ فـرـقـةـ.

### 1-3-4-1- أصولهم وأهم عقائدهم:

### 1-3-4-1- أصولهم الخامسة:

### -التوحيد<sup>3</sup>:

يتـقـنـ أـهـلـ الـمـلـلـةـ عـلـىـ أـنـ اللـهـ وـاحـدـ، وـ هـوـ الـخـالـقـ الـمـدـبـرـ الـمـسـيرـ لـشـؤـونـ الـكـوـنـ، لـمـ يـلدـ لـمـ يـولـدـ، لـاـ شـرـيكـ لـهـ وـ لـاـ نـدـ. وـ يـأـخـذـ مـفـهـومـ التـوـحـيدـ عـنـدـ الـمـعـتـلـةـ -ـ هـوـ لـبـ مـذـهـبـهـ. وـ أـسـاسـ نـخـلـتـهـمـ دـلـالـةـ خـاصـةـ فـهـوـ يـعـنيـ تـنـزـيـهـ الـذـاتـ الـإـلـهـيـةـ مـنـ كـلـ مـاـ مـنـ شـأنـهـ أـنـ يـسـقطـنـاـ فيـ اـعـتـقـادـ الـتـعـدـدـ وـ التـشـبـيـهـ فيـ هـذـهـ الـذـاتـ، فـإـنـ كـلـ فـكـرـةـ قـدـ تـشـعـرـنـاـ بـأـنـ الـذـاتـ الـإـلـهـيـةـ تـعـدـداـ أوـ تـجـسـيـمـاـ ،ـ سـيـعـملـ الـمـعـتـلـةـ عـلـىـ رـفـضـهـاـ وـ تـبـرـيرـ ذـلـكـ الرـفـضـ عـقـلاـ وـ نـقـلاـ. فـالـآـيـاتـ مـثـلـاـ تـفـيدـ فيـ مـنـطـوـقـهـاـ تـجـسـيـمـ

<sup>1</sup> - أبو زهرة : تاريخ المذاهب الإسلامية، ص 118.

<sup>2</sup> - البغدادي، الفرق بين الفرق، ص 107؛ أبو زهرة: تاريخ المذاهب الإسلامية، ص 118؛ الشهرستاني: الملل والنحل، ج 1، ص 38؛ إبراهيم التهامي: جهود علماء المغرب في الدفاع عن عقيدة أهل السنة، ص 195؛ أحمد محمود صبحي: في علم الكلام، ج 1، ص 105؛ عبد العزيز المجدوب: الصراع المذهبي بأفريقية، ص 105؛ عواجي : فرق معاصرة، ج 1، ص 1163.

؛ عبد الحميد معلومي: المرجع السابق، ص 36؛ نوار نسيم: المرجع السابق، ص 35.

<sup>3</sup> - ينظر: شرح قول المعتزلة في التوحيد وغيره، الملحق رقم: 05، ص 368.

الذات الإلهية و تشبيهها مثل قوله تعالى: ﴿يَٰ اللَّهُ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾، و قوله عز وجل: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾، و قوله: ﴿وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾، تعتبر آيات متشابهات في نظرهم، تحتاج إلى تأويل عقلي كي لا تتناقض مع مفهومهم للتنزيه المطلق و مع آيات أخرى يعتبرونها محكمات مثل قوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ و قوله: ﴿وَلَمْ يَكُنْ لَّهُ كُفُواً أَحَدٌ﴾<sup>1</sup>، وقد برع المعتزلة في التأويل العقلي أيها براعة و اجتهدوا في ذلك حتى وضعوا للتأويل قانونا له دواعيه و شروطه و حدوده، و تماشيا مع فحوى التوحيد المعتزلي وقف المعتزلة من مسألة الذات الإلهية و علاقتها بالصفات موقفا يرى أن مجموع الصفات الإلهية التي وصف الله بها نفسه من قدرة و إرادة و علم، ليس لها وجود واقعي خارج الذات الإلهية لأنهم تفطنوا إلى أن إثبات الوجود الواقعي للصفات الإلهية من شأنه أن يوقع في التعدد إيماني القول بقدمينهما الله من جهة، و صفاتاته من جهة أخرى. لأجل هذا عمدوا إلى إدماج الصفات الإلهية. فقالوا: إن الله قادر بقدرة و قدرته عين ذاته. مرید بإرادته و إرادة عين ذاته. و هكذا دواليك بالنسبة لباقي صفات الذات. فأصبحت الصفات هي عين الذات الإلهية.<sup>2</sup>

و من ثم لم يعد ممكنا بالنسبة إليهم القول بأن هناك موضوعا وصفة. أو جوهرا و أعراضا، بل أن مفكرا معتزليا هو أبو هاشم الجبائي استطاع ببراعة و مرواغة لغوية أن يتجاوز مشكل علاقة الصفات بالذات من خلال وضعه لنظرية الأحوال. فالصفات عنده أحوال. و الحال هو كل صفة لموصوف لا تتصرف بالوجود و لا بالعدم. فمثلا بدل القول بأن الله يتصرف بصفة القدرة يقول إن الله على حال من القدرة، و بذلك يكون قد تجاوز التعدد في الذات الإلهية بهذه الطريقة.

<sup>1</sup> - سورة : الإخلاص، الآية: 04.

<sup>2</sup> - يحيى بن أبي الخبر العمري: الانتصار في الرد على المعتزلة القدرية الأشرار، ص69؛ الأشعري: مقالات إسلاميين، ص2016؛ البغدادي، الفرق بين الفرق، ص105؛ أبو زهرة: تاريخ المذاهب الإسلامية، ص120؛ الشهستاني، الملل والنحل، ج1، ص40؛ عواد بن عبد الله المعتق: المعتزلة و أصحابهم الخمسة و موقف أهل السنة منها، ص: 81-150؛ أحناة: تطور المذهب الأشعري، ص14؛ عواجي : فرق معاصرة، ج1، ص1164؛ عبد المنعم الحفني: الفرق والجماعات والمذاهب الإسلامية، ص358؛ عبد المجيد معلومي: المرجع السابق، ص38؛ عبد المحسن بن محمد العباد البدر: قطف الجنبي الداني "شرح مقدمة ابن زيد القير沃اني"، ط2، منار السبيل، الجزائر، 2003، ص26.

و في إطار أصل التوحيد كذلك طرح المعتزلة مسألة إمكانية رؤية الله ذلك أن هذه الإمكانيّة تطرح إشكالاً حول التنزيه المطلق للذات الإلهيّة باعتبارها ستؤدي إلى إلحاد جهة و المكان بالذات الإلهيّة، في حين أنها تعالى عن ذلك و تتنزه. لأجل ذلك عمد المعتزلة إلى رفض هذه الإمكانيّة رفضاً عقلياً، و أولوا الآية التي تفيد إمكانية الرؤية قوله تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾<sup>1</sup> تأويلاً عقلياً بارعاً.

أما مسألة خلق القرآن فإنها أيضاً طرحت إشكالاً على التنزيه المطلق للذات الإلهيّة، إذ لو كان القرآن و هو كلام الله قد ياماً لكان هناك قد ياماً هما الله و كلامه (القرآن)، و هذا سقوط في التعدد. لهذا التجأ المعتزلة إلى أن نظروا إلى صفة الكلام على أنها صفة فعل و خلق، و ليست صفة ذات، بمعنى أن كون الله متكلماً هو كونه فاعلاً بالكلام و خالقاً له. والقرآن بذلك مخلوق لله و فعلاً له.<sup>2</sup>

### - العدل :

لما كان المعتزلة قد نظروا إلى الله نظرة تنزيهية مطلقة، فنزعوه بذلك عن جميع النقائص بما في ذلك الظلم لأنّه قبح و نقىصة، لا يصدر إلا عن ذي فاقحة تحتاج أو عن جاحد. والله غير ذلك، فالله لا يمكن أن يتصرف بالظلم بتاتاً. و حتى ما نلاحظه من زلازل، و براكين، و كوارث طبيعية يذهب ضحيتها الأبرياء فإن المعتزلة يرون فيها صلاحاً للبشرية خفياً عليهم. لأن الله لا يفعل إلا ما يرى فيه أكبر قسط من الصلاح للبشرية. فلو أن هناك أمرين، أحدهما صالح و الآخر أصلح منه لكان الله فاعلاً للذي هو أصلح. و لقد أدى أصل العدل الإلهي بالمعزلة إلى طرح مشكل المسؤولية، و حرية الإرادة الإنسانية، فإذا كان الله لا يفعل القبح و لا ينبغي له، فكيف يمكن تفسير القضاء و القدر من هذا المنطق؟ الحقيقة أن المعتزلة أسندوا أفعال العباد إلى العباد أنفسهم، و جعلوهم

<sup>1</sup> - سورة: القيامة، الآية: 22، 23.

<sup>2</sup> - يحيى بن أبي الخير العمري: الانتصار في الرد على المعتزلة القدريّة الأشرار، ص 69؛ الأشعري: مقالات إسلاميين، ص 2016؛ البغدادي، الفرق بين الفرق، ص 105؛ أبو زهرة: تاريخ المذاهب الإسلامية، ص 120؛ الشهستاني، الملل والنحل، ج 1، ص 40؛ أحناة: تطور المذهب الأشعري، ص 14؛ عواجي: فرق معاصرة، ج 1، ص 1164؛ عبد المعمري: الفرق والجماعات والمذاهب الإسلامية، ص 358؛ عبد المجيد معلومي: المرجع السابق، ص 38؛ أحمد محمود صحي: علم الكلام، ج 1، ص 121.

## الفصل الأول : الأوضاع المذهبية في بلاد المغرب الإسلامي قبل القرن 5 هـ / 11 م

مسؤولين عما يفعلون، فهم مختارون لأفعالهم بإرادتكم الحرة، و الله لا يحاسبهم إلا على ما اقترفوا و فعلوا، فيثيب المحسنين و يعاقب المسيئين، لأنه لو كان الله يقدر على الناس ما يشاء، ثم يعاقبهم على ذلك لكان في ذلك ظلم، و هذا لا يصح في حق الله تعالى.<sup>1</sup>

### - الوعيد:

و هو الأصل الذي يرى بصدره المعتزلة أن الله قد وعد المؤمنين بالجنة، و توعد الكافرين بالنار، و هو عند وعده ووعيده، ملتزم بما لا يمكنه أن يخلفهما، لأنه لو فعل لكان كاذبا، و الكذب صفة قبيحة لا تليق بالذات الإلهية، و من هذا الباب نفي المعتزلة اللطف الإلهي و الشفاعة.<sup>2</sup>

### - المنزلة بين المنزليتين:

و هو أصل يعكس وجهة نظر المعتزلة من مرتكب الكبيرة، أنه كافر هو أم مؤمن؟ فقد ذهب المعتزلة بهذا الصدد إلى أن مرتكب الكبيرة لا كافر ولا مؤمن، فهو ليس كافر لأن الكافر هو الذي لا يعترف بأركان الإسلام، في حين أنه يفعل. وليس مؤمنا لأن المؤمن هو الذي يربط بين جانب الاعتقاد و جانب العمل. فمرتكب الكبيرة إذن في منزلة وسطى بين منزلة الكفر و الإيمان، و مصيره النار حالدا فيها، لكن عذابه خفف.<sup>3</sup>

<sup>1</sup> - يحيى بن أبي الخير العمري: الانتصار في الرد على المعتزلة القدريّة الأشرار، ص 69؛ أبو زهرة: تاريخ المذاهب الإسلامية، ص 121؛ عواد بن عبد الله المعتق: المعتزلة وأصولهم الخمسة و موقف أهل السنة منها، ص 151-208؛ أحناة: تطور المذهب الأشعري، ص 15؛ أحمد محمود صبحي: في علم الكلام، ج 1، ص 141؛ عواجي: فرق معاصرة، ج 1، ص 1165؛ عبد المنعم الحفني: الفرق والجماعات والمذاهب الإسلامية، ص 359؛ عبد الحميد معلومي: المرجع السابق، ص 38.

<sup>2</sup> - يحيى بن أبي الخير العمري: الانتصار في الرد على المعتزلة القدريّة الأشرار، ص 69؛ أبو زهرة: تاريخ المذاهب الإسلامية، ص 121، 122؛ الشهستاني، الملل والنحل، ج 1، ص 42، 43؛ عواد بن عبد الله المعتق: المعتزلة وأصولهم الخمسة و موقف أهل السنة منها، ص 209-254؛ أحناة: تطور المذهب الأشعري، ص 15؛ أحمد محمود صبحي: في علم الكلام، ج 1، ص 157؛ عواجي: فرق معاصرة، ج 1، ص 1165؛ عبد المنعم الحفني: الفرق والجماعات والمذاهب الإسلامية، ص 359؛ عبد الحميد معلومي: المرجع السابق، ص 38.

<sup>3</sup> - يحيى بن أبي الخير العمري: الانتصار في الرد على المعتزلة القدريّة الأشرار، ص 69؛ البغدادي، الفرق بين الفرق، ص 108؛ أبو زهرة: تاريخ المذاهب الإسلامية، ص 122؛ الشهستاني، الملل والنحل، ج 1، ص 42، 43؛ عواد بن عبد الله المعتق: المعتزلة وأصولهم الخمسة و موقف أهل السنة منها، ص 255-264؛ أحناة: تطور المذهب الأشعري، ص 16؛ أحمد محمود

## - الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر:

و هو الأصل الأخير الذي تمسك به المعتزلة شعارا لهم في دعوتهم الإصلاحية السياسية. فحيثما كان هناك فسق و فساد أو تظلم، سواء من طرف الحاكمين أو من طرف العامة إذا لا بد من تغيير المنكر و لو حتى على الخليفة لأنه في نظرهم إن كان ظالماً وجوب الخروج عليه و محاربته لإحقاق الحق و الأمر بالمعروف.<sup>1</sup>

### 2-3-4-1 - أهم عقائدهم:

إن جذور المعتزلة ترجع إلى حركات فكرية سابقة كمذهب القدرية الذين قالوا بالحرية الإنسانية، و آراء الجهمية<sup>2</sup> الذين نفوا الصفات عن الذات الإلهية، و إنكار رؤية الله، و تأكيد دور العقل في اكتشاف ما في الأشياء والأفعال من حسن و قبح. إذن المذهب الاعتزالي قد استنقى أفكاره من هذه الحركات الفكرية و أخضعتها لعملية تطوير واسعة.

و للمنتزلة كغيرهم من الفرق الكلامية آراء و أفكار و معتقدات كثيرة، يمكن عرض أهمها بإيجاز في النقاط الآتية:

- اختلفوا في المكان لله تعالى، فذهب بعضهم إلى أن الله تعالى في كل مكان بتدبيره، و هذا قول أبي المديلين و الجعفريين، و الإسكافي، و محمد بن عبد الوهاب الجبائي، و منهم من ذهب إلى

صبيحي: في علم الكلام، ج 1، ص 162؛ عواجي : فرق معاصرة، ج 1، ص 1165؛ عبد المنعم الحفي: الفرق والجماعات والمذاهب الإسلامية، ص 359؛ عبد الجيد معلومي: المرجع السابق، ص 38.

<sup>1</sup> - يحيى بن أبي الخير العمري: الانتصار في الرد على المعتزلة القدرية الأشرار، ص 69؛ أبو زهرة: تاريخ المذاهب الإسلامية، ص 122، 123؛ عواد بن عبد الله المعتق: المعتزلة و أصولهم الخمسة و موقف أهل السنة منها، ص 265-281؛ أحناة: تطور المذهب الأشعري، ص 16؛ أحمد محمود صبيحي: في علم الكلام، ج 1، ص 166؛ عواجي : فرق معاصرة، ج 1، ص 1165؛ عبد المنعم الحفي: الفرق والجماعات والمذاهب الإسلامية، ص 360؛ عبد الجيد معلومي: المرجع السابق، ص 39.

<sup>2</sup> - الجهمية: أصحاب جهم بن صفوان، و هو من الجبرية الخالصة، ظهرت بدعاته بترمذ، و قتلهم سلم بن أحوز المازني بمرو ، في آخر ملك بني أمية، و وافق المعتزلة في نفي الصفات الأزلية وزاد عليهم بأشياء، منها قوله: لا يجوز أن يوصف الباري تعالى بصفة بها خلقه، للمزيد ينظر: المقريزي: الموعظ و الاعتبار، ج 3، ص 407؛ الشهريستاني: الملل و النحل، ج 1، ص 73، 74.

## الفصل الأول : الأوضاع المذهبية في بلاد المغرب الإسلامي قبل القرن 5 هـ / 11 م

القول أن الله تعالى لا في مكان؛ بل هو على ما لم يزل عليه، و هذا قول هشام الفوطي و عباد بن سليمان و أبي زفر.<sup>1</sup>

- نفيهم عن الله عز وجل صفاته القديمة الأزلية، فقد لبس الشيطان عليهم حتى انساقوا في ذلك علم الكلام المذموم و الفلسفة الدخيلة المقوته فسموا ذمهم لله تعالى بإنكارهم لصفاته تعالى باسم ظاهره فيه الرحمة و باطنه من قبله العذاب، أي أن ظاهره التنزيه و لكن باطنه تمام التشبيه و التعطيل، كما نفوا عنه الرؤية

- اتفاقهم على القول بحدوث كلام الله، و حدوث أمره و نحيه و خبره.

- اتفاقهم على أن العبد قادر خالق لأفعاله خيرها و شرها، و ليس الباري سبحانه و تعالى خالقا لأفعالهم.

- اتفاقهم على أن الفاسق من أمة الإسلام في منزلة بين المنزتين لا مؤمن و لا كافر، و إذا خرج من الدنيا من غير توبة استحق الخلود في النار، و لكن عقابه أخف من عذاب الكفار.

- اتفاقهم على استحالة رؤية الله بالأبصار، يقول ابن حزم: "...ذهب المعتزلة و جهنم بن صفوان إلى أن الله تعالى لا يُرى في الآخرة..."<sup>2</sup>

- اتفاقهم على الحسن و القبح يجب معرفتهما بالعقل، و أنه يجب على الله تعالى من حيث الحكمة رعاية مصالح العباد.

و عموما اتفقوا على موقف واحدا من صفات الله تعالى، فقالوا بنفيها بعبارات تلبيسية من جهة، و تظاهروا بإثبات بعضها، و نفوا بها عنهم اتّهام غيرهم لهم بنفيها من جهة ثانية . و تأوّلوا الصفات الخبرية تأويلا تحريفيا من جهة ثالثة.<sup>3</sup>

<sup>1</sup> - عواجي: فرق معاصرة، ص 1175.

<sup>2</sup> - ابن حزم: الفصل في الملل والنحل، ج 3، ص 07؛ عواجي: فرق معاصرة، ص 1176.

<sup>3</sup> - خالد كبير علال: حناية المعتزلة على العقل و الشرع - مظاهرها، آثارها ، أسبابها - قراءة نقدية تكشف حنایات المعتزلة و تناقضاتهم و تحريفاتهم في حق العقل و الشرع -، ط 1، دار المحتسب، الجزائر، 2012، ص 06.

#### ٤-٤-١- أسماء المعتزلة:

ليس اسم المعذلة هو وحده الذي أطلق على هذه الفرق، بل هناك أسماء أخرى، منها من أطلقوها على أنفسهم، ومنها من أطلقها عليهم غيرهم:

**الفرقة العدلية:** يحب المعتزلة أن يتسموا باسم الفرقة العدلية، حيث أن العدل أهم أصولهم الخمسة، إذ يتضمن أغلب نظرياتهم فضلاً عن أن الأصول الثلاثة الأخيرة لازمة عنه، كما يحب أن يسموا أنفسهم بأهل العدل و التوحيد، أما خصومهم فقد نبذوهم بعدة ألقاب منها المعطلة لتنزيههم الله عن صفات المحدثين تنزيها ينطوي على كثير من الصفات السلبية إلى حد للتعطيل في رأي الخصوم.

القدريّة: كما سميت فرقة المعتزلة باسم القدريّة لقولهم بحرية الإنسان أو بالأحرى أن قدر الإنسان بيده، و بسبب موافقتهم القدريّة في إنكار القدر و إسنادهم أفعال العباد إلى قدرّتهم، و هو لا يرضون بهذا الاسم و يرون أنه ينبغي أن يطلق على الذين يقولون بالقدر خيره و شره من الله تعالى لا عليهم؛ لأنّهم لا يقولون بذلك، بل يقولون بأن الناس هم يقدرون أعمالهم، و كان أول

<sup>١</sup>المتكلمين في القدر و المقررين له عبد الجهني و غيلان الدمشقي.

الجهمية: أول من أطلق على المعتزلة لقب الجهمية هو الإمام أحمد بن حنبل في كتابه "الرد على الجهمية"؛ لأن مناظراته في زمانه كانت مع الجهمية في القول ببني الرؤبة و الصفات و خلق القرآن فضلا عن التأويل العقلي، و اعتبار العقل مصدر المعرفة، إن تلقيهم بالجهمية إنما كان لما وجد من موافقتهم لهم في تلك المسائل مع مراعاة سبقهم فيها على المعتزلة و تمهيدهم السبيل للتوسيع فيها، على أن نشير أن المعتزلة لا يعدون الجهم من رجاليهم أو طبقا لهم لاختلافهم معه في مسائل جوهريّة، فقد كان جهنم بن صفوان جبراً و المعتزلة قدرية، و الإيمان عند جهنم اعتقاد في القلب

<sup>1</sup> - يحيى بن أبي الخير العمري: الانتصار في الرد على المعتزلة القدريّة الأشارة، ص 68؛ أحمد محمود صبحي: في علم الكلام، ج 1، ص 1167؛ عواجي: فرق معاصرة، ج 1، ص 112.

فقط، بين معتزلة اعتقاد و قول و عمل، أي ما وقر في القلب و نطق به اللسان و صدقه<sup>1</sup>. العمل.

و قد ذكر المقرizi تسميات أخرى أطلقها الخصوم و لكنها ليست شائعة كاسم المفنية لقول أبي هذيل العلاف بفتاء حركات أهل الخلدين، و سميت باللفظية لقولهم ألفاظ القرآن مخلوقة ، كما سموا بالقبرية لأنكارهم عذاب القبر. و منها أيضا الثنوية و المحوسيه لمذهبهم القائل : الذي يقرر أن الخير من الله و الشر من العبد، و هو بذلك يشبه مذهب الثنوية و المحسون الذي يقرر بوجود إلهين : أحدهما للخير و الآخر للشر. و منها أيضا المعطلة، و الوعيدية.<sup>2</sup>

#### 4-5- فرق المعتزلة:

قبل الحديث عن هذه الفرق ، لا بد من الإشارة إلى أن هذه الفرق تجمعها مبادئ و تختلف في مبادئ أخرى، أولاً ما تتفق عليه: أن المعتزلة بفرقها المتعددة تجمع على أمور يسمونها الأصول الخمسة و هي: التوحيد، و العدل، و الوعد و الوعيد، و المنزلة بين المترتيين، و الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر.<sup>3</sup>

ثانياً ما تختلف فيه: إن المعتزلة كغيرها من الفرق - عند نشوئها- قد بدأت محدودة التفكير مقتصرة على الأصول الخمسة التي سبق ذكرها آنفا، و لكن سرعان ما تعمق المعتزلة في بحث تلك الأصول، و توسعوا في شرحها، فنشأ بذلك مسائل فرعية من هذه الأصول، و سبب ذلك الاعتماد على العقل، و عدم التقيد بالنصوص من الكتاب و السنة و أيضا انغماسهم في الفلسفة اليونانية التي أخذوا يدرسونها؛ و يستمدون بعض الأفكار و يمزجونها بعقيدة المسلمين، بسبب ذلك دب الخلاف بينهم، و تشعبت لآرائهم و اشتد الحوار و الجدل، فانقسموا إلى اثنين و عشرين فرقة

<sup>1</sup> - المقرizi: الموعظ و الاعتبار، ج3، ص407؛ أحمد محمود صحي: في علم الكلام، ج1، ص-ص، 111-113؛ عواجي: فرق معاصرة، ج1، ص1166.

<sup>2</sup> - المقرizi: الموعظ و الاعتبار، ج3، ص401؛ عواجي: فرق معاصرة، ص1167.

<sup>3</sup> - عواد بن عبد الله المعتق: المعتزلة و أصولهم الخمسة و موقف أهل السنة منها، ص51.

لكل واحدة منها أفكارها و آراؤها الخاصة، و تتبع كل فرقـة أحد رؤوس الإعتزال البارزين.<sup>1</sup> و هي: "الواصـلية<sup>2</sup>، و العـمرية، و الـهـذـلـيـة، و النـظـامـيـة، و الشـامـيـة، و المـعـمـرـيـة، و الـبـشـرـيـة، و الـهـشـامـيـة، و المـرـدـارـيـة، و الـجـعـفـريـة، و الـأـسـوـرـيـة، و الـأـسـكـافـيـة، و الـخـابـطـيـة و الـحـدـثـيـة، و الـمـوـيـسـيـة، و الـصـالـحـيـة ، و الـجـاحـظـيـة، و الـشـحـامـيـة، و الـخـيـاطـيـة، و الـجـبـائـيـة، و الـكـعـبـيـة، و الـبـهـشـمـيـة و الـحـمـارـيـة"<sup>3</sup>

#### 1-4-6- دخول و انتشار مذهب المعتزلة في المغرب الإسلامي:

لم يكن علم الكلام<sup>4</sup> مرغوبا فيه في المغرب الإسلامي، و كان رجاله منبودين من قبل علماء السنة الذين ناصبوا العداء كل اتجاه منحرف عن اتجاه أهل السنة. و لم يجد علم الكلام له نشاطا واسعا في المغرب، و لم يلق من التشجيع و كثرة الأنصار ما لقيه في المشرق، و ما من شك أن المذهب المالكي و هو صاحب السيادة المذهبية في هذا الجزء من العالم الإسلامي لعب دورا في فرض نفوذه و محاربة أي مذهب أو فكر ديني آخر، إلا أن هذا لا يعني أن المغرب كان خاليا تماما من هذا النوع من الفكر، بل المصادر تشير إلى أنه رغم العداء المستحكم من قبل أهل السنة المغاربة لعلم

<sup>1</sup> - عواد بن عبد الله المعتق: المعتزلة و أصولهم الخمسة و موقف أهل السنة منها، ص 52.

<sup>2</sup> - الواصـلـيـة: هـم أتـبـاعـ واـصـلـ بـنـ عـطـاءـ الغـزـالـ رـأـسـ المـعـتـزـلـةـ وـ دـاعـيـهـ إـلـىـ بـدـعـتـهـمـ بـعـدـ مـعـبدـ الـجـهـنـيـ، وـ غـيـلانـ الدـمـشـقـيـ، يـنـظـرـ: الـبـغـدـادـيـ: الـفـرـقـ بـنـ الـفـرـقـ، صـ 107ـ، الـشـهـرـ سـتـانـيـ: الـمـلـلـ وـ الـنـحـلـ، جـ 1ـ، صـ 40ـ.

<sup>3</sup> - عواد بن عبد الله المعتق: المعتزلة و أصولهم الخمسة و موقف أهل السنة منها، ص 52-76.

<sup>4</sup> - علم الكلام: توجد عدة تعريفات لعلم الكلام، نذكر منها تعريف الفارابي بأنه: "ملكة يقتدر بها الإنسان على نصرة الآراء والأفعال المحمودة التي صرـحـ بهاـ واضـعـ المـلـلـ، وـ تـزـيفـ كـلـ ماـ حـالـفـهـ بـالـأـقـاوـيلـ"، وـ أـيـضاـ يـعـرـفـ الإـيجـيـ فيـ الـمـوـاقـفـ بـقولـهـ: "علم يقتدر معـهـ علىـ إـثـبـاتـ العـقـائـدـ الـدـيـنـيـةـ بـإـيـارـادـ الـحـجـجـ وـ دـفـعـ الشـبـهـ، وـ المـرـادـ بـالـعـقـائـدـ ماـ يـقـصـدـ بهـ نفسـ الـاعـتـقادـ دونـ الـعـمـلـ، وـ بـالـدـيـنـيـةـ الـمـنـسـوـبـةـ إـلـىـ دـيـنـ مـحـمـدـ صـلـىـ اللـهـ عـلـيـهـ وـ سـلـمـ، فـإـنـ الـخـصـمـ وـ إـنـ خـطـأـنـاهـ لـاـ نـخـرـجـهـ مـنـ عـلـمـ الـكـلـامـ"، وـ إـنـ كـانـ كـلـ منـ الـفـارـابـيـ وـ الإـيجـيـ قدـ جـعـلـ عـلـمـ الـكـلـامـ يـقـومـ عـلـىـ الـعـقـيـدةـ الـإـسـلـامـيـةـ دـوـنـ تـمـيـزـ بـيـنـ الـفـرـقـ الـإـسـلـامـيـةـ، فـإـنـاـ بـخـدـمـةـ بـنـ خـلـدونـ يـخـصـرـ التـعـرـيفـ فـيـ نـصـرـةـ الـاعـتـقادـاتـ عـلـىـ مـذـهـبـ السـلـفـ وـ أـهـلـ السـنـةـ وـ يـخـرـجـ باـقـيـ الـفـرـقـ فـيـ تـعـرـيفـهـ لـعـلـمـ الـكـلـامـ": هوـ عـلـمـ يـتـضـمـنـ الـحـاجـاجـ عـلـىـ الـعـقـائـدـ الـإـيمـانـيـةـ بـالـأـدـلـةـ الـعـقـلـيـةـ وـ الرـدـ عـلـىـ الـمـبـتـدـعـةـ الـمـتـحـرـفـينـ فـيـ الـعـقـيـدـاتـ عـلـىـ مـذـهـبـ السـلـفـ وـ أـهـلـ السـنـةـ"، وـ هوـ فـيـ هـذـاـ يـوـافـقـ مـاـ ذـهـبـ إـلـيـهـ الـغـرـاـيـ فـيـ المـنـقـذـ مـنـ الضـلـالـ، مـنـ خـالـلـ الـتـعـرـيفـاتـ السـابـقـةـ يـمـكـنـاـ أـنـ نـسـتـخلـصـ أـنـ عـلـمـ الـكـلـامـ يـقـومـ عـلـىـ إـثـبـاتـ الـعـقـيـدةـ الـدـيـنـيـةـ عـنـ طـرـيقـ الـأـدـلـةـ الـعـقـلـيـةـ، فـهـوـ بـذـلـكـ يـقـومـ بـتـوـضـيـعـ أـصـوـلـ الـعـقـيـدةـ وـ شـرـحـهـاـ وـ تـدـعـيمـهـاـ بـالـأـدـلـةـ الـعـقـلـيـةـ. يـنـظـرـ: الإـيجـيـ: الـمـوـاقـفـ، صـ 07ـ؛ عـبـدـ الرـحـمـنـ بـنـ خـلـدونـ: الـمـقـدـمـةـ، دـارـ الـعـودـةـ، بـرـوـتـ، 1981ـمـ، صـ 303ـ؛ عـلـيـ عـبـدـ الـفـتـاحـ الـمـغـرـبـيـ: الـفـرـقـ الـكـلـامـيـ (ـمـدـخـلـ وـ درـاسـةـ)، طـ 2ـ، مـكـتبـةـ وـهـبـةـ، الـقـاهـرـةـ، 1995ـ، صـ 11ـ.

الكلام فقد وجد له أنصار، و في ذلك يذكر الإمام ابن حزم في رسائله فيقول: "...و أما علم الكلام فإن بلادنا و إن كانت لم تتجاذب فيها الخصوم و لا اختلفت فيها النحل، فقل لذلك تصرفهم في الباب، فهي على كل حال غير عربة عنه، وقد كان فيهم قوم يذهبون إلى الاعتزال، نظار في أصول الدين و لهم فيها تأليف".<sup>1</sup>

و لقد كانت المعتزلة من أقدم الفرق دخولاً إلى المغرب و من أكثرها تأثيراً فيه، و لكن الذي يلاحظ بادئ ذي بدء أن المعلومات المتوفرة عن هذه الفرقة و فكرها، نادرة جداً، فما هي إلا إشارات عابرة لا تكاد تفي بالمقصود و تراجم رجالها أيضاً نادرة. لعل السبب في ذلك يرجع إلى أن علماء المغرب من أهل السنة لم يكونوا يرون المبدعة من العلماء، و لا يعدون خلافهم حلافاً، و لذلك أسقطوهم من طبقاتهم التي ألغوها في الرجال؛ و هو نوع من أنواع المقاومة لفکرهم، على الرغم من أن كثيرًا منهم كان لهم بروز في فنون أخرى من العلوم كالفقه و اللغة، و لكن ذلك لم يشفع لهم عند المغاربة ما دام الأصل غير سليم، و في هذا المعنى يقول ابن عبد البر: "أجمع أهل الفقه و الآثار من جميع الأمصار أن أهل الكلام أهل بدع و أهواء و زيف و لا يعدون عند الجميع في جميع الأمصار في طبقات العلماء، و إنما العلماء أهل الأثر و التفقه فيه".<sup>2</sup>

لكن رغم ذلك كله، فإن الباحث يستطيع من خلال تلك الإشارات المتوفرة أن يرسم صورة عن دخول الاعتزال إلى المغرب، و الأسباب التي ساعدت على انتشاره. يمكن أن نقسم الأسباب التي ساعدت على دخول الاعتزال إلى بلاد المغرب إلى أسباب مباشرة و أسباب غير مباشرة، و نقصد بال مباشرة وفود بعض رجال الاعتزال على المغرب من المشرق لنشر الاعتزال به، و تذكر المصادر في هذا الصدد أن واصل بن عطاء رأس المعتزلة و أحد مؤسسي مذهبهم، أرسل داعيته عبد الله بن الحارث إلى المغرب للدعوة لهذا المذهب. و كانت عادة مؤسسي المذاهب إرسال دعاهم إلى البلاد المختلفة للدعوة إلى مذهبهم و نشرها في الناس، فكان نصيب عبد الله بن الحارث من نصيب بلاد المغرب. و قد تمكّن هذا الرجل من اجتذاب كثير من سكان البربر إلى دعوته، خاصة لدى

<sup>1</sup> - إبراهيم التهامي: جهود علماء المغرب في الدفاع عن عقيدة أهل السنة ، ص 195 ، 196.

<sup>2</sup> - عبد العزيز المحدوب:صراع المذهبين بأفريقيا،ص 106؛ إبراهيم التهامي: جهود علماء المغرب في الدفاع عن عقيدة أهل السنة ، ص 196.

القبائل البربرية<sup>1</sup> الخارجية، و امتد تأثيره حتى بلغ مساحات شاسعة من بلاد المغرب مما جعل ياقوت الحموي يذكر أن " جمع الواصلية ( أصحاب واصل بن عطاء) كان قريبا من تيهرت، و كان عددهم نحو الثلاثين ألفا في بيوت كبيوت الأعراب يحملونها."، و على الرغم مما قام به المعتزلة الواصلية من دور معادي لأئمة بنى رستم إلا أنهم حضوا بتسامح ديني إلى أبعد الحدود، ذلك ان تاريخ المنطقة شهد فترات من وقائع الخلاف و التقارب بين المعتزلة و الإباضية<sup>2</sup> و لعل السبب في سرعة انتشار الاعتزاز في تلك القبائل، أن أهلها كان عندهم استعداد لتقبل أي دعوة جديدة، ففي هذه القبائل كانت قد انتشرت من قبل الديانة البراغواطية<sup>3</sup> فوجد ابن الحارث في هذه القبائل تربة صالحة لنشر مذهبة.

إلى جانب الأسباب المباشرة لدخول الاعتزاز إلى المغرب هناك أسباب غير مباشرة تمثل في وفود بعض الأقوام من الشام و من العراق من يدينون بالفكرة الاعتزالية مع الولادة في أوقات مختلفة، و احتلتهم الوظائف الإدارية و العسكرية، فكان لهم بذلك دور كبير في التمكين للاعتزال بالمغرب.<sup>4</sup> و منها أيضاً تذهب معظم الأمراء الأغالبة بالاعتزاز، و لا شك أنهم كانوا في ذلك مقلدين لمن انتسب لمذهب المعتزلة من خلفاء بني العباس أمثال المؤمن و المعتصم و الواثق<sup>5</sup> و من الأسباب غير المباشرة أيضاً رجوع بعض من رحل من المغرب بعد أن تشعروا بأفكار المعتزلة التي درسوها على رجالها المختصين الذين كانوا ينتشرون، و كان لهؤلاء دور كبير أو أثر عميق في نشر آراء المعتزلة و

<sup>1</sup> - انتشر الاعتزاز بين قبائل زناتة و مزاتة كما قيا إن زعيم أوربة إسحاق بن محمد بن عبد الحميد كان معتزليا - ، ينظر: ابن حوقل : صورة الأرض،ص94؛ البكري: المغرب في ذكر بلاد افريقيا و المغرب،ص118.

<sup>2</sup> - ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج2،ص-9 عبد العزيز المخodor:الصراع المذهبي بإفريقيا،ص106؛ إبراهيم التهامي: جهود علماء المغرب في الدفاع عن عقيدة أهل السنة ، ص197؛ نسيم نوار ، المرجع السابق،ص36.

<sup>3</sup> - الديانة البراغواطية : نسبة إلى برغواطة و هي أخلاق من قبائل شتى من البربر المصامدة، اجتمعوا إلى صالح بن طريف، كانت مواطنهم بين سائط تامسنا و ريف البحر، حيث ادعى النبوة أيام هشام بن عبد الملك...للمزيد ينظر: ابن عذاري المراكشي: البيان المغرب في أخبار الأندلس و المغرب، ج1،ص 56، 57؛ ألفرد بل: المرجع السابق،ص-173-179.

<sup>4</sup> - عبد العزيز المخodor:الصراع المذهبي بإفريقيا،ص106؛ إبراهيم التهامي: جهود علماء المغرب في الدفاع عن عقيدة أهل السنة ، ص197.

<sup>5</sup> - عواد بن عبد الله المعتق: المعتزلة و أصولهم الخمسة و موقف أهل السنة منها، ص: 40- 43 ؛ نسيم نوار : المرجع السابق، ص36.

## الفصل الأول : الأوضاع المذهبية في بلاد المغرب الإسلامي قبل القرن 5 هـ / 11 م

معتقداتهم، أمثال سليمان بن أبي عصفور المعروف بالفراء أحد الفقهاء الأحناف في العهد الأغلبي رحل إلى العراق، ثم عاد يطرح العقائد الاعتزالية التي تلقاها عن أئمة الاعتزال بالشرق أمثال: بشر المرسي و أبي المذيل و غيرهما، عبر التأليف، حيث كان قد ألف عدة مؤلفات في الجانب العقدي على طريقة المعتزلة مثل: "أعلام النبوة"، و عدة كتب في "خلق القرآن"، وقد تميز الرجل بقدرة فائقة على الجدل و المناظرة، و بخاصة فيما يتعلق بالقرآن، و قام يحيى بن عون سليمان بن عصفور بنفس الدور الذي قام به بشر المرسي في الشرق، حيث نشر البدعة في كل مدينة من مدن المغرب و كل زاوية من زواياه، و أصبح هو شيخ المعتزلة بالقروان، و هناك فقيه آخر، هو عبد الله بن الأشج رحل إلى العراق ثم عاد إلى القروان، ليساهم في نشر الفكر الاعتزالي، و كان من أهل المناظرة و الجدل ، و عند عودته سُأله: فِيمَ يَكْلُمُ أَهْلَ قَبْرِيَّةٍ؟ فَقَبِيلٌ لَهُ: فِي الْأَسْمَاءِ وَ الصَّفَاتِ.  
فقال: إنما تركت الناس في العراق يتكلمون في مسائلتين: مسألة القدر، و مسألة الوعد و الوعيد.  
و لقد تأثر كثير من رجال المغرب بالأراء الاعتزالية، و تذهبوا بمذهبهم، من بينهم ابن أبي الججاد من قاد المدرسة الاعتزالية بالمغرب، و كان مذهبهم، و كذلك الحال لأبي إسحاق المعروف بالعمشاء الذي كان من أعلام رجالهم، و كان يذهب بخلق القرآن و يناظر فيه المناظرة الشديدة، و من أكثر رجالهم تصرفًا في علم الكلام و الجدل أبو الفضل المعروف بابن ظفر الذي كان يقول بخلق القرآن و يناظر فيه، و رجل آخر يدعى محمد الكلاعي، كان أيضًا من أهل المناظرة و الجدل على مذهب المعتزلة. و منهم أيضًا محمد المعروف بالمسحي الذي كان مقصد المعتزلة لتقديمه في المناظرة بخلق القرآن، و رجل يدعى ابن أبي روح و يلقب بالبغلة الذي كان معنيا بالجدل في الأسماء و الصفات، و منهم عبد الأعلى بن وهب بن عبد الأعلى (ت 261هـ/875م)، الذي كان يذهب بالقول أن الأرواح تموت، و كان ينسب إلى القدر.<sup>1</sup>

و منهم محمد بن الأسود الصدّيني الذي كان على مذهب المعتزلة، و تبوأ منصب القضاء في الدولة الأغلبية على عهد زيادة الله الثاني بن الأغلب ، و قد عسف و ظلم العامة، و صفت القاضي عياض بأنه: "كان خبيثاً معتزلياً" ، و قد عزله و عين في مكانه حماس بن مروان، حيث

<sup>1</sup> - إبراهيم التهامي: جهود علماء المغرب في الدفاع عن عقيدة أهل السنة ، ص 198.

كتب إليهم: "إني قد عزلت عنكم الجافي المبتدع، ووليت حماس بن مروان لرأفته ورحمته وطهارته وعلمه بالكتاب والسنّة".<sup>1</sup>

و منهم عبد الله بن مسرا (ت 286هـ/899م) فقد كان متأثراً بالاعتزال، و من رجالهم أيضاً رجل يدعى أحمد بن عبد الوهاب بن يونس المعروف بابن صلٰى الله (ت 369هـ/979م) كان بصيراً بالحجاج، و كان ينسب إلى الاعتزال.<sup>2</sup>

### 5-1- المرجئة:

#### 1-5-1 التعريف بالمرجئة:

لغة:

كلمة المرجئة اسم فاعل من الإرجاء ، ويطلق على معانٍ كثيرة منها: الأمل و الخوف و التأخير و إعطاء الرجاء قال تعالى: ﴿ وَتَرْجُونَ مِنَ اللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ ﴾<sup>3</sup> ، أي لكم أمل في الله لا يوجد عندهم، و قال تعالى: ﴿ مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ﴾<sup>4</sup> ، أي مالكم لا تخافون من عذاب الله تعالى؟ أما الإرجاء بمعنى التأخير فمثل قوله تعالى: ﴿ قَالُوا أَرْجِهِ وَ أَخَاهُ ﴾<sup>5</sup> ، قرئ أرجه و أرجئه أي أخرهن و قال تعالى: ﴿ وَآخِرُهُنَّ مُرْجُونَ لِأَمْرِ اللَّهِ ﴾<sup>6</sup> ، و قرئ مرجون، ويقال هذا رجل مرجيٌّ، و هم مرجئة، و إن شئت قلت مرجٌّ و هم مرجية، و قيل: إنما قيل لهذه العصابة المرجئة؛ لأنهم قدموا القول و أرجعوا العمل؛ أي أخروه.<sup>7</sup>

بينما ذهب الشهريستاني في تعريفهم بقوله: "الإرجاء على معينين أحدهما: التأخير، قال تعالى: ﴿ قَالُوا أَرْجِهِ وَ أَخَاهُ ﴾ أي أمehr و آخره، و الثاني إعطاء الرجاء، أما إطلاق اسم المرجئة على

<sup>1</sup> - القاضي أبو الفضل عياض: ترجم أغليبة (مستخرج من مدارك القاضي عياض)، تحقيق محمد الطالبي، المطبعة الرسمية للجمهورية التونسية، تونس، 1968، ص 344.

<sup>2</sup> - إبراهيم التهامي: جهود علماء المغرب في الدفاع عن عقيدة أهل السنة، ص 199.

<sup>3</sup> - سورة النساء، الآية: 103.

<sup>4</sup> - سورة نوح ، الآية: 13.

<sup>5</sup> - سورة الأعراف ، الآية: 110؛ سورة الشعراء ، الآية: 35.

<sup>6</sup> - سورة التوبه ، الآية: 107.

<sup>7</sup> - الأشعري: مقالات إسلاميين، ص 197، عواجي: فرق معاصرة، ص 1071.

## الفصل الأول : الأوضاع المذهبية في بلاد المغرب الإسلامي قبل القرن 5 هـ / 11 م

الجماعة بالمعنى الأول فصحيح، لأنهم كانوا يؤخرن العمل عن النية و العقد، و أما بالمعنى الثاني ظاهر، لأنهم كانوا يقولون لا يضر مع الإيمان معصية كما لا ينفع مع الكفر طاعة.<sup>1</sup>

اصطلاحا:

الإرجاء في الاصطلاح مأخذ من معناه اللغوي؛ أي بمعنى التأخير و الإمهال، و هو إرجاء العمل عن درجة الإيمان، و جعله في منزلة ثانية بالنسبة للإيمان لا أنه جزء منه، و أن الإيمان يتناول الأعمال على سبيل المجاز، بينما هو حقيقة في مجرد التصديق، كما أنه قد يطلق على أولئك الذين كانوا يقولون: لا تضر مع الإيمان معصية كما لا تنفع من الكفر طاعة.

و يقول الأشعري : " وإنما سمو مرحلة لأنهم أخروا العمل عن الإيمان، و الإرجاء بمعنى التأخير،  
يقال: أرجيته، و أرجأته، إذا أخرته".

كما ذهب آخرون في تعريف الإرجاء إلى أنه يراد به تأخير حكم صاحب الكبيرة إلى يوم القيمة،  
فلا يقضى عليه في الدنيا بحكم ما.<sup>2</sup>

و قد سميت هذه الطائفة بالمرحنة، من الإرجاء و هو التأخير، لأنهم يرجئون الحكم على العصاة من المسلمين إلى يوم البعث، كما يتحرجون من إدانة أي مسلم مهما كانت الذنوب التي اقترفها، يقول عضد الدين الإيجي : " المرحنة، لقبوا به لاتهم يرجئون العمل عن النية أو لأنهم يقولون: لا يضر الإيمان معصية، فهم يعطّلون الرجاء ".<sup>3</sup>

بينما يذهب الشهريستاني في تعريفهم فيقول: " و قيل الإرجاء تأخير صاحب الكبيرة إلى القيمة فلا يقضى عليه بحكم ما في الدنيا من كونه من أهل الجنة، أو من أهل النار... و قيل الإرجاء تأخير علي - عليه السلام - عن الدرجة الأولى إلى الرابعة...".<sup>4</sup>

<sup>1</sup> - الشهريستاني: الملل والنحل، ج 1، ص 137.

<sup>2</sup> - الأشعري : مقالات الإسلاميين، ص 197 ; أحناة: تطور المذهب الأشعري، ص 12؛ عواجي: فرق معاصرة، ص 1082، 1083.

<sup>3</sup> - الإيجي : المواقف في علم الكلام ، ص 427.

<sup>4</sup> - الأشعري : مقالات الإسلاميين، ص 197 ; الشهريستاني: الملل والنحل، ج 1، ص 137 .

## 1-5-2- نشأة المرجئة في المشرق الإسلامي:

لقد ذكرنا سابقاً أن عملية التحكيم قد شكلت خيبة أمل كبيرة في صفوف أتباع علي رضي الله عنه، و أبرزت لنا ثلاث طوائف تبنت مواقف متباعدة، طائفة كفرت علياً رضي الله عنه، لأنها قبل بالتحكيم، و خرجت عن صفوفه و سميت بذلك بالخوارج، و طائفة ظلت متشبّهة بموقفها السياسي الداعم لعلي رضي الله عنه، و التشيع له دون قيد و هي التي عرفت بالشيعة، أما الطائفة الثالثة فإنّها التزمت الحياد السياسي، و لم تساند لا علياً رضي الله عنه و لا معاوية، و لم تحارب أي أحد منهما، وهي التي أطلق عليها طائفة المرجئة.

يرى أبو زهرة في ظهور: "هذه الفرقة نشأت في وسط شاع فيه الكلام من مرتكب الكبيرة: أهو مؤمن أم غير مؤمن؟ فالخوارج قالوا كافر، و المعتزلة قالوا غير مؤمن، و قد سمي مسلماً، و الحسن البصري و طائفة من التابعين قالوا: أنه منافق، لأن الأعمال دليل على القلوب، و ليس اللسان دليلاً على الإيمان، و قال الجمهور من المسلمين: هو مؤمن عاص أمره بيد الله إن شاء عذبه، و إن شاء عفا عنه. و في وسط هذا الاختلاف جهرت هذه الفرقة بأنه لا يضر مع الإيمان ذنب، كما لا ينفع مع الكفر طاعة. و من المتمم إلىهم من قال أن أمر مرتكب الكبيرة يرحاً إلى

<sup>1</sup> الله يوم القيمة"

و لقد احتمم النزاع بين أهل السنة و الخوارج و المعتزلة من جانب، و بين المرجئة من جانب آخر في دخول الأعمال في مسمى الإيمان، فقالت الخوارج أن مرتكب الذنب مخلد في النار، و المعتزلة تراه في منزلة بين المنزلتين في الدنيا و في الآخرة مصيره النار، فإذا بالمرجئة توسع المجال، فزعمت أنه مؤمن كامل الإيمان لم يتأثر إيمانه بالكبيرة مطلقاً؛ لأنه مصدق بقلبه فلا مجال لأن يتأثر إيمانه؛ لأن الإيمان عندهم - على هذا المفهوم - لا يزيد و لا ينقص بل يبقى إيمانه كاملاً إذا كان التصديق موجوداً في قلبه. و في الحقيقة أن مذهب المرجئة تطور على هذا المفهوم حتى صار أوسع المذاهب و أكثرها تساهلاً.<sup>2</sup>

<sup>1</sup> - أبو زهرة: تاريخ المذاهب الإسلامية، ص 113؛ معلومي: المرجع السابق، ص 39.

<sup>2</sup> - عواجي: فرق معاصرة، ص 1080.

و في هذا الصدد يقول أبو زهرة: "...وفي ظل هذه الأقوال غير السليمة وجد المتعقبين لهذا المذهب من يستهين بحقائق الإيمان وأعمال الطاعات، و منهم من يستهين بالفضائل، و اتخاذ مذهبًا له كل مفسد مستهتر، حتى لقد ذكر فيه المفسدون، و اتخذوا ذريعة لاتهامهم، و منهلاً لمفاسدهم، حيث صادف هذا المذهب هو أكثـر المفسدين."<sup>1</sup>، و يذكر أن أبو الحسن بن محمد - المعروف بن الحنفية - هو أول من ذكر الإرجاء - مرجحة السنة - في المدينة بخصوص علي و عثمان و طلحـة و الزبير رضي الله عنـهم، حينـما خاض الناس فيـهم و هو سـاكت ثم قال: قد سـمعت مـقالـتكم و لم أـر شيئاً أـمثلـ منـ أنـ يرجـأـ علىـ وـ عـثـمانـ وـ طـلـحـةـ وـ الزـبـيرـ رـضـيـ اللهـ عـنـهـمـ، فـلاـ يـتـولـواـ لـاـ يـتـبرـأـ مـنـهـمـ، وـ لـكـنـهـ نـدـمـ بـعـدـ ذـلـكـ عـلـىـ هـذـاـ القـوـلـ وـ تـمـنـيـ أـنـهـ مـاتـ قـبـلـ أـنـ يـقـولـهـ، فـصـارـ كـلـامـهـ بـعـدـ ذـلـكـ طـرـيـقاًـ لـنـشـأـةـ القـوـلـ بـالـإـرـجـاءـ، وـ لـمـ يـلـفـتـ الـذـيـنـ تـبـنـواـ القـوـلـ بـالـإـرـجـاءـ إـلـىـ نـدـمـ الـحـسـنـ بـعـدـ ذـلـكـ".<sup>2</sup>

### 3-5-1- مبادئ وأسس مذهب المرجحة:

إن الأساس الذي قام عليه مذهب الإرجاء هو الخلاف في حقيقة الإيمان و مم يتألف، و هل الإيمان فعل القلب فقط أو فعل اللسان، أو هو فعل القلب و اللسان معا؟ إلا أن أكثر فرق المرجحة اتفقت على أن الإيمان هو مجرد ما في القلب و لا يضر مع ذلك أن يظهر من عمله ما ظهر، حتى و إن كان كفر و زندقة، و هذا مذهب جهم بن صفوان، و لا عبرة عنده بالإقرار باللسان و لا بالأعمال أيضا؛ لأنها ليست جزاءاً من حقيقة الإيمان.<sup>3</sup>

حيث أن ارتكاب المحظورات و ترك الفرائض هو من جنس الأعمال لا الاعتقادات، فاتفقت سائر فرقهم على إخراج الأعمال من مسمى الإيمان حتى يسلم لهم الأصل المذكور، فيظل تارك الفريضة أو مرتكب المحرم مؤمناً، بل لم يتورع بعضهم عن التصريح بمساواة إيمانه بإيمان الملائكة و النبيين بناء على هذا الأصل.<sup>4</sup>

<sup>1</sup> - أبو زهرة: تاريخ المذاهب الإسلامية، ص 115، 116.

<sup>2</sup> - المقريزي: الموعظ و الاعتبار، ج 3، ص 404؛ سفر بن عبد الرحمن الحوالي: ظاهرة الإرجاء في الفكر الإسلامي، ط 1، دار الكلمة للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، 1999، ص 244؛ عواجي: فرق معاصرة، ص 1071.

<sup>3</sup> - عواجي: فرق معاصرة، ص 1076.

<sup>4</sup> - سفر الحوالي: ظاهرة الإرجاء، ص 244.

و يظهر أن المرجعية قد أخذوا مسألة العمل بنوع من الم Hazel ، يقول الإمام أبو زهرة: "... و يظهر من هذا أنهم تجاوزوا الحد في الاستهانة بالعمل، من حيث اتصاله بأصل الإيمان، و من حيث أثره في دخول الجنة إن كان صالحاً و دخول النار إن كان غير صالح..."<sup>1</sup>

و قد اختلفت فرق المرجئة في محل الإيمان فمنهم من يقول أن محله القلب، و منهم من يضيف إليه إقرار اللسان، و الذين قالوا محله القلب اختلفوا في التسمية، فقال بعضهم: هو المعرفة، و قال آخرون: هو التصديق،<sup>2</sup> فقد ذهبت الكرامية منهم إلى أن الإيمان هو القول باللسان، و لا يضر مع ذلك أن ييطن أي معتقد حتى وإن كان الكفر، و ذهب أبو حنيفة رحمه الله إلى أن الإيمان هو التصديق بالقلب و الإقرار باللسان، لا يعني أحدهما عن الآخر، أي فمن صدق بقلبه و أعلن التكذيب بلسانه لا يسمى مؤمناً.<sup>3</sup>

يلاحظ من خلال هذه النصوص أن المرجئة بالغوا في إثبات الوعد عكس الخارج و المعتزلة المبالغين في إثبات الوعيد، و كانوا يرجون المغفرة و الثواب لأهل المعاصي، و يرجحون حكم أصحاب الكبائر إلى الآخرة، فلا يحكمون عليهم بکفر، و لا فسق، يقولون: إن الإيمان هو التصديق بالقلب و اللسان، و أنه لا يضر مع الإيمان معصية كما لا ينفع مع الكفر طاعة. و من هنا تحولت المرجئة إلى فرقة سياسية متطرفة، و ظهرت على الساحة كثالث حزب معارض بعد الشيعة و الخارج.

### **١-٥-٣-٥-٣ فرق المرجئة:**

يقول البغدادي: " و المرجئة ثلاثة أصناف: صنف منهم قالوا بالإرجاء في الإيمان و بالقدر على مذاهب القدرية المعتزلة: كغيلان، و أبي شمر ، و محمد بن شبيب البصري، و هؤلاء داخلون في مضمون الخبر الوارد في لعن القدرية، و المرجئة يستحقون اللعنة من وجهين. و صنف منهم قالوا بالإرجاء بالإيمان، و بالجبر في الأعمال، على مذهب جهم بن صفوان، فهم إذا من جملة الجهمية. و الصنف الثالث منهم خارجون عن الجبرية و القدرية، و هم فيما بينهم خمس فرق: اليونيسية، و الغسانية، و الشوبانية، و التومنية، و المريمية". و روى عن النبي صلى الله عليه وسلم

<sup>1</sup> - أبو زهرة: تاريخ المذاهب الإسلامية، ص 115.

.274 - سفر الحوالي: ظاهرة الإرجاء، ص<sup>2</sup>

3 - عواجي: فرق معاصرة، ص 1076.

## الفصل الأول : الأوضاع المذهبية في بلاد المغرب الإسلامي قبل القرن 5 هـ / 11 م

أنه قال: "لعت المرجئة على لسان سبعين نبياً"، قيل: من المرجئة يا رسول الله؟ قال: "الذين يقولون الإيمان كلام" ، يعني الذين زعموا أن الإيمان هو الإقرار وحده دون غيره.<sup>1</sup> و الفرق الخمس التي ذكرناها من المرجئة تضل كل فرقة منها أختها و يضللهما سائر الفرق، و سندكرها على التفصيل إن شاء الله عز وجل.

**اليونسية:** هؤلاء أتباع يونس بن عون الذي زعم أن الإيمان في القلب و اللسان، و أنه هو المعرفة بالله تعالى، و المحبة و الخضوع له بالقلب، و الإقرار باللسان انه واحد قال تعالى: ﴿لَيْسَ كَمُثْلِهِ شَيْءٌ﴾<sup>2</sup> ، ما لم تقم حجة الرسل عليهم السلام، فإن قامت عليهم حجتهم لزمهم التصديق لهم، و معرفة ما جاء من عندهم في الجملة من الإيمان، و ليست معرفة تفصيل ما جاء من عندهم إيماناً و لا من جملته. و زعم هؤلاء أن كل خصلة من خصال الإيمان ليست بإيمان، و مجموعها إيمان.<sup>3</sup>

**الغسانية:** هؤلاء أتباع غسان المرجئي الذي زعم أن الإيمان هو الإقرار أو المحبة لله تعالى و تعظيمه و ترك الاستكبار عليه، و قال: "إنه يزيد ولا ينقص" ، و فارق اليونسية بأن سمى كل خصلة من الإيمان بعض الإيمان، و زعم غسان هذا في كتابه أن قوله في هذا الكتاب كقول أبي حنيفة فيه، و هذا غلط منه عليه؛ لأن أبو حنيفة قال: "إن الإيمان هو المعرفة و الإقرار بالله تعالى و برسله و بما جاء من الله تعالى و رسالته الجملة دون التفصيل، و إنه لا يزيد و لا ينقص، و لا يتفضل الناس فيه" ، و غسان قد قال بأنه يزيد و لا ينقص.<sup>4</sup>

**التومنية:** هؤلاء أتباع أبي معاذ التومي الذي زعم أن الإيمان ما عصم من الكفر و هو اسم لخصال من تركها أو ترك خصلة منها كفر، و مجموع تلك الخصال إيمان، و لا يقال للخصلة منها إيمان و لا بعض إيمان.

<sup>1</sup> - البغدادي: الفرق بين الفرق، ص 178؛ معلومي: المرجع السابق، ص 40.

<sup>2</sup> - سورة الشورى، الآية: 09.

<sup>3</sup> - المقريزي: الموعظ و الاعتبار، ج 3، ص 405؛ الإيجي: المواقف في علم الكلام، ص 427؛ الأشعري: مقالات الإسلاميين، ص 198؛ البغدادي: الفرق بين الفرق، ص 178

<sup>4</sup> - المقريزي: الموعظ و الاعتبار، ج 3، ص 405؛ الإيجي: المواقف في علم الكلام، ص 427؛ البغدادي: الفرق بين الفرق، ص 179

و قال: "كل ما لم تجتمع الأمة على كفره بتركه من الفرائض، فهو شرع الإيمان و ليس بإيمان". و زعم أن تارك الفريضة التي ليست بإيمان يقال له: فسق، و لا يقال له فاسق على الإطلاق إذا لم يتركها حاحد. كما زعم أيضاً أن من لطم نبياً أو قتله كفر، لا من أجل لطمه و قتله، لكن من أجل عداوته و بغضه له و استخفافه بحقه.<sup>1</sup>

**الثوبانية:** هؤلاء أتباع أبي ثوبان المرجع الذي زعم أن الإيمان هو الإقرار و المعرفة بالله و برسله و بكل ما يجب في العقل فعله، و ما جاز في العقل أن لا يفعل فليست المعرفة به من الإيمان و فارقوا اليونسية و الغسانية بإيجادهم في العقل شيئاً قبل ورود الشرع بوجوبه.<sup>2</sup>

**المريسيّة:** هؤلاء مرحلة بغداد من أتباع بشر المريسي. و كان في الفقه على رأي أبي يوسف القاضي غير أنه لما أظهر قوله بخلق القرآن هجره أبو يوسف و ضللتة الصفاتية في ذلك. و لما وافق الصفاتية في القول بأن الله تعالى خالق أكساب العباد و في أن الاستطاعة مع الفعل، أكفرته المعتزلة في ذلك، فصار مهجور الصفاتية و المعتزلة معاً. و كان يقول في الإيمان: "إنه هو التصديق بالقلب و اللسان جميعاً"، كما قال ابن الروandi في أن الكفر هو الجحد و الإنكار، و زعماً أن السجود للصنم ليس بكافر، و لكن دلالة على الكفر.<sup>3</sup>

**يقول الإمام الأشعري:** "... ثم اعلم أن المرجئة أربعة أصناف : مرجعة الخوارج، و مرجعة القدرية، و مرجعة الجبرية، و مرجعة الحالصة، و الكلام هنا في الأخيرة"

و قد قسمها الإمام الأشعري إلى اثنى عشرة فرقة من حيث اختلافها في مسألة الإيمان فيقول: "... اختلفت المرجئة في الإيمان ما هو، و هم اثنتا عشرة فرقة...<sup>4</sup>

و لقد قسم بعض العلماء المرجئة إلى قسمين : مرجعة السنة، و هم الذين قرروا أن مرتكب الذنب يعذب بمقدار ما أذنب و لا يخلد في النار، و قد يغفو الله عنه و يتغمده برحمته، فلا يعذب في

<sup>1</sup> - المقرئي: الموعظ و الاعتبار، ج 3، ص 405؛ الإيجي: المواقف في علم الكلام، ص 428؛ الأشعري: مقالات الإسلاميين، ص 204؛ البغدادي: الفرق بين الفرق، ص 179.

<sup>2</sup> - المقرئي: الموعظ و الاعتبار، ج 3، ص 405؛ الإيجي: المواقف في علم الكلام، ص 427؛ الأشعري: مقالات الإسلاميين، ص 199؛ البغدادي: الفرق بين الفرق، ص 180.

<sup>3</sup> - الإيجي: المواقف في علم الكلام، ص 427؛ البغدادي: الفرق بين الفرق، ص 180.

<sup>4</sup> - الأشعري: مقالات الإسلاميين، ص 195.

أصلاً، و ذلك فضل الله يؤتى من يشاء و الله ذو الفضل العظيم، و في هذا القسم يدخل الفقهاء و المحدثين، و القسم الثاني مرجعة البدعة و هؤلاء هم الذين احتصروا باسم الإرجاء عند الأكثرين، و هم يستحقون مقالة السوء من الجميع.<sup>1</sup>

بينما يذهب التوبيخى في تقسيم المرجئة إلى أربع فرق فيقول: "... و افترقت المرجئة بعد ذلك فصارت على أربع فرق: فرقة منهم غلوا في القول و هم الجهمية أصحاب جهم بن صفوان و هم مرجعة أهل خراسان، و فرقة منهم الغيلانية أصحاب غيلان بن مروان و هم مرجعة أهل الشام، و فرقة منهم الماصرية أصحاب عمر بن قيس الماصر و هم أهل العراق، و فرقة منهم يسمون الشراك". ، و يقول أيضاً: "... و قال الفضل الرقاشى و أبو شمر و غيلان بن مروان و جهم بن صفوان و من قال بقولهم من المرجئة أن الإمامة يستحقها كل من قام بها إذا كان عالما بالكتاب و السنة و إنه لا يثبت الإمامة إلا بإجماع الأمة كلها".<sup>2</sup>

#### 4-5-1 دخول و انتشار مذهب المرجئة في بلاد المغرب الإسلامي:

إن الدارس لتاريخ المذاهب العقدية بالمغرب يستطيع أن يلاحظ عدم ذكر لمذهب الإرجاء و لا فرقهم، حيث لم يكن لل الفكر الإرجائى رواج بالمغرب، كما هو شأن الفكر الاعتزالي أو الشيعي أو الخارجي، و لعل ذلك راجع بالدرجة الأولى إلى طبيعة هذا المذهب الحياد، و إلى طبيعة أصحابه الخاملين عن الدعوة لمذهبهم. و تشير المصادر الغربية إلى أنه لم يعرف بالإرجاء في المغرب إلا رجل واحد يدعى معمر بن منصور.<sup>3</sup>

<sup>1</sup> - أبو زهرة: تاريخ المذاهب الإسلامية، ص 117.

<sup>2</sup> - التوبيخى: فرق الشيعة، ص 7، 6، 9.

<sup>3</sup> - ورد اسم معمر بن منصور في طبقات الخشني على أنه كان له سماع من أبي فروخ و من أسد بن الفرات، و كان أصح أصحاب أسد سمعاً من أسد، و كان سخنون يوجه بالعشرة دنانير و نحوها صلة، و هو قريب من أسد بن الفرات في المولد، ثم يستدرك بقوله: "سمعت ذكر معمر سمعاً مستفيضاً، و لكن على ضد هذه الصفة التي ذكر أبو العرب في كتابه: فلست أدرى إن كان الذي سمعت ذكره هو ابن مناور أو غيره، سمعت بعض الفقهاء يحكى عن عبد الله بن أحمد طالب قال: "أتاني معمر فشكى أن زوجته نفسته وليس معه ما يقيم لها يصلحها، فأعطيته أربعين مثقالاً لنفسه و عشرة مثاقيل أرسلت لها إلى النساء خاصة، قال ابن طالب: فلقد بلغني بعد هذا أن يوم عزلي عن القضاء كان في داره شبيه بالعرس فرحاً، ثم قال ابن طالب: و معذور غير ملوم ، و كيف لا يكون هذا و نحن نلعنهم على المنابر"، قال الخشني: سألت ولد دحمان بن معافى أن بيبح لي تصفح كتب أبيه ففعل، فرأيت فيها، فقال دحمان: سمعت حمديسقطان يقول: سمعت ابن الزعوي يسأل معمراً فقال

## الفصل الأول : الأوضاع المذهبية في بلاد المغرب الإسلامي قبل القرن 5 هـ / 11 م

و ليس غريباً كما تذكر المصادر أن يتبني هذا الرجل مذهب الإرجاء لما كان عليه من سوء الطوية والأخلاق، فقد كان ألف تأليفاً في تحليل النبيذ، و كان يذهب إلى تقديم علي و تفضيله على أبي بكر و عمر رضي الله عنهم جميعاً، و يصرح بسب معاوية و عمرو ابن العاص و يصرح بالإرجاء.

و لذلك تناوله علماء المغرب الذين ترجموا له بشدة ووصفوه بما هو أهله، كما فعل أبو العرب حيث قال: "لعنة الله عليه و على شيعته و متبعيه"<sup>1</sup>، و يقول فيه عبد العزيز المخدوب: "و ليس غريباً أن يذهب شخصاً مثله هذا المذهب و هو الماجن العريبي، المضطرب المتقلب، يعلن التشيع و لا يتورع من لعن الصحابة، و لقد ظهر الإرجاء بظهوه و زال بزواله."<sup>2</sup>

و مما لا شك فيه أن العهد الأموي قد تميز بانتشار نزعة الإرجاء لأسباب سياسية تخدمه، و من المرجح أن معمر بن منصور و من كان معه في لم يجدوا صعوبة في ترويج الأحاديث الإرجائية ببلاد المغرب، نتيجة لقلة دراية أهل المنطقة بخصائص هذا الفكر، إلا أنه مع بروز علماء المالكية تم التصدي لهذه النزعة، و رغم الخمول الذي أصاب الإرجاء ببلاد المغرب إلا أنه تواصل لا على شكل فرقه بذاتها بل على شكل مجموعة من المبادئ، ساهم فقهاء الحنفية في بلوغها.<sup>3</sup>

و لقد برزت مقاومة علماء السنة المغاربة لكل من ينحرف عن المنهج، و منهم المرجئة التي و إن لم يكن لهم وجود بالمغرب، و لم يكن لها دعوة يحملونه و يدعون إليه و بالرغم من ذلك، فقد وقعت

---

لـه : تقول يا مامامة علي؟ قال: نعم، قال حمليس: يريد تقديمه على أبي بكر الصديق و عمر، قال: تقول بالإرجاء؟ قال: نعم، فكان الخشني بإيراده لهذه الروايات يريد أن يفرق بين رجلين يحملان نفس الاسم، فالأول محدث سمع من الكبار، و أما الثاني فهو رجل مبتدع. " ، ينظر: أبو العرب: طبقات علماء افريقية، ص-ص: 112-114؛ إبراهيم التهامي: جهود علماء المغرب في الدفاع عن عقيدة أهل السنة، ص 281.

<sup>1</sup> - أبو العرب، طبقات علماء افريقية، ص 114؛ إبراهيم التهامي: جهود علماء المغرب في الدفاع عن عقيدة أهل السنة، ص 281، 282.

<sup>2</sup> - عبد العزيز المخدوب: الصراع المذهبي بأفريقيا، ص 171.

<sup>3</sup> - نوار نسيم: المراجع السابقة، ص 37، 38.

حادثة يحيى بن سلام<sup>1</sup> (ت 200هـ/815م) الذي كان من كبار علماء السنة و خيارهم، والذي قامت ضده ضجة عنيفة بسبب شبهة الإرجاء التي حامت حوله، و قاطعه طلبة العلم و جرح و طعن في روایته، لكن الله برأ ساحتة من هذه التهمة و ظهر أن رميه بالإرجاء كان خطأ، و كم كانت دهشته كبيرة عندما سأله رجل قائلاً: "يا أبا زكرياء، إنهم يقولون: "إنك تقول بالإرجاء"، فضرب يده على جدار القبلة و قال: "و رب القبلة ما عبد الله على شيء من الإرجاء قط، كيف و قد حدثكم أنه بدعة" ، و تروي هذه القصة بطريقة أخرى كما يوردها المالكي في قوله: "عن أبي القاسم السدري أنه كتب إلى عيسى بن مسکین يقول: "حدثني عون بن يوسف قال: قلت ليعيي بن سلام: إن الناس يرمونك بالإرجاء"، قال عون: "فاحذ لحيته بين يديه و قال: "أحرق الله هذه اللحية بالنار إن كنت دنت الله عز وجل قط بالإرجاء" ، فقيل لعيسي: "فما تقول أنت فيه؟" فقال: "و الله إنه لخير منا، و قد برأ الله مما يقولون" . و في موضع آخر: كيف و قد حدثكم أنه بدعة؟<sup>2</sup>

و أصل هذه التهمة يرجع إلى تقصير الشيخ أبي معاوية الصمادحي في نقل الرواية عنه، و ذلك "أنه سأله قائلاً: يا أبا زكرياء ما أدركت الناس يقولون في الإيمان؟" ، فقال له: "أدركت مالكا و سفيان الثوري يقولون: الإيمان قول و عمل و أدركت مالك بن مغول و فطر بن خليفة و عمر بن ذر يقولون: "الإيمان قول" ، فأخبر أبو معاوية الإمام سحنون ابن سعيد بما ذكر يحيى بن سلام عن عمر بن ذر و فطر بن خليفة و مالك بن مغول من قولهم في الإيمان، و لم يذكر لهم نقل عن غيرهم كمالك و سفيان الثوري، فما كان من الإمام سحنون عندما ذكر له ذلك إلا أن رماه بالإرجاء لظنه أنه ما دام نقل هذا القول وحده و أعرض عن غيره، مع أن هناك قولها آخر و هو قوله أهل السنة، ما دام الأمر كذلك فإنه يتبنى هذا القول و يذهب إليه فقال: "هذا رجل

<sup>1</sup> - ينظر ترجمته في: أبو العرب محمد بن أحمد تميم التعميمي: طبقات علماء إفريقيا، ص-ص، 37-39، أبي بكر عبد الله بن محمد المالكي: رياض النقوس، تحقيق: بشير البكوش، مراجعة: محمد العروسي المطوي، ج 1، ط 1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1983، ص-ص، 188-192.

<sup>2</sup> - المالكي: رياض النقوس، ج 1، ص 190.

مرجع<sup>1</sup>، و لما سُئل أحد أمراء بني الأغلب الإمام سحنون عن رأيه في يزيد و معاوية، قال: لا أقول ما قالت به الإيابية، و لا ما قالت به المرجئة، من أن الذنوب لا تضر مع التوحيد، اقترب يزيد شيئاً عظيماً، و جسيماً و الله يفعل ما يريد في خلقه<sup>2</sup>. و لكن رغم نبذ فقهاء المالكية الصريح للإرجاء و مواقفهم المناهضة له، فقد دخلت إحدى مسائله إلى إفريقية— أدخلها أبا الحكم الزيات عندما رجع من العراق أتى ببدعة "أنا مؤمن إن شاء الله" و ألقاها في القيروان—، و هي مسألة: "الاستثناء في الإيمان"، و يبدوا أن هذه المسألة قد التبس عليهم، لذا فقد ثار جدال واسع بينهم حولها، خلال القرنين الثالث و الرابع المجريين/التاسع و العاشر الميلاديين، فقد كان ابن عبدوس يقول أنا مؤمن، إلا أنني لا أقطع لنفسي عند الله بذلك، لأنني لا أعرف بما يختتم لي، و عارضه في ذلك محمد بن سحنون<sup>3</sup>، الذي كان يقول: "أنا مؤمن عند الله"، و صار لكل واحد منهما أتباعاً و أنصاراً في هذه المسألة، و انقسم أصحابهما إلى فريقين، و هما:

- الحمدية أو السحنونية.
- الشكوكية أو العبدوسية.<sup>4</sup>

<sup>1</sup> - عبد العزيز المخدوب: الصراع المذهبي بإفريقية، ص 271، 272؛ إبراهيم التهامي: جهود علماء المغرب في الدفاع عن عقيدة أهل السنة، ص 283، 284.

<sup>2</sup> - القاضي عياض: تراجم أغلبية، ص 181.

<sup>3</sup> - ينظر ترجمته في: المالكي: رياض النقوس، ج 1، ص-ص، 443-461.

<sup>4</sup> - المالكي: رياض النقوس، ج 1، ص 461؛ القاضي عياض: تراجم أغلبية، ص 184، عبد العزيز المخدوب: الصراع المذهبي بإفريقية، ص 173، 174.

## 2- المذاهب الفقهية في المغرب الإسلامي قبل دخول المذهب الأشعري:

إذا كانت منطقة المغرب الإسلامي تشكل إحدى حواضر دولة الإسلام، فإنه من الطبيعي أن تدخلها مختلف المذاهب الفقهية<sup>1</sup> التي انتشرت في كافة أرجاء هذه الدولة الواسعة، و ذلك تحت تأثير الرحلات التجارية و العلمية في إطار التواصل الحضاري و الثقافي، لذلك يصح لنا القول: إن المغرب الإسلامي قد دخلته المذاهب المختلفة مثل المالكية و الظاهيرية و الشافعية و الحنفية و الحنبلية و الشيعية و غيرها كثيرة.

## 2-1- المذهب الشوري:

ينسب إلى الإمام سفيان بن سعيد بن مسروق و يكنى أبا عبد الله و جده ثور بن عبد مناة (97-151هـ/715-768م) كان إماما في علم الحديث و أحد الأئمة المحتهدين<sup>2</sup>، و يعتبر مذهبة من أسبق هذه المذاهب دخولا إلى المغرب، و ذلك في أعقاب سقوط الدولة الأموية و قيام الدولة العباسية، و قد ظهرت بعض أرائه و تعاليم مذهبة في إفريقية على يد بعض الفقهاء<sup>3</sup> منهم البهلوبي بن راشد و أبو الحسن علي بن زياد (183هـ/799م) من أهل تونس و هما أول من أدخلوا جامع سفيان الشوري إلى بلاد المغرب، كما نقله عنه آخرون<sup>4</sup>، كما ظهر بال المغرب الأقصى قبل قيام دولة الأدارسة، و من أعلامه هناك القاضي عمر بن محمد بن سعيد القيسي، و يبدوا أن المذهب الشوري ظل منحصرا في الحواضر و لم تعرفه إلا الخاصة الشيء الذي جعله يزول بزوال نشاطها الثقافي في تلك الحواضر و هكذا لم يترك أثرا ببلاد المغرب.<sup>5</sup>

<sup>1</sup> - ينظر خريطة انتشار المذاهب و الفرق في بلاد المغرب خلال القرنين (3-4هـ/9-10م)، الملحق رقم: 01، ص 362.

<sup>2</sup> - الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج 7، ص: 229-279.

<sup>3</sup> - أبو العرب: طبقات علماء إفريقية، ص 251؛ المالكي: رياض النغوس، ج 1، ص 234.

<sup>4</sup> - أبو العرب: طبقات علماء إفريقية، ص 251؛ المالكي: رياض النغوس، ج 1، ص 234؛ القاضي عياض: ترتيب المدارك و تقريب المسالك لمعرفة رجال مالك، تحقيق أحمد بكير محمود، ج 1، دار مكتبة الحياة، بيروت 1967، ص 326؛ إسماعيل سامي: دور المذهب الحنفي في الحياة الاجتماعية و الثقافية في بلاد المغرب الإسلامي من القرن الثاني إلى الخامس الهجري (2-5هـ/8-11م)، دار المدى ، عين مليلة، الجزائر، 2006، ص 28.

<sup>5</sup> - المرجع نفسه: ص 29.

## 2-2- مذهب الأوزاعي:

ينسب إلى الإمام أبي عمرو عبد الرحمن بن محمد الأوزاعي (88-157هـ/773-706م)<sup>1</sup> الذي انتشر مذهبـه في المغرب الإسلامي لا سيما الأندلس، و يجمع جمهور العلماء على أنه أول مذهب عرفـهـ الأندلسـ منـذـ فـتحـهاـ،ـ هوـ مذهبـ الإمامـ الأوزاعـيـ ،ـ وـ بـرـزـ فيـ عـهـدـ الـخـلـيـفـةـ هـشـامـ بـنـ عـبـدـ الـمـلـكـ (ـ105ـ125ـهـ/ـ724ـ743ـمـ)ـ وـ وـالـيـهـ عـلـيـ أـبـاـ الـخـطـارـ حـسـامـ بـنـ ضـرـارـ الـكـلـيـ،ـ يـقـولـ الـمـقـريـ:ـ "ـ....ـ وـ أـعـلـمـ أـنـ أـهـلـ الـأـنـدـلـسـ كـانـواـ فـيـ الـقـدـسـ عـلـىـ مـذـهـبـ الـأـوـزـاعـيـ وـ أـهـلـ الشـامـ مـنـذـ أـوـلـ الـفـتـحـ"ـ<sup>2</sup>ـ،ـ كـمـ يـرـجـعـ الـفـضـلـ فـيـ نـشـرـهـ إـلـىـ وـجـودـ جـالـيـاتـ مـنـ الشـامـ وـ الـتـيـ كـانـتـ عـلـىـ مـذـهـبـ الـأـوـزـاعـيـ الـذـيـ يـعـدـ مـنـ أـنـصـارـ مـدـرـسـةـ الـحـدـيـثـ .ـ كـمـ سـاـهـمـ فـيـ نـشـرـ مـذـهـبـ الـأـوـزـاعـيـ الـجـنـدـ،ـ وـ الـمـهـاجـرـونـ الشـامـيـونـ الـذـيـ قـامـ أـبـوـ الـخـطـارـ بـتـوزـعـهـمـ عـلـىـ مـنـاطـقـ مـخـتـلـفـةـ مـنـ الـأـنـدـلـسـ،ـ وـ كـذـاـ رـجـالـ الـحـكـمـ،ـ وـ مـنـ الـعـلـمـاءـ الـذـيـنـ مـكـنـواـ لـمـذـهـبـ الـأـوـزـاعـيـ بـالـأـنـدـلـسـ أـسـدـ بـنـ عـبـدـ الـرـحـمـنـ السـبـائـيـ.<sup>3</sup>ـ وـ يـبـدـواـ أـنـ جـهـودـ الـمـالـكـيـةـ فـيـ اـسـتـقـطـابـ أـعـلـامـ الـأـوـزـاعـيـةـ قـدـ حـقـقـتـ قـدـرـاـ مـنـ النـجـاحـ،ـ بـحـيـثـ تـرـكـ بـعـضـ الـعـلـمـاءـ الـأـوـزـاعـيـةـ مـذـهـبـهـمـ وـ دـخـلـوـاـ فـيـ دـائـرـةـ الـمـالـكـيـةـ.ـ عـلـىـ غـرـارـ ماـ فـعـلـ الـفـقـيـهـ عـبـدـ الـمـلـكـ بـنـ الـحـسـنـ الـمـعـرـوـفـ بـرـوـنـانـ(ـتـ232ـهـ/ـ846ـمـ)ـ،ـ إـنـ قـلـةـ رـجـالـ الـمـذـهـبـ مـنـ عـلـمـاءـ وـ مجـتـهـدـيـنـ وـ هـذـاـ مـاـ أـدـىـ إـلـىـ ضـعـفـهـ،ـ وـ لـمـ يـسـتـطـعـ تـكـوـيـنـ مـدـرـسـةـ تـصـوـنـهـ وـ تـضـمـنـ اـسـتـمـرـارـهـ<sup>4</sup>ـ،ـ لـذـلـكـ مـاـ إـنـ تـبـنـيـ الـأـمـيـرـ هـشـامـ بـنـ عـبـدـ الـرـحـمـنـ الدـاخـلـ (ـ172ـ180ـهـ/ـ789ـ796ـمـ)ـ مـذـهـبـ مـالـكـ وـ اـعـتـقـدـهـ النـاسـ هـنـاكـ حـتـىـ أـخـذـ الـمـذـهـبـ الـأـوـزـاعـيـ فـيـ الـاختـفـاءـ مـنـ الـأـنـدـلـسـ وـ الـمـغـرـبـ فـيـ خـاتـمـ الـقـرـنـ الثـانـيـ وـ مـعـ بـدـايـةـ الـقـرـنـ الثـالـثـ الـهـجـرـيـ/ـ الـثـامـنـ وـ التـاسـعـ الـمـيـلـادـيـ.ـ وـ رـغـمـ بـقـاءـ بـعـضـ أـتـبـاعـهـ حـتـىـ الـقـرـنـ 4ـهـ/ـ10ـمـ إـلـاـ

<sup>1</sup> - الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج 7، ص: 107-134.

<sup>2</sup> - أحمد بن محمد المقري: نفح الطيب في غصن الأندلس الرطيب، وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، ج 3، ط 1، مطبعة السعادة: مصر، 1949، ص 230؛ ميمون باريش: نشأة المذاهب الفقهية في الأندلس و المغرب الكبير، مجلة كلية الآداب و العلوم الإنسانية، جامعة القاضي عياضمراكش، العدد: 15، 2000، ص 72.

<sup>3</sup> - ابن عذاري: البيان المغرب، ج 2، ص 33؛ عبد الله بن يوسف ابن الفرضي: تاريخ علماء الأندلس، تحقيق إبراهيم الأبياري، ج 1، ط 2، دار الكتاب المصري (مصر) و دار الكتاب اللبناني (بيروت)، 1989، ص 354-358.

<sup>4</sup> - ابن الفرضي: تاريخ علماء الاندلس، ج 1، ص 312؛ إسماعيل سامي: المرجع السابق، ص 23.

إن المذهب الأوزاعي تضائل نفوذه بشكل كبير، إلى درجة أنه لا يعرف مصدر تطرق لطبقات الأوزاعية في الاندلس و المغرب مما يدل على انكماسه السريع نتيجة إزاحته من قبل المذهب المالكي<sup>1</sup>.

### 2-3- المذهب الحنفي<sup>2</sup>:

ينسب إلى الإمام أبي حنيفة النعمان بن ثابت بن زوطى الفارسي (80-150 هـ/767-799 م)<sup>3</sup> أحد أقطاب الفقه وأحد عباقرة التشريع الإسلامي، تأثرت أفكاره وآرائه التشريعية والاجتهادية ببعض النظريات الفلسفية، و يظهر ذلك في آرائه الحرة الجريئة و إمعانه في الاعتماد على العقل<sup>4</sup>، أما عن الأصول التي بني عليها مذهبة هي على الترتيب: الكتاب، و السنة، و أقوال الصحابة رضي الله عنهم، و القياس، و الاستحسان، الإجماع، و العرف<sup>5</sup>، وقد عرف أبو حنيفة وأتباعه بـ " أصحاب الرأي".

انتشر المذهب الحنفي بالعراق، ثم سرعان ما تجاوزها إلى أقطار أخرى. و يعود انتشار المذهب الحنفي في بلاد المغرب إلى القرن الثاني المجري/ الثامن الميلادي، وقد ظل قائماً إلى القرن الخامس المجري/ الحادي عشر الميلادي، و لقد ساهمت عدة عوامل في انتقاله و انتشاره منها :

- أن الخليفة العباسية قد تبنت المذهب الحنفي كمذهب رسمي للدولة، لذا فقد انتشر في المناطق التي كان يشملها نفوذ الخليفة بصورة مباشرة أو غير مباشرة، بما في ذلك إفريقية، و ذلك عن

<sup>1</sup> - المقرى: نفح الطيب، ج 2، ص 332؛ إسماعيل سامي: المرجع السابق، ص 23.

<sup>2</sup> - للإطلاع أكثر عن بدايات دخول المذهب الحنفي بلاد المغرب ينظر دراسة: يوسف بن أحمد حواله: الحياة العلمية في إفريقية 90-450 هـ، ط 1، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، 1421 هـ/2000 م، ص 311-314.

<sup>3</sup> - أبو الفرج محمد بن أبي يعقوب اسحق الوراق ابن النسم: الفهرست، تحقيق رضا تجدد، ب.ن، 1971، ص 255؛ ابن خلدون: المقدمة، ص 446؛ أبو زهرة: تاريخ المذاهب الإسلامية، ص 374؛ إسماعيل سامي: المرجع السابق، ص 44.

<sup>4</sup> - عبد العزيز المجدوب: الصراع المذهبي، ص 70.

<sup>5</sup> - حفيظ كعوان: أثر فقهاء المالكية الاجتماعي و الثقافي بإفريقية من ق (2-5 هـ/8-11 م)، مذكرة ماجستير، جامعة العقيد الحاج لخضر، باتنة، 2008/2009، ص 109.

## الفصل الأول : الأوضاع المذهبية في بلاد المغرب الإسلامي قبل القرن 5 هـ / 11 م

طريق القضاة و الجندي، و لا سيما رجال الدولة- الأمراء الأغالبة- منهم الذين ولوا الفقهاء الأحناف بعض خطط القضاء و مختلف التشريعات الفقهية.<sup>1</sup>

- انتشر عن طريقبعثات الرسمية في عهد بنى الأغلب، حيث كان الأمراء يرسلون كل سنة بعثة لبغداد من أجل تجديد الولاء للخلافة العباسية ، و عند عودتها ترجع محملة بنفائس الكتب الفقهية طبعا وفق المذهب الحنفي المذهب الرسمي للخلافة، كما يصبح هذه البعثة نخبة من العلماء في مختلف العلوم، و هذا ما أسمهم في نشر المعارف و العلوم عموما، و الفقه خصوصا، لا سيما الفقه الحنفي.<sup>2</sup>

- الهجرة: فقد كانت بلاد المغرب قبلة لعديد من أهل المشرق من أصحاب المذاهب و العلماء، و الرحالة، و الفنانين، و التجار، الذين كانوا يمارسون بعض الأنشطة، كالتجارة و التعليم و الفتيا، كل هذه الأعمال و النشاطات كانت عاملا مساعدًا على انتشار المذهب الحنفي، و آراء أبي حنيفة، و أصحابه الفقهية، كما كان للرحلة دور نشر المذاهب الفقهية، حيث كانت مدن بلاد المشرق مثل: مكة، المدينة، الكوفة، البصرة ، مقصدًا لبعض المغاربة من أجل طلب العلم ، أو أداء فريضة الحج، و هذا ما لعب دورًا فعالا في انتشار المذهب الحنفي بإفريقية.<sup>3</sup>

- كما كان لكل من ازدهار التجارة و مرور طرقها على بلاد المغرب، و تنقل الناس بين المذاهب المختلفة خلال القرون الثلاثة الأولى المحرية، و العادات و التقاليد و انتشارها بين سكان بلاد المغرب دور كبير في نشر أفكار و آراء المذهب الحنفي و التمكين له<sup>4</sup>، و من أوائل الأحناف و أبرزهم عبد الله بن المغيرة (عاش في النصف الأول من القرن الثاني المجري)، الذي تلمند على أبي حنيفة مباشرة. و كانت آراؤه شبيهة بآرائه من قبل اتصاله به. بل إنه كان صاحب اجتهاد و تأليف قيم في الفقه<sup>5</sup>، و لعل أول من ركز قواعد المذهب الحنفي بإفريقية من بعده هو عبد الله ابن

<sup>1</sup> - ابن عذاري: البيان المغرب، ج 1، ص 72؛ إسماعيل سامي: المرجع السابق، ص 68.

<sup>2</sup> - ابن عذاري: البيان المغرب، ج 1، ص 137؛ إسماعيل سامي: المرجع السابق، ص 68، 69.

<sup>3</sup> - إسماعيل سامي: المرجع السابق، ص 69، 70.

<sup>4</sup> - القاضي عياض: المدارك، ج 2، ص 475؛ إسماعيل سامي: المرجع السابق، ص 68-71.

<sup>5</sup> - أبو العرب: طبقات علماء إفريقية، ص 162، 107؛ المالكي: رياض النفووس، ج 1، ص 177؛ القاضي عياض: المدارك، ج 1، ص 339؛ أبو زيد عبد الرحمن بن محمد الأنصاري الدباغ: معلم الإيمان في معرفة أهل القبور، تحقيق محمد

فروخ الفارسي (115-176هـ/733-792م)، وأسد بن الفرات، و ابن أبي الجواد (ت 236هـ/850م)، و سليمان بن عمران (ت 270هـ/884م)، و هيثم بن سليمان (ت 275هـ/888م) صاحب كتاب "أدب القاضي و القضاء"<sup>1</sup>، كما انتشر المذهب الحنفي في المغرب الأوسط، منه منطقة الزارب و بقى هناك حتى القرن الخامس / الحادي عشر الميلادي و هذا ما يؤكد قوله البكري: "... و أهل تهودة على مذهب أهل العراق..."، كما انتشر في الجهة الوسطى و الغربية من المغرب الأوسط و بالذات في مدينة تيهرت الرستمية، غير أنه كان بشكل محدوداً، و مقصوراً في طبقة الخاصة فقط<sup>2</sup>، أما عن انتشاره في المغرب الأقصى فما ورد في المصادر ما هو إلا إشارات توحّي بوصوله إلى هذه المنطقة، من بينها قوله ابن فرحون: "و دخل منه شيئاً ما وراءها - إفريقية - من الغرب بجزيرة الأندلس، و مدينة فاس"؛ و هذا يعني أن المذهب الحنفي انتشر في المغرب الأقصى لأن فاس تعني الدولة العلوية بالمغرب الأقصى.<sup>3</sup>

و ما يمكن استخلاصه هو أن المذهب الحنفي لم يكن واسع الانتشار بالمغرب الإسلامي، و أنه بقى مقصوراً على الحواضر الكبرى دون البوادي، و على الخاصة دون العامة، و بقى مقصوراً في المنطقة الشمالية من المغرب الإسلامي، دون المنطقة الجنوبية منه.

أما عن الأندلس فقد كان انتشاره بها قليلاً و نادراً، بل يكاد لا يظهر له أثر خاص بعد القرار الذي أصدره الأمير هشام بن عبد الرحمن الداخل بإخراج أصحاب أبي حنيفة من الأندلس و انفراد المالكيّة بها، حيث قال: "لا أحب أن يكون في عملي مذهبان (يعني المالكي و الحنفي)"، كما تجاهل وجود أبي حنيفة بقوله: "من أبو حنيفة؟"، فقالوا له: "من الكوفة"، فقال: "و مالك"،

<sup>1</sup> =الأحمدي أبو النور، و محمد ماضور، ج 1، مكتبة الخانجي (مصر) و المكتبة العتيقة (تونس)، 1972، ص 210، 120؛

عبد العزيز المجدوب: الصراع المذهبي بإفريقية، ص 71؛ إسماعيل سامي: المرجع السابق، ص 59.

<sup>2</sup> - محمد بن الحارث بن أسد الخشناني: طبقات علماء إفريقية، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ب.ت، ص 236، 240، 295.

<sup>3</sup> - البكري: المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب، ص 73؛ إسماعيل سامي: المرجع السابق، ص 62.

أبو إسحاق إبراهيم بن علي ابن فرحون المالكي: الدبياج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب، تحقيق مأمون بن محي الدين الجنان، دار الكتب العلمية، بيروت، 1996، ص 17؛ إسماعيل سامي: المرجع السابق، ص 63، 64.

قالوا: "من المدينة"، قال: "علم دار المحرقة يكفينا"<sup>1</sup>، و مع هذا فقد ورد ما يؤكد وجود نوعي و محدود للمذهب الحنفي بالأندلس، حيث يذكر بأن الذين كانوا يرحلون إلى المشرق يتصلون هناك ب الرجال المذاهب، و يأخذون عنهم دون تمييز، و نقتطف هذه الأمثلة التي تقول: "أن قاسم بن أنعم (ت 340هـ/951م) الذي رحل إلى المشرق و هو من أهل قرطبة اتصل بالковيين و البصريين، و بقاضي القضاة في بغداد وأخذ عنهم جميعا".<sup>2</sup>

و في الأخير يمكن القول أن المذهب الحنفي في الأندلس لم يتمكن من التمركز في البلاد، و أن الأندلس ساد فيها المذهب المالكي بعد أن أزاح مذهب الأوزاعي.

#### 2-4- المذهب المالكي<sup>3</sup>:

ينسب إلى الإمام مالك بن أنس (93-197هـ/712-795م)<sup>4</sup> مؤسس المدرسة المالكية الحجازية و حجة الحديث، و يتلخص مذهبته في الاعتماد على النصوص – من الكتاب و السنة- و استخدام الرأي لاستنباط الأحكام الشرعية منها، و بعبارة أدق: يمتاز بالتزام القرآن و الحديث و الابتعاد عن التأويل و الاقتصاد في القياس ما أمكن<sup>5</sup>، و قد انتقل مذهبته إلى بلاد المغرب و الأندلس في حياته مؤسسه بواسطة تلاميذه، بل أصبح المذهب الرسمي للدولة الإسلامية في الأندلس في سبعينيات القرن الثاني الهجري/ الثامن الميلادي<sup>6</sup>، و هذا بفعل عدة عوامل منها القوة الذاتية التي اكتسبها من خلال اعتماده على النص أو الأثر، و إسهام جند الحجاز ذلك أن معظم جيوش الفتح كانت تتكون من الحجازيين أو الشاميين، و كان هؤلاء يعودون إلى الحجاز و الشام

<sup>1</sup> - شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر البناء المقدسي: أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، مطبعة بريل، ليدن، 1977، ص 237؛ سامي: ص 64، 65؛ ميمون باريش: نشأة المذاهب الفقهية تطورها في الأندلس و المغرب الكبير، ص 73.

<sup>2</sup> - ابن الفرضي: تاريخ علماء الأندلس، ج 2، ص 611؛ إسماعيل سامي: المرجع السابق، ص 65، 66.

<sup>3</sup> - للاطلاع أكثر على المذهب المالكي: ينظر: يوسف بن أحمد حواله: الحياة العلمية في إفريقيا، ص-304-275؛ الحاج محمد بن بلقاسم بن الحاج محمد همال: النصرة لمذهب إمام دار المحرقة، ط 1، دار ابن حزم، بيروت، 2010، ص 71-59.

<sup>4</sup> - ابن النديم: الفهرست، ص 251؛ الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج 8، ص 48-135.

<sup>5</sup> - عبد العزيز المخوذب: الصراع المذهبى بإفريقية، ص 44، 45.

<sup>6</sup> - القاضي عياض: المدارك، ج 1، ص 80.

لزيارة ذويهم و تأدية فريضة الحج فساعد ذلك على انتقال مذهب إمام مالك ، و كذلك لتشدد المذهب المالكي الذي يتجلّى في مناهضته للتأویل المعتمد على العقل و قد انسجم ذلك مع عقلية و طبيعة أهل المغرب<sup>1</sup>، فالمذهب المالكي كان عملي أكثر منه نظري يتماشى مع فطرة المغاربة في بساطتها ووضوحها ، كذلك طبيعة أهل الحجاز التي تشبه طبيعتهم طبيعة أهل المغرب و تغلب عليها البساطة و البعد عن التعقيد يقول ابن خلدون: "... و أما مالك رحمه الله تعالى فاختص بمذهبة أهل المغرب ... فالبداوة كانت غالبة على أهل المغرب و الأندلس، و لم يكونوا يعانون الحضارة التي لأهل العراق، فكانوا إلى أهل الحجاز أميل لمناسبة البداوة، و لهذا لم يزل المذهب المالكي عندهم، و لم يأخذه تنقیح الحضارة و تهذيبها كما وقع في غيره من المذاهب"<sup>2</sup>، و هذا ما جعل عقليتيهما – أهل الحجاز و أهل المغرب – تغلب عليهما نزعة الحديث، كما كان لإقبال أهل المغرب و الأندلس على الأخذ من علوم المدينة و فقه إمام دار المحرقة مالك دور في انتشار المذهب المالكي و قد فسر ذلك ابن خلدون بقوله: "إن الحجاز كانت متنهى بلاد المغرب و أن العراق لم يكن طریقهم فاقتصرت عن الأخذ من علماء المدينة"<sup>3</sup>، و منها أيضاً النزعة الاستقلالية التي تميز بها سكان المغرب التي أخذت تتحقق بدایة من النصف الأول من القرن الثاني الهجري، إذ تبني السكان مذهب مالك ليقارعوا بها المذاهب الأخرى خصوصاً الحنفي مذهب الدولة الرسمي، و ليضيفوا على نزعتهم الاستقلالية الشرعية الدينية، مستغلين في ذلك معارضته مالك للعباسيين في بعض القضايا، منها موقفه من ثورة العلوين في المدينة سنة 145هـ/762م بزعامة محمد النفس الزكية(ت 145هـ/762م)<sup>4</sup>، فقد أفتى أنه ليس على مكره يمين أو طلاق، و هذا يعني أنه من بايع العباسين مكرهاً يمكنه الخروج عنهم . و دخل مذهب الإمام مالك المغرب و الأندلس في وقت واحد تقريباً - و إن كان يرجع السبق في الدخول إلى الأندلس كما أشرنا سالفاً<sup>5</sup> و كان

<sup>1</sup> - علاوة عمارة: المذهب المالكي في الغرب الإسلامي من خلال دراسة جديدة، ( ضمن دراسات و بحوث مغربية)، ط 1، دار بهاء الدين للنشر و التوزيع، قسنطينة، الجزائر، 2008، ص: 181؛ إسماعيل سامي: المرجع السابق، ص 24.

<sup>2</sup> - ابن خلدون: المقدمة، ص 805.

<sup>3</sup> - المصدر نفسه، ص 449.

<sup>4</sup> - ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج 5، ص 147 و ما بعدها، إسماعيل سامي: المرجع السابق، ص 24.

<sup>5</sup> - إسماعيل سامي: المرجع السابق، ص 25.

ذلك بفضل جهود جيل من الفقهاء الأوائل<sup>1</sup>، الذين رجعوا إلى أوطانهم ببلاد المغرب الإسلامي، يحملون كتابه الموطأ، و فقه إمام دار المحرقة، حيث شرعوا في إرساء قواعد المالكية و تأسيس مدارس تابعة لها و من هؤلاء علي بن زياد التونسي (ت 183هـ/799م)، و هو أول من ادخل الموطأ إلى بلاد المغرب، و فسر لهم قول الإمام مالك، و كان أستاذا للإمام سحنون ، كما كتب مسائل الفقه و الفتاوي، و قام بتصنيفها و تبويبها و إخراجها على موضوعات الأحكام الفقهية، و منه يتضح أن مذهب الإمام مالك قد عرف طريقة إلى بلاد المغرب في وقت مبكر، أي أنه لم يكن وليد عصر الأغالبة و إنما دخل البلاد قبل قيام دولتهم ، كما قدساهم في نشر و توطيد المذهب المالكي بإفريقية و المغرب كل من عبد الرحمن بن أشرس (ت 170هـ/787م) و البهلوى بن راشد (ت 183هـ/799م)، و أبو علي شقران بن علي القيرواني (ت 186هـ/802م)، و أبو عبد الله محمد بن عبد الله عمر بن خانم الرعيني (ت 196هـ/812م)، ثم حدثت النقلة النوعية للمذهب المالكي في بلاد المغرب الإسلامي حيث رحل أسد بن الفرات (ت 213هـ/828م) من إفريقية ، و أخذ عن مذهب مالك و كتب فيه عن عبد الرحمن بن القاسم (ت 191هـ/806م) كتابه "الأسدية" ، و صقلاب بن زياد الهمداني (ت 191هـ/806م) ، و أبو خارجة عنبرة بن خارجة العقائي (ت 220هـ/824م)، و أبو محمد عبد الله بن أبي حسان اليحصبي (ت 229هـ/843م)<sup>2</sup>، و منهم أيضا الإمام سحنون بن سعيد التنوي (ت 240هـ/854م) الذي رحل إلى المشرق و حظي بشرف ملازمته تلاميذ الإمام مالك بن أنس الكبار من أمثال : عبد الرحمن بن القاسم و عبد الله بن وهب ( ت 197هـ/813م) و أشهب بن عبد

<sup>1</sup> - نجم الدين المحتاطي: المذهب المالكي بالغرب الإسلامي إلى منتصف القرن الخامس الهجري - الحادي عشر الميلادي، تبر الزمان، تونس، 2004، ص 37؛ يوسف أحناة: تطور المذهب الأشعري، ص 40.

<sup>2</sup> - مالك بن أنس الأصبهني: المدونة الكبرى، ج 1، ط 1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1994، ص 104؛ القاضي عياض: تراجم أغلبية، ص 22؛ يوسف أحناة: تطور المذهب الأشعري، ص 40؛ إسماعيل سامي: المراجع السابقة، ص 25؛ إبراهيم التهامي: جهود علماء المغرب في الدفاع عن عقيدة أهل السنة، ص -122-125؛ محمد همال: النصرة لمذهب إمام دار المحرقة، ص 61.

## الفصل الأول : الأوضاع المذهبية في بلاد المغرب الإسلامي قبل القرن 5 هـ / 11 م

العزيز (ت 204هـ/819م)<sup>1</sup>، وعاد سحنون بن سعيد إلى إفريقية سنة (ت 191هـ/806م) بزاد علمي كبير فأظهر علم أهل المدينة ببلاد المغرب، و بذلك أصبح من أشهر الفقهاء ليس في إفريقية فحسب بل في بلاد المغرب قاطبة حيث جلس للتدريس يسمع تلاميذه الموطأ بمختلف مروياته، كما اهتم بنشر مروياته و كتبه<sup>2</sup> و إسماع كتابه المدونة الكبرى،<sup>3</sup> و ظهر المذهب المالكي في عهده ظهوراً كبيراً بإفريقية و المغرب<sup>4</sup>، حيث بفضل سحنون غالب المذهب المالكي في إفريقية ، في حين السلطة السياسية بالقيروان كانت أحنجية بالكامل في عهد الأغالبة، و أكد ذلك اعتناق السلطة السياسية بالمغرب الأوسط بين الإباضية بتيهرت و الزيدية التي كانت متمركزة خاصة في تلمسان و حمزة، و لعل التواجد الضعيف للنخب المالكية بتيهرت الرستمية جعل أبو جعفر أحمد بن نصر الداودي (ت 402هـ/1012م) يعمل على نشر المذهب المالكي بمدن المسيلة<sup>5</sup> و تنس و تلمسان، و هو الأمر الذي مكن بوضع أساس صلبة للمالكية بالمغرب الأوسط، خاصة فترة بناء قلعة بني حماد التي تمثل زمن الاستقرار النهائي للمذهب المالكي، حيث نما هذا المذهب بالمنطقة بجهودات علماء من أبرزهم أبي حفص الصابوني<sup>6</sup>، و قد تمكّن سحنون من تصحيح مرجعية الفقه المالكي، يقول القاضي عياض: "...و أما إفريقية و ما وراءها من المغرب فقد كان الغالب عليها

<sup>1</sup> - مالك بن أنس: المدونة الكبرى، ج 1، ص 101-109؛ الخشني: طبقات علماء إفريقية، ص 129-132؛ القاضي عياض: ترتيب المدارك، ج 4، ص 74؛ سعدي أبو حبيب: سحنون مشكاة نور و علم و حق، ط 1، دار الفكر، دمشق، 1981، ص 25 و ما بعدها؛ نسيم نوار: المرجع السابق، ص 101

<sup>2</sup> - ينظر: جدول أهم المؤلفات في الرد على البدع والفرق المنحرفة خلال القرنين ، الملحق رقم: 02، ص 364-365.

<sup>3</sup> - أبو العرب: طبقات علماء إفريقية، ص 102؛ نسيم نوار: المرجع السابق، ص 102.

<sup>4</sup> - أبو العرب: طبقات علماء إفريقية، ص 184.

<sup>5</sup> - هي من مدن المغرب الأوسط يرجع تأسيسها إلى أبو القاسم محمد القائم ولـي عهد عبد الله المهدى في أوائل القرن العاشر ميلادى، و بالضبط 315هـ/927م حملت اسم المحمدية في بداية تأسيسها ثم عرفت باسم المسيلة، ثم للمزيد ينظر: ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج 7، ص 36؛ المقرنزي، اتعاظ الحفاف، ج 1، ص 72. أحمد أبو عبد الرزاق: الأدب في عصر دولة بنى حماد ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر ، 1979م، ص 66؛ الصالح مرمول "نشأة مدينة المسيلة وتطورها"، مجلة سيرتا معهد العلوم الاجتماعية، قسنطينة، العدد 04، 1980، ص 29؛ عيسى بن الذيب و آخرون: الحواضر و المراكز الثقافية في الجزائر في العصر الوسيط، ص 74، 75.

<sup>6</sup> - علاوة عمارة: انتشار المذهب المالكي في المغرب الأوسط - دراسات في التاريخ الوسيط للجزائر و المغرب الإسلامي -، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2008، ص 132، 133.

في القديم مذهب الكوفيين إلى أن دخل علي بن زياد و ابن الأشرس، و البهلوان بن راشد و بعدهم أسد بن الفرات و غيرهم بمذهب مالك، فأخذ به كثير من الناس و لم يزل يغشاو إلى أن جاء سحنون فغلب في أيامه، و فض حلق المخالفين، و استقر المذهب بعده في أصحابه، فشاع في تلك الأقطار إلى وقتنا<sup>1</sup>، كما استطاع تشكيل نواة للنخبة المالكية الثانية - الجيل الثاني - في القironan المشكّلة أساساً من طلبه و أصحابه ، هذا الأمر الذي مكن من ترسّيخ المذهب المالكي الخالص الذي سيسهل عملية انتصاره فيما بعد، منهم محمد بن سحنون ( 256/202 هـ )، و سعيد بن الحداد ( 302-219 هـ / 834-914 م )، و ابن أبي زيد القيرواني (ت 386 هـ / 996 م)<sup>2</sup>، و على العموم فقد تمكن أهل السنة و السلف في جيلهم الثاني أن يؤسسوا نسقاً عقدياً متناغماً مع روح مبادئهم السنوية، و فقههم المالكي، و لعل المقدمة التي بدا بها ابن أبي زيد القيرواني " رسالته" الشهيرة أوضح نقل يمكن أن يسلط على طبيعة التصور العقدي الذي اعتقاده أهل التسلیم و التفویض في الغرب الإسلامي، و دافعوا عنه في مجادلاتهم مع خصومهم.<sup>3</sup> و قد اعتبر تولي سحنون القضاء بتکلیف من السلطة الأغلبية عام ( 234 هـ / 849 م )، بمثابة حد فاصل في تاريخ المذهب المالكي بإفريقية، لاستغلال سحنون هذا المنصب في نشر المذهب و ضرب الجماعات المناوئة " لأهل السنة و الجماعة"<sup>4</sup>، و هذا ما يؤكده الونشريسي إذ يعلل انتشار مذهب مالك في المغرب و تمسك أهل هذه البلاد به، بتولي سحنون القضاء، حيث يذكر أنه قام

1 - القاضي عياض: ترتيب المدارك، ج 4، ص 25، 26.

2 - الدباغ: معلم الإيمان، ج 2، ص 98؛ يوسف أحناة: تطور المذهب الأشعري، ص 41؛ إبراهيم التهامي: جهود علماء المغرب في الدفاع عن عقيدة أهل السنة، ص 132-135؛ علاوة عمارة: المذهب المالكي في الغرب الإسلامي، ص 183.

3 - يوسف أحناة: تطور المذهب الأشعري، ص 41، 42.

4 - علاوة عمارة: المذهب المالكي في الغرب الإسلامي، ص 181.

بتفریق حلقات جميع المخالفين و منع الفتوى بغير مذهب مالك، و اقتدى به القضاة و أهل الفتوى في معظم أنحاء المغرب، فصاروا يمنعون الإفتاء بغير المذهب المالكي و يؤذبون على ذلك.<sup>1</sup> و في عهد الدوليات المستقلة عن الخلافة بدا المذهب المالكي أقل حضورا و فاعلية، و مع ذلك فإن فقهاء المالكية لم يتوقفوا في التمكين لمذهبهم من خلال الاستفادة من التسامح المذهبي الذي عرف به بنو رستم الإباضيون حكام تيهرت، و ما أبداه بنو مدرار الصفريون حكام سجلماسة من تحول تدريجي نحو اعتناق الاتجاه السني، و هذا ما سمح بوضع قواعد و أسس صلبة للمالكية بالغرب الأوسط<sup>2</sup>، في حين أن المذهب المالكي سجل حضورا مبكرا بالغرب الأقصى الذي انتقل إليه من الأندلس أيام الأدارسة<sup>3</sup> العلوين الذين ليس ثمة ما يدل على أنهم تعاملوا مع التشيع أكثر من كونه شعار سياسيا. في حين أبدوا منذ قيام دولتهم رغبة واضحة في الاختصاص بالمذهب المالكي، فالاعتدال من الناحية المذهبية الذي عرف به الأدارسة مكن من نشر المذهب المالكي بالغرب الأقصى، ضف إلى ذلك دور الأمويين بالأندلس في توسيع المذهب المالكي بشمال المغرب الأقصى ، و حدث هذا بفعل التقارب بينهم و بين الأدارسة الموجه ضد العباسيين.<sup>4</sup> كما تعزز و امتد بفضل النخبة العلمية التي قدمت من المشرق على عهد أبي القاسم بن واسول الخارجي الصفري و على رأسهم أبو ميمونة دراس بن إسماعيل الحراوي الفاسي (ت 357هـ/967م) و هو الذي أدخل مدونة سحنون بمدينة فاس و بهما انتشر مذهب مالك هناك،  
بعدما كان أهله على مذهب أبي حنيفة.<sup>5</sup>

<sup>1</sup> - أبي العباس أحمد بن يحيى الونشريسي: المعيار المغربي و الجامع المغربي عن فتاوى أهل إفريقيا و الأندلس و المغرب، إشراف محمد حجي، ج 2، نشر وزارة الأوقاف و الشؤون الإسلامية للمملكة المغربية (الرباط) و دار الغرب الإسلامي (بيروت)، 1981، ص 169؛ ج 12، ص 26.

<sup>2</sup> - لخضر بولطيف: الفقيه و السياسة في الغرب الإسلامي، المجلس الأعلى للغة العربية، الجزائر، 2005، ص 31.

<sup>3</sup> - أحمد محمود صبحي: في علم الكلام - دراسة فلسفية لآراء الفرق الإسلامية في أصول الدين - الزيدية ، ج 3، ط 3، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، 1991، ص 93.

<sup>4</sup> - المحتاطي: المذهب المالكي بالغرب الإسلامي، ص : 128 - 130.

<sup>5</sup> - إسماعيل سامي: المرجع السابق، ص 28.

## الفصل الأول : الأوضاع المذهبية في بلاد المغرب الإسلامي قبل القرن 5 هـ / 11 م

كما ييرز لنا ابن حوقل عن وجود جماعة من المالكية في المناطق الجنوبية لبلاد المغرب الأقصى فيقول: "... و أهل السوس فرقتان مختلفتان، مالكيون أهل سنة، و موسويون شيعة...."<sup>1</sup>، كما انتشر المذهب المالكي بالغرب الأقصى نتيجة جهود الإمام أبو العلاء إدريس بن عبد الله الأكبر، الذي أمر في جميع عمالته بضرورة إتباع مذهب مالك و قراءة كتابه الموطأ، بعد أن حارب مختلف المذاهب التي كان البربر قد اعتنقوها.<sup>2</sup>

ولكن الأمر لم يستمر بهذه البساطة و التسامح فقد تعرض المذهب المالكي و رجالاته إلى ابتلاءات و محن، نتيجة تغيير الحكام و الدول، و صارع لقرون عديدة مذاهب الخوارج، و الشيعة ، و المبدعة، و خرج منها أقوى من أي وقت مضى.

إذ حاول بنو عبيد محو المذهب المالكي بنشر دعوتهم<sup>3</sup>، و إحلال المذهب الكوفي، و نال فقهاء المالكية من ذلك فتنا لا تعد و لا تُحصى، و رغم المزيمة العسكرية للثورة الإباضية في مواجهة أبي عبد الله الشيعي إلا أنها ساهمت في تحول الكثير من التجمعات القبلية نحو المذهب المالكي، حيث أصبحت بلاد المغرب بنهاية القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي في معظمها مالكية<sup>4</sup>، حيث جاء الفرج بحدوث القطعية - سياسية و مذهبية - الزيرية<sup>5</sup> مع العبيديين فيما بعد على عهد المعز بن باديس الصنهاجي (ت 454هـ/1062م)<sup>6</sup>، و هذا ما يؤكده الشيخ محمد بن مخلوف عن السلطان المعز إذ يقول: " و كانت بإفريقية مذاهب الصفرية و الإباضية و النكارية و المعتزلة، و

<sup>1</sup> - ابن حوقل: صورة الأرض، ص 90.

<sup>2</sup> - ميمون باريش: نشأة المذاهب الفقهية في الأندلس و المغرب الكبير، ص 73.

<sup>3</sup> - لم ينج أحد من أذى الإمامية من أهل المذاهب الأخرى، و اعتبر المذهب المالكي نوع من الركود نحو نصف قرن حتى كانت مناهضة الرافضية عندما اعتلى المعز بن باديس عرش المملكة 407هـ و كان يميل إلى أهل السنة، فهجم الناس على أهل الشيعة الروافض فقتلواهم و انتهوا أموالهم و خربوا ديارهم، و ذلك كرد فعل لما قاسوه منهم. ينظر: محمد الطمار: المغرب الأوسط في ظل صنهاجة، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2010، ص 193.

<sup>4</sup> - علاوة عمارة: انتشار المذهب المالكي في المغرب الأوسط، ص 133-135.

<sup>5</sup> - عن هذا التحول المذهبي و السياسي ينظر: عبد القادر بوعقاده: التحول المذهبي في العهد الصنهاجي - الحمامي الزيري - و أثره على بلاد المغرب الأوسط، مجلة أفاق الثقافة و التراث، مركز جمعة الماجد للثقافة و التراث، السنة التاسعة، العدد الرابع و السبعون، الإمارات العربية المتحدة، 2011، ص 16-06.

<sup>6</sup> - ابن الخطيب: أعمال الأعلام، ج 3، ص 78.

## الفصل الأول : الأوضاع المذهبية في بلاد المغرب الإسلامي قبل القرن 5 هـ / 11 م

كانت بها مذاهب أهل السنة مذهب أبي حنيفة النعمان، و مذهب مالك ، فظهر له حمل الناس على التمسك بمذهب مالك، و قطع ما عداه لمادة الخلاف بالمذاهب...<sup>1</sup>.

و أما عن دخول المذهب إلى الأندلس فقد بدأ في الانتشار في وقت مبكر في عصر الدولة الأموية بالأندلس على عهد عبد الرحمن الداخل (138-754هـ/789-172م) الذي يقول عنه المقرى: "...أنه قطع دعوة آل العباس من منابر الأندلس و سد المذاهب منهم دونها..."<sup>2</sup>، و يفهم من قوله أن الأمويين بالأندلس كانوا يرغبون في الاستقلال سياسياً و مذهبياً عن الخلافة العباسية بالشرق، و عن عدم انتتمائهما للدولة العبيدية بالمغرب<sup>3</sup>؛ أي بداية الابتعاد عمّا تتبناه الخلافة العباسية من المذاهب و العقائد خصوصاً المذهب الحنفي، و الشيعي إلى تبني مذهب قوي يقارع المذهب الحنفي مذهب الخلافة الرسمي، و إن كان معتقدوا بالأندلس ظلوا قليلاً، و ظهر المذهب المالكي بعد هذا ظهوراً كبيراً لا سيما على عهد هشام الرضا (180-789هـ/822م)، الذي مدحه الإمام مالك بقوله: "وددت أن الله زين موسمنا به"<sup>4</sup>، لكن السلاوي يقول أن هذا المدح كان لعبد الرحمن الداخل و ليس لهشام الذي قال: "لا أحب أن يكون في عملي مذهبان (يعني المالكي و الحنفي)، و عالم دار الهجرة يكفيها"<sup>5</sup>، و الذي يهمنا من قوله، تركيزه على نفاذ رأي الخليفة، و اختياره في تحول الأندلسيين من المذهب الحنفي إلى مذهب الإمام مالك.

و لقد ساهم عدد كبير من العلماء في نشر المذهب المالكي و التمكين له ، و هؤلاء رحلوا للشرق درسوا على يد الإمام مالك نفسه، أو على أحد تلامذته منهم : الغازى ابن قيس الأندلسي (ت 199هـ/814م) الذي دخل بالموطأ إلى الأندلس، إلا أن زياد بن عبد الرحمن

<sup>1</sup> - محمد بن محمد بن مخلوف: شجرة التور الزكية في طبقات المالكية - التتمة-،المطبعة السلفية و مكتبتها،القاهرة،1350هـ،ص129.

<sup>2</sup> - المقرى: نفح الطيب، ج 1، ص 327.

<sup>3</sup> - إبراهيم القادري بوتشيش: نشأة المدرسة المالكية بالمغرب و الأندلس و علاقة القاضي عبد الوهاب البغدادي، الملتقى الأول، القاضي عبد الوهاب البغدادي المالكي، المؤتمر العلمي لدار البحوث، دبي، 2004، ص 286.

<sup>4</sup> - إسماعيل سامي: المرجع السابق، ص 26.

<sup>5</sup> - أحمد بن خالد الناصري السلاوي: الاستقصاء لأخبار دول المغرب الأقصى، تحقيق: جعفر الناصري و محمد الناصري، ج 1، دار الكتاب، الدار البيضاء، 1955، ص 61.

الملقب بشبطون (ت 199هـ/814م) كان أول من أدخل مذهب مالك إلى الأندلس أما الذين نشروه و مكنوا له نذكر منهم: أبو عبد الله محمد بن سعيد بن شراحيل (ت 197هـ/812م) و قرعوس بن العباس (ت 220هـ/835م)، و أبو محمد عيسى بن دينار القرطي (ت 212هـ/827م) و يحيى بن يحيى الليبي (ت 234هـ/849م)، و عبد الملك بن حبيب (ت 238هـ/852م)<sup>1</sup> صاحب كتاب الواضحة.

و منذ نهاية القرن الثالث الهجري/التاسع الميلادي أخذ المذهب المالكي يسود المغرب و الأندلس حتى أصبحت له السيادة الكاملة خلال القرنين الرابع و الخامس الهجريين لا سيما على عهد الزبيدين و المرابطين<sup>2</sup>. وهذا ما يؤكده الفرد بقوله: "...أن الشمال الإفريقي عاد في القرن الخامس الهجري (الحادي عشر ميلادي) إلى مذهب مالك...".<sup>3</sup>

## 2-5- المذهب الشافعي:

ينسب إلى الإمام أبي عبد الله محمد بن إدريس الشافعي (150-204هـ/767-819م)<sup>4</sup> الذي أقام مذهبه على الاستفادة من مدرسة الحجاز و العراق معتمداً على القرآن و السنة أما القياس فلا يأخذ به إلا عند الضرورة و منهاجه جلي في الرسالة<sup>5</sup>. التي أبدى فيها الإمام الشافعي قدرة فائقة في مجال تنظيم أصول الفقه<sup>6</sup>، و قد استقر الإمام الشافعي في آخر أيام حياته بمصر الأمر الذي وفر كل الظروف الملائمة لانتشار مذهبه ببلاد المغرب كون مصر تقع على طريق الرحالة المغاربة، و منه ظهر مذهب الشافعي بال المغرب الإسلامي فنافس المذهبين المالكي و الحنفي، إلا أن انتشاره لم يكن على النحو الطبيعي المتوقع له، حيث أن سائر بلاد المغرب إلى مصر لا يعرفون مذهب

<sup>1</sup> - محمد همال: النصرة لمذهب إمام دار المحرقة، ص 61؛ ميمون باريش: نشأة المذاهب الفقهية في الأندلس و المغرب الكبير، ص 74؛ إسماعيل سامي: المرجع السابق، ص 27.

<sup>2</sup> - إسماعيل سامي: المرجع السابق، ص 28.

<sup>3</sup> - ألفرد بل: المرجع السابق، ص 114.

<sup>4</sup> - ينظر ترجمته في: ابن النسّم: الفهرست، ص 263، 264؛ الذهي: سير أعلام النبلاء، ج 10، ص 99-5؛ ابن حلkan: وفيات الأعيان، ج 1، ص 447.

<sup>5</sup> - إسماعيل سامي: المرجع السابق، ص 29.

<sup>6</sup> - حفيظ كعوان: المرجع السابق، ص 115.

الشافعي، بل أكثر من ذلك فالمالكية كانت تبغض<sup>1</sup> الإمام الشافعي ، حيث أنه – حسبهم- أخذ العلم من مالك ثم خالفه<sup>2</sup>، وهذا ما أدى إلى قلة المؤثرين به أو الذين تبنونه كمذهب نذكر منهم: أبو عبد الله محمد بن علي البجلي (ت 314هـ/929م)، و أبو إبراهيم إسحاق بن النعمان (ت 315هـ/927م)، و أبو العباس السندي (ت 320هـ/932م)، على أن أبرزهم هو عبد الملك بن محمد الضبي المعروف بابن بردون الذي كان من المناظرين في الفقه و الجدل.

و الجدير بالذكر أن رجالات المذهب الشافعي ببلاد المغرب لم يعتلوا مناصب حساسة في الدولة تساعدهم على نشر مذهبهم و التمكين له، و بهذا لم يتمكنوا من تكوين قاعدة اجتماعية مرمودة<sup>3</sup>، وعلى العكس من هذا وجدت الشافعية بالأندلس مجالاً للنشاط الديني و العملي، و هذا من خلال الدخول المبكر لهذه المنطقة، و الذي يعزى إلى جهود بعض الرحالة العلماء نذكر منهم: قاسم بن محمد بن سيار مولى الوليد أبو محمد القرطبي (ت 276هـ/889م) الذي كان أول من أدخل المذهب الشافعي للأندلس و حظي بالرعاية الرسمية ، حيث وفر له الأمير محمد بن عبد الرحمن ( 238-852هـ/886م) الحماية الكافية، حتى أصبح يدرس بقرطبة جنباً إلى جنب مع المذهب المالكي دون حرج<sup>4</sup>، و مهما يكن من أمر فإن التجربة الشافعية ساهمت في تنشيط الحركة الفكرية خلال النصف الثاني من القرن الثالث الهجري/ التاسع الميلادي، خاصة و أن الشافعية تميزوا بميلهم إلى النظر و بتمرسهم في الجدل و المناقضة.

<sup>1</sup> - ونظراً لشدة امتعاضهم منه، فإنهم لم يتوانوا في وضع المؤلفات في الرد على الشافعي، منها "كتاب الرد على الشافعي و أهل العراق" لمحمد بن سحنون (ت 256هـ)، و "كتاب الرد على الشافعي" ليعي بن عمر (ت 289هـ) ينظر: =القاضي عياض: تراثم أغلى، ص: 173، 263؛ ابن فرحون: الدياج المذهب، ص: 334؛ ص: 73؛ محمد بن محمد بن مخلوف: شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، المطبعة السلفية و مكتبتها، القاهرة، 1349هـ، ص: 73.

<sup>2</sup> - نسيم نوار: المرجع السابق، ص: 32.

<sup>3</sup> - حفيظ كعوان: المرجع السابق، ص: 115.

<sup>4</sup> - إسماعيل سامي: المرجع السابق، ص: 30؛ نسيم نوار: المرجع السابق، ص: 32.

## الفصل الأول : الأوضاع المذهبية في بلاد المغرب الإسلامي قبل القرن 5 هـ / 11 م

**2- المذهب الحنفي:** ينسب إلى الإمام أحمد بن حنبل (164-241هـ/780-829م)<sup>1</sup> تلميذ الشافعي الذي لقي محنـة على أيام الخليفة العباسـي المأمون (198-218هـ/833-842م) لعدم اتفاقـه مع المعتزلـة في مسألـة خلق القرآن<sup>2</sup>، و كان مقلداً في مذهبـه الذي ظهرـ في المغرب الإسلامي ظهورـاً خفيفـاً هو الآخرـ على يـد بعض المـقلـدين منـهم: عبد اللهـ بن عبد الرحمنـ المـروـزيـ، و لم يكنـ له أي دورـ لا على المستـوى العلمـيـ و لا بينـ الخـاصـةـ و العـامـةـ.<sup>3</sup>

### 2- المذهب الظاهري<sup>4</sup>:

ينسب إلى مؤسسـه أبي سليمـان داودـ بن عليـ بن خـلفـ الأصفـهـانيـ الملـقبـ بالـظـاهـريـ (270هـ/816-884م)<sup>5</sup>، هو أولـ من نـادـىـ بهـ و دـعاـ إـلـيـهـ، و يـقـومـ مـذـهـبـهـ عـلـىـ منـافـاةـ كـلـ اـجـهـادـ و بـحـانـبـةـ أـيـ تـأـوـيلـ، أـيـ كـانـتـ لـهـ طـرـيقـةـ خـاصـةـ تـتـلـخـصـ فـيـ الـأـخـذـ بـظـاهـرـ النـصـوصـ مـعـتمـداـ عـلـىـ الـكـتـابـ وـ السـنـةـ وـ رـافـضـاـ الرـأـيـ وـ الـقـيـاسـ وـ التـأـوـيلـ<sup>6</sup>، وـ يـلـخـصـ اـبـنـ خـلـدونـ مـذـهـبـهـ فـيـقـولـ: "جـعـلـواـ مـدـارـكـ الشـرـعـ كـلـهـ مـنـحـصـرـةـ فـيـ النـصـوصـ وـ الإـجـمـاعـ، وـ رـدـواـ الـقـيـاسـ الـجـلـيـ، وـ الـعـلـةـ الـمـنـصـوصـةـ إـلـىـ النـصـ، لأنـ النـصـ عـلـىـ الـعـلـةـ نـصـ عـلـىـ الـحـكـمـ فـيـ جـمـيعـ مـحـالـهـ"<sup>7</sup>، وـ هـذـاـ مـاـ جـلـبـ لـهـ

1 - ينظر ترجمته في: أبي الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد بن الجوزي : مناقب الإمام أحمد بن حنبل، تحقيق عبد الله بن عبد المحسن التركي، ط2، هجر للطباعة و النشر و التوزيع، الجيزة، 1409هـ، ص 12 و ما بعدها؛ محمد أبو زهرة : أحمد بن حنبل حياته و عصره- آرائه و فقهـهـ ، دار الفكر العربيـ، بيـرـوتـ (دـ.ـتـ).ـ صـ 14ـ وـ ماـ بـعـدـهاـ.

2 - للإطلاع أكثر ينظر دراسة: سير بن لوصيف: موقف أهل السنة والجماعة من قضية خلق القرآن في القرن الثالث هجري (مشرقاً وغرباً)، مذكرة ماجستير، المدرسة العليا للأساتذة، بوزعـعةـ-ـالـجـزـائـرـ، 2005-2006، ص 25.

3 - إسماعيل سامي: المرجع السابق، ص 30.

4 - للإطلاع أكثر على نشأة وتطور المذهب الظاهري حتى عصر الموحدين ينظر: محمد المتوني: حضارة الموحدين، ص 37 و ما بعدها؛ عباس عبد الله الجراي: المغرب و تيار المذاهب الإسلامية، مجلة الإيمان، جمعية شباب النهضة الإسلامية، العدد 06، الرباط، 1966، ص: 9-15.

5 - ابن النديم: الفهرست، ص 271؛ القاضي عياض: ترتيب المدارك، ج 1، ص 54؛ أحمد بكير محمود: المدرسة الظاهرية بالشرق و المغرب، ط 1، دار قتبـيةـ للـطبـاعـةـ وـ النـشـرـ وـ التـوزـعـ، بيـرـوتـ، 1990ـ، صـ 5ـ.

6 - عبد العزيز المخدوب: الصراع المذهبي بفارقـيةـ، صـ 103ـ.

7 - ابن خلدون: المقدمة، ص 799.

## الفصل الأول : الأوضاع المذهبية في بلاد المغرب الإسلامي قبل القرن 5 هـ / 11 م

نقطة الكثير من الفقهاء، حتى قال بعض العلماء: "إن مذهبه بدعة ظهرت بعد المائتين"<sup>1</sup>، و يبدوا أن سطحية هذا المذهب جعلت فقهاء إفريقيية يستصغرون شأن داود و يسخرون منه، و يعتبرونه عقيم المدارك و محدود المعرف.<sup>2</sup>

و لقد ظهر أولاً بالشرق ثم انتقل إلى المغرب و الأندلس، أما عن دخول المذهب الظاهري للغرب فإن المصادر التي بين أيدينا أفادتنا بمعلومات عن دخوله، فقد وجد هذا المذهب مجالاً للظهور بإفريقية على أيدي أفراد قلائل لم يكن لهم شأن في نظر الناس. منهم أبو القاسم بن مسحور المعروف بابن المشاط الذي مال إلى مذاهب كثيرة بل إلى كافة المذاهب تقربياً<sup>3</sup>، وأبو جعفر بن حسرون الذي سعى به المرزوقي لدى عبيد الله، فقتله، يقول الحشني عنه: "كان مالكيًا، أدخل بعض كتب أبي داود القبوران"<sup>4</sup>، و منهم أيضاً عبد الله بن محمد قاسم هلال (ت 272هـ/885م) الذي رحل إلى الشرق و التقى بدواود بن علي و أدخل كتبه كلها إلى الأندلس، و من المتوقع أنه كان له دور في نشره بالغرب أو على الأقل ترك أثراً للمغاربة المالكين الحديث عن المذهب الظاهري و أصوله، و ذلك أثناء رحلته من الشرق إلى الأندلس و التي حتماً كانت تمر على المغرب، و كان ذلك في عهد الأمير محمد بن عبد الرحمن ، و في عهد عبد الرحمن الناصر (300-350هـ/912-961م) صار لهذا المذهب أتباعه بفضل جهود منذر بن سعيد البلوطى (355هـ/965م) قاضي القضاة الذي كان يؤثره و يجمع كتبه و يحتاج له و يأخذ نفسه و ذويه به، و يبدوا أن جهوده كانت مقدمة لازدهار المذهب<sup>5</sup> فيما بعد على يد محمد بن سليمان

<sup>1</sup> - الونشريسي: المعيار المغرب، ج 2، ص 491.

<sup>2</sup> - عبد العزيز المخدوب: الصراع المذهبي بإفريقية، ص 104.

<sup>3</sup> - القاضي عياض: ترجم أعماله، ص 415، 416؛ عبد العزيز المخدوب: الصراع المذهبي بإفريقية، ص 103.

<sup>4</sup> - الحشني: طبقات علماء إفريقية، ص 175؛ عبد العزيز المخدوب: الصراع المذهبي بإفريقية، ص 104.

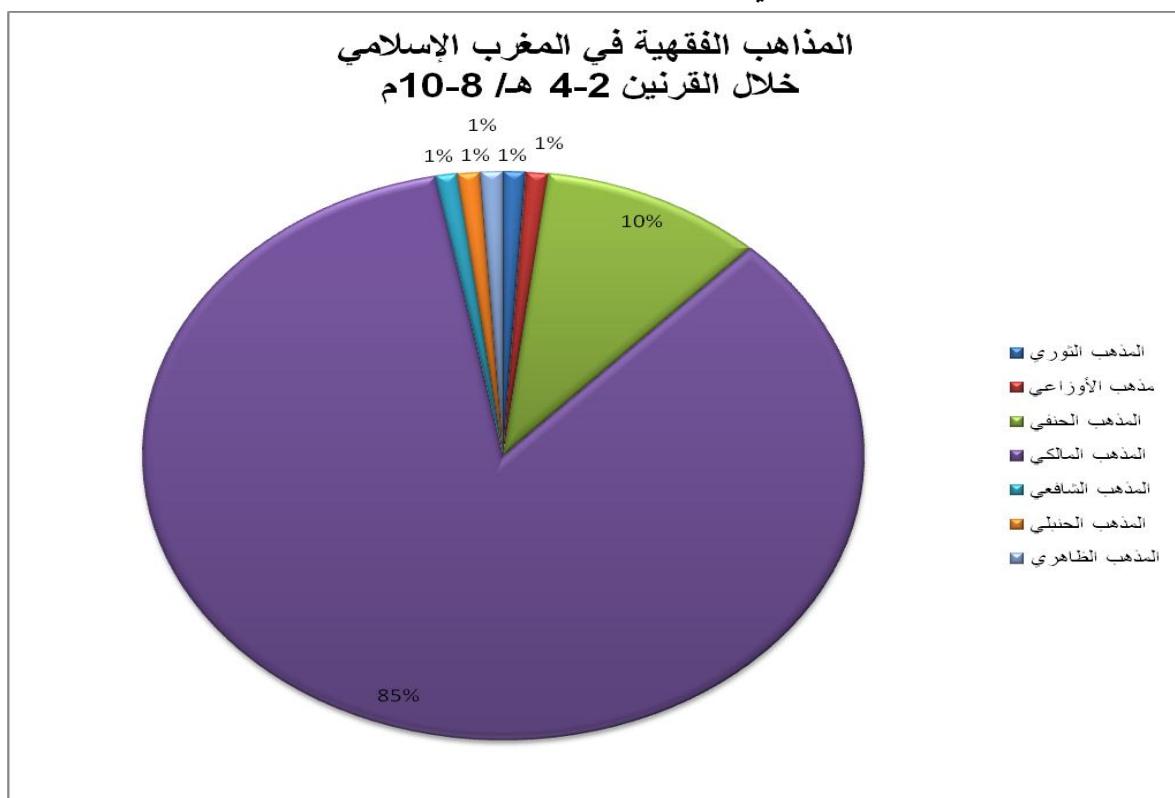
<sup>5</sup> - إسماعيل سامي: المرجع السابق، ص 30؛ عبد الباقى السيد عبد الهادى: المذهب الظاهري نشأته و تطوره بالغرب و الأندلس حتى نهاية الموحدين، حولية سيمinar التاريخ الإسلامي و الوسيط، الجمعية المصرية للدراسات التاريخية، العدد الثاني، مصر، 1433هـ/2012م، ص 191، 192.

## الفصل الأول : الأوضاع المذهبية في بلاد المغرب الإسلامي قبل القرن 5 هـ / 11 م

الظاهري، و الفقيه أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الظاهري (ت 466هـ/1063م)<sup>1</sup>

الذي كان أبرزهم و الذي وجه نقداً للمذهب الأشعري.<sup>2</sup>

و منه نستطيع القول أن الظاهرية قد انتشرت في فترة بلغ فيها الاجتهد الفقهي ذروته، و بزرت فيها تحديات جديدة ناتجة أساساً عن المستوى الذي بلغه العالم الإسلامي من التحضر و الانحلال الذي صاحبه، فأصبح التحايل على نصوص الشريعة شغل الكثير من الفقهاء، مثل هذه الحالة ساهمت في تنشيط حركة الظاهرية، غير أن الوضع المذهبي ببلاد المغرب قد أخذ شكله النهائي بسيطرة شبه كاملة للمذهب المالكي.<sup>3</sup>



<sup>1</sup> - محمد أبو زهرة: ابن حزم حياته و عصره - آرائه و فقهه، دار الفكر العربي، 1978، ص 35 و ما قبلها.

<sup>2</sup> - للإطلاع على محتوى النقد ينظر: حسن أحمد الخطاطف: نقد ابن حزم الأندلسي للمذهب الأشعري، مجلة الشريعة والدراسات الإسلامية، مجلس النشر العلمي جامعة الكويت، السنة السادسة و العشرون، العدد الخامس و الثمانون، الكويت، 2011م، ص: 333-365.

<sup>3</sup> - إسماعيل سامي: المرجع السابق، ص 31؛ نسيم نوار، المرجع السابق، ص 34.

## الفصل الأول : الأوضاع المذهبية في بلاد المغرب الإسلامي قبل القرن 5 هـ / 11 م

لقد تم رسم هذه الدائرة النسبية - التي توضح نسب انتشار المذاهب الفقهية في المغرب الإسلامي خلال القرنين (2-4هـ/08-10م) عن طريق الاعتماد على المنهج الرياضي الإحصائي، حيث حاولنا تحديد نسبة مئوية لكل مذهب فقهي حسب نسبة انتشاره و تغلغله. و مع ذلك فإن هذه المحاولة، لم تكن عبئاً، وإنما مبنية على أساس المعطيات التاريخية الواردة في المصادر و المراجع حول هذا الموضوع، و التي عملنا على استنطاقها قدر الإمكان علّنا نخرج منها بنتسبة تعكس لنا مدى ما بلغته هذه المذاهب من الانتشار. و لإعطاء صورة توضيحية أكثر.

### خلاصة :

من خلال تناولنا لفصل الأوضاع المذهبية في المغرب الإسلامي قبل القرن الخامس الهجري الحادي عشر الميلادي، فقد توصلنا للنتائج التالية:

أولاً: شهدت بلاد المغرب تنوعاً مذهبياً خالل القرنين الثاني و الثالث الهجريين، فعرفت التربية المغاربية ولوح و تسرب مختلف الفرق و المذاهب العقدية من فكر خارجي، و إعتزال، و إرجاء و تشيع، غير أنه لم يكتب لها البقاء فزالت و اندثرت بزوال دعاتها، و لم يبق لها أي أثر.

ثانياً: شكلت منطقة المغرب الإسلامي إحدى حواضر دولة الإسلام، فكان من الطبيعي أن تدخلها مختلف المذاهب الفقهية التي انتشرت في كافة أرجاء هذه الدولة الواسعة، و ذلك تحت تأثير الرحلات التجارية و العلمية في إطار التواصل الحضاري و الثقافي، لذلك يصح لنا القول: إن المغرب الإسلامي قد دخلته المذاهب المختلفة مثل المالكية و الظاهيرية و الشافعية و الحنفية و الحنبلية و الشيعية و غيرها كثیر، إلا أن هذه الفرق والمذاهب لم تبلغ في عمومها من القوة والعمق ما تستطيع به أن تكون تياراً ذا شأن يستطيع أن يقارع التيار الغالب على أهل المغرب المتمثل في سلفيتهم القائمة على العقيدة في ثوبها المأثور عن الصحابة و التابعين، وعلى الفقه في ثوبه المالكي، وهو ما يفسر خلو المغرب من حركة حوارية تتناظر فيها الملل والنحل كما هو الشأن بالشرق.

و في ظل هذه الفرق الكلامية و المذاهب الفقهية، التي تكلمنا عنها سالفاً، كانت تقتضي وجود مذهبياً سنيناً جديداً الذي يمكنه أن يستوعب جوانب عقلانية و أخرى نقلية في ضمن نفسه الاستمرارية و الدوام، و يوجد لعصره ما تبقى من المستقبل الحلول الوسطى و المواقف التوفيقية، وهذه الخصائص لا توجد إلا بالمذهب الأشعري.

# **الفصل الثاني:**

## **دخول المذهب الأشعري إلى بلاد المغرب الإسلامي.**

- 1- التعريف بالإمام أبو الحسن الأشعري.
  - 2- نشأة المذهب الأشعري في المشرق الإسلامي.
  - 3- انتشار المذهب الأشعري و موقف السلف منه.
  - 4- دخول المذهب الأشعري لبلاد المغرب .
  - 5- عوامل دخول و انتشار المذهب الأشعري في بلاد المغرب.
  - 6- عوامل تأخر اعتناق المذهب الأشعري ببلاد المغرب.
  - 7- مراجعات المذهب الأشعري عند المغاربة.
  - 8- رجالات الأشعرية ببلاد المغرب إلى حدود العصر المرابطي.
- خلاصة.

فرضت الاتجاهات الفكرية التي ظهرت في القرنين الثاني والثالث الهجريين تحديا عقديا على أهل السنة مشرقا و مغريا، حيث نشطت في الساحة الفكرية آراء و أفكار الفرق المبتدعة، التي تأثر بعضها بالفلسفة اليونانية و غيرها. و شكل ذلك خطرا كبيرا على العقيدة الإسلامية، مما حدا بعلماء المذاهب السنوية إلى الدفاع بكتابات و مناظرات لم تكن في الحقيقة كافية لوقف زحف أفكار هذه الفرق و مقولاتها. و زاد من خطورة الأمر مؤازرة بعض الخلفاء العباسيين لفرقة المعتزلة التي توسع أهلها في التأويل<sup>1</sup>، و نادوا بتقديم العقل على النقل في استدلالهم على الأقوال، بخلاف أهل السنة، الذين اعتمدوا أساسا على النقل في مواجهة خصومهم، و سلكوا مسلك النقل و التفويض في تقرير العقائد الإيمانية. و هذا المنهج، و إن كان هو المنهج السليم من وجهة نظر أهل السنة، فإنه ظهر ضعيفا أمام قوة الاستدلال العقلي الذي عرف به المعتزلة و اكتسبوا به جاذبية فكرية. فكانت جهود أئمة المسلمين قوية لرد تحديات المعتزلة و بيان حقيقة العقيدة الإسلامية و توضيح منهاجها. و سط هذا الصراع الفكري القوي، كانت الحاجة ضرورية لتوليد منهج قادر على تصحيح ما أفسدته مقالات المبتدعة في العقيدة، و على تقوية وضع أهل السنة و رد الاعتبار لهم، و على ترجيح كفتهم من جديد في الساحة الفكرية. فظهر أبو الحسن الأشعري الذي ترس بمهاجم المعتزلة العقلية، و كان أحد أئمتها، و كان ذا إلمام واسع بعناصر قوتها و ضعفها، فاقتصر منهاجا عقديا جمع فيه بين الاستدلال بالكتاب و السنة على مذهب الإمام أحمد بن حنبل و أصوله. و بين الاستدلال العقلي، أي قواعد علم الكلام، بهدف الرد على المعتزلة بنفس أسلوبهم و منهجهما.

1- لغة: مأخوذه من الأول و هو الرجوع و الصبرورة و منه آلت إليه السلطة أي رجعت إليه، و آلت عن الشيء ارتددت، أما اصطلاحا فهو صرف اللفظ عن المعنى الراجح إلى المعنى المرجوح لدليل يقترن به. ينظر: عبد السلام محمد بكاري: تأصيل العقيدة و تأويل آياتها عند علماء المغرب خلال القرنين الخامس و السادس الهجريين، ط1، دار أبي الرفاق للطباعة و النشر، الرباط، 2005، ص: 89-91؛ رشيد بلحبيب: التأويل بين الأصوليين و المتكلمين، مجلة الفرقان، العدد 63، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، 2009، ص: 87-93؛ عبد الرحيم بودلال: التأويل عند الأشاعرة، مجلة الفرقان، العدد 63، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، 2009، ص: 94-104.

فمن هو هذا الإمام الذي قلب الوضع الفكري لصالح أهل السنة؟ و ما هي أصوله التي قررها و صارت شعراً لجمهور المسلمين؟ و ما هو منهجه في ذلك؟

### 1- التعريف بالإمام أبو الحسن الأشعري:

#### 1-1- البيئة التي ولد فيها أبو الحسن الأشعري و مذهبة الأشعري:

كان الصحابة رضوان الله عليهم في حياة الرسول صلى الله عليه وسلم و بعدها بقليل على عقيدة واحدة و طريق واحد، و لم يكن أحدهم ليختلف مع الآخر إلا في اليسير من الأمور، و إن اختلفوا فلم يكن ذلك الاختلاف ليتعدى أمور اجتهادية كان الغرض من إثارتها إقامة مراسيم الدين و توطيد أركانه، بل أنهم اختلفوا في بعض هذه المسائل و الرسول صلى الله عليه وسلم بين أظهرهم<sup>1</sup>.

أو بالموازاة مع ذلك فقد كان المسلمون على عهد النبوة يعرضون عن الجدل و المراء و الخصومة في الدين لأن الرسول صلى الله عليه وسلم كان يحذر من مغبة الجدل في مسائل الدين.<sup>2</sup>

و قد أشار المقرئي إلى أن الله سبحانه و تعالى لما بعث نبيه محمد صلى الله عليه وسلم رسولاً إلى الناس كافة وصف لهم ربهم بما وصف به ذاته في القرآن الكريم، و لم يجرؤ أحد من الصحابة باختلاف مشاربهم عن السؤال عنها، بل كلهم فهموا معنى ذلك و سكتوا عن الكلام فيها، و أثبتوا رضي الله عنهم ما أطلقه جل شأنه على ذاته من غير تعطيل أو تشبيه، و اكتفوا بسؤاله صلى الله عليه وسلم عن أمر الصلاة و الزكاة و الصيام و الحج.<sup>3</sup>

لقد انفرد الشهريستاني بذكر بعض الشبهات التي أثارها المنافقون على عهد الرسول صلى الله عليه وسلم، و اعتبرها أولى الإرهادات لظهور الجدل في العقائد فيما بعد، منها على سبيل

1- الأشعري: مقالات الإسلاميين ،ص:34.

2- محمد أحمد عبد القادر: ملامح الفكر الإسلامي بين الاعتدال و الغلو، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 2003م، ص: 599.

3- المقرئي: الموعظ و الاعتبار ، ج2، ص: 356.

المثال احتجاج ذي الخوياصرة التمييمي<sup>1</sup> على قسمة رسول الله صلى الله عليه وسلم للغائم، و قوله: "أن اعدل يا محمد فهذه قسمة ما أريد بها وجه الله".<sup>2</sup>

و من ثم يجب التسليم بأن المسلمين قد احتزروا في عهده صلوات الله عليه ، و صحابته الكرام عن الجدل حول العقائد و الخوض في مشكلات الأصول، و اكتفوا بما ورد في القرآن الكريم من عقيدة متكاملة فلم يبحثوا بحثا نظريا في أصول الدين، و لم يسعوا إلى التعلم من غير هذا المصدر الإلهي، فقد وجدوا فيه ما يجب معرفته عن الله و العالم و الإنسان.<sup>3</sup>

و بعد أن انقضى عهد الصحابة و التابعين على التسليم المطلق - كما سبق و أن أشرنا - بما ورد في الكتاب و السنة عن الذّات الإلهية و صفاتها، فلم يتنازعوا في مسألة واحدة من تلك المسائل، أعقبه عهد جديد كان على النقيض المطلق من ذلك.<sup>4</sup>

و الواقع أن الدين الإسلامي شأنه شأن أي دين آخر، قد مر بمراحلتين: أولهما مرحلة التصديق القلبي و الإيمان بالعقائد و الأصول. و الثانية مرحلة البحث و النظر و صوغ مسائل الدين صياغة أصولية<sup>5</sup>

بالنسبة للمرحلة الأولى قد مضت وولت، أما عن المرحلة الثانية فكانت بدايتها بتفرق الكلمة المسلمين و انقسامهم إلى شيع و أحزاب تمحضت عن مشاكل سياسية بالدرجة الأولى، إلا أنه رغم الصيغة السياسية التي غلت على هذه الحركات غير أنها هي التي كانت وراء انتشار الفكر الإسلامي و انتفاضه و ظهور فرق أخرى، إذ أن كل فرقة سياسية كان لها رأي مستقل هو أحق بالخلافة، ثم ظهرت مشكلة مرتکب الكبيرة و حقيقة إيمان من يتبع الطرف الآخر فهو مؤمن أم

1- هو حرقوص بن زهير، شهد مع علي صفين. ثم صار من الخوارج، قتل سنة 37هـ. ينظر: الشهريستاني: الملل والنحل، ج 1، ط 2، ص 10.

2- الشهريستاني: الملل و النحل، ج 1، ط 2، ص 12، 13.

3- محمد الصالح محمد السيد: أصالة علم الكلام، دار الثقافة و النشر و التوزيع، تونس، 1987م، ص ص: 22 - 23.

4- محمد أحمد عبد القادر: المرجع السابق، ص: 328.

5- محمد الصالح السيد: المرجع السابق، ص: 21.

غير مؤمن؟ و هكذا أدى بهم البحث في مسألة الإيمان و حقيقته تدريجياً إلى الخوض في مسائل العقدية.<sup>1</sup>

و بالإضافة إلى ذلك فقد كان من أسباب ظهور تلك الخلافات التي جرت بين المسلمين هو اندماج أجناس مختلفة و عناصر متباعدة دخلت تحت لواء الإسلام، إلا أن إسلامهم ذلك لم يكن إلا طلاء ظاهراً، و انتحالم للملة الحمدية لم يكن إلا لضرب الإسلام في الصلب حقداً وحسداً من قلوبهم، و هكذا أخذوا يبتئون الأفكار المنحرفة التي لا عهد للمسلمين بها حتى يشّكّلوكهم في مسلماً لهم و يجرّوهم إلى الدرك الأسفل.<sup>2</sup>

فظهرت من جراء ذلك طوائف عديدة تناولت مسائل العقيدة الإيمانية، من بينها القدرة<sup>3</sup>، و الجبرية و إلى غير ذلك من الفرق التي استفحلاً أمرها و أخذ يهدد كيان الدين الإسلامي.<sup>4</sup>

و لما كان الأمر بهذه الخطورة تحمل فريق من المسلمين مهمة الدّود عن الإسلام، و ذلك بتفنيد ما دعا إليه أعداء هذا الدين، و دحض كل الشبهات التي أثيرت من قبلهم، و قد تسلح هؤلاء المدافعون عن الدين بنفس السلاح الذي كان يتسلح به أعداء الإسلام آلاً و هو الفلسفة اليونانية و المنطق اليوناني، و هذا لمواجهة هؤلاء الخصوم الذين حذقوا في المجال الديني، بيان ذلك إيداناً بميلاد علم الكلام.<sup>5</sup>

تعددت تعريفات هذا العلم و تبانت وجهات النظر حوله، و مع ذلك فجميعها تدل على نفس المعنى، سبقت بذكر بعض منها فقط.

1- محمد عبد الرحمن مرجب: من الفلسفة اليونانية إلى الفلسفة الإسلامية، ط 3، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1983م، ص ص: 281-282؛ محمد علي أبو ريان، تاريخ الفكر الفلسفي في الإسلام: المقدمات، علم الكلام، الفلسفة الإسلامية، دار النهضة العربية، بيروت، (دـ ت)، ص ص: 138، 139.

2- البغدادي: الفرق بين الفرق، ص: 123.

3- تنسب هذه الفرقة إلى أول من قال بالقدر في الإسلام، و هو معبد بن عبد الله الجهمي البصري، و قد تلّمذ على يد رجل نصري من أهل العراق أظهر الإسلام يقال له سوسن، انظر: الأشعري: مقالات المسلمين، ج 1، ص: 10.

4- المصدر نفسه: ج 1، ص: 10.

5- محمد علي أبو ريان: المرجع السابق، ص: 138 ، 139 .

عرفه "أبو حامد الغزالي" بقوله: «علم الكلام مقصوده حفظ عقيدة أهل السنة و حراستها عن تشويش أهل البدعة...»<sup>1</sup>

"أَمّا ابْن خَلْدُون" فجاء على لسانه: «هُوَ عِلْمٌ يَتَضَمَّنُ الْحَجَاجَ عَنِ الْعَقَائِدِ الإِيمَانِيَّةِ بِالْأَدَلَةِ الْعُقْلِيَّةِ، وَ الرِّدُّ عَلَى الْمُبْتَدِعِ الْمُنْحَرِفِينَ فِي الاعْتِقَادَاتِ عَنِ مَذَاهِبِ السَّلْفِ وَ أَهْلِ السَّنَةِ، وَ سَرِّ هَذِهِ الْعَقَائِدِ الإِيمَانِيَّةِ هُوَ التَّوْحِيدُ»<sup>2</sup>

"أَمَا الْجَرجَانِيُّ" فعرفه بقوله: «هُوَ الْعِلْمُ الْمُتَكَفَّلُ بِإِثْبَاتِ الصَّانِعِ وَ تَوْحِيدهِ، وَ تَنْزِيهِهِ عَنِ الْمُشَابَّهَةِ بِالْأَجْسَامِ وَ اتِّصَافِهِ بِصَفَاتِ الْجَلَالِ وَ الْإِكْرَامِ وَ إِثْبَاتِ النَّبِيَّةِ الَّتِي هِيَ أَسَاسُ الْإِسْلَامِ...»<sup>3</sup>  
وَ بِهِ يَتَرَقَّى فِي الإِيمَانِ بِالْيَوْمِ الْآخِرِ مِنْ دَرْجَةِ التَّقْلِيدِ إِلَى دَرْجَةِ الْإِلْتِقَانِ...»  
تلك نماذج من تعريفات علم الكلام اكتفينا بها عن غيرها - ما دامت توضح المعنى و تuali على الغموض.

وَ الَّذِي يَمْكُنُ الْخَرُوجُ بِهِ مِنْ هَذِهِ التَّعْرِيفَاتِ هُوَ أَنْ عِلْمُ الْكَلَامِ يَتَمَثَّلُ أَسَاسًا فِي مُحاوَلَةِ الْمُسْلِمِينَ لِإِثْبَاتِ عَقَائِدِهِمْ عَنْ طَرِيقِ الْعُقْلِ، وَ قَدْ ظَهَرَ كَحْتَمِيَّةُ كُلِّ ذِي الْعِلْمِ الْمُسْلِمِ خَصَوصَةً فِي الْعِقِيدَةِ الْمُخَاصِّيَّةِ فِي زَمْنِ كَالْزَّمِنِ الَّذِي ظَهَرَ فِيهِ، فَقَدْ سَمِحَتِ الْفَتوَحَاتُ الْإِسْلَامِيَّةُ الَّتِي شَرَّقَتْ وَ غَرَّبَتْ بِمُواجِهَاتِ عَقَائِدِيَّةٍ بَيْنَ الْمُسْلِمِ وَ غَيْرِهِ مِنْ أَصْحَابِ الْدِيَانَاتِ الْأُخْرَى، فَكَانَ لَا بدَّ مِنْ إِعْمَالِ الْعُقْلِ.<sup>4</sup>

وَ تَحْمِلُ الْمُعْتَزِلَةُ وَ زَرُّ الْخُوْضِ عَمَّا نَهَى عَنْهُ الرَّسُولُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَ مِنْ ثُمَّ لَقِوا إِعْرَاضًا مِنِ الْتَّابِعِينَ وَ الْفَقَهَاءِ وَ أَهْلِ الْحَدِيثِ.<sup>5</sup>

1- أبو حامد الغزالي: المنقذ من الضلال، تحقيق: عبد الكريم المراق، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984م، ص ص: 37 ، 38.

2- عبد الرحمن بن خلدون: المقدمة، ص: 363.

3- الشيريف الجرجاني: شرح المواقف في علم الكلام، الموقف الخامس في الإلهيات، تحقيق: أحمد المهدى، مكتبة الأزهر، القاهرة، ب.ت، ص ص: 22، 23.

4- محمد أحمد عبد القادر: المرجع السابق، ص ص: 596 ، 597 .

5- أحمد محمود صبحي: في علم الكلام، ج 1، ص: 15.

و كانت المعتزلة أجرأ الفرق في مواجهة الخصوم ومجادلتهم و تخطيّتها، فلم يقتصر أصحابها على النظر في مبادئ الإسلام، بل توسعوا إلى جميع ما عرف من علوم و معارف و ما نقل عن الأقدمين و الحدثين بالنسبة لمرحلتهم و نقشوا ذلك و وزنوا بينه و نقلوه، و أبطلوا حججاً و أخذوا بأخرى لو كانت لغير المسلمين، ذلك أن العقل عندهم ليس حكراً على المسلمين و إنما ملك لكل إنسان، وقد ترد الحقيقة عند أيّ كان، و بذلك تتميز المعتزلة على حد تعبير إنعام الجندي: «بأنها تؤمن بالعقل إيماناً راسخاً».<sup>1</sup>

غير أن إعمال المعتزلة للعقل لم يكن بعقلانية، إذ أنهم كانوا يعتقدون أن العقل وحده قادر على إدراك حقائق الدين، وأن ما يدل عليه العقل لا يمكن أن يخطئ، فكانوا يعرضون كافة مسائلهم على سلطان العقل، مما قبله أقوره، و ما رفضه رضوه، و يشير أحد الباحثين إلى أنهم كانوا يحكمون على قيمة الأشياء حسناً و قبحاً بالعقل قبل الشرع.<sup>2</sup>

هذا بالإضافة إلى أن المعتزلة قالت بالتأويل و عدمأخذ جميع الآيات الواردة في القرآن بحسب ظاهرها، فالظاهر في بعض الآيات يعطي فكرة بمبدأ الشك و عدم تقبل أية فكرة قبل عرضها على النقاش و النقد العقلي.<sup>3</sup>

و هكذا سلك التفكير الديني في الإسلام منذ العصر الأموي مسلكين أساسيين، مسلك أولئك الذين يتقبلون الأمور تقبلاً يستند إلى الروايات والأقوال التي قال بها السلف الصالح، و هم أهل النقل، ثم مسلك أولئك الذين يريدون أن يستندوا في الاعتقاد إلى ما قبله العقل، و هم أهل الرأي.<sup>4</sup>

وقد أخذ كل فريق منهم في عرض أفكاره على أنه هو صاحب المنهاج القويم، و أن الآخر على المنهاج السقيم، فأصحاب العقل الذين عرّفوا الفلسفة اليونانية و اتصلوا بها و جعلوها تجري من علومهم و من حوارهم مجرّى الدم كانوا يتّهمون أهل النقل بالتعصب و استحسان التقليد؛ و

1- إنعام الجندي: دراسات في الفلسفة اليونانية و العربية، مؤسسة الشرق الأوسط، بيروت، (د. ت)، ص: 264.

2- عبد الحميد خطاب: معلم في الفلسفة الإسلامية، مطبعة التحللة، الجزائر، 1991م، ص: 103.

3- إنعام الجندي: المرجع سابق، ص ص: 265 ، 266 .

4- عمر فروخ: المنهاج الجديد في الفلسفة العربية، ط1، دار الملايين، بيروت، 1970م، ص: 79.

اللّجاج في الخصومة، و أئمّهم قد انفتح عليهم باب الحيرة، و أوصدت في وجوههم أبواب اليقين<sup>1</sup>، و أما من رجحوا كفّة المنقول فكانوا يسمون أهل الرأي بالمبتدعة، و أطلق عليهم الإمام ابن الجوزي تلامذة إبليس.<sup>2</sup>

و اشتد الصراع و بلغ أوجه بين الطرفين، خاصة بعد أن وجد أهل العقل (المعتزلة) دعماً سياسياً من قبل بعض خلفاء بني العباس، فعلى عهد المؤمن<sup>3</sup> استشرى الاعتزال و توّثقت أركانه، و شغل أعلامه المراكز الرفيعة في الدولة، و فرضوا مذهبهم على الناس و اضطهدوا خصومهم من المحافظين.<sup>4</sup>

و تعتبر محنة خلق القرآن إحدى صور ذلك الصراع الذي كان بين أصحاب العقل و النقل، فالمؤمنون لم يكفه قوله بخلق القرآن، و إنما أخذ في جبر العامة على القول بما ذهب إليه، فأرسل مرسوماً لولاة الأمصار يأمرهم فيه بتنفيذ ذلك<sup>5</sup>، و قد وصل ذلك المرسوم مصر سنة (218هـ/833م) فامتحن والي مصر قاضيها حتى قال بخلق القرآن، و امتحن الشهود و المحدثين، حتى لم يبق أحد من فقيه و لا محدث و لا مؤذن و لا معلم إلا و أخذ بالمحنة، فهرب كثير من الناس و ملكت السجون من أنكر عليهم، و أمر بكتابة «لا اله إلا الله ربُّ القرآن المخلوق» على المساجد<sup>6</sup>.

1- الأشعري: مقالات الإسلاميين، ج 1، ص: 23.

2- عبد الرحمن بن علي ابن الجوزي: صيد الخاطر، تحقيق محمد عبد الرحمن عوض، دار الكتاب العربي، بيروت، 2004م، ص: 313.

3- المؤمنون: عبد الله بن هارون الرشيد، ولد سنة 170هـ، بويغ بالخلافة بعد مقتل أخيه الأمين سنة 198هـ و استمر في الحكم إلى أن توفي سنة 218هـ انظر ترجمة: أحمد فريد رفاعي: عصر المؤمنون، ج 1، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة، 1928م، ص ص: 191 ، 257.

4- كمال اليازحي: معالم الفكر العربي في العصر الوسيط، ط 5، دار العلم للملاتين، بيروت، 1974م، ص: 155.

5- أحمد فريد رفاعي: المراجع السابقة، ج 1، ص: 397.

6- الأشعري: مقالات الإسلاميين، ج 1، ص: 22.

و قد كانت هذه الحنة أشد وطأة على الحنابلة منها على المذاهب الأخرى، فقد ابْتُلَى الإمام "أحمد بن حنبل" خلال هذا الصراع أَيْمًا ابتلاء، إِلَّا أنه و بقدوم المُتوكِّل<sup>1</sup> انقلبَت الآية، إذ أَظْهَرَ هذا الخليفة الميل إلى السنة، و أَكْرَمَ "أحمد بن حنبل" و اعتذر له و كتب إلى الولاة و العلماء في الأمصار منذ سنة 234هـ/848م بنصرة السنة، و اضطهدَ المعتزلة و سجنَ وزيرَ المؤمنين المتسبب في الحنة<sup>2</sup>.

و من صور الصراع بين الأفكار نذكر أيضًا محنَة الصوفية من الحنابلة أو (محنة غلام الخليل) سنة 262هـ/875م، ففي هذه المحنَة اُثْمِمَ الصوفية بالزنقة و سُعِيَ بهم عند الموفق<sup>3</sup> فأمر بالقبض على عدد كبير من الصوفية، و انتهت المحنَة بقتل بعضهم و هروب آخرين.

و هكذا فقد شهد القرن الثالث قمة المواجهة بين مذاهب المسلمين و فرقهم (بين الفقهاء و الصوفية، بين الصوفية و الحنابلة، بين الحنابلة و المعتزلة، و بين المعتزلة و الجهمية خاصة من الشيعة، و بين الشيعة و أهل السنة، و بين السنة و الخوارج، و بين الخوارج و المرجئة).<sup>4</sup>

و لما كان الأمر كذلك جاء القرن الرابع المحرري ليأذن عن ميلاد فكر جديد حاول فيه صاحبه أن يوفق بين أصحاب العقل (المعتزلة) و أصحاب النقل (الحنابلة) و يُخفّف من حدة الصراع الذي كان بينهما، و هو المسلك الذي سيسلكه الإمام "أبو الحسن الأشعري" في تأسيس مذهبِ الكلامِ الجديدِ، الذي نسب إليه و هو "المذهب الأشعري" و هكذا مثل عصره تمام التمثيل، و كان مسار الفكر عند منحِي خطير، و قد تبلور في نفسه هذا المنحِي الخطير بتحوله

1- المُتوكِّلُ عَلَى اللَّهِ جَعْفَرُ بْنُ الْمُعْتَصِمِ بْنِ الرَّشِيدِ، وُلِدَ سَنَةً 205هـ وَبُوْيِعَ لِهِ بِالْخِلَافَةِ فِي ذِي الْحِجَّةِ سَنَةً 232هـ بَعْدَ الْوَاقِعِ، مَاتَ مَقْتُولًا سَنَةً 247هـ اَنْظُرْ : جَالِلُ الدِّينِ السِّيُوطِيُّ : تَارِيخُ الْخَلْفَاءِ" الْخِلَافَةُ الرَّاشِدَةُ إِلَى سَنَةِ 903هـ" ، تَحْقِيقُ رَضْوَانَ جَامِعِ رَضْوَانَ ، مَؤْسِسَةِ الْمُخْتَارِ لِلنَّشْرِ وَالتَّوزِيعِ ، الْقَاهِرَةُ ، 2004م ، صَصَ : 376 ، 380.

2- أَبُو الْفَرِيجِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ الْجَوَزِيِّ: الْمُنْتَظَمُ فِي تَارِيخِ الْمُلُوكِ وَالْأَمَمِ، تَحْقِيقُ: مُحَمَّدِ عَبْدِ الْقَادِرِ عَطَاءِ ، مَصْطَفِيِ عبدِ الْقَادِرِ عَطَاءِ ، جِ11 ، طِ1 ، دَارِ الْكِتَابِ الْعُلُومِيَّةِ ، بَيْرُوتَ، 1992م ، صَصَ : 206، 208.

3- المُوقِّعُ طَلْحَةُ بْنُ الْمُتوكِّلِ بْنُ الْمُعْتَصِمِ بْنِ الرَّشِيدِ أَخُو الْخَلِيفَةِ الْمُعْتَمِدِ (256—279هـ)، وَقَدْ كَانَ المُوقِّعُ هُوَ صَاحِبُ الْأَمْرِ وَالنَّهْيِ، فَكَانَ الْمُعْتَمِدُ مُجْرِدَ أَدَاءً طَبِيعَةً فِي يَدِ أَخِيهِ، تَوَفَّى سَنَةً 278هـ اَنْظُرْ تَرْجِمَةَ السِّيُوطِيِّ : تَارِيخُ الْخَلْفَاءِ ، صَصَ : 396 ، 399.

4- أَمْهَدُ مُحَمَّدٌ صَبَّاغِيُّ: الْمَرْجَعُ السَّابِقُ ، جِ1 ، صَ35

العنيف من الاعتزال إلى مذهب يقل فيه سلطان العقل، بعيداً عن تطرف المخالفين، و يكون فيه التوفيق بين العقل والنقل.

فمن هو "أبو الحسن الأشعري"؟ و فيما تمثل آراؤه الكلامية؟

## 1-2- حياة الإمام أبو الحسن الأشعري و شخصيته:

حمل هذا المذهب اسم مؤسسه "أبو الحسن الأشعري"؟ و سلسلة نسبه الكاملة كما ذكرها "ابن عساكر" هي: علي ابن إسماعيل بن إسحاق بن سالم بن إسماعيل بن عبد الله بن موسى بن بلال بن أبي بردة بن أبي موسى الأشعري الصحاوي الجليل<sup>1</sup>، و قد اختلف المؤرخون في تحديد سنة ميلاده فمنهم من يرجعها إلى سنة 260 هـ/873 م<sup>2</sup>، و منهم من يربطها بسنة 270 هـ/883 م<sup>3</sup>، و بين هذا و ذلك ذهب المقرئي إلى القول بأنه ولد سنة 266 هـ/879 م<sup>4</sup>.

كان مولده بالبصرة، حيث كان النشاط العلمي قد بلغ أوجه في أواخر القرن التاسع الميلادي - الثالث الهجري - نشأ في بيت علم و أدب، حيث كان أبوه إسماعيل بن إسحاق (الملقب بأبي بشر) محدثاً من أهل السنة والجماعة<sup>5</sup> درس الفقه على يد أبي إسحاق المروزي<sup>6</sup>، و ورد في شذرات الذهب أنه أخذ الفقه و الحديث عن "أبو يحيى الساجي"<sup>7</sup>، و كما تلقى العلم أيضاً عن

1- أبي القاسم علي بن الحسن بن هبة الله ابن عساكر: تبيان كذب المفتري فيما نسب إلى الإمام أبي الحسن الأشعري، تحقيق: احمد حجازي السقا، ط1، دار الجيل، بيروت، 1990م، ص: 21.

2- أبو نصر عبد الوهاب بن تقى الدين السبكى: طبقات الشافعية الكبرى، تحقيق: عبد الفتاح محمد الحلو، محمود محمد الطناوى، ج1، مطبعة عيسى الباقي الحلبي، (ب - م)، 1964م، ص: 347.

3- ابن خلkan: وفيات الأعيان و أنباء أبناء الزمان، ج2، ص: 445.

4- المقرئي: الموعظ و الاعتبار، ج2، ص: 359.

5- أحمد محمود صبحي: المرجع سابق، الأشاعرة، ج2، ص: 44.

6- أبو إسحاق إبراهيم بن احمد المروزي (ت 340 هـ)، له "شرح مختصر المزني" و "الفصول في معرفة الأصول"، كتاب "الشروط و الوثائق" و كتاب "الخصوص و العموم..."، انظر ترجمته: ابن خلkan: المصدر السابق: ج 1، ص: 8، 7.

7- الحسين ابن عبد الرحمن ابن الأهذل: كشف الغطاء عن حقائق التوحيد و عقائد الموحدين و ذكر الأشعريين و بيان حال ابن عربي و أتباعه المارقين، تحقيق: أحمد بكير، الإتحاد العام التونسي، تونس، (د- ت)، ص: 136.

8- زكريا بن يحيى بن عبد الرحمن البصري، أبو يحيى الساجي الحافظ، أخذ عن المزني و الريبع، رحل إلى الكوفة و الحجاز و البصرة، روى عنه الأشعري، توفي سنة 307هـ، انظر ترجمته: ابن حجر العسقلاني: لسان الميزان، ج 2، مؤسسة الأعلمى للمطبوعات، بيروت، 1971م، ص ص: 488، 489.

عن جملة من العلماء عدّهم السبكي في طبقاته، نذكر منهم على سبيل المثال: العالم الفقيه "أبو محمد الضبي"<sup>3</sup><sup>2</sup>.

و قد اختلفَ في مذهبِه الفقهي، أكان شافعياً أم مالكياً، فابن عساكر أورد روايتين إحداهما تقول أن "أبا الحسن" شافعي المذهب، و الثانية تقول أنه مالكي المذهب<sup>4</sup>، و قد فندَ السبكي الرواية الأخيرة و ذكر بأنه شافعى، و أصل الخطأ في نظره هو أن "أبا بكر الباقياني"<sup>5</sup> كان مالكى و قد دافع عن الأشعري دفاعاً قوياً بحيث أطلق عليه اسم أستاذى مما حمل البعض على القول بأنه مالكى<sup>6</sup>.

و هناك من المؤرخين من لم يقل بهذا و لا بذلك، بل عدّه من الحنفية، و مثالنا على ذلك "المقرئي"، حيث ذكر أنه كان حنفي المذهب معتملاً الكلام<sup>7</sup>.

أما عن صعوبة تحديد المذهب الفقهي الذي ينتمي إليه، تعود بالدرجة الأولى إلى الليونة التي اتصف بها "أبو الحسن الأشعري". عند التعامل مع هذه المذاهب، فهو لم يتحّب لمذهب على آخر، إذ ورد عنه أنه كان يقول فيما معناه: «كل مجتهد مصيبة، و كلهم على الحق، لم

1- أبو الفلاح عبد الحي ابن العماد: شذرات الذهب في أخبار من ذهب، ج 3، المكتب التجاري للطباعة و النشر، بيروت، (د- ت)، ص: 309.

2- عبد الرحمن بن حلف بن الحسين أبو محمد الضبي المصري، توفي سنة 279هـ، انظر ترجمته: ابن حجر العسقلاني: تحذيب التهذيب، ج 6، ط 1، دار صادر، بيروت ، 1326هـ، ص ص: 167 ، 168.

3- السبكي: المصدر السابق، ج 3، ص: 355.

4- ابن عساكر: المصدر السابق، ص: 120 ، 125.

5- محمد بن الطيب بن محمد بن جعفر، ولد في البصرة سنة 328هـ يعد من أعيان علماء الكلام، هذب بحوث الأشعري، وجهه عضد الدولة سفيراً عنه إلى ملك الروم، فحررت له في القدسية مناظرات مع علماء النصرانية بين يدي ملوكها، توفي في بغداد سنة 403هـ، من مؤلفاته "تمهيد الأوائل و نلخيص الدلائل" ، انظر ترجمته: السبكي: المصدر السابق، ج 3، ص: 299.

6- المصدر نفسه: ج 3، ص: 352؛ سعيد بن سعيد العلوى: قراءة جديدة في فكر الإمام الأشعري، مجلة التفاهيم، وزارة الأوقاف و الشؤون الدينية، السنة العشرة، العدد 38، سلطنة عمان، 2012، ص: 213-233.

7- المقرئي: الموعظ و الاعتبار، ج 2، ص: 359.

يختلفوا في الأصول، وإنما اختلفوا في الفروع، فأدى إجتهاد كل منهم إلى شيء، فهو مصيبة و له الأجر والثواب على ذلك»<sup>1</sup>.

و إذا كان الاختلاف قد مس مذهب الفقهى، فتحديد مذهب الكلام لا يختلف فيه أثناان، إلا إذا استثنينا من ذلك ما ذكره "ابن النديم" حيث اعتبره من الحشوية<sup>2</sup> والجبرية<sup>3</sup>، وهذا قول لا أساس له من الصحة لما كان يكتبه هذا المعتزلي للأشعري من حقد و ضعفه<sup>4</sup>. ما عدا هذا القول فقد أجمع بقية المؤرخين على أنه كان معتزلي المذهب و ساعده على ذلك قرينه الشديد من شيخ المعتزلة في ذلك الزمان زوج أمه "أبي علي الجبائي"<sup>5</sup>، و هو الذي رباه و علمه الكلام، و و اقتدى به عدة سنين حتى صار من أئمة المعتزلة<sup>6</sup>، و ذكر ابن عساكر أن "أبا الحسن" لازم "الجبائي" أربعين سنة دون أن يفارقه فيها.<sup>7</sup>

ثم عدل بعدها عن مذهبه، و يذكر "ابن عساكر" دائمًا أن رجوعه عن الإعتزال كان في حياة "الجبائي"<sup>8</sup><sup>10</sup>، و قد حدد بعض الدارسين تحول "الأشعري" عن آراء المعتزلة بحوالي سنة 300

1- لويس غربية، ج. قتواني: فلسفة الفكر الديني بين الإسلام والمسيحية، ص ص: 97 - 98.

2- الحشوية: ي Associates الشين، يتسبّبون إلى أهل السنة والجماعة، غير أنهم يخالفونهم في الاعتقاد، و سُمُّوا حشوية لحسوهم صفات التشبيه في صفات التنزية، و هناك من جوز فتح الشين، لأنهم كانوا يجلسون أمام "الحسن البصري"، فلما خالفوه قال رَوْهُم إلى حشا الحلقة، انظر: ابن الأهذل، المصدر السابق، ص: 169.

3- الجبرية: القائلون بأن الإنسان مجر (مسير و ليس مخير)، و تنسب هذه الفرقة إلى "جهنم بن صفوان"، انظر: الأشعري: مقالات إسلاميين، ج 1، ص: 14.

4- ابن النديم: الفهرست ، ص- ص: 179 - 181.

5- جلال محمد موسى: نشأة الأشعرية و تطورها، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1982م، ص: 160.

6- أبو علي محمد بن عبد الوهاب بن سلام بن خالد بن حمزان بن إبان الجبائي شيخ الإعتزال في عصره، ولد بمنطقة جي سنة 235 هـ وتوفي سنة 303 هـ، انظر ترجمته: ابن حلكان: المصدر سابق، ج 3، ص ص: 398 ، 399 .

7- زين الدين ابن الوردي: تتمة المختصر في أخبار البشر، تحقيق: احمد البدراوي، ج 1، دار المعرفة، بيروت، (د. ت)، ص: 410.

8- المقرئي: الموعظ و الاعتبار، ج 2، ص: 359.

9- ابن عساكر: المصدر السابق، ص: 60.

10- ابن عساكر: المصدر السابق ، ص: 66.

هـ/912<sup>1</sup>، غير أنه و بإجراء عملية حسابية بسيطة سوف ننحدر إلى أن التواريخ التي تعتبر معاً معالم في حياة "الأشعري" غير محددة بدقة، إذ أن "ابن عساكر" كما سبق و أن أشرنا إلى ذلك حدد مولد الأشعري سنة 260 هـ/873م، و ذكر في موضع آخر بأنه لازم "الجبائي" أربعين سنة، و قال بأن إعتزاله المذهب كان على حياة شيخ المعتزلة الذي توفي سنة 303 هـ/915م.<sup>2</sup> إلا أنه إذا اعتبرنا سنة 303 هـ/915 هي السنة التي تبرأ فيها "الأشعري" مما كان يقوله، فهذا يعني أن "أبا الحسن" تبنى المذهب المعتزلي و هو ابن الثلاث سنوات، و هذا ما لا يقبله عقل سوي.

فقول "ابن عساكر" فيه من المبالغة بما كان، و هو ما جرنا إلى الميل حيث مال "كارل بروكلمان" و "هنري كوريان" الذين ذكرا بأن "أبا الحسن الأشعري.." و هو في سن الأربعين من العمر انقلب من الإعتزال إلى السنة<sup>3</sup> و ليس ملازمته للجبائي دامت أربعين سنة. و مهما يكن من أمر فقد حدث الانقلاب و التحول، و الآراء متباعدة و متضاربة حول تحديد الأسباب التي حدت بالأشعري إلى هذا التحول الملحوظ و الباحثون فيها مذاهب شتى و لم يحط اللثام عن الأسباب الحقيقة حتى الآن.

فالروايات الواردة في نشأة المذهب الأشعري مختلفة، ذلك أن بعضها يقترب بهدایة ریانیة إلى المنام و الرؤی التي تراءی لها فيها النبي صلی الله علیه و سلم حيث أمره بترك ما هو علیه و نصرة<sup>4</sup>.

1- محمد علي أبو ریان: المرجع السابق، ص: 195؛ يوسف أحناة: المحنى الشخصي لحياة الامام أبي الحسن الأشعري، مجلة إلإبانة، مركز أبو الحسن الأشعري للدراسات و البحوث العقدية، العدد 01، المغرب، 2013، ص: 87-97.

2- ابن عساكر: المصدر السابق، ص - 50 - 54.

3- كارل بروكلمان: تاريخ الشعوب الإسلامية، ترجمة: نبيلة أمين فارس، منير البعلكي، ط15، دار العلم للملايين، بيروت، 2002، ص: 324؛ هنري كوريان: المرجع السابق، ص: 180.

4- عن هذه الرؤی انظر: ابن عساكر: المصدر السابق، ص: 50 - 54؛ ابن خلگان: المصدر السابق، ج 2، ص ص: 446 ، 447؛ السبکی: المصدر السابق، ج 3، ص ص: 347 ، 348.

و يقترن بعضها الآخر بإفحام عقلي و مناظرات بين التلميذ و أستاذه حول موضوع من موضوعات علم الكلام، حيث تمكن فيها "أبو الحسن الأشعري" من قهر "الجباري" الذي لم يستطع أن يجيب على تساؤلاته<sup>1</sup>.

و قد شكك "جلال محمد موسى" في مصداقية تلك الروايات، و ذكر بأنها موضوعة، و ذلك لإضفاء نوع من الشرعية على ما كان يذهب إليه "الأشعري". خاصة وأن الأسئلة التي زعم أن الرسول صلى الله عليه وسلم طرحها عليه في المنام تختصر في مسائل معينة بالذات، و هي التي قال بها "الأشعري" فيما بعد، كما أن رؤية الرسول صلى الله عليه وسلم في تلك الروايات وضعت بدقة، و قد حددت بأول رمضان و الثلثين الثاني و الثالث و في ليلة القدر بالذات، و هذا راجع إلى ما أثر عن النبي صلى الله عليه و سلم من فضل تلك الليالي من شهر رمضان المبارك، حتى يكون بحاجة إلى إحياء الرسول صلى الله عليه وسلم لأبي الحسن في هذه الأوقات أمراً يكاد يكون أقرب إلى الصدق منه إلى الخيال<sup>2</sup>.

هذا من جهة، و من جهة أخرى ذهب "حسن الشیخ الفاتح" إلى القول بأن تلك الروايات لا تشكل سبباً كافياً و مقبولاً لإنشاء مذهب جديد، ذلك لأن إيجاز "الجباري" عن الإجابة لا تنم بالضرورة عن جهله، و من الطبيعي جداً أن يتوقف الأستاذ عن إجابة بعض الأسئلة، و زيادة على ذلك فمن غير الممكن أن يكون شيخ المعتزلة في ذلك الزمان بليداً إلى درجة عدم تقطنه للفحص الذي وضعه له "الأشعري" من وراء طرحة لتلك الأسئلة<sup>3</sup>.

و أشار "محمد موسى" أيضاً إلى أن تلك المناظرات التي تحدث عنها بعض المؤرخين بين "الأشعري" و "الجباري" لا أساس لها من الصحة، و تم وضعها لغرض بيان عجز "الجباري" و تفوق "الأشعري" عليه، حتى و إن كان من الممكن أن يكون التلميذ أبلغ من الأستاذ، لكن ذلك لا يكون دافعاً لترك مذهب اعتقده رديحاً من الزمن.<sup>4</sup>

1- أما عن المناظرات التي كانت بين أبو الحسن الأشعري (ت 324هـ/935م) و أستاذته فانظر: ابن العماد المحتلي: المصدر السابق، ج 3، ص 303.

2- جلال محمد موسى: المرجع السابق، ص: 173.

3- حسن الشیخ الفاتح: کیری الفرق الفکریة والسياسیة فی الإسلام، دار الجبل، بيروت، 1991م، ص: 44.

4- جلال محمد موسى: المرجع السابق، ص ص: 174 ، 175.

و لما كانت تلك الروايات والأسباب سطحية وغير مقنعة ذهب بعض المؤرخين الحدثين إلى محاولة تقديم تفسيرات عن أسباب ذلك التحول، و يفهم من خلال ما ذهب إليه بعض الدارسين أن السبب الرئيسي الذي حدا بالأشعري إلى العدول عن مذهب الإعتزال يتمثل في شخصية "الأشعري" نفسه وإلى الوضع الخارجي، فأما الأول فهو إشفاقه على دين الله و سنة الرسول صلى الله عليه وسلم من أن يذهبها ضحية الآراء المتطرفة التي كانت تنادي بها المعتزلة، وأما الثاني حتى يسهل للأمة الإسلامية مخرجاً من الطريق المسدود الذي وضعه فيها الغلاة من أصحاب أهل العقل.<sup>1</sup>

و نفس التفسير تقريباً قدّمه "جلال محمد موسى" عن تحول "الأشعري" عن المعتزلة، و يذكر بأنه لما كان العداء بين أهل العقل والنّقل قد استشرى و بلغ أوجّه، ساءه الوضع فسائل نفسه عن إمكان الجمع بين الطرفين، و التوفيق بين المذاهب، و على هذا الأساس رأى أن من الواجب عليه حتى يجسد فكرته التي اهتدى إليها على أرض الواقع أن يطلع على آراء الفقهاء والمحدثين، و لهذا كان يتعدد على حلقة "أبي إسحاق المروزي" و درّس و رجّح بين الآراء، و وجد أن الوسيلة الأنجح لتوحيد كلمة المسلمين هو الجمع بين الفقه و الحديث و بين علم الكلام، و هدفه من ذلك كلّه الحفاظ على العقيدة و رسم طريق يرضي العامة و الخاصة و يجمع الكلمة و لا يفرقها.<sup>2</sup>

بيد أنه بالرغم من أن هذه التفسيرات هي أقربها للواقع و أكثر تقبلاً، إلا أنها تبقى مجرد آراء مبنية على الظن و لا ترقى إلى درجة اليقين.

و مهما كان السبب، و مهما قدم المؤرخون من تفاسير المهم أن المعتزلة أنجحت من صلبها ولداً عاقاً، ألا وهو المذهب الأشعري<sup>3</sup> الذي ساهم فيما بعد و مع مرور الأيام و السنوات في دحرها و كسر شوكتها تدريجياً.

1- هنري كوريان:المرجع السابق، ص ص: 180 ، 181 .

2- جلال محمد موسى:المرجع السابق، ص - ص: 186 - 188 .

3- للوقوف على المكونات المعرفية للمذهب الأشعري بنظر: سعيد بنسعيد العلوي: الخطاب الأشعري في دراسة العقل العربي الإسلامي، ط1، دار المنتخب العربي للدراسات و النشر و التوزيع ،بيروت، لبنان،1420هـ/1992م،ص23 و ما بعدها.

و إن اختلف المؤرخون في تحديد سبب الرجوع عن الإعتزال فقد اتفقوا على أن قريحة "الأشعري" كانت فياضة، وأنه كان غزير الإنتاج عميق البحث.

**1-3- مصنفاته:** ذكر "الأهذل اليمني" أن مصنفاته تليف عن الثلاثمائة و الشمانيين مصنفا<sup>1</sup>، حين ذكر "ابن عساكر" أن مؤلفاته في علم الكلام قريبة من مائتي كتاب، وقد أحصى ثلاثة و تسعين منها في كتابه "التبيين".<sup>2</sup>

تناولت مصنفاته عدة مسائل، و يجب أن نأخذ بعين الاعتبار أن منها ما ألفه إبان فترة إتباعه لمذهب المعتزلة، و منها ما ألفه بعد ارتداده عنه، و قد عالجت تلك المؤلفات شئ مواضيع الإلهيات في عصره، كما كانت بعض كتبه عبارة عن تفاسير و شرح للقرآن الكريم و الشريعة، و له كتب في الحديث و الرواية، و له مؤلفات أخرى يدحض فيها أقوال المذاهب الأخرى ذات المعنى و الاتجاه المخالف له، كما ألف بعد ارتداده عن المعتزلة كتاباً يدحض فيها مذهبهم.<sup>3</sup>

و من الكتب نذكر على سبيل المثال كتاب "إيضاح البرهان في الرد على أهل الزيف والطغيان"، و كتاب "الشرح و التفصيل في الرد على أهل الإفك و التضليل"، كتاب "الجوابات في الصفات عن مسائل أهل الزيف و الشبهات"، و كتاب "المختصرات في التوحيد و القدر"، و كتاب "المختزن" في التفسير.<sup>4</sup>

و من كتبه أيضاً كتاب "كشف الأسرار و هتك الأستار" و فيه أظهر عورات المعتزلة و فضح معاييرهم، و كتاب "الفضول في الرد على الملحدين و الخارجين عن الملة"، و كتاب "اللمع في الرد على أهل الزيف و البدع"، و كتاب "الموجز"، و كتاب "تفسير القرآن والرد على من خالف البيان من أهل الإفك والبهتان".<sup>5</sup>

و على الرغم من كثرة مصنفاته إلا أنه لم يصل إلينا منها إلا النذر اليسير، و هناك كتابان لهما أهمية بالغة في فكره العقدي، أوهما كتاب "مقالات الإسلاميين"، و الثاني كتاب "الإبانة عن

1- ابن الأهذل: المصدر السابق، ص: 136.

2- ابن عساكر: المصدر السابق، ص ص: 129 ، 130 .

3- هنري كوريان: المرجع السابق، ص: 182 .

4- ابن عساكر: المصدر السابق، ص: 129 ، 130 .

5- ابن الأهذل: المصدر السابق، ص: 136 .

"أصول الديانة"، و لما توفر هذان الكتابان بين أيدينا ارتأينا أن نعرضهما عرضا في الكتاب الأول و الذي حمل عنوان "مقالات الإسلاميين و اختلاف المسلمين" يعرض "الأشعري" و بكل دقة وأمانة لمختلف المذاهب المعروفة في عصره، و يعتبر هذا الكتاب أهم المصادر التي أرخت للمذاهب، كما أنه الكتاب الأول من نوعه في تاريخ المذاهب و النّحل في الإسلام، و قد انطوى على ثلاث أقسام، القسم الأول تناول فيه بإسهاب المذاهب و الفرق الإسلامية على اختلافها، و خصّص القسم الثاني للحديث عن معتقد أهل الحديث و السنة، في حين تعرض في القسم الثالث الأخير للمذاهب الكلامية المختلفة.<sup>1</sup>

أما الكتاب الثاني و المعنون بـ "الإبانة عن أصول الديانة"<sup>2</sup> يعرض فيه "الأشعري" معتقد أهل السنة، افتتحه بالإشادة بالإمام "أحمد بن حنبل"<sup>3</sup>، ثم بعد ذلك أورد عددا من المقالات دون مراعاة لأي أساس، و قد بحثت كلها على ضوء الاتجاه الذي سار فيه "الأشعري" بعد اعتزاله المعتزلة.<sup>4</sup> وبالإضافة إلى ذلك فقد ألف الأشعري رسالة هامة هي "رسالة استحسان الخوض في علم الكلام" ، رغم أن عبد الرحمن بدوي وجورج مقدسي قد شكا فيها أيضا.<sup>5</sup>

1- أنظر: الأشعري: مقالات الإسلاميين بأقسامه الثلاث.

2- يرى المنصوري: "...أن الاكتفاء بالإبانة لتوضيح فكر الأشعري ضلال كبير. إذ أن الأشعري قد سلك في الإبانة مسلكاً يهتم بتقرير العقائد والإعلان عنها أكثر مما يشغل بالحجاج عنها والانتصار لها. وهو منهج لم يتونه اللاحقون من الأشاعرة، لأن الظاهر أن الأشعري قد حاول في بدايته التوفيق بين السنين أهل الحديث والمعتزلة أهل الكلام. وهذه المحاولة التوفيقية بين الآراء العقدية ليست الأولى في تاريخ العقائد الإسلامية. كما أنها لن تكون الأخيرة. إنما مميز ثابت من مميزات تشكيل الفكر الديني في الإسلام. والأمر جدير بدراسة مستقصبة .ويتضمن المنهج التوفيقي الذي سلكه الأشعري من المقارنة بين كتابيه الأساسيين: فمواقفه العقدية في "الإبانة" قريبة من عقائد أهل الحديث، في حين أنها في "مقالات الإسلاميين" قريبة من الأساليب الكلامية الاعتزالية. بل إن بعض الباحثين قد ذهب إلى الشك في نسبة "الإبانة" إلى الأشعري. وكان هذا الشك محل تفسيرات متعددة قليلاً وحديثاً. الم BROOK المنصوري: الأشعرية في بلاد المغرب إلى نهاية القرن السادس المجري الثاني عشر الميلادي ومفهوم الأدوار الحضارية، كلية الآداب والعلوم الإنسانية بسوسة- تونس. (ب.ن)، (ب.ت)، ص10.

3- أحمد بن حنبل الشيباني، من فقهاء أهل السنة، له مذهب يحمل اسمه، ولد سنة 164 هـ و وفاته كانت في سنة 241 هـ انظر ترجمته: ابن الجوزي:مناقب الإمام أحمد بن حنبل، ط1، دار الآفاق الجديدة، بيروت، 1973م، ص: 13 - ص: 409.

4- الأشعري: الإبانة في أصول الديانة، تحقيق: عباس الصياغ، ط1، دار النفائس، بيروت، 1997م، ص33 و ما بعدها.

5- المنصوري: المرجع السابق، ص 10.

**٤-١ وفاته:** هكذا و بعد حياة حافلة توفي الإمام "الأشعري". بمدينة السلام ببغداد، و ذهب أغلب المؤرخين إلى اعتبار سنة 324 هـ/936 م هي العام الذي ودع فيه "الأشعري" هذه الحياة.<sup>١</sup> في حين ورد في تتمة المختصرات أن وفاته كانت سنة 330 هـ/941 م<sup>٢</sup>، أما بعض المؤرخين فقد اعتبروا أن وفاته كانت بعد مضيّ بضع سنوات عن الثلاثين بعد الثلاثمائة<sup>٣</sup>، و حددها "أسعد السحمراني" بسنة 333 هـ/944 م.<sup>٤</sup>

توفي "الأشعري" و خلّف أتباعاً كثيرين من مختلف المذاهب شافعية و مالكية، حنفية و حنبلية، فمن الآخذين عنه نذكر منهم "ابن مجاهد"، "أبو الحسن الطبرى"، "أبو إسحاق الأسفرايني"، ثم جاءت بعد هؤلاء طبقة ثانية يتزعمها "أبو بكر الباقلانى" و "أبو بكر بن فورك"، و عن هؤلاء أخذ "الجويني" و "الغزالى" و "أبو المظفر الخواض" و الشهريستاني و "الرازي". و هكذا بعد أن عرّفنا بالمذهب و بصاحبه سنتعرّج فيما يلي إلى أهم آراء الإمام "الأشعري" العقدية.

ففيما تمثل آراء المذهب الأشعري الذي ولد في ظل ظروف حالكة و متواترة؟

### **٥-١ آراء الإمام الأشعري وأتباعه:**

سبق و أن ذكرنا أن الأشعرية جاءت لتضفي نوعاً من الاعتدال على ذلك الجو المشحون الذي كان سائداً أواخر القرن الثالث الهجري، بحيث فشي الغلو و أصبح السمة البارزة التي تميز أغلب فرق ذلك العصر.

و حتى نلمس ميسم التوسط و الاعتدال لدى الأشاعرة رأينا أنه من المستحسن قبل التطرق إلى رأيهم في مسألة من المسائل، أن نستقصي رأي فرقة أخرى في ذات المسألة.

١- ابن عساكر: المصدر السابق، ص: 66؛ ابن العماد الحنبلي: المصدر السابق: ج 3، ص: 303.

٢- ابن الوردي: المصدر السابق، ص: 66.

٣- ابن خلkan: المصدر السابق، ج 2، ص: 446.

٤- أسعد السحمراني: أبو الحسن الأشعري، موسوعة الأديان الميسرة، كتاب جماعي، ط2، دار النفائس للطباعة و النشر، بيروت، 2002م، ص ص: 27-28.

ييد أنه قبل الولوج إلى المسائل التي تناولها علماء المذهب و منظروه في كتبهم، علينا أولاً أن نعرف بمنهج الأشاعرة الذي اعتمدوا عليه في عرض أفكارهم و نظرياتهم، و في الحقيقة أنه نفس منهج المعتزلة و لكن بدرجة أقل<sup>1</sup>، فقد استخدمو العقل و لكن ليس بدرجة استخدام المعتزلة إياه<sup>1</sup>، فهذه الأخيرة تعتبر العقل أداة صالحة للوصول إلى الحق، في حين لا ترى فيه الأشعرية أكثر من أداة لفهم التكليف، لذا تبيح المعتزلة التأويل عند كل اختلاف يقع بين حكم العقل و ظاهر النص، أما الأشعرية فتقيّده أو تمنعه قطعاً، و تؤثر الإقرار بالجهل، و عليه فالمعتزلة تُحرِّي مدلول النص بحسب حكم العقل، لكن الأشعرية تُحرِّي حكم العقل بحسب مدلول النص و تقطع بوجوب الإيمان و التسليم المطلق، و هذا معنى قول المعتزلة بالعقل و قول الأشعرية بالسمع.<sup>2</sup>

فالأتباع بالنسبة إليهم خير من الابداع، و في ذلك يقول "الأشعري": «قولنا الذي نقول به و عقیدتنا التي ندين بها التمسك بكتاب الله و سنة نبيه صلى الله عليه وسلم، و ما روي عن الصحابة و التابعين و أئمة الحديث، و نحن بذلك معتصمون...»<sup>3</sup>

في الواقع أن كل من المذهبين جآء في إثبات أرائه إلى طريقة جدلية تسمى طريقة القسمة العقلية، و فيها يستقصي الباحث جميع الحالات الممكنة ثم يرهن على فسادها جميعاً ما عدا حالة واحدة هي الأصول.<sup>4</sup>

و سنعرض فيما يلي أراء المذهب الأشعري من خلال مقارنة بين فيها كيف أن الأشعري حاول التوفيق بين تفريط البعض (العقل) و إفراط البعض الآخر (النقل):

#### - مسألة الذات و الصفات:

ذكر " ابن عساكر" أن "الأشعري" نظر في كتب المعتزلة و الجهمية، و وجد أنهم عطلوا و أبطلوا و قالوا "لا علم الله و لا قدرة و لا سمع و لا بصر و لا حياة و لا بقاء و لا إرادة...".<sup>5</sup>

1- هلاي عبد الله أحمـد: الحقيقة بين الفلسفة العامة و الإسلامية و فلسفة الإثبات الجنائي، ط 1، دار النهضة العربية، بيروت، 1987م، ص: 313.

2- كمال اليازجي: المرجع السابق، ص: 157.

3- الأشعري: الإبانة عن أصول الديانة ، ص: 34.

4- محمود قاسم: دراسات في الفلسفة الإسلامية، ط4، دار المعارف، مصر، 1972م، ص: 67.

5- ابن عساكر: المصدر السابق، ص150.

فالمعتزلة ذهبت إلى القول أن صفات الله صفات سلبية، لا تقتضي للذات شيئاً زائد عليها، ففي نظرهم أننا إذا قلنا أن الله عالم فقد أثبتنا الله علماً هو ذاته، ونفياً عن ذاته الجهل ودللنا على أن هناك معلومات منكشفة لذاته، وإذا قلنا أن الله قادر فقد أثبتنا الله قدرة هي ذاته ونفياً عن ذاته العجز ودللنا أن هناك مقدوراً له ومهماً، وقال بعض المعتزلة أن هذه الصفات الغرض منها إفاده الناس معانيها، فإذا قلنا عالم فالغرض منه إفاده الناس علماً بأنه لا يجهل، وكذلك بقية <sup>1</sup> الصفات.

بينما يرى أصحاب الإفراط وعلى رأسهم الحشوية والجسمة والمكيفة والمحددة الذين قالوا أن الله عالماً بالعلوم، وقدرة كالقدر، وسمعاً كالإسماع، وبصراً كالإبصار.<sup>2</sup>

أما رأي الأشاعرة فهو يظهر جلياً إن الله عالماً كما قال، من خلال قوله ﴿أَنْزَلَهُ بِعِلْمٍ﴾<sup>3</sup>.  
 وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنْشَىٰ وَلَا تَضْعُنَّ إِلَّا بِعِلْمٍ﴾<sup>4</sup>.

و نسبت الله قدرة كما قال: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ فُؤَادًا﴾<sup>5</sup> و ما ذهب إليه الأشاعرة أيضاً أن الصفات التي وصف بها الله سبحانه أولية قائمة بذاته لا يقال هي هو ولا غيره، ولا تشبه صفات الخلق بوجه من الوجوه.<sup>6</sup>

و ما تجدر الإشارة إليه أن الأشاعرة ميزوا بين صفات الذات وصفات الأفعال، و قالوا بقدم الصفات الإلهية، و ردوها إلى سبع صفات هي: القدرة، و العلم، و الحياة، و الإرادة، و السمع، و البصر، و الكلام، و الأسماء المشتقة منها قديمة أيضاً مثل القادر، و العالم، و الحي، و المريد، و السميع، و البصير. أما صفات أفعال الله كالخالق و المعز و المذل فهي غير قديمة في نظرهم.<sup>7</sup>

1- الشهريستاني: الملل والنحل، ج 1، ط 1، ص 129.

2- ابن عساكر: المصر السابق، ص 150.

3- سورة النساء، الآية: 165.

4- سورة فاطر، الآية: 11؛ سورة فصلت، الآية: 46.

5- سورة فصلت، الآية: 14.

6- الأشعري: الإبانة في أصول الديانة، ص 36.

7- أبو حامد الغزالى: الاقتصاد في الاعتقاد، تحقيق محمد مصطفى أبو العلاء، مكتبة الجندي، مصر، 1972، ص 35.

و يدلل الأشاعرة على أن صفات الذات قديمة بقولهم أنها لو كانت محدثة لأحدثها الله في ذاته، وهذا حال لأنه ليس محلاً للحوادث، و من الحال أيضاً أن يحدث الله صفاته في غير ذاته. و يبقى احتمال أخير وهو أن تكون الصفات محدثة قائمة بذاتها، و هذا أيضاً حال لأن الصفة لا يمكن أن تقوم بذاتها بدون موضوع، و على هذا فصفات الله قديمة في ذاته و غير منفصلة بعضها عن بعض، و غير مبادلة لبعضها الآخر و لا هي مغايرة لذات الله.<sup>1</sup>

### - أفعال العباد:

قال الجمhour من المعتزلة: "أن العبد موجود لأفعاله لا على نعم الإيجاب، بل على صفة الاختيار"<sup>2</sup> فالبنية إلهم أن الله عادل، و من هذا المنطلق لا يحاسب العبد على عمل أجبر عليه.<sup>3</sup> كما أن أعمال العباد مخلوقة لهم و في قدرة العبد أن يفعلوها، و أن يتزكّوها من غير دخل لإرادة الله و لو لا ذلك ما كان التكليف، إذ لو لم يكن قادراً على الفعل و عدمه ما صح أن يقال له إن فعل و لا تفعلوا و لا مدح بفعل و لا ذم بترك.<sup>4</sup>

بينما ترى الجهمية أن العبد مجبر، و هو كالريشة في مهب الريح، فليس له القدرة و لا إرادة و لا اختيار، فأفعاله مخلوقة الله كأي شيء آخر، و اعتبروا أن إسناد الأفعال إلى الإنسان إنما ذلك على سبيل المجاز ليس إلا، كما هو الشأن بالنسبة لقوله تعالى: ﴿فَوَجَدَا فِيهَا حِدَارًا يُرِيدُ أَنْ يَنْقَضَ فَأَقَامَهُ﴾<sup>5</sup>

و بين الجبر و الاختيار جاء "الأشعري" بفكرة الكسب، و فيها يفصل بين إرادة العبد و عمله، و حصر حريته في الإرادة المجردة و اتبع عمله بإرادة الله، فالعبد يريد ما يشاء لكن الله هو الذي يخلق العمل متى سمح به فالفعل و الحالة هذه خلق من الله و كسب من العبد، و إنما نسب

1- محمد علي أبو ريان: المرجع السابق، ص: 199، 198.

2- فخر الدين أبو عبد الله محمد الرازبي: محصل أفكار المتقدمين و المتأخرین من العلماء و الحكماء و المتكلمين، بذيله تلخيص المحصل : نصر الدين الطوسي، راجعه: عبد الرؤوف سعد، مكتبة الكليات الأزهرية، (ب.ت)، ص 194.

3- محمد عابد الجابري: العقل الأخلاقي العربي (دراسة تحليلية نقدية لنظم القيم في الثقافة العربية)، ط 1، مركز الوحدة العربية، بيروت، 2001، ص 82.

4- أبو عمران الشیخ: فکر المعتزلة، مجلة الأصالة، مطبعة البعث، قسینطینیة، العدد 38، 1976، ص 153.

5- سورة: الكهف، الآية: 76.

إلى العبد على سبيل المجاز فقط، و لو كان العبد خالقا لأفعاله لشارك الله في الخلق.<sup>1</sup> بمعنى آخر أن الإنسان إذا عمل عملا لا يعمله وحده بل الله يعمله معه، و عمل الإنسان عمل و عمل الله مقتنناً وقت حدوث العمل، و بذلك الاقتران الذي يثبت للإنسان عملا يكون للإنسان كسبه الذي سيحاسب عليه في الآخرة والأولى.<sup>2</sup> وفي ذلك يقول "الأشعري": "... أنه لا يكون في الأرض شيء من خير و شر ما شاء الله، و أن الأشياء تكون بمشيئة الله و أن أحد لا يستطيع أن يفعل شيئاً قبل أن يفعله الله، و لا نستغني عن الله و لا نقدر عن الخروج من علم الله، و أنه لا خالق إلا الله، و أن أعمال العباد مخلوقة لله مقدورة له، كما قال تعالى: ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾<sup>3</sup>، و أن العباد لا يقدرون أن يخلقوا شيئاً و هم يخلقون كما قال: ﴿هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرُ اللَّهِ﴾<sup>4</sup>، و كما قال: ﴿لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ﴾<sup>5</sup>. و كما قال: ﴿أَفَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لَا يَخْلُقُ﴾<sup>6</sup>، و هذا في كتاب الله كثير.<sup>7</sup>

### - رؤية الله:

أنكرت المعتزلة رؤية الله في الدار الآخرة بأي حال من الأحوال، لأن الرؤية بالنسبة إليهم تقتضي الجسمية و شاكلتها، و هذا ما يخل في نظرهم في نزاهة و قداسة الله جل و علا<sup>8</sup>، بالإضافة إلى المعتزلة هناك فرق أخرى أنكرت الرؤيا أيضا هي الجهمية و التجاربة.<sup>9</sup> بينما ترى الحشووية و المحسنة أن الله سبحانه و تعالى يرى مكيفاً محدوداً كسائر المرئيات.<sup>10</sup>

1- كمال اليازجي: المرجع السابق، ص: 158، 159.

2- ابن عساكر: المصدر السابق، ص: 16.

3- سورة الصافات، الآية: 96.

4- سورة: فاطر، الآية: 03.

5- سورة: الفرقان، الآية: 03.

6- سورة: النحل، الآية: 17.

7- الأشعري: الإبانة في أصول الديانة، ص: 36، 37.

8- محمد أحمد عبد القادر: المرجع السابق، ص: 528.

9- لويس غردية، ج. قتوبي: المرجع السابق، ص: 104.

10- محمد أحمد عبد القادر: المرجع السابق، ص: 528.

بالمقابل أثبت "الأشعري" رؤية الله تعالى، و لكن من غير حلول و لا حدود، و في ذلك يقول: "ندين بأن الله يرى بالإبصار يوم القيمة كما يرى القمر ليلة البدر، يراه المؤمنون كما جاءت الروايات عن الرسول صلى الله عليه وسلم، و تقول أن الكافرين - إذا رأه المؤمنون - عنه محظوظون قوله تعالى: ﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَّجْحِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ﴾<sup>1</sup>

أما عن طبيعة الرؤية فهم يقولون إن إدراك الشيء لا يعني بالضرورة رؤيته و إبصاره من جميع جوانبه، لأن المراد من القول بإدراك الشمس لا يعني رؤيتها بالنسبة لرؤيه الله.<sup>3</sup>

و يقول الغزالي في ذات المسألة: "أن الخصوم أنكروا الرؤية لأنهم لم يفهموا ما نريد (أي الأشاعرة) بالرؤية، و ظنوا أن نريد بها حالة تساوي التي يدركها الرائي عند النظر إلى الأجسام من الألوان، و هيئات فنحن نعترف باستحالة ذلك التصور في حق الله سبحانه، و لكن ينبغي أن يحصل معنى هنا اللفظ في الموضع المتفق ثم يحذف منه ما يستحيل في حق الله سبحانه و تعالى، و يتبقى من معانيه معنى لو يستحل في حق الله سبحانه، و يمكن أن يسمى ذلك المعنى رؤية".<sup>4</sup>

### - التأويل:

اعتمدت المعتزلة في تقديم نظرائها على مبدأ التأويل، فأولت المتشابه من القرآن. و فسروا (اليد) التي وردت في الآيات القرآنية كقوله تعالى: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾<sup>5</sup> ، و قوله: ﴿لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾<sup>6</sup>، بالنعمـة و القدرة، و فسروا الوجه كما هو في قوله عز و جل: ﴿وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ دُوَّاً جَلَالِ وَإِكْرَام﴾<sup>7</sup> بوجوده سبحانه و تعالى، أما قوله جلا و علا: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى العَرْشِ اسْتَوَى﴾<sup>8</sup>.

1- سورة : المطففين، الآية:15.

2- الأشعري: الإبانة في أصول الديانة، ص38.

3- الرازي: محصل أفكار المتقدمين، ص193.

4- الغزالـي: الاقتصاد في الاعتقـاد، ص46.

5- سورة : المائدة، الآية:66.

6- سورة: ص، الآية:74.

7- سورة: الرحمن، الآية:25.

8- سورة: طه، الآية:04.

فسروه باستيلاء و التمكّن و الغلبة.<sup>1</sup> و على النقيض مما ذهبت إليه المعتزلة بحد الحشوية تتقيد بظاهر النص تقيدا مطلقا، فصنفت جنبا إلى جنب مع الفرق المحسنة الأخرى، فهم يقولون بأن الله يدا و وجهها كما هو معروف و مأثور عند البشر، و قالوا في الاستواء على العرش بأنه جلوس و قعود على العرش و الحال في ذلك حال البشر.<sup>2</sup>

بينما التزم "الأشعري" هو الآخر بظواهر النصوص في الآيات الموهمة للتشبيه، لكن دون أن يقع في التحسيم أو التشبيه، فهو يعتقد أن الله وجهها و يدا و أنه استوى على العرش دون أن يحاول أن يعطي تفسيرا لذلك. و في ذلك يقول: "... و جملة قولنا أن نقر...أن الله استوى على عرشه كما قال الرحمن: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾، و أن الله وجهها كما قال: ﴿وَبَيْقَى وَجْهُ رَبِّكَ دُوَّالُ الْخَلَالِ وَالْإِكْرَام﴾، و أن الله يدا كما قال: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَاتٍ﴾، و أن له عينا بلا كيف كما قال تعالى: ﴿تَبَّعِيرِي بِأَعْيُنِنَا﴾<sup>3 4</sup>

و يذكر أسعد السحرناني أن الأشعري قال في الاستواء على العرش ما نصه: "أنه تعالى في السماء، مستو على عرشه...استواء منزهاً عن الحلول و الاتحاد".<sup>5</sup>

#### - مسألة خلق القرآن:

قالت المعتزلة كلام الله مخلوق مخترع، فهو غير قدسٍ انطلاقا من اعتبارات عديدة منها أن القول بقدم القرآن و إلى يعتبر خطابا لما فيه من أوامر و نواهي و أخبار و إلى غير ذلك؛ يقتضي أن يكون هناك مخاطب موجه إليه الخطاب على أن يكون المخاطب قدما أيضا، الشيء الذي يفضي إلى القول بتعدد القدماء، و بالتالي الشرك، هذا من جهة و من جهة أخرى فقد ذهبا إلى القول بأن الخطاب حروف و ألفاظ و معان، و القول بأن القرآن غير مخلوق سيقضي إلى القول بقدم

1- لويس غردية، ج. قتوتي: المرجع السابق، ص 104.

2- محمد أحمد عبد القادر: المرجع السابق، ص 528.

3- سورة : القمر، الآية: 14.

4- الأشعري: الإبانة في أصول الديانة: ص 35-37.

5- أسعد السحرناني: المرجع السابق، ص 28.

حروفه وألفاظه عن معاينة الشيء الذي يفضي مرة أخرى إلى القول بتعدد القدماء، وبالتالي إلى الشرك أيضا.<sup>1</sup>

بينما قالت الحشوية والجسمة أن الحروف المقطعة والأجسام التي يكتب عليها، والألوان التي يكتب بها وما بين الدفتين غير مخلوق وكلها قديمة أولية.

في حين سلك الأشعري طريقاً بينهما وقال: "القرآن كلام الله غير مغير ولا مخلوق ولا حادث ولا مبتدع، فاما الحروف المقطعة والألوان والأجسام والأصوات فمخلوقات مخترعات".<sup>2</sup>

و بصياغة أخرى يمكننا القول بأن الأشعري فرق بين الكلام النفسي الذي يحول في النفس والكلام المتلفظ به وهو دليل على الكلام النفسي، والدليل غير المدلول، فكلام الله النفسي قدس و كذلك الحال بالنسبة للقرآن، أما الحروف والأصوات - القراءة - التي هي دلالة الكلام النفسي والتي هي دلالة الكلام النفسي والتي هي فعل القارئ فهي مخلوقة.<sup>3</sup> وفي ذلك يقول الشهريستاني: "و كلامه واحد هو أمر و نهي و خبر و استخبار، و وعد و وعيد، و هذه الوجوه ترجع إلى اعتبارات في كلامه لا إلى عدد في نفس الكلام و العبارات، إذ للألفاظ المنزلة على لسان الملائكة إلى الأنبياء عليهم السلام دلالات على الكلام الأدبي، و الدلالة مخلوقة محدثة و المدلول قدس أزلي، و الفرق بين القراءة و المقرؤة و التلاوة و المتلو كالفرق بين الذكر و المذكور فالذكر محدث و المذكور قدس".<sup>4</sup>

ما سبق يظهر لنا جلياً أن الأشاعرة يفرقون بين القراءة و المقرؤة و التلاوة و المتلو، فقالوا بحداثة الأول و قدم الثاني، و يبرهن الغزالى على ذلك بقوله: "... هنا ثلاثة ألفاظ قراءة و مقرؤة و قارئ، أما المقرؤة فهو كلام الله تعالى أعني صفتة القديمة القائمة بذاته، أما القراءة فهي اللسان عبارة عن

1- محمد عابد الجابري: بنية العقل العربي ( دراسة تحليلية نقدية لنظم المعرفة في الثقافة العربية)، ط2، مركز دراسات الوحدة العربية، 1987، ص64.

2- أبو زهرة: تاريخ المذاهب الإسلامية، ص174.

3- محمد علي أبو ريان: المرجع السابق، ص199.

4- الشهريستاني: الملل والنحل، ج1، ط1، ص199.

فعل القارئ الذي كان ابتداه بعد أن كان تاركا له، و لا معنى للحادث إلا أنه ابتدى بعد أن لم يكن...<sup>1</sup>

تلك إذا كانت آراء الأشاعرة في جملة مسائل طرحت على الساحة الفكرية أواخر القرن الثالث الهجري، و لم يقتصر أصحاب هذا المذهب على تقديم أرائهم حول هذه المسائل الشائكة فقط، و إنما لهم آراء أخرى كرأيهم في معرفة الله و الشفاعة و غيرها، فهم يرون أن معرفة الله توجب بالوحى بينما قالت المعتزلة أنها توجب بالعقل قبل الشعع، و قد اختلف الفريقين أيضا حول وجوب أو جواز بعث الرسول.<sup>2</sup>

أما عن الشفاعة فهم يرون أن للرسول صلى الله عليه وسلم شفاعة مقبولة في المؤمنين المستحقين للعقوبة يشفع لهم بإذن الله و أمره، و لا يشفع إلا من ارتضى، و قد استندوا فيما ذهبوا إليه بمجموع الأخبار المتوترة عن النبي صلى الله عليه وسلم في إثبات الشفاعة لعصاة أهل الملة الإسلامية.<sup>3</sup>

لقد حاول الأشاعرة إذن أن يسلكوا مسلكا وسطا بين التيارات الفكرية المتنازعة خلال القرن الثالث هجري، و سعوا بأسلوبهم ذاك إلى التخفيف من وطأة الخلاف و أن يستميلوا إلى جانبهم أطراف النزاع من جهة، و كسب تأييد جمهور المسلمين من جهة أخرى<sup>4</sup>، و هو ما كان بالفعل، فبعد الأشعري عن الغلو و اعتماده الطريق الوسط جعل له أتباعا و نصراه كثيرون في حرية ضد المعتزلة و أهل البدع و الأهواء.<sup>5</sup>

1- الغزالى: الاقتصاد في الاعتقاد، ص 110.

2- محمد علي أبو ريان: المرجع السابق، ص: 203.

3- أبو بكر محمد بن الطيب الباقلاني: كتاب التمهيد، تحقيق: ريتشارد يوسف مكارثى، المكتبة الشرقية، بيروت، 1957م، ص: 369.

4- آدم ميتز: الحضارة الإسلامية في القرن الرابع هجري أو عصر النهضة في الإسلام، ترجمة: محمد عبد الهادي أبو ريدة، ج 1، ط 4، دار الكتاب العربي، بيروت، 1967م، ص ص: 377 ، 378 .

5 - أسعد السحمرانى: المرجع السابق، ص: 28.

## 2- نشأة المذهب الأشعري في المشرق الإسلامي:

يعتبر المذهب الأشعري من أبرز الفرق الكلامية في الإسلام وأكثرها انتشارا<sup>1</sup>، وينسب إلى مؤسسه أبي الحسن علي بن إسماعيل الأشعري (ت 324هـ/936م) نتاج فريد لفترة تاريخية من أخصب الفترات في تاريخ الفكر الإسلامي. إذ هو مركز هذا الفكر ومنبع منعرجاته الأساسية.<sup>2</sup> وأصحابه ينتسبون إليه في الاعتقاد<sup>3</sup>، كما قال الشهريستاني: "الأشعرية أصحاب أبي الحسن علي بن إسماعيل الأشعري"<sup>4</sup>

وقد ظهر المذهب الأشعري ببغداد في بداية القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي<sup>5</sup> ، على إثر انقلاب مفاجئ في معتقد مؤسسه أبي الحسن الأشعري رحمه الله (ت 324هـ/936م) من الاعتزال - الذي كان قد استمر عليه عشرين عاماً - إلى مذهبة الجديد<sup>6</sup>. يقول الإمام أبو زهرة: "عكف الأشعري في بيته مدة وزان فيها بين أدلة الفرقتين وانقذ له في رأي بعد الموازنة، فخرج إلى الناس وناداهم بالاجتماع إليه، فرقى المنبر يوم الجمعة بالمسجد الجامع بالبصرة، و قال: أيها الناس من عرفني فقد عرفني، و من لم يعرفي فأنا أعرفه بنفسني، أنا فلان بن فلان؛ كنت أقول بخلق القرآن، و أن الله تعالى لا يرى بالأ بصار، و أن أفعال الشر أنا أفعلها، و أنا تائب مقلع متصد للرد على المعتزلة مخرج فضائحهم. معاشر الناس إنما تعجبت عنكم هذه المدة لأنني نظرت فتكافأت عندي الأدلة، و لم يتراجع عندي شيء ، فاستهديت الله تعالى فهداني إلى اعتقاد ما أودعته كتبتي هذه و اخلعت من جميع ما كنت أعتقد، كما اخلعت من ثوابي هذا.."<sup>7</sup>

1- سالم يفوت: الأشعرية في المغرب، مجلة الفكر العربي المعاصر، مركز الإنماء القومي بيروت/باريس، العدد 68، 69، أكتوبر 1989، ص 61.

2- المبروك المنصوري: الأشعرية في بلاد المغرب ، ص 02.

3- خالد بن عبد اللطيف بن محمد نور: منهاج أهل السنة والجماعة و منهاج الأشاعرة في توحيد الله تعالى، ج 2، ط 1، مكتبة الغرباء الأثرية، المدينة المنورة، 1995م، ص 28.

4- الشهريستاني: الملل والنحل، ج 1، ط 2، ص 81.

5- عبد المجيد النجار: فصول في الفكر الإسلامي بالمغرب، ط 1 ، دار المغرب الإسلامي، بيروت ، 1992م، ص 14.

6- سعد رستم: المرجع السابق، ص 123.

7- محمد أبو زهرة: تاريخ المذاهب الإسلامية، ص 152.

هذا الانقلاب ترافق معه خصومة للمعتزلة ، و قد تزامن هذا التحول مع بداية أ Fowler عصر المعتزلة،<sup>1</sup> و لقد كان العصر الذي ظهر فيه المذهب الأشعري عصر المذاهب التي تنشد الحلول الوسطى، و تبغي الموقف التوفيقية<sup>2</sup>، لذا جاءت أفكار أبو الحسن الأشعري موافقة لأفكار أبي منصور الماتريدي (ت 333هـ/945م) المنسوب إلى ماتريدي بسمرقند الذي اشتهر بعلم الكلام حتى صار له فيه مذهب قارب مذهب الأشعري، بالرغم أنه لم يثبت أي لقاء ، أو معرفة بين الرجلين<sup>3</sup>، و مرد هذا التوافق استناد الرجلين على أفكار و مذهب سعيد بن عبد الله بن كلاب البصري (ت 241هـ/855م) الذي كان يثبت الصفات العقلية السبعة: الحياة و العلم و القدرة و الإرادة، و السمع و البصر، و الكلام، و يؤول الصفات الخبرية كالوجه و اليدين و القدم و الساق و نحو ذلك<sup>4</sup>، فجاء الأشعري بمذهب لا يختلف كثيراً عن مذهب ابن كلاب و مدرسته ، خاصة فيما يتعلق بمسألة تأويل صفات الله (العلو، الإستواء، الكلام)<sup>5</sup>، و هنا حدث التحول الثاني في مسيرة الأشعري العقدية، نحو مرحلة الكلامية، و في هذا الصدد يقول المقرizi: "...أخذ عن الجبائي مذهب الاعتزال، ثم بدا له فتركه، و سلك طريقة عبد الله بن كلاب، و نسج على قوانينه في الصفات و القدر، فمال إليه جماعة و عولوا على رأيه و جادلوا فيه".<sup>6</sup>

1- سعد رستم: المرجع السابق، ص 123.

2- يوسف أحناة: تطور المذهب الأشعري في الغرب الإسلامي، ص 17.

3- أبو زهرة: تاريخ المذاهب الإسلامية، ص 151؛ محمد أحمد العدوي: الشرح الجديد لجوهرة التوحيد، ط 1، شركة مكتبة و مطبعة مصطفى الباجي الحلي و أولاده، مصر، 1947م، ص 164؛ مصطفى مغزاوي: دور العامل السياسي في انتشار المذهب الأشعري في المشرق الإسلامي و مغربه (من منتصف القرن 5/11هـ إلى بداية القرن 8/14م)، مذكرة ماجستير، جامعة الجزائر، 2008، ص 08.

4- الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج 11، ص 174؛ مصطفى مغزاوي: المرجع السابق، ص 08؛ فدوی بنکیران: أصول المنهج الأشعري و منهجه العقدي، مجلة دعوة الحق، العدد 396، دار أبي رقراق للطباعة و النشر، الرياط، 2010، ص 77.

5- عبد الرحمن بن صالح بن صالح الحمود: موقف ابن تيمية من الأشعار، ج 1، ط 1، مكتبة الرشد، الرياض، 1995م، ص 493؛ مغزاوي مصطفى: المرجع السابق، ص 8، 9.

6- المقرizi: الموعظ و الاعتبار، ج 2، ص 359 و ما بعدها.

و لم يلبث طويلا حتى تراجع عن الكلامية و إلتحق بأهل الحديث ، متخليا و مبتعدا عن التأويل ، و هنا يحدث التحول العقدي الثالث في مسيرة أبو الحسن الأشعري نحو المرحلة السنية<sup>1</sup> ، و ما يؤكّد ذلك قوله في كتابه الإبانة: "... وقولنا الذي نقول به ، وديانتنا التي ندين بها: التمسك بكتاب ربنا عز وجل وبسنة نبينا محمد صلى الله عليه وآلـه وسلم ، وما روى عن الصحابة والتابعين ، وأئمة الحديث ، ونحن بذلك معتصمون ، وبما كان يقول به أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل – نظر الله وجهه ورفع درجته وأجزل مثوبته – قائلون ، ولمن خالف قوله مجانبون ..." <sup>2</sup> في حين يرى أحد الباحثين أن " لا مجال للآراء التسليمية حول انتسابه الفقهي ولا لافتراضات والاحتمالات غير المدعومة التي يلجأ إليها بعض الباحثين انطلاقا من زاوية نظر ضيقة يقاربون بها الموضوع. المرجح أن ابتكارات الأشعري الكلامية قد غطّت اختياره الفقهي. بل إن هذا الاختيار تضاءل إلى درجة الاكتفاء بممارسة الشعائر دون الانتماء إلى مذهبية فقهية واضحة. وهذا ما سهل انتشار آرائه بين أهل السنة أولاً، ثم ولد تنازعهم في انتمامه الفقهي ثانياً، بحيث يدعى كل صاحب مذهب انتساب الأشعري إلى مذهبه.

أما المؤسس الحقيقي للاتجاه الأشعري - ذي الخواص المعروفة و التوجه العقلي المشهور و المنهجية التأليفية الخاصة - فهو أبو بكر الباقياني (ت 403هـ/950م)<sup>3</sup>، الذي شهد المذهب الأشعري على يده تطورا كبيرا بعد أن وضع له المقدمات النظرية، و أسس قواعده و رتب مباحثه، في كتبه الكثيرة التي من أهمها كتاب "الإنصاف" ، و "التمهيد" و غيرهما.<sup>4</sup>

1- جمال علال البختي: عثمان السلاجبي و مذهبته الأشعرية (دراسة لجانب من الفكر الكلامي بالمغرب من خلال البرهانية و شروحها)، ط1، دار أبي الرقاق للطباعة و النشر، الرباط، 2005، ص23؛ فدوی بنکیران: أصول المنهج الأشعري و منهجه العقدي، ص77؛ المرجع السابق، ص10.

2- الأشعري: الإبانة عن أصول الديانة للأشعري، ص52؛ جمال علال البختي: المرجع السابق، ص.23.

3- محمد بن الطيب بن محمد أبو بكر الباقياني من أكبر أعلام و علماء الأشاعرة، انتهت إليه رئاسة الأشاعرة بعد أبي الحسن الأشعري، له عدة مؤلفات منها: الأنصف، و إعجاز القرآن، و دقائق الكلام، و التمهيد. للمزيد ينظر: ابن خلkan، المصدر

السابق، ج4، ص270؛ عبد المجيد معلومي: المرجع السابق، ص-ص:49-52.

4- علال البختي: المرجع السابق، ص23.

كما كان للإمام البغدادي (ت 429هـ/1037م)<sup>1</sup> و ابن فورك (ت 406هـ/1015م)<sup>2</sup> ولإسقرايني (ت 418هـ/1027م)<sup>3</sup> وغيرهم دور كبير في الدفاع عن هذا المذهب و في التاريخ لقضاياهم، و تطوير أساليبه و توسيع مباحثه و تعزيز أداته. إلا أن الفكر الأشعري لم يعرف التطور المنهجي الحاسم و النوعي إلا على يد الإمام أبي معالي الجوني (ت 478هـ/1085م)<sup>4</sup>، و تلميذه الغزالى (ت 505هـ/1111م)<sup>5</sup> الذين قفزا بالمذهب إلى طور حديد اعتمد فيه الأشاعرة على المنطق اليوناني أساساً، و استعملوا الأساليب العقلية و الفلسفية بوضوح لإثبات قضايا العقيدة السننية.<sup>6</sup>

1- عبد القاهر بن طاهر بن محمد البغدادي، ولد بغداد و استقر بنيسابور، من أبرز شخصيات الأشاعرة في كرحلة نشأة المذهب و صياغته، و له عدة مؤلفات منها: الفرق بين الفرق، و كتاب أصول الدين. ينظر: ابن خلkan: المصدر السابق، ج 3، ص 203؛ عبد المجيد معلومي: المرجع السابق، ص-ص 53-56.

2- محمد بن الحسن بن فورك الأنباري الإصبهاني أبو بكر، عالم بالأصول و الكلام من فقهاء الشافعية، له العديد من المصنفات في أصول الدين و أصول الفقه و معان القرآن تجاوزت المائة. ينظر: ابن عساكر: تبيين كذب المفترى، ص 232، 233.

3- الإمام أبو إسحاق ابراهيم بن محمد الإسقرايني، الفقيه المتكلم، من كبار علماء الأشاعرة، له مؤلفات كثيرة منها: الجامع في أصول الدين، و رسالة في أصول الفقه، و كتاب الوصف و الفة، و كتاب تحقيق الدعاوى. ينظر: ابن عساكر: المصدر السابق، ص 243، 244.

4- عبد الملك بن عبد الله بن يوسف الجوني أبو المعالي ابن ركن الإسلام أبي محمد إمام الحرمين، إمام أئمة الأشاعرة، له عدة مؤلفات منها: الأرشاد، و الشامل، و غيث الأمم في التیاث الظلم، و لمع الأدلة. ينظر: ابن عساكر: تبيين كذب المفترى، ص 278، ابن خلkan: المصدر السابق، ج 1، ص 287؛ عبد المجيد معلومي: المرجع السابق، ص-ص 57-62.

5- أبو حامد محمد الغزالى الملقب بمحجة الإسلام، و زين الدين، و عالم العلماء، فيلسوف و متصوف خرسانى، و له العديد من المؤلفات تبحث في علوم الدين و الكلام و الفلسفة منها: إحياء علوم الدين، و تحافت الفلاسفة، و المتنقد من الضلال، و المستصفى، و عقيدة أهل السنة و غيره كثير. ينظر: ابن خلkan: المصدر السابق، ج 4، ص-ص 216-219.

6- محمد محمود عبد الله بن بيه: الأثر السياسي للعلماء في عصر المرابطين، ط 1، دار الأندلس الخضراء، المملكة العربية السعودية، 2000م، ص 116، 117؛ علال البختي: المرجع السابق، ص 23، 24.

### 3- انتشار المذهب الأشعري و موقف السلف منه :

لم يكُن يوطّد المذهب الأشعري دعائِم وجوده و يتَّحد طابعاً متميِّزاً حتَّى غدا هدفَ لهجمات عديدة<sup>1</sup>، و كان المذهب المعتري أول من شرَّ على ساعديه للتصدي لهذا المذهب الجديد، و هو ما أُسْفَرَ عن مناظرات عديدة بين الطرفين، و لم يتوقف الأمر عند الإصطدامات الفكرية فحسب، بل تَعدَّاه إلى مواجهات ميدانية<sup>2</sup>.

و كذلك لم يرق لآهل الحديث و في مقدمةِهم الحنابلة هذا المذهب الجديد، و ذكر "ابن عساكر" أنَّ الأشاعرة و الحنابلة كانوا على وفاقٍ إلى أنَّ دبَّ الشقاق بينهم في زمن الإمام الأشعري "أبي نصر القشيري"<sup>3</sup>.

و بالرغم من كُلِّ ما واجهه الأشاعرة من حملات عدوانية، فقد توسيَّت مدرستهم و انتشرت، و ساعدتها الوقت حتَّى أصبحت لسان حال السنة في القسم الأكثَر من العالم الإسلامي، و خاصةً بعد أن أصبحت تحظى بعطف السلاجقة لا سيما الوزير "نظام الملك"، حيث قام بالإحسان إلى علماء هذا المذهب و إكرامهم، و بنى الأشاعرة مدارساً تعرَّفَ به "المدارس النظمية"<sup>5</sup>، هذه المدارس التي أعطت دفعاً قوياً للمذهب، كما أمكن لعلماء هذا المذهب أن يكونوا أساتذة هذه المؤسسات الفكرية<sup>6</sup>.

1- هنري كوريان: المراجع السابق، ص: 188.

2- أحمد أمين: ظهر الإسلام، ط4، مكتبة النهضة العربية، القاهرة، 1975م، ص: 70.

3- عبد الرحمن بن أبي القاسم القشيري، تعلم على أبيه و لازم الجوبني، و كان له موقع عظيم عنده، كان يعظُّ في المدرسة النظمية، توفي سنة 514هـ، انظر ترجمته: الشهري، الملل والنحل، ج1، ط1، ص12.

4- ابن عساكر: المصادر السابق، ص: 164.

5- أنشأ نظام الملك هذه المدارس في عدة أقاليم، فبني مدرسة بغداد و مدرسة بيلخ و مدرسة نيسابور و مدرسة بأصفهان و البصرة، و مدرسة بمو و طبرستان و الموصل، انظر: ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج10، ص- 205-209.

6- عبد الحميد بدوي: التاريخ السياسي و الفكري للمذهب السني في المشرق الإسلامي من القرن 5 الهجري حتَّى سقوط بغداد، ط1، دار المعرفة، جدة، 1983م، ص: 136.

و هكذا قوي نفوذ الأشاعرة، فانتقلوا من طور الدفاع إلى طور الهجوم، إذ شرعوا في مهاجمة خصومهم ليس على الصعيد الفكري بل على الصعيد السياسي، و ذلك بقولهم أن خصومهم يحملون أفكارا تغذّيها دولة أو حكم معارض للخليفة العباسي.<sup>1</sup>

فلما تهاوت أركان الخلافة العبيدية (الفااطمية)<sup>2</sup> بمصر على يد "صلاح الدين الأيوبي"<sup>3</sup> سنة 567 هـ/1171م، أعاد مصر إلى رحاب المعسكر السني مستخدما القوة ضد المناوئين، و جاهد في نشر الثقافة السنوية عن طريق المدارس الكثيرة التي أقامها في مصر و الشام<sup>4</sup>، و من أشهرها المدرسة الصلاحية التي أنشأت سنة 572 هـ/1176م، و مدرسة المشهد الحسيني بالقاهرة<sup>5</sup>، و قد حرص صلاح الدين على أن تكون عقيدة الأشعري هي الأكثر نفوذا في تلك المؤسسات<sup>6</sup>، و نجح معظم الأيوبيين نجح صلاح الدين في التمكين لعقيدة الأشعري.<sup>7</sup>

إلى جانب المساندة السياسية التي خُص بها المذهب فقد رزق أتباعا كثيرين من العلماء الأقوية قوّوا الآراء التي إنتهي إليها "الأشعري"، فمن الآخذين عنه "أبو إسحاق الأسفرايني" و الشيخ "أبو بكر القفال" و "الحافظ الجرجاني" و "الشيخ أبو محمد الطبرى"، ثم جاءت طبقة ثانية من "الصلوكي" و "الداراني" ، "أبو بكر الباقلاني" و "ابن بكر فورك" ، و من الطبعة الثالثة "أبو الحسن السكري" و "أبو منصور النيسابوري" و "أبو منصور البغدادي" و "الحافظ المروي" و

1 - هنري كوريان: المرجع السابق، ص: 189 ، 190 .

2- قامت هذه الدولة في بلاد المغرب الإسلامي سنة 296 هـ، و وضع النواة الأولى لها هو الداعية أبو عبد الله الشيعي، أما أول خليفة لها فهو عبد الله المهدي، ثم خلفه ابنه القائم بأمر الله، انتقلت هذه الدولة إلى مصر سنة 362 هـ: انظر: راب بوخار، المغرب العربي، ص- 157 - 165 .

3- صلاح الدين يوسف بن نجم الدين أيوب، ولد بتكريت سنة 532 هـ، و كان أبوه أيوب في خدمة عماد الدين الزنكي، فلما توفي هذا الأخير صار أيوب وأولاده في خدمة نور الدين، انظر ترجمته: محمد بن أحمد الحنفي ابن إياس: بدائع الزهور في وقائع الدهور، ج 1، مطابع الشعب، القاهرة، 1960م، ص -ص: 55-58.

4- عبد المجيد البدوي: المرجع السابق، ص: 11 .

5- شهاب الدين أبو محمد عبد الرحمن أبو شامة: الروضتين في أخبار الدولتين النورية و الصلاحية، تحقيق: محمد حلمي، محمد أحمد، ج 1، مطبعة لجنة التأليف و الترجمة، القاهرة، 1956م، ص: 688 .

6- عبد المجيد البدوي: المرجع السابق، ص: 297 .

7- ابن خلkan:المصدر السابق: ج 2، ص: 168 .

غيرهم ... ، و من الرابعة "الخطيب البغدادي" و "أبو القاسم القشيري.. و إمام الحرمين، و من الخامسة "الغزالى" و "فخر الإسلام الشيش" و "أبو نصر القشيري.. و "ابن عساكر" و "السمعاني" و "ابن الحاجب المالكي" و غيرهم ، و كل هؤلاء تباعوا على نصرة مذهبهم، مع علو

<sup>1</sup> مكانتهم و سعة نفوذهم مما آل أخيرا إلى انتشار المذهب و خفوت خصومه

فانتشر مذهبهم انتشارا كبيرا في العراق من سنة 388 هـ/998 م<sup>2</sup> و بلاد فارس على أيام

<sup>3</sup> السلاجقة، ثم في مصر و الشام على عهد الأيوبيين و المماليك.

و يؤكد الأشاعرة من متقدمين و متاخرين أن مذهبهم ليس مستحدثا من مؤسسة "أبي الحسن الأشعري" ، و إنما كان في ذلك تبعا لمن قبله من الصحابة و التابعين و أئمة الفقه و رجال الحديث، حقيقة أن كل فرقة حاولت أن تصل مذهبها بالمتقدمين من صحابة الرسول ﷺ، و لكن الأشاعرة كانوا في ذلك أشدّهم إصرارا كي يطمئن الناس أنهم بحق أهل السنة، و أن غيرهم من الجماعة منشقون، فهل نستطيع أن نلتمس عقائد الأشعرية لدى السابقين؟ و هل كانت لأئمة الفقه الأربع أراء مشهورة في الكلام حتى يتبعهم الناس فيها و حتى يكون الأشاعرة امتدادا لهم؟<sup>4</sup>

مع أنه من الثابت أن علم الكلام لم يكن يشغل الأئمة الأربع، فقد شغلوا عنه بسائل الفقه، إلا أنه ثبت إليهم بعض الآراء الكلامية، فلا بُعد للإمام "أبا حنيفة" (ت 150 هـ/767 م) أراء تفصيلية في مسائل الكلام على النحو الذي عرضها الأشاعرة، ذلك أنه من المتعذر أن يحمل النصف الأول من القرن الثاني آراء لم تعرف إلا في القرن الرابع.

حقيقة أن هناك مشكلات أثيرت منذ زمن مبكر كالقضاء و القدر و الأسماء و الأحكام، لكن أغلب الطعن أن "أبي حنيفة" لم يكن سلفا ولا رائدا للأشاعرة فيها، و إنما أولى به أتباعه الأحناف من المatriدية و الطحاوية.

1- أحمد أمين، المرجع السابق، ص: 73.

2- محمود قاسم: نصوص مختارة من الفلسفة الإسلامية، ط3، مكتبة الإنجلو مصرية، القاهرة، 1969م، ص: 46.

3 - لويس غردية، ج. قوالي،: المرجع السابق، ج1، ص: 109.

4- أحمد محمود صبحي: المرجع السابق، ج2، ص: 21.

كما قد كان الإمام "مالك" (ت 179 هـ/795 م) محدثاً و فقيها ليس غير، و موقفه من الكلام هو الموقف الذي عرف عنه حين سُئل عن الاستواء فسكت ملياً حتى علاه العرق الشديد ثم قال: «الاستواء معلوم، و الكيف مجهول، و السؤال عن هذا بدعة و الإيمان بالاستواء واجب»<sup>1</sup>، ومع ذلك فقد تكلم "مالك بن أنس" في بعض المسائل على طريقة السلف لا على طريقة المتكلمين، من ذلك:

- 1- رأيه بالإيمان: الإيمان عهد و قول و عمل، إذ الطاعات جزء من الإيمان.
- 2- رؤية الله: كان يرى جواز رؤية الله في الآخرة استناداً إلى نفس الآيات التي يذكرها الأشاعرة من بعده.

و مع أن هذه الآراء اعتقدتها الأشاعرة من بعد، إلا أن الإمام "مالك" بعنوفه عن المسائل الكلامية لا يعد سلفاً للمتكلمين ولا لأية فرقة من فرق المسلمين في أصول الدين.<sup>2</sup>

لقد كان الإمام "محمد بن إدريس الشافعي" (ت 204 هـ/819 م) بدوره عازفاً عن علم الكلام، إذ هو علم إن أصاب المرء فيه لم يؤجر وإن أخطأ كفر، و مع ذلك فمثله مثل سائر أئمة الفقه، فقد حمل المؤخرون من الأشاعرة - أغلبهم شافعية - آراء في الكلام تتفق مع معتقدات المذهب الأشعري ليصلوا مذهبهم به، لقد أنطقوه بنظرية الكسب الأشعرية مع أنها من أخص آراء الأشاعرة، لم تلقى قبولاً في دوائر أهل السنة (السلف).<sup>3</sup>

أما الإمام "أحمد بن حنبل" (ت 241 هـ/855 م) كان أشد الفقهاء كراهة للكلام، و مع ذلك فقد أكره إكراها على الخوض فيه، إذ عاصر ذروة الإعتزال في القرن 3 هـ/8 م، و آراؤه - على غير أسلافه - لا يتطرق الشك في صحة نسبتها إليه، و مع ذلك فلم يكن سلفاً للأشاعرة بأي حال، لقد خصه "أبو الحسن الأشعري" بالذكر ليؤكد اتصال آرائه به، و لكن الرد جاء من

1- القاضي عياض: ترتيب المدارك ، ج 1، ص 188.

2- المصدر نفسه: ج 1، ص: 189؛ محمد أبو زهرة، تاريخ المذاهب الإسلامية، ص: 183.

3- أحمد محمود صبحي: المراجع السابق، ج 2، ص: 24.

حنابلة عصره الذين لم يقنعهم مدحهم لإمامهم. لقد كان الإمام "أحمد بن حنبل". سلفاً لأهل السلف لا للأشاعرة.<sup>1</sup>

كان يقول بقدم القرآن في غير تفرقة بين الكلام النفسي واللفظي، و كان يرى أن الله في السماء دون الأرض، إذ تزه سبحانه أن يكون في أجساد البشر و أماكن القذارة، و ليس كل الأشاعرة على هذا الرأي، و كان الإمام "أحمد بن حنبل" مثبتاً لكل الصفات، أما الأشاعرة فكان حصرهم صفات الله في سبع صفات هي الحياة و العلم، القدرة و الإرادة، السمع والبصر و الكلام، و تأويلهم غيرها فنجد لهم يؤولون صفة الرحمة مثلاً و لا يؤولون صفة السمع، و هذا ما يتعارض مع السلف الذين يثبتون كل الصفات.<sup>2</sup>

أما تقديم العقل على النقل و القانون الذي صاغه الأشاعرة في ذلك، فالمسألة مصادرة من أساسها، فأهل السنة يقولون على وجه القطع أنه لا يمكن أن يتعارض عقل صريح مع نقل صحيح.

أما نفيهم أن تقوم بالله أمور تتعلق بقدرته و مشيئته فهو مبني على ما سبق من نفي التغير و التحول عن الله و هو أصل فاسد و الصحيح إثبات كمال قدرته سبحانه، فهو يفعل ما يشاء متى شاء، و على ذلك دلائل الكتاب و السنة و إجماع السلف، قال تعالى: ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَاءِ﴾<sup>3</sup>.

أما القول بأن الإيمان في الشرع هو التصديق، فمخالفة للإجماع الصحيح و لأدلة الكتاب و السنة، أما الإجماع فقد قال الشافعي: «و كان الإجماع من الصحابة و التابعين من بعدهم من أدركنا أن الإيمان قول و عمل و نية لا يجترئ واحد من ثلاثة الأخيرة». <sup>4</sup>

1- أحمد محمود صبحي: المرجع السابق، ج 2، ص 26.

2- علي سامي النشار: نشأة الفكر الفلسفية في الإسلام، ج 1، دار المعارف، (د- ت)، 1966م، ص: 200.

3- سورة الرحمن، الآية: 29.

4- محمد علي الصلايبي: صفحات مشرقة من التاريخ الإسلامي، دار الإيمان، الإسكندرية، (د- ت)، ص: 500.

ما سبق يظهر أن الأشاعرة مخالفون لما عليه الصحابة و التابعين من بعدهم في جملة من القضايا الكبرى كالإيمان و القدر و الكلام و العلو و كثير من الصفات التي يتأنونها أو يبتونها مع تفويض معناها.

و خلاصة القول أن ليس للأشعرية حق الإدعاء أنها تعبّر عن فرقـة أهل السنة و الجماعة، و الذي يدعم هذا القول أن فحول علماء الكلام و أئمة هذا المنهج مثل "أبو الحسن الأشعري"، و "أبي حامد الغزالى" و "الفخر الرازى" و إمام الحرمين "الجويني"، رجعوا إلى مذهب أهل السنة و الجماعة في أخر حياتهم و نبذوا علم الكلام وراء ظهورهم.<sup>1</sup>

و في هذا الصدد يقول "أبو الحسن الأشعري" في كتابه الإبانة: «إإن قال لنا قائل قد أنكرتم المعزلة و القدرة و الجهمية و غيرها فعرفوها قولكم الذي به تقولون و ديانتكم التي بها تدينون قيل له قوله الذي نقوله به و ديانتنا التي ندين بها التمسك بكتاب ربنا عز و جل و سنة نبينا صلى الله عليه وسلم، و ما روى عن الصحابة و التابعين و أئمة الحديث، و نحن معتصمون بما كان يقول به "أبو عبد الله أحمد بن حنبل"».<sup>2</sup>

و ينقل ابن تيمية عن الإمام "الجويني" يقول: «لقد خضت البحر الخضم، و تركت أهل الإسلام و علومهم و خضت فيما نهوي عنه، و الآن إن لم يتداركني ربى برحمته فالويل لفلان، و ها أنا أموت على عقيدة أمي ...»<sup>3</sup>

و منه نستنتج أنه لما كانت الأشعرية غنية بشخصياتها، و دعامتها الفكرية المتعددة انتشرت و ذاعت في الآفاق، مشرقا و مغريا. غير أنه إن كان المشرق مهدا لهذا المذهب، فكيف كتب له الانتشار في بلاد المغرب الإسلامي؟

1- محمد علي الصلاي: صفحات مشرقة من التاريخ الإسلامي ،ص 501.

2- أبي الحسن الأشعري: الإبانة عن أصول الديانة، ص: 17.

3- تقى الدين أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية: الفتوى الحموية الكبرى، ط 4،المكتبة السلفية، القاهرة، 1401 هـ،ص: 7.

## 4- دخول المذهب الأشعري لبلاد المغرب الإسلامي:

## 1-4- عقائد أهل المغرب قبل ظهور الأشعرية :

بعدما أتم العرب الفاتحون فتح بلاد المغرب احتلوا البربر بالعرب، و مع مرور الوقت دخل كثير من البربر في الإسلام و استعربوا و أصبحوا مسلمين مستعربين، و دخل البربر ميدان الصراع مؤيدين لمذهب أهل السنة و الجماعة حيناً، و آخرين بمذاهب الخارج حيناً آخر، فالنسبة لمذهب أهل السنة و الجماعة فقد اجتهدت الدولة الإسلامية العامة - الأموية أولاً ثم العباسية - في المحافظة على أقصى ما تيسر لها المحافظة عليه في إطار السنة و الجماعة من ذلك المغرب الشاسع، مما انتهى إليه الأمر من انتصار مذهب السنة و الجماعة، فالفضل الأكبر راجع إلى بني أمية ثم بني العباس و رجالهم من بعدهم.<sup>1</sup>

عرف المغرب الإسلامي الفرق الكلامية كما عرفها مشرقه<sup>2</sup>، هذا و قد كان بعد المغرب عن مركز السلطة في بغداد، قد أتاح لفرق المعارضة إقامة دول أو دويلات إلى حد يمكن القول أنه ما من دولة قامت إلا على أساس مذهب ديني، بل لا يمكن التأريخ لكثير من الدول دون البدء بتسجيل الآراء الدينية أو الأفكار المذهبية لداعية أو فقيه قامت الدولة على أقواله أو اجتهاداته.<sup>3</sup>

و من تلك المذاهب التي عرفها المغرب الإسلامي مذهب الخارج - الصفري و الإباضي - ففي النصف الأول من القرن الثاني للهجرة كان الخارج قد تسربوا إلى المغرب مثلين بالداعين "عكرمة" مولى ابن عباس، و "سلمة بن سعد"<sup>4</sup> الذين قاما بالدعوة إلى هذا المذهب<sup>5</sup>، و هو ما

1- حسين مؤنس: تاريخ المغرب و حضارته، ج 1، ط 1، العصر الحديث للنشر و التوزيع، بيروت، 1992م، ص: 185.

2- تمت الإشارة لهذه الفرق بالتفصيل، ينظر الفصل الأول من الدراسة.

3- أحمد محمود صبحي: المرجع السابق، ج 2، ص: 211.

4- عكرمة بن عبد الله، أول داعية للمذهب الصفري ببلاد المغرب، دخل مع سلمة بن سعد الذي كان يدعو للمذهب الإباضي، في وقت واحد. انظر: ابن أبي زكرياء: كتاب سير الأئمة و إخبارهم، ص: 15.

5- عبد الجيد النجار: المهدى بن تومرت، حياته و آراؤه، ثورته الفكرية و الاجتماعية و أثره بالمغرب، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1993م، ص: 49.

نلمسه من قيام دولة المدارين الصفرية بإقليم سجلماسة بالغرب الأقصى سنة 140 هـ/757 مـ، ودولة الرستميين الإباضية بتيهرت بالمغرب الأوسط سنة 160 هـ/776 مـ.<sup>1</sup>

و عرف المغاربة مذهب التشيع الزيدية المعتمد من "المولى إدريس" الذي فر من المشرق إلى المغرب الأقصى ليقدر مكانته أهله كسليل بيت النبوة، و تقوم دولة الأدارسة<sup>2</sup> في فاس من عام 172 هـ/788 مـ<sup>3</sup>، و قد كان للمعتزلة حظها هي الأخرى ببلاد المغرب، حيث يذكر القاضي عبد الجبار أنها كانت منتشرة بالغرب الأقصى و بالأخص بطنجة على عهد الأدارسة<sup>4</sup>، و جاء في معجم البلدان أن مجمع الواصليه (المعتزلة) كان قريباً من تيهرت<sup>5</sup>، و كان عددهم نحو الثلاثين ألفاً.<sup>6</sup>

و من المغرب قامت أكبر دولة شيعية في تاريخ الإسلام و هي دولة العبيدية سنة 296 هـ/909 مـ و التي استطاعت بفضل تأييد بعض القبائل المغربية أن تقضي على الدول و الإمارات التي كانت قائمة هناك و أقامت المذهب الشيعي.<sup>7</sup>

كما عرفت بلاد المغرب الإسلامي الفكر الإرجاني أيضاً و لكن لم يكن له رواج كما هو شأن الفكر الإاعتزالي أو الشيعي أو الخارجي، يرجع ذلك إلى طبيعة أصحابه الحاملين عن الدعوة مذهبهم.<sup>8</sup>

على أن ذلك كله لا ينفي قيام دولة تدين بمذهب أهل السنة و بالولاء للخليفة العباسى في بغداد كالأغلبية.<sup>1</sup>

1- القاضي النعمان، إفتتاح الدعوة، ص: 30.

2- تأسست هذه الدولة سنة 172 هـ، و هي تنسب إلى إدريس بن عبد الله بن الحسن بن علي بن أبي طالب، الذي فر إلى المغرب بعد هزيمة العلوين في موقعة فتح سنة 196 هـ. انظر ابن خلدون، المقدمة، ص: 268.

3- احمد محمود صبحي: المرجع السابق: ج 2، ص: 212.

4- عماد الدين عبد الجبار: فضل الإاعتزال و طبقات المعتزلة و حياتهم لسائر المحالفين، دار التونسية للنشر، تونس، 1974 مـ، ص ص: 109-110.

5- ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج 1، ص: 815.

6- إبراهيم التهامي، جهود علماء المغرب في الدفاع عن عقيدة أهل السنة، ص: 281.

7- احمد محمود صبحي: المرجع السابق: ج 2، ص: 212.

8- إبراهيم التهامي: المرجع السابق، ص 283.

و بالرغم من الاختلاف المذهبي بين تلك الدول فقد بقي المغرب في معظم تاريخيه يتبع في الفقه المذهب السني المالكي، وقد ذهب المؤرخون إلى القول بأن دخول هذا المذهب لهذه البقاع كان على حياة الإمام "مالك بن أنس" (179 هـ/795 م)، وقد جاء في ترتيب المدارك أن المذهب المالكي دخل إفريقيا و ما ورائها على يد "علي بن زياد" (ت 184 هـ/800 م)<sup>2</sup>، وكان الفضل في انتشاره إلى الفقيه "عبد السلام سحنون"<sup>3</sup> الذي ظلت رئاسة العلم في أهل بيته من بعده على مدى مائة و ثلاثين عاماً، و تفقه أهل المغرب على مدونته "مدونة سحنون" في شرح مذهب الإمام مالك، ثم على رسالة "ابن أبي زيد القิرواني" (ت 386 هـ/996 م) الملقب لدى المغاربة بمالك الصغير<sup>4</sup>.

كان الإمام "سحنون" يتمتع بنفوذ قوي في المجتمع القิرواني، و قد استعمل نفوذه في نصرة المذهب المالكي، و يذكر أنه لما كان على قضاء إفريقيا قام بطرد أصحاب المذهب الإباضي و أهل الصفرة من الجامع.<sup>5</sup>

و بالإضافة إلى المالكية انتشر في بلاد المغرب المذهب الحنفي، حيث يذكر أنه بعد انتقال العبيدلين إلى القاهرة غالب بافريقيا مذهب "أبي حنيفة" و كان له أنصار أكثر من المالكية.<sup>6</sup> حيث دخل المذهب الحنفي للقิروان على يد "أسد بن الفرات"<sup>1</sup> الذي تعلم و أخذ الفقه عن أتباع "أبي حنيفة النعمان" بالعراق<sup>2</sup>، و يذكر "الجنجاني" أن "أسد بن الفرات" تعلم كذلك عن

1- أحمد محمود صبحي: المرجع السابق: ج 2، ص: 212.

2- علي بن زياد التونسي، كان تلميذاً لمالك، ألف عدة كتب حول أراء مالك، توفي سنة 184 هـ. انظر ترجمته: القاضي عياض، تراجم أغلبية، ص - ص: 21-26.

3- عبد السلام سحنون بن سعيد التبوخي، ولد بالقيروان سنة 160 هـ، ثم رحل إلى المشرق للأخذ عن تلاميذ مالك، و عاد من رحلته سنة 191 هـ و تولى منصب القضاء ، توفي بالقيروان سنة 240 هـ، انظر ترجمته: القاضي عياض: تراجم أغلبية، ص: 86.

4- أحمد محمود صبحي: المرجع السابق: ج 2، ص: 212.

5- الحبيب الجنحاني: "القیروان عبر العصور" ازدهار الحضارة الإسلامية في المغرب العربي، الدار التونسية للنشر، تونس، 1968م، ص ص: 156- 157.

6- ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج 9، ص: 257.

الإمام "مالك" و كان له ميولاً للمذهب المالكي، وأن إدخاله للمذهب الحنفي إلى إفريقيا فإن ذلك قد تم في فترة لم يقرر خلالها "أسد" اتجاهه النهائي بعد.<sup>3</sup>

ذكر "يجي هويدى" أن "أسد بن الفرات" كان يدرس المذهبين المالكي و الحنفي في وقت واحد، وإن خصومته مع "سحنون" ( תלמידه) دفعته إلى التحمس للمذهب الحنفي و نشره في القiroان.<sup>4</sup> و طيلة حكم "بني الأغلب"<sup>5</sup> بإفريقيا من سنة 184 هـ - 296 هـ / 800-909 م ظل المذهبان المالكي و الحنفي يتبازان على الظهور و الغلبة، إلا أنه بعد قيام الدولة العبيدية الفاطمية ظهر المذهب الشيعي و خفت صوت المالكين، أما الأحناف فقد اعتنق الكثير منهم المذهب الشيعي.<sup>6</sup>

بعد تولي "المعز بن باديس الصنهاجي"<sup>7</sup> الحكم حيث كان عامل العبيديين على بلاد المغرب، و في سنة 441 هـ / 1049 م أوقف الدعوة للعبيديين و دعا للعباسيين - القطعية الزيرية - فتحول من المذهب الشيعي إلى المذهب السني، و حمل جميع أهل المغرب على التمسك بمذهب مالك و

1- أبو عبد الله أسد بن الفرات بن سنان، ولد بحران سنة 145 هـ، قدم طفلاً مع أبيه إلى القiroان، و بعد مدة رجع إلى المشرق لطلب العلم، ثم رحل إلى مصر و منها قفل راجعاً إلى القiroان، و بما تولى القضاء سنة 203 هـ توفي سنة 213 هـ من مؤلفاته كتاب الأسدية، انظر ترجمته، القاضي عياض: تراجم أغلبية، ص: 52 - 70.

2- ابن فرحون: الدياج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب، ص: 92-93؛ إسماعيل سامي: المرجع السابق، ص: 63، 64.

3- الحبيب الجنحاني: المرجع السابق، ص: 158-159.

4- يحيى هويدى: تاريخ فلسفة الإسلام في القارة الإفريقية، ج 1، مكتبة النهضة العصرية، القاهرة، 1966م، ص: 167.

5- بني الأغلب يرجعون إلى إبراهيم بن الأغلب بن سالم، ولاه هارون الرشيد على إفريقيا سنة 184 هـ و توارث الحكم من بعده أبناءه كان أحدهم زياد الله الثاني (290 - 296 هـ). انظر: أحمد شليبي: موسوعة التاريخ الإسلامي، ج 4، ط 10، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1995م، ص: 316.

6- حبيب الجنحاني: المرجع السابق، ص: 159.

7- معز بن باديس الصنهاجي، عامل العبيديين على بلاد المغرب، آلت إليه الأمور بعد وفاة والده سنة 406 هـ فتولى الحكم و عمره ثمان سنوات، و في سنة 441 هـ دعا إلى العباسيين، توفي سنة 454 هـ ، انظر ترجمته: ابن خلkan: المصدر السابق: ج 4، ص: 321.

جعله المذهب الرسمي للدولة، و منذ ذلك الحين أصبح المذهب المالكي صاحب السيادة المطلقة<sup>1</sup> ببلاد المغرب.

فقد خلص الدكتور "أحمد محمود صبحي" أن مذاهب أهل المغرب كانت:

**1- في الكلام:** كان في المغرب دعاة مهدوا و هيأوا الأذهان، بل و أقاموا الدول وهذا يعني تعدد المذاهب الكلامية في أصول الفقه.

**2- في الفقه:** فقد عجزت المذاهب الكلامية أن تناول من المذهب المالكي و باءت بالفشل محاولات الدولة العبيدية (الفااطمية) أن تستبدل بالفقه المالكي فقهاً شيعياً، و ظلت المالكية مذهب المغاربة الفقهي بإجماع ليس له نظير لأي مذهب.<sup>2</sup>

فكمما انتشرت آراء "مالك" الفقهية بالمغرب، انتشرت آراؤه العقدية التي كانت تقوم على أساس الكتاب و السنة، فلم يكتفي علماء المغرب بنشر آرائه في الفروع، بل نشروا أيضاً آراءه في العقيدة<sup>3</sup> التي كانت قائمة على الإيمان بما جاءت به النصوص، و تجنب التأويل و الجدل الذي تستعمل فيه الحجة العقلية<sup>4</sup> ، و هو ما تبينه مقوله "مالك" المشهورة عندما سُئل عن الاستواء على عرش فأجاب: «الاستواء منه معلوم، و الكيف منه غير معقول، و السؤال عنه بدعة، و الإيمان به واجب».<sup>5</sup>

غير أن تعدد المذاهب الفكرية ببلاد المغرب الإسلامي أدى إلى قيام حوار فكري عقدي ثري بين الاتجاهات المختلفة التي ظهرت بهذه البلاد، و قد بلغ هذا الحوار ذروته في القرن الثالث المجري، و من بين هؤلاء المناظرين و المجادلين "سعید بن الحداد"<sup>6</sup> الذي ناظر الداعية الشيعي "أبي

1- ابن خلkan: المصدر السابق، ج 4، ص- 323 — 329، للإطلاع أكثر عن القطعة الزيرية مع العبيدين و تجديد المذهب المالكي ينظر: نسيم نوار: المراجع السابق، ص- 147 - 177.

2- أحمد محمود صبحي: المراجع السابق، ج 2، ص: 213.

3- إبراهيم التهامي: جهود علماء المغرب في الدفاع عن عقيدة أهل السنة ، ص: 40.

4- عبد الحميد النجار: فضول في الفكر الإسلامي بالمغرب، ص: 17.

5- القاضي عياض، ترتيب المدارك، ج 1، ص: 171.

6- ابن الحداد أبو عثمان بن محمد الغساني، ولد سنة 219 هـ كان فقيه أهل السنة، و بقي مهجوراً الباب، و لم تكن له رحلة حج لأنه كان مقالاً، له العديد من المؤلفات منها إيضاح المشكل، المقالات، الاستيعاب، الأمالي، عصمة النبيين.

"أبي عبد الله"<sup>1</sup>، و قد جمع بينهما أربع مجالس للمناظرة، انتصر فيها "ابن الحداد" لمذهبة المالكي رغم طريقة الإقناع و الجدل القوية التي كان يسلكها زعماء المذهب الشيعي في نشر مذهبهم.<sup>3</sup>

أما عن مواضيع الجدل فكانت تدور حول مسائل عقدية كثيرة أهمها مسألة الصفات الإلهية، و مسألة خلق القرآن، مسألة وجود الله في كل مكان و مسألة الإيمان.<sup>4</sup>

فمثلاً شكلت مسألة خلق القرآن محنّة في بلاد المشرق كانت محنّة أيضاً في بلاد المغرب، إذ أرغم الأغالبة عمّالهم - على افريقية - الناس على القول بخلق القرآن، و امتحن بعض علماء المغرب بنفس المحنّة التي إمتحن بها نظرائهم في المشرق.<sup>5</sup>

و يرجع انتقال الآراء الكلامية التي كانت تشار بين أهل المناظرة و الجدل في المشرق إلى بلاد المغرب في أن المغاربة كانوا يتذدون في رحلاتهم المتعددة على المشرق يزورون الحجّاج لحجّ، و يتوجهون إلى مصر و العراق لطلب العلم و للتجارة أحياناً، فمن الطبيعي أن تنتقل التطورات الفكرية التي تحدث في بلاد المشرق إلى بلاد المغرب الإسلامي<sup>6</sup>

و مما تحدّر الإشارة إليه في هذا الصدد أن فن الجدل و المناظرة لم يكن متفشياً و منتشرًا بشكل واسع، و إنما كان مقتضاً، و ذلك أن الغالية من المغاربة كانوا مالكيين، و المذهب المالكي يستهجن علم الكلام و يعتبر أن الخوض في مسائل العقيدة بدعة.<sup>7</sup>

و في ظل هذا الواقع المتسم بالتعصب للرأي و إقصاء الآخر تحايل الأجواء لدخول أفكار الأكثر اعتدالاً و تقبلاً من طرف الجميع بفعل الاحتدام الحاصل بين المذاهب في بلاد المشرق و

= و له كتاب "الاستواء"، توفي 302هـ، انظر: الدباغ: معلم الإيمان في معرفة أهل القیروان، ج 2، ص: 295. 296.

1- الحسين بن أحمد بن محمد، ولد بصنعاء، أقام بالكوفة، بعث إلى المغرب لنشر المذهب الشيعي، وصل كتمانة سنة 280هـ،

ووضع التوأة الأولى للدولة العبيدية، قتل سنة 297هـ. انظر: القاضي النعمان، افتتاح الدعوة، ص: 47.

2- الدباغ: المصدر السابق، ج 2، ص: 295.

3- حبيب الجنحاني: المرجع السابق، ص: 157.

4- عبد الحميد النجار: فصول في الفكر الإسلامي بال المغرب، ص: 19.

5- يحيى هويدى: المرجع السابق، ج 1، ص: 159.

6- الوليد محمد بن أحمد بن رشد: الكشف في المناهج والأدلة عن عقائد الملة، تقديم و تحقيق: محمد عابد الجابري، ط 1،

مركز الدراسات الوحيدة العربية، بيروت، 1998م، ص: 33.

7- يحيى هويدى: المرجع السابق، ج 1، ص: 166، 167.

انتقاله إلى المغرب، فكان المذهب الأشعري الطرح المعتمد الذي سيُقبل عليه أهل المغرب الإسلامي فيما بعد بشغف كبير. و السؤال الذي شغل الباحثين هنا هو: كيف و متى انتقل المذهب الأشعري من المشرق إلى المغرب الإسلامي؟

#### 4-2- دخول المذهب الأشعري إلى بلاد المغرب :

إنه لمن الصعوبة بما كان تحديد التاريخ الذي دخل فيه الفكر الأشعري إلى بلاد المغرب الإسلامي<sup>1</sup>، و على يد من دخل؟ و ذلك راجع بالدرجة الأولى إلى قلة الدراسات التي تناولت هذا الموضوع، غير أن هذا لا يمنع من وجود بعض الإشارات المتناثرة هنا و هناك، و التي أخذنا في استقصائها حتى نبني عليها مادة دراستنا هذه و نجعل منها أرضية يمكن الاعتماد عليها في تكوين فكرة حول الموضوع.

و قد اختلفت آراء الباحثين حول أول من دخل مبادئ الأشعرية إلى هذه الأصقاع، و هل كان ذلك خلال حياة صاحب المذهب الذي أعلن عن تأسيس وجهته في فهم العقيدة أوائل القرن الرابع الهجري أم كان ذلك فيما بعد سنة 324 هـ/935 م<sup>2</sup>، ويعود سبب هذا الاختلاف

1- يؤكد ذلك الباحث المنصوري بقوله: "...يصعب تحليل انتشار أي فكر من الأفكار في بلاد المغرب أو في غيرها إذا لم يُدرس في كليته وفي علاقته ببقية الأفكار التي شاركته الانتشار في المكان والزمان عبر دراسة أنماط حضور الفكر العربي في الغرب الإسلامي، لأن النظر الجزئي إلى الأفكار والإشكاليات و البنى والمؤسسات التي تنتجه وتطورها لا يمكن إلا من خلق تفسيرات جزئية وغير مترابطة فاقدة للانظام والننسقية. فدراسة الأشعرية في إفريقيا مثلاً، رغم أهميتها، تتطلب غير كافية لخلق أفكار دقيقة تسهم إسهاماً مباشراً ودقيقاً في حل تطورات الفكر ومنعرجاته في هذه البيئة. إذ تكاد إفريقيا تُطلق في أغلب الفترات على القبور ومحيطها فقط. وهو محيط جزئي وصغير في بلاد المغرب. في حين أن انتشار الفكر الأشعري وتطوره قد اشتهرت فيه كل الفرق والمذاهب الإسلامية المتصارعة في بلاد المغرب..."، الأشعرية في بلاد المغرب إلى نهاية القرن السادس الهجري الثاني عشر الميلادي ومفهوم الأدوارhistorical دور، ص 01.

2- تكاد آراء الباحثين تجمع على أن دخول مبادئ العقيدة الأشعرية إلى الغرب الإسلامي ، كان في أواخر القرن الرابع الهجري، ينظر: عبد الله معصر: العقيدة الأشعرية بالغرب أصالة و امتداد، مجلة الغنية، العدد 01، مركز دراس بن إسماعيل الرابطة الحمدية، فاس، 2011، ص 68؛ و تشير النصوص إلى أن أول من حمل العقيدة الأشعرية إلى بلاد المغرب، هو "أبو ميمونة درّاس بن إسماعيل الفاسي" (ت 357 هـ). ينظر: إبراهيم التهامي، جهود علماء المغرب في الدفاع عن عقيدة أهل السنة، ص: 262؛ يوسف أحناة: تطور المذهب الأشعري في الغرب الإسلامي، ص 52؛ عبد المغيث جيلاني: المدرسة الأشعرية بالغرب والأندلس : أعلامها و جهودها، مجلة الفرقان، العدد 63، مطبعة النجاح الجديدة، الدرا البيضاء، 2009

إلى ندرة مؤلفات بعض العلماء الذين ذكر أنهم كانوا متأثرين بالأشعرية، و التي تعتبر المنطق الصحيح لتدقيق الرأي في هذه المسألة.

نسب المقرizi إدخال المذهب الأشعري إلى بلاد المغرب، إلى محمد بن تومرت (ت 524هـ/1129م)<sup>1</sup>، بينما ذكر المراكشي في إطار حديثه عن ابن تومرت ، أن أهل المغرب كانوا<sup>2</sup> ينافرون هذه العلوم "أي علم "الاعتقاد على طريقة الأشعرية" ، و " يعادون من ظهرت عليه".<sup>3</sup> وهذا يعني أن المذهب الأشعري كان موجوداً بال المغرب قبل عهد ابن تومرت، إلا أنه كان مهجوراً،<sup>4</sup> هو رأي ربما يتطابق و ما ذكره ابن خلدون عن أهل المغرب قبل ظهور ذلك الإمام، فقد كانوا<sup>5</sup> بمعزل عن أتباعهم (أئمة الأشاعرة) في التأویل و الأخذ برأيهم فيه، اقتداء بالسلف في ترك التأویل و إمارار المتشابحات كما جاءت"<sup>6</sup> و هو رأي لا يصح و يصعب الأخذ به على الأقل بالنسبة لإفريقية، لأن ذلك المذهب دخل إلى إفريقية في فترة مبكرة. و الغالب بعد عهد الأشعري بقليل<sup>5</sup> كما ذكر " هادي روجي إدريس" الذي يجزم بأن وصول الأشعرية إلى بلاد المغرب تزامن مع أواخر حياة "أبو الحسن الأشعري"<sup>6</sup>

1- المقرizi: ، الموعظ و الاعتبار، ج 2، ص 343.

2- أبو محمد بن علي التميمي عبد الواحد المراكشي: المعجب في تلخيص أخبار المغرب ، تحقيق : عمران المنصور ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، 1998،ص 184.

3- نجم الدين المحتاطي:تطور موقف علماء المالكية بإفريقية من الخوض في المسائل الكلامية و تبنيهم للعقيدة الأشعرية، مجلة IBLA، السنة 55، العدد 170 ، تونس،1992،ص 299.

4- ابن خلدون: العبر، ج 6، ص 300 و ما بعدها؛ نجم الدين المحتاطي:تطور موقف علماء المالكية بإفريقية من الخوض في المسائل الكلامية و تبنيهم للعقيدة الأشعرية،ص 300.

5- نجم الدين المحتاطي: القิروان مركز لنشر المذهب الأشعري، مجلة الحياة الثقافية، العدد 208 ، 2009،ص 103، 106.

6-Hadi roger idriss: issai sur la diffeson de lacharlsme en afrique cahiers de, tenesie, 2eme, 1953. P 139.

في حين ذهب بعض المؤرخين إلى القول بأن دخول هذا المذهب لبلاد المغرب الإسلامي كان بعد العقد الثاني من القرن الخامس الهجري على يد "أبي موسى المرادي" (ت 489 هـ/1096 م)<sup>1</sup> و هناك من المؤرخين من ذهبوا إلى أبعد من هذا، فعند حديثهم عن الأشعرية بال المغرب لا يذكرونها إلا بداية من القرن السادس أي بعد مضي قرنين كاملين من ظهور الأشعري بالشرق، ومن هؤلاء المؤرخين ، المؤرخ ابن خلدون حيث يقول: "... و انطوى هذا الإمام راجعا إلى المغرب بحرا متفرجا من العلم و شهابا واريا من الدين ، و كان قد لقي بالشرق أئمة الأشعرية من أهل السنة ، ... و ذهب إلى رأيهم في تأويل المشابه من الآيات و الأحاديث بعد أن كان أهل المغرب معزلا عن إتباعهم في التأويل و الأخذ برأيهم فيه و الاعتقاد بمذهب السلف في ترك التأويل و إقرار المشابهات كما جاءت ، فبصر المهدي أهل المغرب في ذلك و حملهم على القول بالتأويل و الأخذ بمذاهب الأشعرية في كافة العقائد..."<sup>2</sup>

و كذلك "المقرizi" ، حيث يذكر في معرض حديثه عن انتشار الأشعرية بمصر على يد "صلاح الدين الأيوبي". في القرن السادس أن "المهدي بن تومرت" (ت 524 هـ/1130 م) ، هو أول من أدخل المذهب الأشعري إلى بلاد المغرب الإسلامي، و في ذلك يقول: «فاستمر الأمر على عقيدة الأشعري بديار مصر و بلاد الشام و أرض الحجاز و اليمن و بلاد المغرب أيضا لإدخال "محمد بن تومرت" رأي الأشعرية إليها»<sup>3</sup> ، و منهم أيضا "عبد الواحد المراكشي" ، حيث اعتبر أن "ابن تومرت" هو أول من عَرَّف أهل المغرب بعلم الكلام الذي تعلَّمه خلال رحلته إلى الشرق.<sup>4</sup>

1- أبو بكر بن الحسن المرادي الحضرمي، قدم الأندلس و روى عن علمائها، كان رجلا نبيها عالما فقيها، توفي سنة 489 هـ انظر ترجمته: أبو القاسم خلف بن عبد الملك ابن بشكوال: الصلة، ج 2، الدار المصرية للتأليف و الترجمة، القاهرة، 1966م، ص ص: 604 - 605.

2- ابن خلدون ، تاريخ بن خلدون ، ج 6، ص : 300 .

3 - المقرizi: ، الموعظ و الاعتبار، ج 2، ص - ص: 343 - 358 .

4 - عبد الواحد المراكشي: المعجب ، ص ص: 159 - 160 .

و من الباحثين الذين قالوا بمثل هذا القول أحمد محمود صبحي، إذ جاء عنه ما نصه: «انتشر المذهب الأشعري بين المالكية منذ "الباقلاني من في المشرق و "ابن تومرت" الذي أحل الأشعرية محل الظاهرية في المغرب الإسلامي....»<sup>1</sup>

في حين أن الباحث ابراهيم التهامي يرى أن اعتناق الطريقة الأشعرية في التصور العقدي لم يكن ليتم قبل القرن السادس الهجري، بل كان هذا الفكر مقتضرا على عدد محدود من الأفراد<sup>2</sup>، إلا إذا استثنينا ما ذكره "ابن حزم" في فصله من «أن الأشعرية قامت لهم سوق بصفلية و القิروان، ثم رق أمرهم و الحمد لله رب العالمين».<sup>3</sup>

غير أن هذا القول – دخول الأشعرية في القرن السادس الهجري- بالنسبة لكثير من الباحثين غير صحيح و دليل ذلك ما ذهب إليه كل من : الباحث الم BROOK منصوري إذا يقول: "لم يعد لفكرة نسبة إدخال الأشعرية إلى بلاد المغرب إلى المهدي بن تومرت (1130هـ/524م) أي قيمة علمية.... إذ أن الأشعرية قد انتشرت في بلاد المغرب في النصف الثاني من القرن الهجري الرابع...." ، وكذلك الباحث محى الدين عزوز الذي يقول: "...إذا كان مذهب الأشعري انتشر في القرن الرابع و الخامس الهجرة فما بال ابن خلدون - و غيره من الباحثين المتأخرين - يذكر في مقدمته أن (المهدي) جاء داعيا إلى الحق آخذًا بالمذاهب الأشعرية ناعيًا على أهل المغرب عدولهم عنها إلى تقليد السلف في ترك التأويل لظواهر الشريعة و ما يؤول إليه ذلك في تحسيم كما هو معروف من مذهب الأشعرية.... هل يفهم من هذا أن المذهب الأشعري كان قبل ابن تومرت قاصرًا على الأوساط العلمية أو بعض المراكز الثقافية فنشره هذا الأخير في مناطق لم يصل إليها من قبل كقبيلة مصمودة التي فتحت صدرها لتعاليم ابن تومرت. أقول هذا لأن المغاربة في ذلك الوقت لم يقتصروا على معرفة الأشعرية بل نشرها بعضهم في المشرق كما فعل أبو عبيد الله محمد بن أبي

1- أحمد محمود صبحي: المرجع سابق، ج 2، ص: 33.

2- إبراهيم التهامي، جهود علماء المغرب في الدفاع عن عقيدة أهل السنة ، ص: 250؛ نجم الدين المحتاطي: القิروان مركز نشر المذهب الأشعري ،ص 105.

3- ابن حزم، الفصل في الملل والأهواء والنحل، ج 4، ص: 204.

4- الم BROOK منصوري : الأشعرية في بلاد المغرب، ص 03، 04.

بكر التميمي القيرواني عتيق السوسي (ت 512هـ/1118م) الذي كان عالمة في فن الكلام وأسندت إليه وظيفة التدريس في نظامية بغداد و دفن بجانب أبي الحسن الأشعري...<sup>1</sup>

و هو ما يؤكد الباحث محمد المغراوي بقوله: "...اعتبرت إفريقية بحكم موقعها جسرا للتواصل بين المغرب الأقصى وبين الثقافة المشرقية، وكان ارتباط المغاربة بالقيروان ارتباطا روحيا متينا خاصة بعد تراجع التأثير الشيعي (الفاطمي). يعود دخول الأشعرية إلى إفريقيا إلى مرحلة مبكرة بعد وفاة الإمام أبي الحسن الأشعري (324-874هـ / 935م) ، ثم انتشرت بسرعة في الأوساط العلمية، واهتم بها العلماء اهتماما ملحوظا إلى حد أنهم أصبحوا " لا يرون مخالفه أبي الحسن في نمير ولا قطمير" على حد تعبير الإمام أبي عبد الله المازري (536هـ / 1141م)<sup>2</sup>. و الذي يقول أيضا في شرح "البرهان" في مسألة خالف فيها أمام الحرمين أبو الحسن الأشعري و ليست من القواعد المعترضة و لا المسائل المهمة، من خطأ شيخ السنة أبي الحسن الأشعري فهو المخطئ"<sup>3</sup>. و يؤكد كذلك الباحث نجم الدين المحتاتي: "...بل إن المذهب لقي على المدى الطويل عنابة فائقة لدى علماء القиروان من المالكية " بحيث لا يرى مالكي إلا أشعريا" ...<sup>4</sup>

و انطلاقا من تلك الآراء المتضاربة التي سبق ذكرها، خلص إلى القول بأن أهل المغرب عرفوا المذهب الأشعري في فترة مبكرة أي في النصف الثاني من القرن الرابع الهجري، ربما و صاحبه على قيد الحياة، و الغالب عند بعض الباحثين بعدها بقليل – تقريبا مع بداية العهد المرابطي -<sup>5</sup>.

أما عن الأندلس فقد دخلت الأشعرية إليها في مرحلة مبكرة أيضا، على يد من تتلمذ من علمائها لأئمة الأشعرية من المشرق، وقد احتفظ عبد الحق بن عطية (ت 541هـ/1147م) بأسانيد

1- محى الدين عزوز: التطور المذهبي بال المغرب ( و دراسة قصة حي بن يقطان)، نشر الشركة التونسية للتوزيع،تونس،1976،ص30،31.

2-محمد المغراوي: تطور المذهب الأشعري بال المغرب الأقصى إلى حدود العصر المرابطي، فصل من كتاب التاريخ والفقه- أعمال مهداة إلى المرحوم محمد المنوني - تنسيق محمد حجي، ط1، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء،2002،ص135.

3- محى الدين عزوز: التطور المذهبي بال المغرب،ص30.

4- نجم الدين المحتاتي: القиروان مركز لنشر المذهب الأشعري ،ص105.

5- نجم الدين المحتاتي: القиروان مركز لنشر المذهب الأشعري،ص105؛ عبد العفيث جيلاني:المدرسة الأشعرية بالغرب والأندلس : أعلامها و جهودها، ص32.

علماء الأندلس التي كتبها في فهرسته . وقام مجموعة من العلماء بجهود بارزة في سبيل نشرها أمثال الإمام أبي محمد عبد الله بن إبراهيم الأصيلي (ت 392هـ / 1001م) والحدث أبي عمر الظمنكي (ت 429هـ / 1038م)، والمقرئ أبي عمرو الداني (ت 444هـ / 1052م) تلميذ أبي الحسن القابسي، وصاحب عدة تأليف في العقيدة الأشعرية ، والفقيه الأصولي أبي الوليد الباقي (ت 474هـ / 1081م) الذي تلمند لإمام شافعي وأشعري ومحدث شهير هو الخطيب البغدادي (ت 463هـ / 1071م) . بينما وقف في الجانب الآخر فئة من الفقهاء والأصوليين والمحاذين كأبي محمد بن حزم وأبي عمر بن عبد البر وغيرهم من كانوا يحرمون علم الكلام والنظر في كتبه منطلق كراهة الجدال في العقيدة.

و شهدت الأندلس نقاشا حادا حول مسألة الكرامة الصوفية بين الأشاعرة وغيرهم. ويجب التذكير بأن جهود القاضي أبي بكر بن العربي المعافري (ت 543هـ / 1148م) و هو من تلاميذ كبار أشاعرة المشرق كأبي حامد الغزالي كانت ملحوظة في الوصول بالأشعري في الأندلس إلى مرحلة متقدمة على المستوى العلمي . هذا فضلا عن رؤيته لضرورة وصل الأشعرية بكل من المذهب المالكي والتتصوف .<sup>1</sup>

---

1- محمد المغراوي: تطور المذهب الأشعري بالمغرب الأقصى إلى حدود العصر المرابطي، ص 137.

## 5- عوامل دخول و انتشار المذهب الأشعري في بلاد المغرب:

يكاد يتذكر اهتمام جلّ الباحثين في انتشار الأشعرية في بلاد المغرب على سببين : علمي وسياسي . إلا أنه ظل ينظر إلى هذين السببين منفصلين، دون محاولة الخروج من التفسيرات التي توصل إليها روجي إدريس في مقاله السالف الذكر.<sup>1</sup> بحيث أن هناك أسباب أخرى يمكن أن يكون لها الفضل في انتشار الفكر الأشعري ببلاد المغرب.

### 1-5 العوامل الدينية و العلمية:

**- توسط المذهب الأشعري:** يقوم المذهب الأشعري على مبدأ التوسط و الاعتدال. فقد رفض غلو المعتزلة الذين رأوا أن الإنسان خير في أفعاله، كما رفض مبالغة الجبرية الذين رأوا أن الإنسان مسيّر في أفعاله، و بذلك تحدث علماؤه عن مبدأ الكسب<sup>2</sup>. فقد بلور الأشعري العقيدة السنّية، إذ أنه "توسط بين الطرق و نفى التشبيه و أثبتت الصفات المعنوية، و قصر التنزيه على ما قصره السلف. كما حرص الأشعري من ناحية أخرى على إبراز مذهبه" على طريقة أهل الحديث" ، و هو أمر يتماشى و طبيعة المذهب المالكي، كما صرّح بأن مالك بن أنس كان يتعاطى في الكلام.<sup>3</sup>

**- دور المذاهب في نشر العقيدة الأشعرية :** حيث أن دور المذهب المالكي<sup>4</sup> كان حاسماً في انتشار الأشعرية بإفريقية، إضافة إلى مساهمة المذهب الشافعي. وقد رأى الباحثين أن انتشارها جاء كرد فعل ضد هيمنة مذهب الاعتزال<sup>5</sup> على أوساط علماء السنة بالقيروان منذ منتصف القرن

1- المبروك المنصوري: المراجع السابق، ص 06.

2- نجم الدين المحتاتي: القиروان مركز لنشر المذهب الأشعري، ص 107.

3- نجم الدين المحتاتي: تطور موقف علماء المالكية بإفريقية من الخوض في المسائل الكلامية و تبنيهم للعقيدة الأشعرية، ص 301.

4- للإطلاع على هذا الدور بالتفصيل ينظر: مليكة ختيري: جهود الفقهاء المالكية في ترسیخ المذهب الأشعري بالغرب الإسلامي، مجلة الفرقان، العدد 63، مطبعة النجاح الجديدة، الدرا البيضاء، 2009، ص 57-66.

5- يرى المنصوري أن "الأشعرية لم تكن رداً على مذهب الاعتزال المنتشر في أوساط السنّية بالقيروان منذ منتصف القرن الثاني المجريي كما تصور أحمد بكير وتابعه على ذلك المحتاتي متحاجاً برأي ابن خلkan في الأشعري . وهو رأي إن صح بالنسبة إلى المشرق فإنه لا يصح بالنسبة إلى المغرب لأن البيئات لا تعكس بعضها بعضاً، وأنه عندما انتشرت الأشعرية في =بلاد

الثاني للهجرة<sup>1</sup>. و في هذا يقول المحتاطي: "...ساهمت هزيمة الإرجاء و الاعتراف بالقىروان في تمهيد الأرضية لانتشار المذهب الأشعري بها في مرحلة لاحقة... أدى هذا إلى التقارب بين المذهب الأشعري و المذهب المالكي هذا الذي انتصر بالقىروان منذ منتصف القرن 3هـ/9م. فهذا المذهبان يدافعان عن العقيدة السننية."<sup>2</sup>

كما شهدت المدرسة الكلامية المالكية تراجعاً في نشاطها، خاصة بعد محمد بن سحنون (ت 256هـ/869م) و تجلّى ذلك خاصة في بداية العهد العبيدي خلال مجالس المناظرات التي عقدت مع الحكام العبيديين (الفاطميين)، إذاً أن علماء مجالس المالكية لم يتمكنوا بصفة جيدة من الدفاع عن مبادئ مذهبهم<sup>3</sup>، لذلك من الطبيعي جداً أن يجد علماء المالكية في المذهب الأشعري خير سند لتزويدهم بالحجج والأدلة العقلية للدفاع عن مذهبهم من الناحية العقائدية.<sup>4</sup>

في حين يرى أحد الباحثين أن هذا العامل لا يمكن التعويل عليه في ربط انتشار الأشعرية في بلاد المغرب بدور المذاهب الفقهية في ذلك، و يتجلّى ذلك في قوله: "... وبعد هذا هل يمكن أن نعزّو انتشار الأشعرية في بلاد المغرب بين فقهاء المالكية إلى التقارب بين مذهبهم والمذهب الأشعري، باعتبار هذا التقارب حدثاً تاريخياً في ظرفية معينة وحقيقة لا باعتباره خصيصة واسعة أو اختياراً

=المغرب في النصف الثاني من القرن الرابع الهجري لم يعد المعزلة المغاربة يمثلون أي قوة فكرية أو سياسية ومن ثم خطراً على فقهاء المالكية رغم أن وجودهم تواصل إلى حدود القرن السابع الهجري في المناطق ذات النفوذ الإباضي." المرجع السابق، ص 16.

1- محمد المغراوي: تطور المذهب الأشعري بالمغرب الأقصى إلى حدود العصر المرابطي، ص 136.

2- نجم الدين المحتاطي: القىروان مركز لنشر المذهب الأشعري، ص 107.

3- ر بما بسبب افتقارهم إلى هيكل منظم واضح المعالم لاتجاههم الفقهي، رغم وجود تلك العقيدة التي أعطاها الإمام مالك لابن وهب و خاصة بسبب قلة ترسّهم في الجدل و المناظرة، و قلة خبرتهم في علم الكلام، فقد سأله أبو العباس الصنعاني في أحد المجالس من حضر من المدّنيين و العراقيين عن السنة، فلم يقدروا على الإجابة و كانت الإجابة الجيدة من قبل سعيد بن الحداد (ت 302هـ/915م) الذي لم يكن من المالكية آنذاك، كما استنجد موسى القطان (ت 306هـ/918م) العالم المالكي بسعيد بن الحداد لإجابة أبي عبد الله الشيعي عن سؤال وجهه إليه يخص حد الخمر، ينظر: المالكي: رياض النفوس، ج 2، ص 78، 79؛ نجم الدين المحتاطي: تطور موقف علماء المالكية بإفريقية من الخوض في المسائل الكلامية و تبنيهم للعقيدة الأشعرية، ص 301.

4- ابن خلدون: المقدمة، ص 293؛ عبد المجيد النجاشي: المهدى بن تومرت، ص: 433؛ نجم الدين المحتاطي: تطور موقف علماء المالكية بإفريقية من الخوض في المسائل الكلامية و تبنيهم للعقيدة الأشعرية ، ص 301 و ما بعدها.

اقتناعياً. ولو كان التقارب بين المذاهب الفقهية أو العقدية قادراً على تغيير الانتشار لكان الفقه الحنفي من أكثر الفقه انتشاراً في بلاد المغرب إلا أننا لا نكاد نثر على أتباع للحنفية فيها . و سيسقط أن هذا التفسير الذي اعتمد لفترة طويلة من الزمن تفسير مخادع إذا تعرفنا إلى التطورات الأساسية للعقيدة الأشعرية.<sup>1</sup>"

**- جهود علماء الأشاعرة في نشر عقيدتهم :** دافعت الخلافة العباسية عن العقيدة السنوية، و في إطار مواجهتها للخطر الشيعي (الباطمي)، سخرت لذلك عدداً من الدعاة الذين تفرقوا في العالم الإسلامي مشرقاً و مغرباً، ووصل بعضهم إلى القิروان. كما شجعت عدداً من علمائها على التأليف في الدفاع عنها و القدح في (الباطميين) الشيعة. وقد أحسن القيام بهذه المهمة الإمام البلاقلاني (ت 403هـ/1012م) الذي كان مالكيّاً أشعرياً، و قد لاقت هذه الدعوة استحساناً لدى علماء المالكية القиروانيين الذين استحكمت العداوة بينهم وبين الباطميين، فرأوا في المذهب الأشعري الذي تدعو إليه الخلافة العباسية خيراً وسيلة لمواجهة العبيديين (الباطميين)، و بذلك ظهر نوع من التلازم بين المذهب المالكي و العقيدة الأشعرية، و من بين العلماء أيضاً الإمام أبو المعالي الجويني إمام الحرمين (ت 478هـ/1085م) كمرحلة أولى ، ثم الإمام الغزالي (ت 555هـ/1160م) في مرحلة ثانية، و هنا يبرز تأثير شخصية هؤلاء العلماء الأشاعرة على طلبهم و تلاميذهم من أهل المغرب.<sup>2</sup>

**- اتصال المغاربة بنظرائهم الأشاعرة في المشرق و جهودهم في نشر الأشعرية** لعبت الرحلة في طلب العلم دوراً حاسماً في تلقي علماء المغرب المذهب الأشعري إلى جانب الفقه و السلوك و الحديث، خصوصاً مع ظهور علماء كبار أمثال البلاقلاني الذي كانت له الريادة في الفقه المالكي و أصوله و علم الكلام على طريقة الأشاعرة، فقد كان المغاربة يقصدونه مالكيته. فيأخذون عنه الفقه و الأصول، كما يأخذون عنه العقيدة الأشعرية<sup>3</sup>، هذا ما أدى إلى اعتقاد بعض فقهاء المالكية المغاربة بالعقيدة الأشعرية، حيث أن الفضل يعود في نشر الأشعرية في بلاد المغرب لعدد

1- المنصوري: المرجع السابق، ص 09.

2- نجم الدين المحتناتي: القиروان مركز لنشر المذهب الأشعري، ص 107.

3- عبد الله معصر: العقيدة الأشعرية بالمغرب أصالة و امتداد، ص 69.

من العلماء المالكين تلاميذ الباقلاني (ت 403هـ/1012م) إمام المالكية ببغداد وأحد كبار المتحملين للمذهب الأشعري. نذكر منهم بالخصوص أبا الحسن القابسي (ت 403هـ/1012م) الذي يعتبر إسهامه أساسياً في هذا الصدد<sup>1</sup> وأبا عبد الله الأذري<sup>2</sup>، وأبا طاهر البغدادي نزيل القيروان<sup>3</sup>، وأبا عمران الفاسي (ت 430هـ/1038م) في مرحلة متقدمة. وابن تومرت (ت 524هـ/1130م) وابن العربي (ت 543هـ/1148م)، وابن السلاجى (ت 594هـ) في مرحلة متأخرة.

- زعم كثير من المغاربة أن الأشعرية هي الفرقة الناجية: و لعل مرد ذلك إلى أن رؤوسه يصنفون أفكارهم ضمن آراء أهل السنة والجماعة.<sup>4</sup> وهذا ما يتأكد من قراءة الكتب المؤرخة لفرق<sup>5</sup>. والتي من الملاحظ أن كتابها أشاعرة؛ فهي تنطلق جميعاً من الرغبة في بيان "الفرقة الناجية" و تمييزها عن سائر الفرق الأخرى، التي تصنف على أنها ضالة أو هالكة أو ما شابه ذلك، انطلاقاً من الحديث المؤثر القائل بافتراق الأمة ثلاثة وسبعين فرقة، منها واحدة ناجية.<sup>6</sup>

- حركة التأليف والمصنفات: و إلى جانب الدعاة الذين نشطوا في نشر هذا المذهب بالمغرب، هناك عامل آخر لا يمكن إغفاله في هذا الصدد، وهو التأليف والمصنفات التي وضعها رواد هذا

1- عبد الحميد بن حمدة: المدارس الكلامية بإفريقية إلى ظهور الأشعرية، ط 1، مطبعة دار العرب، تونس، 1406هـ/1986م، ص 10.

2- ابن عساكر: المصدر السابق، ص 216-217

3- المصدر نفسه: ص. 216-217

4- يقول سالم يفوت في هذا الشأن: "...الحقيقة أن لفظ أهل السنة والجماعة لفظ مشترك، كما يقول المناطقة، فهو يعني عامة كل من يتمسكون بعقيدة السلف، وعلى رأسهم الإمام أحمد بن حنبل والإمام مالك، بل حتى الأئمة الأربع. وهي عقيدة خالية من أساليب علم الكلام وأهله تقرر العقائد بدءاً و لا تعالجها عقلاً، لكن القراءة المتأنية للكتب المؤرخة لفرق و الملل والنحل، ثبت للقارئ العكس، فهي تقدم بيان اتقاد أهل السنة والجماعة في قالب كلامي أشعري متأخر...": الأشعرية في المغرب، ص 61.

5- من هذه الكتب: الفرق بين الفرق للبغدادي (ت 429هـ)؛ وكتاب التبصير في الدين وبيان الفرقة الناجية من الفرق المالكين للأسفرايني (ت 471هـ)؛ وكتاب الملل والنحل للشهرستاني (ت 548هـ).

6- سالم يفوت: الأشعرية في المغرب، ص 61؛ نزيفه معاريف: الفكر الأشعري دعوة سنوية وضرورة حضارية، مجلة الفرقان، العدد 63، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، 2009، ص 05 و ما بعدها.

المذهب بالشرق و انتقلت إلى المغرب، فدخلت مصادر أشعارية كثيرة إلى بلاد المغرب تذكرها كتب الطبقات إما بـإجحاف عندما يتعلق الأمر بفقيئه أشعري وإما بتفصيل مركزة على أهمها. ومنها: - "الرسالة" لابن مجاهد الطائي (370/980). وهو من تلاميذ الأشعري وأحد الذين انتشرت عنهم الأفكار الأشعرية.

- كتب الباقياني (403/1012) منها "رسالة الحرمة" و تُعرف أيضاً "بالإنصاف"، وقد كانت هذه الرسالة متداولة في المغرب، إذ كان "ابن ورد"<sup>1</sup> يرويها، و من كتب "الباقياني" التي كانت تدرس في المغرب أيضاً كتاب "التمهيد"، و علاوة على ذلك فقد بلغ إعجاب المغاربة "بالباقياني" أنهم كانوا يرسلون إليه يستفتونه في الحوادث و النوازل التي كانت تقع لهم.<sup>2</sup>

و من الكتب التي لاقت رواجاً في المغرب أيضاً، كتب "ابن فورك" (ت 406 هـ/1015) و بالخصوص كتاب "تأويل مشكل الحديث" ، الذي دخل هذه البلاد عن طريق الرواية الشفهية، فقد رواه عدد من الرواة نذكر منهم "ابن المرسي"<sup>3</sup> و كتاب "اعتقادات الموحدين" الموحدين" ، و "الإرشاد" للجويني (478 هـ/1085). وقد شرحه أبو الحسين بن الضحاك الغرناطي (552/1157). وسمّاه "منهاج السداد في شرح الإرشاد". كما شرحه المازري (530 هـ/1136). وسمّاه "المهاد في شرح الإرشاد". وشرح أيضاً كتاب "البرهان". وسمّاه "البيان لشرح البرهان". وشرحه محمد بن علي التميمي المهدوي (536/1141). وسمّاه "إيضاح الحصول من برهان الأصول".

- أما ألكيا الهراسي (504/1110) فقد تلّمذ عليه محمد بن تومرت وأبو عبد الله محمد بن أحمد الجياني المشهور بالبغدادي (547/1152). كما دخل أبو الحسن علي بن أحمد الريعي

1- أبو القاسم احمد بن محمد بن عمر التميمي المعروف بابن ورد، كان أبوه من أهل القىروان، ولد سنة 465 هـ، وتوفي في رمضان سنة 540 هـ ، انظر ترجمته : أحمد بن يحيى بن عميرة الضبي: بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس، مكتبة المثنى، بغداد، مؤسسة الخانجي، مصر، 1884 م ، ص: 154.

2- إبراهيم التهامي: جهود علماء المغرب في الدفاع عن عقيدة أهل السنة، ص: 257؛ المنصوري: المراجع السابق، ص 14.

3- أبو محمد عبد الله بن أحمد بن محمد النفيزي الخطيب المعروف بابن المرسي، ولد سنة 453 هـ أما وفاته فصادفت سنة 538 هـ ، انظر ترجمته: الضبي: المصادر السابق، ص: 325.

4- إبراهيم التهامي، جهود علماء المغرب في الدفاع عن عقيدة أهل السنة، ص: 257.

المقدسي التاجر ( 531 / 1137 ) تلميذ الشيرازي ( 476 / 1083 ) بلاد المغرب. والتقي به عياض بسبطة. وأجاز له جمع روایاته. وتذكر جملة من كتب الإسفرايني وأغلب كتب أبي حامد الغزالي ( 505 / 1111 ) التي نقلها أبو بكر بن العربي من المشرق.<sup>1</sup>

- دور المؤسسات العلمية - مدينة القیروان - في نشر العقيدة الأشعرية: و يبرز هنا دور مدينة القیروان، حيث عرفت مذاهب دينية متنوعة يمكن تقسيمها إلى صفين: مذاهب فقهية مثل المذهب المالكي و المذهب الحنفي و المذهب الشافعي، و مذاهب عقدية مثل الأشعرية و الإرجاء و الاعتزال. و لئن دخل هذان المذهبان الآخرين إلى تلك المدينة بصفة مبكرة، فإنهما لم يلقيا بها رواجا، فتحولت القیروان منذ القرن 5هـ/11م إلى مركز لنشر ذلك المذهب على مستوى الغرب الإسلامي، و أصبحت مع القابسي مركزاً مشعاً لنشر المذهب الأشعري على مستوى إفريقيا، بما أن هذا العالم عرف أهل مدينة تونس ببعض مبادئه، وعلى يدي تلاميذ أبي عمران الفاسي دخل المذهب الأشعري إلى المغرب الأقصى والأندلس، فرغم سقوط القیروان إثر زحف بني هلال، فإن إشعاعها كمركز لنشر العقيدة الأشعرية لم ينقطع على الأقل وقتيا. فقد تفرق علماؤها في الأفاق، نذكر منهم أبو بكر محمد بن الحسن المرادي القروي (ت 489 / 1095م). تنقل هذا العالم بين مدن الأندرس ثم مدن المغرب ليستقر بأغamas ثم نهائيا بالصحراء حيث عرف بالمذهب الأشعري.<sup>2</sup>

و يقول المحتاطي أيضاً: "... حول نجاح المذهب الأشعري لدى علماء المالكية القیروان إلى مركز لنشر ذلك المذهب على مستوى إفريقيا، ثم على مستوى بلدان الغرب الإسلامي لا سيما المغرب الأقصى و الأندرس، بل إن ذلك التأثير شمل جزئياً بلاد السودان بما ان المرادي القروي دخل إلى تلك البلاد و استقر بها خلال فترة معينة."<sup>3</sup>

من المعطيات السابقة نستنتج أن المذهب الأشعري دخل إلى المغرب الأقصى على أيدي علماء قیروانيين، كان ذلك منذ بداية العهد المرابطي، مما يسمح لنا بمراجعة قول من يذهب إلى أن ذلك

1- المنصوري: المرجع السابق، ص 14، 15.

2- نجم الدين المحتاطي: القیروان مركز لنشر المذهب الأشعري، ص 103، 106.

3- المرجع نفسه، ص 107.

المذهب دخل المغرب في بداية العهد الموحدي لا سيما مع محمد بن تومرت. على أن الإمام أرسى ذلك المذهب في المغرب الإسلامي، و سعى بعقيدته "المرشدة" إلى تحذيب عقيدة العامي و تشقيفها، بل إنه فرض ذلك المذهب بالسلطة السياسية.<sup>1</sup>

### - الجدل المذهببي و أثره في التحول العقدي نحو الأشعرية:

شهد النصف الثاني من القرن الرابع الهجري تعمق انتشار الأشعرية في بلاد المغرب، فعمل فقهاء المالكية على امتلاك بعض مقالاتها الوظيفية التي تمثل صياغات تمكّنهم من الرد على خصومهم رداً منظماً، ولكن هذا التعمق حدث بعد تراجع المذهب الشيعي الإسماعيلي، وغير الإسماعيلي كذلك، من بلاد المغرب إثر رحيل العبيد़يين(الفاطميين) إلى مصر سنة (361/972). ومن هنا حدث تطور عقدي في بلاد المغرب، و الذي يرجع أساساً إلى الجدل الثلاثي المالكي - الشيعي - الإباضي، إلا أن هذا الجدل ظل غائباً في أغلب الدراسات التي حللت هذه القضية انطلاقاً من وجهة نظر أحادية واعتماداً على مراجع أحادية غالباً ما تكون مالكية.<sup>2</sup>

و يؤكد المنصوري دور هذا العامل الحاسم بقوله: "...و ما لا شك فيه أن لتطور الفكر الأصولي عند الإباضية خاصة منذ أواسط القرن الخامس الهجري الأثر الكبير في تعمق الفكر الأشعري في بلاد المغرب، خاصة وأن الأشعرية تمثل تنظيمًا لشنط المقالات العقدية التي كان يتبناها فقهاء المالكية في بلاد المغرب. بينما كان الإباضية يصوغون مقالات أخرى مخالفة لها يعملون بواسطتها على نقض المقالات السنوية من جهة وعلى إثبات مساقتهم في تشكيل الفكر الأصولي في بلاد المغرب من جهة أخرى. ونحن نعتبر أنه كان للحضور الشيعي أثر في دخول الأشعرية إلى بلاد المغرب، دون أن نقول بأحادية هذا العامل. كما نعتبر أن تطور الفكر الأصولي الإباضي، انطلاقاً من اغتنائه بمقالات اعتزالية واصلية ومقالات شيعية زيدية، هو المساهم الأكبر في تعميق الأشعرية في بلاد المغرب وفي أيّام المالكية بها. إن الجدل بين هذه الأقطاب الثلاثة حسب تصوّرنا هو الذي أدى إلى تجدير العقيدة الأشعرية في البيئة المغربية. وقد بين الاطلاع

1- ابن خلدون: العبر، ج 6، ص 300؛ نجم الدين المحتناني: القิروان مركز لنشر المذهب الأشعري، ص. 107.

2- المنصوري: المرجع السابق، ص 12.

المعمق على المصادر الأصولية المؤلفة بين القرن الأول والقرن السادس الهجريين أن هذه الأقطاب الثلاثة قد أغنت مقالاتها العقدية بمقالات فرق لم تظهر على الساحة المغربية مثل الزيدية، وأخرى قد ظهرت مثل الواسلية.<sup>1</sup>

## 2-5 العوامل التاريخية و السياسية:

### - سياسة الشيعة الباطنية وأثرها على علماء المالكية في التمكين للمذهب الأشعري:

ل حق علماء المالكية بإفريقية ضرر كبير خلال الفترة الأولى من العهد العبيدي (الفاطمي) التي توقف عند حد ثورة أبي يزيد (332-943هـ/336-947م)، إذاً أنهم فقدوا جل امتيازاتهم التي كانوا يتمتعون بها في العهد الأغلبي، فعمدوا إلى مقاومة العبيديين (الفاطميين)، كما سعوا في العهد الصنهاجي إلى دفع المعز بن باديس (406-454هـ/1016-1062م) على مقاطعة العبيديين، حين رغب في التلقيب بلقب خليفة و أمير المؤمنين، إلا أن أبو عمران الفاسي (ت 430هـ/1038م) أحد علماء المالكية الأشاعرة وأحد تلاميذ الباقلاني، الذي أثار عن ذلك مذكراً إياه بأنه ليس من قريش، و هدفه من ذلك هو توجيه الأمير نحو الدعوة للعباسيين، و هذا ما تم فعلاً. و هنا نتساءل بماذا نفسر إلحاح هذا العالم على هذا التوجه للعباسي؟ يعود هذا التوجه إلى الثقافة التي تلقاها أبو عمران الفاسي عن الباقلاني ثقافة من الناحية العقائدية، أما من الناحية السياسية فهي تتميز بمساندتها المطلقة للعباسيين، مع عداوة للشيعة. و للتدليل على ذلك يكفي أن نذكر بعض عناوين مؤلفات الباقلاني مثلاً "كتاب كشف الأسرار في الرد على الباطنية"، و كتاب "إمامية بنى العباس" و آخر في "نصرة العباس و إمامية بنيه"، إذن فعداوة المذهب الأشعري للشيعة تتماشى و كره علماء إفريقية للعببيديين (الفاطميين)، لذلك كان من الطبيعي أن ينجح هذا المذهب بسرعة كبيرة بينهم.<sup>2</sup>

في حين لا يعطي المنصوري هذا العامل أهمية إذ يعتبره جزء صغير من عدة أجزاء، و أنه بمفرده غير قادر على تفسير انتشار الفكر الأشعري ببلاد المغرب فيقول: "... ولا يمكن أن يكون فقهاء

1- المنصوري: المرجع السابق، ص 13، 14.

2- نجم الدين المحتناتي: تطور موقف علماء المالكية بإفريقية من الخوض في المسائل الكلامية و تبنيهم للعقيدة الأشعرية، ص 304، 305.

المالكية قد تبنّوا الأشعرية مباشرة لعلاقتها العدائّية بالتشيّع لأن هذه العلاقة لم تتجّلَّ بالنسبة إلى المالكية إلا في عهد أبي بكر الباقلي (403 / 1012) أي بعد تراجع المد الشيعي تراجعاً كبيراً وتحوله إلى تشيّع شكلي: سياسي. ونحن نرى أن العامل السياسي غير قادر بمفرده على تفسير انتشار الأفكار . بل هو مجرّد عنصر صغير جدّاً في مجموعة متضافة تمثل بنية مترابطة كل عنصر فيها فاعل بقدر فاعلية غيره وعمقه دون أن ننفي أهميّة بعض العناصر على بعضها الآخر.<sup>1</sup>

### - تبني ابن تومرت و الدولة الموحدية المذهب الأشعري مذهباً رسمياً:

يبرز لنا مصطفى مغزاوي الدور الحاسم الذي لعبه ابن تومرت في نشر المذهب الأشعري في بلاد المغرب فيقول: "... كان حركة محمد ابن تومرت السياسية في المغرب الإسلامي صبغة دينية عقائدية لما اتّخذ المذهب الأشعري إيديولوجية للإطاحة بالمرابطين الذين ضعف شأنهم في آخر عهدهم ، و نجح هو و خلفاؤه بعد حروب و مؤامرات طويلة في إقامة دولة في الغرب الإسلامي تعمل جاهداً على رعاية المذهب الأشعري رسمياً والحط و النيل من كل من يعارضه .... و كانت للرعاية السياسية التي أحاطت بمؤلفات بن تومرت في الأصول الأشعرية - لا سيما "رسالة المرشدة" منها - دورها البالغ في انتشار المذهب الأشعري في الغرب الإسلامي خاصةً لما حظيت به من رعاية سياسية رسمية سلطوية في عهده و عهد خلفائه ، و لما حظيت به أيضاً من شروح و تعاليق أسهمت في ترسیخ المذهب الأشعري و استمرارته في المغرب الإسلامي ."<sup>2</sup> وقد ميز الباحث بين طريقتين أتبعهما "المهدي" ابن تومرت لنشر مذهبة فيقول: "... سنميز في جهود بن تومرت السياسية لإقرار المذهب الأشعري جانبيين أو أسلوبين ، أحدهما أسلوب غير مباشر و هو أسلوب الخداع و المراوغة و اتحال الكرامات واستعماله العامة و الأتباع ، و الأسلوب المباشر المتمثل في أسلوب القوة و العنف الذي اعتمدته بن تومرت لإبادة الدولة المرابطية بصفتها العائق الأكبر الذي يحول دون استقرار المذهب الأشعري .." و هذا ما يصور لنا "... ضخامة و جسامّة تلك الجهودات السياسية التي قام بها ابن تومرت و أصحابه ، لأن حركتهم كانت حركة سياسية

1- المنصوري: المرجع السابق، ص 17.

2- دور العامل السياسي في انتشار المذهب الأشعري في المشرق الإسلامي و مغربه، ص-ص : 38-48.

مذهبية... ومن هذا كله يمكن الجزم أن الدور السياسي للموحدين كان الحسم في توطيد المذهب الأشعري في شتى أنحاء إمبراطوريتهم المترامية الأطراف..<sup>1</sup>

### 6- عوامل تأخر اعتناق المذهب الأشعري ببلاد المغرب:

يتبيّن مما تقدّم أن المغرب ب مختلف مناطقه كان له عهد بالمذهب الأشعري قبل القرن السادس المحرّي / الثاني عشر الميلادي، إلا أن حضور المذهب به لم يتعد استيعابه و العلم به من قبل جميع العلماء، و اعتناقه و التحمس له من قبل البعض منهم، و لم يكن له حظ من الانتشار و العموم بحيث يصبح معتنق العامة من الناس، عليه تجربة أذهانهم في التصور العقدي، و به تancock ألسنتهم و أقلامهم في أقوالهم و مؤلفاتهم.<sup>2</sup>

فعلى الرغم من مثابرة أولئك الدعاة في نشر المذهب الأشعري ببلاد المغرب الإسلامي، إلا أن انتشار هذه العقيدة ظل محدوداً، و مقتضاها على طبقة العلماء و لا غير، و لم تُعرف الأشعرية في المغرب كمذهب يتمذّب به عامة الناس و خاصتهم إلا فيما بعد القرن السادس المحرّي.<sup>3</sup>

و يعود تأخر المغرب في اعتناق الأشعرية مذهبًا عاماً في العقيدة طيلة قرنين من الزمن (4 - 5 هـ/10-11 م) إلى عدة عوامل اختصر منها:

**أولاً:** قلة المعارضين للعقيدة السلفية بال المغرب عموماً مقارنة بما كان عليه الأمر بالشرق، و من بين أن التحديات المعارضة المستعملة للأدلة العقلية، من أهم الدوافع إلى اعتناق السلفيين للأشعرية إحكاماً للحجّة العقلية و قطعاً للخصوم، و ما نشأ بالقيروان من الحوار الذي أشرنا إليه آنفاً كان أمراً قليلاً.<sup>4</sup>

1- للإطلاع أكثر على جهود ابن تومرت في نشر المذهب الأشعري يمكن الرجوع إلى: مصطفى مغزاوي: المرجع السابق، ص: 40-45.

2- عبد المجيد النجاشي: المهدى بن تومرت، ص: 439.

3- إبراهيم التهامي: جهود علماء المغرب في الدفاع عن عقيدة أهل السنة، ص: 250.

4- عبد المجيد النجاشي: المهدى بن تومرت ، ص: 439.

ثانياً: سيطرة الشيعة على القиروان مركز الإشعاع المغربي أكثر من نصف قرن (من 297 / 909 م إلى 361 هـ / 972 م) مما ضيق من نمو الفكر السني نحو الأشعرية باستعمال القهر السياسي والعقدي الذي كان يمارسه الشيعة، ثم تعرض القиروان للتخرّب من الأعراش سنة 444 هـ / 1052 م حينما كانت تستعد لتقدير أشعري غزير وعميق كما بيناه، فانتكست هذه الوجهة بانتهاء الدور العلمي الرائد للقيروان.<sup>1</sup>

ثالثاً: تأثر دخول الأشعرية بصفة عميقة إلى مصر بعامل انتقال الحكم الشيعي من إفريقية إليها سنة 361 هـ / 972 م فقد ذكر "المقرئي" أن الأشعرية لم تنتشر بمصر إلا بعد منتصف القرن السادس على عهد "صلاح الدين الأيوبي" (ت 589 هـ / 1193 م) الذي كان أشعري العقيدة، فلما تولى السلطة حمل الكافة على عقيدة الشيخ "أبي الحسن علي ابن إسماعيل الأشعري"<sup>2</sup>، وليس من الخفي دور مصر في نشر المذاهب والعلوم بالمغرب، فهي مركز حيوي في الطريق إلى الحج، يأخذ منه الحجاج وطلاب العلم العلوم التي تكمل ما يأخذونه من الحجاز، و كثيراً ما تكون مقصدًا للمتعلمين أساساً، ولذلك فقد كان فراغ مصر من الأشعرية عاملاً في تأثر انتشار الأشعرية بالمغرب.<sup>3</sup>

رابعاً: تمثيل المذهب الأشعري بطبع فردي، و اختصار دائرة تمثيله في دائرة الأصحاب والأتباع القلائل لا غير.

و لعل إفريقية والأندلس كانتا أكثر حظاً في العلم بهذا المذهب و التأثير به من المغرب الأقصى والأوسط، يرجع ذلك إلى قيام دولة المرابطين هناك التي عطلت نمو الفكر العقدي في اتجاه التأويلي الأشعري، وأبقت على الطريقة السلفية في إمار النصوص على ظاهرها، ولم يشفع للمذهب الأشعري انتقامه لأهل السنة ومحاولته الدفاع عنها و عن العقيدة الإسلامية أمام المالكيين من

1- عبد المجيد النجاشي: المهدى بن تومرت ، ص 440.

2- المقرئي: الموعظ و الاعتبار ، ج 2، ص 358.

3- عبد المجيد النجاشي: فصول في الفكر الإسلامي ، ص 32.

المغاربة الذين لم يروا فيه و فيمن انتحله غير بدعة من البدع التي أوجب إمام مذهبهم محاربتها و  
القضاء على أصحابها.<sup>1</sup>

## 7- مراجعات الفكر الأشعري عند المغاربة:

### 7-1- الإمام أبو بكر الباقلاني:

يعتبر الباقلاني من أهم المصادر المعرفية، حيث إن المرحلة الأولى من دخول علم الكلام الأشعري إلى المغرب، أخذت مرجعيتها من هذا الرجل و ذلك بسبب أنه جمع بين الإمامة في الفقه المالكي، و الرياسة في الكلام الأشعري، و لما كانت وجهة الكثير من المغاربة تتجه في المشرق، نحو هذا الرجل، فإن تأثيره الفقهي، لن يكون في معزل عن التأثير الكلامي، مما يجعل دخول فقهه إلى المغرب متزامناً لدخول كلامه. و مرد هذا التأثير يرجع إلى أن جعا من أولئك الذين مثلوا مرحلة الدخول، كانوا معاصرين للباقلاني، ارتبطوا به بأحد الروابط و الجسور، بحيث كان معظمهم تلاميذ، أخذوا عنه و احتكوا بفكرة احتكاكا مباشراً، فكان ترددهم لهذا المذهب، انطلاقاً من رؤية باقلانية واضحة. مع ملاحظة أن انتماء المغاربة فقهياً إلى المذهب المالكي، كان عاملاً في الترويج للمذهب الأشعري، الذي كان الباقلاني من أساطينه، حيث نقلوا آرائه الفقهية المالكية، و أخذوا أفكاره العقدية الأشعرية.<sup>2</sup>

بيد أن الباقلاني و إن كان قد ترك بصماته واضحة في المرحلة الأولى من دخول الكلام الأشعري إلى المغرب، و مثل سلطة مرجعية قوية، فإن مرحلة التغلغل و الترسيم لهذا المذهب، ستسلم هذه السلطة إلى علم آخر من أعلام الفكر الأشعري، سيفرض حضوره في مجموع المتون الأشعرية المغاربية، و في الشروح و التعليقات عليها. إنما السلطة المعرفية لأبي المعالي الجويني، دون أن يعزب الباقلاني من الساحة الكلامية بإطلاق، حيث ظل صداح متعدد، و ظلل في نظر كبار أشاعرة المدرسة الجوينية في الغرب الإسلامي عموماً، و المغرب خصوصاً، فكان فارس لهذا العلم، و مباركا

1- عبد المجيد النجاشي: المهدى بن تومرت، ص: 438، 439.

2- خالد زهري: مستويات الإبداع في علم الكلام الأشعري عند المغاربة ( ضمن كتاب: جهود المغاربة في خدمة المذهب الأشعري)، تنسيق مركز أبي الحسن الأشعري للدراسات و البحوث العقدية، ط1، دار أبي رقراق، الرباط، 1433هـ/2012م، ص108.

على هذه الأمة، و كان شيخ السنة و لسان الأمة، و سيف السنة، و إمام أهل التحقيق و الحق، و لسان الفقهاء و المتكلمين.<sup>1</sup>

### 7-2- الأمام أبو المعالي الجويني:

إن الكلام على التجديد الكلامي عند المغاربة لا يعني البتة، إيقاع القطيعة مع التراث الكلامي المشرقي. فلا شك أن أساطين الكلام في زمن الإبداع المشرقي كان له عميق الأثر لدى أساطين الفكر الكلامي المغربي، لكن تعاملهم مع النصوص المشرقة شرعاً و تعليقاً و اختصاراً، لم يكن تقليداً و تكريراً. و من نماذج الشرح الذي يهدف إلى الإبداع كتاب "تحرير المقال في موازنة الأعمال" لأبي طالب عقيل بن عطية القضايعي المراكشي، حيث شرح كتاب "موازنة الأعمال" ، و من هذا القبيل أيضاً كتاب "الإرشاد" لأبي المعالي الجويني فقد تأثر به متكلمو المغرب، و اعتبروه هو المدخل إلى علم الاعتقاد، و اخذه الناس إماماً لعقائدهم، بل كانت له عليهم سلطة، جعلت منه في نظرهم محور المعتقد الأشعري، و كان يدرس في الصفوف العالية و بذلك تعاملوا معه نظماً و اختصاراً و شرعاً بفهم و بصيرة. فنظم أبو الحجاج يوسف بن موسى المعروف بالضرير (ت 1126هـ/520م) في منظومة عدد أبياتها 1500 بيت و سمها بـ "التبية و الإرشاد في علم الاعتقاد" ، و اختصره السلاجلي في "العقيدة البرهانية" فكان المرجع الأساسي للسلاجلي و تلامذته في العقيدة. و لا نستبعد أن يكون محمد "المهدي" بن تومرت لخصه في "المرشدة" ، فقد قيل: أنه وسمها بهذا العنوان، لإبتدائها بـ "اعلم أرشدك الله" و هي البداية نفسها التي يبتدىء بها كتاب "الإرشاد" و عليها سمى بهذا الاسم.<sup>2</sup>

**7-3- الإمام أبو حامد الغزالى:** ظل الإبداع الكلامي عند الغزالى، محظوظاً و مقدراً و عانياً و اهتمام عند المغاربة، و دخل متكلموهم و فقهاؤهم في صراعات سياسية حامية الوطيس، انتصاراً لفكرة الغزالى، حيث كانت الغلبة في نهاية المطاف لهم، و تلقب بعض أساطين علم الكلام المغربي بما يذكر ذلك و يشفع له، كأبي علي حسن بن علي المسيلي (1158هـ/580م)، الذي لقب بـ "

1- خالد زهري: مستويات الإبداع في علم الكلام الأشعري عند المغاربة، ص 109.

2- المرجع نفسه، ص 110، 111.

أبي حامد الصغير<sup>1</sup>، و الهبطي الكبير الذي كان يلقب بـ "غزالى زمانه"<sup>1</sup> و رحل المغاربة إلى المشرق، للتلذذ عليه. و نذكر منهم، على سبيل المثال لا الحصر: أبا الحسن علي بن أحمد الكتاني المعروف بـ "ابن حنين"، و أبا بكر ابن العربي، و أبا محمد صالح بن محمد بن حرزهم، و محمد "المهدي" بن تومرت (لقد صرخ أبو حامد الغزالى نفسه بتتلذذه عليه، فقد قال في خطبة كتابه "سر العالمين": "فأول ما استحسنه - أي كتاب سر العالمين - و قرأه علي، في النوبة الثانية، بعد رجوعي من السفر، رجل من أرض المغرب، يقال له: محمد بن تومرت، من أهل سلمية . و توسمت منه الملك"<sup>2</sup> و تلمذة هذا الأخير ، هي التي أعطت المشروعية للفكر الصوفى بال المغرب.<sup>3</sup>

**8- رجالات الأشعرية ببلاد المغرب إلى حدود العصر المرابطي:** و قبل الحديث عن أول رجالات الأشعرية ببلاد المغرب الإسلامي، علينا أن ننوه إلى أن القиروان كانت المركز الأساسي لتقبل الأشعرية و نشرها قبل منتصف القرن الخامس الهجري، لأنها كانت خلال هذه المرحلة نقطة للإشعاع العلمي على كافة أنحاء المغرب بما فيها الأندلس، حيث كان يُفَدَ إليها الطلبة من كل جهة لتلقّي العلم بها سواءً ما أنتجه علماؤها أو ما جلبوه معهم من رحلتهم من المشرق هذا من جهة، و من جهة ثانية فقد كانت القиروان تمثل مرحلة مهمة من مراحل الرحلة إلى المشرق لأهل المغرب، حيث كانت تقع على طريقهم، فكانوا يمرون عليها أثناء الذهاب و الإياب فيحصلون خلالها على العلم الكثير بمقابلة العلماء الذين كانت تزخر بهم.<sup>4</sup>

لقد ظهرت بذرة الأشعرية في المغرب بالنسبة لبعض الباحثين كنتيجة حتمية للحاجة الملحة إلى طائق الاستدلال التي اشتهر بها أصحاب هذه النزعة في جدال الطرف الآخر.<sup>5</sup>

1- أبو العباس أحمد بن عبد الله الغيريني: عنوان الدررية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية، حققه و علق عليه عادل نويهض، ط2، منشورات درا الأفاق الجديدة، بيروت، 1979م، ص33؛ خالد زهري: المرجع السابق، ص119.

2- أبو حامد الغزالى: سر العالمين و كشف ما في الدارين، المجموعة السادسة من رسائل الإمام الغزالى، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1988، ص03.

3- خالد زهري: مستويات الإبداع في علم الكلام الأشعري عند المغاربة، ص120.

4- الشاذلي عطا الله: دور القиروان في نشر العلم و المعرفة، مجلة القиروان، لجنة التنسيق الحزبي بالقيروان، المدار التونسية للنشر، تونس، (د- ت)، ص ص: 10-12.

1- عبد المجيد النجار: المهدي بن تومرت، ص: 433.

أما عن أول رجل عرف الأشعرية في المغرب<sup>1</sup>، الذي تبنى المذهب في وقت مبكر هو "أبو ميمونة درّاس بن إسماعيل الفاسي"<sup>2</sup> (ت 357 هـ/967 م)، وقد رحل هذا الرجل إلى الشرق مبكراً وبلغ إلى بائمة الأشعرية وأخذ عنهم، ثم رحل بالقيروان حيث درس بها، وعلم أبنائها المناظرة بالمنهج الأشعري، وألف رسالة في الدفاع عنهم، ثم استقر بفاس ونشر بها علمه و بها دفن.<sup>3</sup> بينما "عبد الجيد النجاري" يذكر نقالا عن "البرزلي"<sup>4</sup> رحل آخر (ت 844 هـ/1440 م) هو "أبو إسحاق إبراهيم بن عبد الله الزيري المعروف بالقلانسي"<sup>1</sup> (ت 359 هـ/969 م)، هو أحد علماء

1- يشكك يوسف أحناة في هذا الرأي بقوله: "تحتختلف آراء الباحثين في من كان أول من أدخل مبادئ المذهب الأشعري إلى الغرب الإسلامي ..... ومنها ما يزعم أنه كان في حياة أبي الحسن الأشعري (ت 324 هـ). فهناك أسماء اشتهرت في القرن الرابع المحرري، وشهر عنها احتكاراً بأشهر تلاميذ الأشعري في الشرق. وبهذا الصدد يبرز اسم مفكراً من الغرب الإسلامي ارتبط اسمه بالعقيدة الأشعرية ويتعلق الأمر بالمفكر التونسي إبراهيم بن عبد الله الزبيدي أو الزيري الشهير بالقلانسي (ت 359 هـ) ولسنا ندري إن كان هذا الشخص فعلاً هو أول من نقل معه هذا المذهب من الشرق إلى تونس، ومنها إلى باقي الغرب الإسلامي، إذ ليس هناك دليل يمكنه أن يدعم هذا الرأي أو ينفيه أو يقارب أن يفعل. فكل ما تحدثنا به المصادر أنه كانت له مع الدولة العبيدية (الفااطمية) لشيعية مشاكل من طبيعة اعتقادية بسبب تأليفه كتاباً في الإمامة أو شيء من هذا القبيل. وهذا كله لا يقوى على حملنا على الاعتقاد يقيناً بأن هذه المشاكل كانت نتيجة محاولة القلانسي نشر مبادئ الفكر الأشعري ومعارضة المذهب الشيعي في القيروان، ثم إن النصوص ضئيلة علينا بما في شأنه أن يبيت في الأمر وبحسب الموقف. فكل ما نملك نصوصاً ونقولاً متأخرة لباحثين معاصرین صنفوا هذا الرجل مع متكلمي الأشاعرة." ؛ تطور المذهب الأشعري في الغرب الإسلامي، ص 51.

2- أبو ميمونة درّاس بن إسماعيل الفاسي، الفقيه الحافظ ، عرف عنه العلم و الصلاح، له رحلة حج فيها، و عنده أخذ القابسي، و ابن أبي زيد، و سمي درّاساً لكثرة دراسته للعلم. ينظر ترجمته كاملة : محمد بن جعفر بن إدريس الكتاني: سلوة الأنفاس و محادثة الأكياس من قبر من العلماء و الصلحاء بفاس، حققها ووضع فهارسها الشريف محمد حمزة الكتاني، ج 2، طبع على الحجر بفاس، 1316 هـ، ص-232-236؛ أحمد بن القاضي المكتاسي: جذوة الاقتباس في ذكر من حل من الأعلام مدينة فاس، ج 1، دار المنصور للطباعة و الوراقة، الرباط، 1973، ص-ص: 194-196؛ إبراهيم التهامي، جهود علماء المغرب في الدفاع عن عقيدة أهل السنة، ص: 262.

4- يوسف أحناة: تطور المذهب الأشعري في الغرب الإسلامي، ص 52؛ عبد المغيث جيلاني: المدرسة الأشعرية بالغرب والأندلس : أعلامها و جهودها، ص 31.

1- أحمد بن محمد بن المعتل القيرواني المالكي الشهير بالبرزلي، ولد سنة 740 م كان فقيها مشاركاً في أنواع من العلوم، رحل إلى القاهرة ، وصار إماماً، توفي بتونس سنة 488 هـ انظر ترجمته: شمس الدين محمد بن عبد الرحمن السخاوي: الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، ج 1، دار مكتبة الحياة، بيروت، ب - ت، ص 433.

علماء القิروان، كان أشعرياً، وجعله البرزلي من " مشائخ الأشعرية" ، ونسب إليه بعض أراء الأشعري كقوله بأن الله تعالى في مكان دون مكان، وأنه في السماء، والأشعري بقوله هذا خالف السلف من الفقهاء والحدثين السابقين من أن الله تعالى في كل مكان<sup>2</sup>، وقد كان من السابقين إلى نقل الأشعرية إلى القิروان، ثم أسهمت صلات علماء إفريقية بتلاميذ الإمام الأشعري في تدعيم استقرار المذهب بها.<sup>3</sup>

و بعد هذين الرجلين نجد علماً لاماً من أعلام القิروان يكون قد قام بدور مهم في إدخال مبادئ الأشعرية إليها هو "أبو محمد عبد الله بن أبي زيد القิرواني"<sup>4</sup> ( 386-310 هـ / 996 م )، فقد كانت له رحلة إلى المشرق حج فيها، ولم تذكر المصادر أنه ذهب إلى بغداد، ولكنها تتلمذ على يد كثير من المشايخ بالشرق منهم "جماعة من البغداديين"، و كان "أبو ميمونة درّاس" أحد أفراد تلك الجماعة.<sup>5</sup>

و يذكر "القاضي عياض" أن "ابن زيد القิرواني" كانت تربطه صلة مع "أبي عبد الله بن مجاهد" (ت 370 هـ / 980 م) تلميذ الأشعري علاقة حميمة، إذ بعث "ابن مجاهد" برسالة إلى "أبي زيد" يطلب منه إرسال نسخ من كتابيه "الرسالة" و "النوادر و الزيادات"<sup>6</sup>، كما ذكر "الدِبَاعُ" أن القاضي "أبا بكر الباقياني" ذكر "ابن أبي زيد" في بعض مؤلفاته، واعتذر عنه فيما نسب إليه من إنكار الكرامات.<sup>7</sup>

1- إبراهيم بن عبد الله الزيري المعروف بالقلانسي (359هـ) عرف بموافقه المعادية للشيعة، راجع ترجمته: ابن فرحون:المصدر السابق، ص 144.

2- عبد الحميد التجار: فصول في الفكر الإسلامي، مرجع سابق، ص: 22؛ الم BROOK المنصوري: الأشعرية في بلاد المغرب، ص 04.

3- محمد المغراوي: تطور المذهب الأشعري بالغرب الأقصى إلى حدود العصر المرابطي، ص 135.

4- يعتقد محمد المغراوي: "أن وراء تحول ابن أبي زيد، إن حصل فعلا، نفس الأسباب المرتبطة بتبعة علماء أهل السنة لمحاصرة المذهب الشيعي الباطني الإسماعيلي الذي اجتهد الفاطميون في نشره في إفريقية ومصر، وارتکبوا الفضائع في سبيل ذلك ، ينظر: تطور المذهب الأشعري بالغرب الأقصى إلى حدود العصر المرابطي، ص 136.

5- الدِبَاعُ: المصدر السابق، ج 3، ص: 109.

6- القاضي عياض: ترتيب المدارك، ج 4، ص: 477.

7- الدِبَاعُ: المصدر سابق: ج 3، ص: 112.

و جاء عند "ابن عساكر" أن "ابن أبي زيد القيرواني" ألف رسالة في الدفاع عن الأشعري، و بعث بها إلى أحد أعيان المعتزلة بالشرق. بعد أن حط من شأنه، و نسب إليه ما هو منه براء، و ما قاله "ابن أبي زيد" في تلك الرسالة: «هو رجل مشهور إنه يرد على أهل البدع و على القدرة و الجهمية، متمسك بالسنن».<sup>1</sup>

و بالرغم من منافحة "ابن أبي زيد" عن الأشعري و علاقته الطيبة برحال و علماء هذا المذهب، يذكر "عبد المجيد النجار" أنه عند تصفح كتابه "الرسالة"<sup>2</sup> سيظهر جلياً أنها حالية من أية صبغة استعراضية، و لا أثر فيها للاستدلال العقلي. كما أن المفاهيم العقدية الواردة فيها لا تختلف عمماً كان مألفاً عند أهل السلف، مما يدل على عدم تأثيره بالطريقة الأشعرية.<sup>3</sup>

على العكس من ذلك يرى المنصوري أنه "... رغم أن الباحثين اختلفوا في هذه الرسالة هل أنها تحوي أفكاراً أشعرية أم هي عقائد أهل السنة المتعارفة في صياغة مغربية ، نظراً إلى اختلافهم في جملة من المسائل مثل مسألة الإيمان. وكان لفقهاء المالكية موقف متباعدة منها ، ومسألة الكرامات. وهي مسألة يتبعن على فقهاء المالكية الإيمان بها نظراً إلى أهمية الزهاد والعباد في الفترة التأسيسية من نشر الإسلام في بلاد البربر وفي الأندلس أيضاً ، وإنكارها يعني التناكر لتراث كبير شيده الزهاد وساعدتهم على تشبيده كرامات بدءاً من البهلوان بن راشد . وهذا أثر أول من آثار العمran في صياغة الفكر - الأشعري - وتكييفه."<sup>4</sup>

و على مثل هذه الحالة انقضى النصف الأول من القرن الرابع الهجري، إلا أنه و بحلول النصف الثاني من القرن نفسه نجد عنصراً مهماً سيكون له أثر واضح في نمو الأشعرية بالقيروان، تمثل في ظهور القاضي "أبي بكر الباقلاني" (ت 403 هـ/1012 م) بغداد، و ذلك يعود لسببين هما:

1- ابن عساكر: المصدر السابق، ص ص: 123، 124.

2- ينظر: باب ما تنطق به الألسنة و تعتقد الأفتدة من واجب أمور الديانات، الملحق رقم: 06، ص 369-370.

3- عبد المجيد النجار: فصول في الفكر الإسلامي، ص: 24.

4- المirok المنصوري: المرجع السابق، ص 04.

أولهما: فقد كان "الباقلاي" مالكي المذهب، بل أنه من أعيانه و كبار علمائه، حتى قال فيه غير واحد من المؤرخين بما فيهم القاضي "عياض" «إليه انتهت رئاسة المالكين في وقته».<sup>1</sup>

حيث كان إماماً و مدرساً للفقه المالكي وأصوله، كما كانت له الريادة في علم الكلام الأشعري، ونظراً لأنه كان مالكي الفقه فقد كان المغاربة يقصدونه لأنّه الفقه عليه، وهذا أصوله، فكان يمد تلامذته وكل من يقصده بأفكاره و معتقداته الأشعرية. وهناك أسماء متعددة لمفكرين من الغرب الإسلامي تتلمذوا عليه منهم من تأثر بأشعريته ومنهم من لم يفعل.<sup>2</sup>

و أما ثانيهما: أن "الباقلاي" يمثل في حد ذاته مرحلة في تطور الأشعرية، فهو الموصل الحقيقي لهذا المذهب<sup>3</sup>، إذ أنه نظر المنهج الذي وضعه الأشعري، فبدأت الملامح الأساسية لهذا الفتى تبرز و تتضح على يديه، وقد عبر "ابن خلدون" عن هذا المعنى بقوله: «... وأخذ عنهم (أبي تلاميذ الأشعري) القاضي "أبو بكر الباقلاي" فتصدر للإماماة في طريقتهم، فهذبها ووضع المقدمات العقلية التي تتوقف عليها الأدلة.... و جملت هذه الطريقة و جاءت من أحسن الفنون النظرية و العلوم الدينية». <sup>4</sup> كما "قد نجح بعملية نشر المذهب الأشعري في سائر أقطار العالم الإسلامي، حيث نجده بعث بتلاميذه إلى كل من خراسان، والعراق، والمغرب لهذا الغرض وكان من بين من وصل منهم إلى الغرب الإسلامي شخصان نزلا بالقيروان، وهي يومها مدينة تعج بالمفكرين والفقهاء، ويتعلق الأمر بأبي عبد الله الأذري (ت 423هـ/1031م)، وأبي طاهر البغدادي (ت 448هـ/1056م) اللذين توفيا بالقيروان".<sup>5</sup>

و لما كان كذلك أخذ عنه طلبة العلم من أهل القيروان المذهب الأشعري على غرار هدفهم الأول الذي ارتحلوا من أجله إلى بلاد المشرق و هو تعلم فقه المالكي<sup>6</sup>، و قد أخذ عن "أبي بكر

1- القاضي عياض: ترتيب المدارك، ج 4، ص: 430.

2- يوسف أحناة: تطور المذهب الأشعري في الغرب الإسلامي، ص 55.

3- جلال محمد موسى: المرجع سابق، ص: 157؛ يوسف أحناة: تطور المذهب الأشعري في الغرب الإسلامي، ص 55.

4- ابن خلدون: المقدمة، ص: 369.

5- يوسف أحناة: تطور المذهب الأشعري في الغرب الإسلامي، ص 55.

6- عبد المجيد النجار: فضول في الفكر الإسلامي، ص: 25.

الباقلاني<sup>1</sup>" من أهل المغرب مجموعة من العلماء أمثال "ابن الصابوني"<sup>2</sup>، و "أبو عمران الفاسي (ت430هـ)"، و فضلا على ذلك "فالباقلاني" لم يكتف بالطلبة الذين كانوا يغدوون إليه من المغرب، وإنما أخذ بدوره يرسل الدعاة لنشر المذهب بالمغرب و بثه بين أهله، و من الذين أرسلهم "أبو طاهر البغدادي"<sup>3</sup> و "الحسن بن عبد الله الأذري"<sup>3</sup> الذي دخل القิروان واستوطنه، و ذكر "ابن عساكر" أن السبب الذي كان وراء ورود "الأذري" على القิروان هو أن "أبا بكر الباقلاني" أرسله إلى دمشق أولاً تلبية لرغبة أهله، فعقد مجلس تذكير في جامع دمشق في حلقة "أبي الحسن داود"<sup>4</sup>، فذكر التوحيد و نزه العبود و نفى عنه التشبيه، فخرج أهل دمشق من مجلسه و هم يقولون: «أحد، أحد»، و بعدها طلب من شيخه "الباقلاني" أن يوجهه إلى المغرب، و لما تم له ذلك نشر العلم بتلك الناحية و استوطن القิروان إلى أن مات.<sup>5</sup>

و ورد في "ترتيب المدارك" أن "أبو عبد الله الأذري" «كان من كبار الأشاعرة النازحين إلى المغرب»<sup>6</sup>، وعن "الأذري" أخذ جمع كبير من أهل المغرب، نذكر منهم على سبيل المثال "أبو عمران

1- عبد الجليل بن أبي بكر الريعي المعروف بالديباجي، له رسالة في الاعتقادات، انظر ترجمته: أبو عبد الله بن محمد بن عبد الله بن أبي بكر القضايعي ابن الآبار: التكميلة لكتاب الصلة، تحقيق: عزة العطار الحسيني، ج 2، نشر في مكتبة الثقافة الإسلامية: القاهرة، 1956م، ص: 98.

2- أبو طاهر البغدادي كان عالماً متقدماً في علم الكلام، و هو من تلاميذ الباقلاني، انظر ترجمته: ابن عساكر: المصدر السابق، ص 123.

3- أبو عبد الله الحسين بن عبد الله بن حاتم الأذري، نسبة إلى أذربیجان، نزل إلى القیروان و استوطنه بها، توفي سنة 423هـ انظر ترجمته: الزبيدي: تاج العروس من جواهر القاموس، ج 9، المطبعة الخيرية، (د - م) 1928م، ص: 119.

4- أبو الحسن علي بن داود المقرئي الدمشقي إمام مسجد دمشق، كان أبوه نصرانياً فأسلم، توفي سنة 401هـ، انظر ترجمته: ابن عساكر: المصدر السابق، ص: 214.

5- المصدر نفسه: ص: 217

6- القاضي عياض: ترتيب المدارك، ج 2، ص - ص: 586 - 589.

عمران الفاسي<sup>1</sup> الذي سبق ذكره، و "ابن أبي كدية"<sup>2</sup> و إلى غير ذلك من الأعلام الذين لعبوا دورا حاسما في نشر عقيدة "أبي الحسن الأشعري" بالمغرب، و عرفوا الناس بها.

و علاوة على ذلك فقد بزرت أواخر القرن الرابع شخصية قيروانية ساهمت هي الأخرى في إدخال المبادئ الأشعرية إلى القиروان و إرائهَا بها، و تلك هي شخصية "أبو الحسن القابسي" (ت 403 هـ/1012 م).

بل هناك من الباحثين<sup>3</sup> من يجعله الشخصية التي وقع عليها الإجماع من طرف الباحثين في كونها أول من تولى نقل المذهب الأشعري إلى الغرب الإسلامي ، فكيف تمكن من أن يفعل ذلك؟ الحقيقة أن أبو الحسن القابسي كان قد خرج من الأندلس في اتجاه المشرق طلبا للعلم سنة (353هـ) فالتقى هناك بأشاعرة أثروا فيه تأثيرا واضحا، عكسه في دفاعه عن مؤسس المذهب أبي الحسن الأشعري، معتبرا إياه « واحدا من جملة القائمين بنصرة الحق، ما سمعنا من أهل الإنصاف من يؤخره عن رتبته ذلك، ولا من يؤثر عليه في عصره ».

1- أبو عبد الله محمد بن عتيق بن محمد بن هبة الله بن مالك التميمي القيرواني المعروف بابن كدية، درس الكلام على حاتم الأذري، رحل إلى المشرق ودرس بالنظامية بالعراق وأقام بالعراق إلى أن توفي سنة 512هـ، ودفن مع أبي الحسن الأشعري، انظر ترجمته: ابن ياقوت الحموي، المصدر سابق، ج 4، ص ص: 313-314.

2- لا يعطي يوسف أحنانة أي أهمية لكل الشخصيات السابقة، و ينفي دورها في إدخال الأشعرية، و يعتبرها مجرد إشارات فقط حيث يقول: "... ومن جهتنا فإننا لا نملك القدرة على الرجم بالغيب، والإدعاء دونها حاجة ولا برهان أحتم كانوا ضمن من تولوا إدخال الأشعرية إلى الغرب الإسلامي ..... كل هذه الإشارات غير كافية بذاتها كي تقدم الدليل والبرهان على أشعرية أصحابها ومن تتكلّم عنهم. ولربما كان غياب النصوص الشاهدة والمؤرخة لذلك هو الذي قلل من قيمة ما ورد، فكل ما يمكننا أن نؤكد عليه هو أن دخول المذهب الأشعري إلى هذه الأقطار كان في أواخر القرن الرابع المجري."؛ تطور المذهب الأشعري في الغرب الإسلامي، ص 52.

3- علي أبو الحسن علي بن محمد بن خلف المعافري القابسي (ت 403 هـ) شيخ المالكية، ولد سنة 324 هـ رحل إلى المشرق سنة 352 هـ، ثم عاد إلى القиروان سنة 357 هـ و توفي بها سنة 403 هـ، من كتبه "المهد" ، انظر =ترجمته : أبو العباس أحمد بن حسين بن علي بن الخطيب ابن قتفذ: الوفيات، تحقيق : عادل نويهض، المكتب التجاري للطباعة و النشر والتوزيع، بيروت، (د-ت)، ص ص: 227 - 228.

4- منهم الباحث عبد المجيد بن حمده الذي ذهب إلى القول : ".. هو أن بوادرها - الأشعرية - ظهرت بإفريقية في أواخر القرن الرابع المجري/العاشر الميلادي حسب أصح الأقوال على يد أبي الحسن القابسي(ت403هـ/1012 م)" ، المدارس الكلامية بإفريقية إلى ظهور الأشعرية، ص 10.

ويبدو أنه بمجرد عودته إلى بلده الأندلس عام (357 هـ/967 م) اهتم في نشر هذا المذهب ودعوة الناس لاعتقاده والتمسك به، ونظراً لأنَّه لم تصلنا من مؤلفات أبي الحسن القابسي إلا رسالة واحدة هي «رسالة المفصلة لأحوال المتعلمين وأحكام المعلمين والمتعلمين» وهي رسالة تربوية تعمل على تحليل وضعية المعلمين والمتعلمين، وشروط عملهم، وأحكامهم الشرعية. فقد وصلتنا عناوين بعض مؤلفاته التي يبدو من خلالها أنَّ لصاحبنا اهتماماً بأمور العقيدة، وسيراً في نجها، واقتراباً إلى ما كان يؤكِّد عليه مذهب الأشاعرة<sup>1</sup>.

و على الرغم من أنَّ "القابسي" و "الباقلاني" كانوا متزامنين ،حيث توفيا في سنة واحدة (403 هـ/1012 م)، إلا أنه لم يثبت في المصادر أنها التقيا في يوم من الأيام، بيد أنَّ ذلك لا يمنع من احتمال إطلاع "القابسي" على أشعارية "الباقلاني" و الإفادة منها خاصة و أنه رحل إلى المشرق، كما أنه كان وثيق الصلة بتلاميذ "الباقلاني" العائدين من بغداد.<sup>2</sup>

و ذكرت بعض المصادر أنَّ "القابسي" ألف كتاباً في فضل الشيخ أبي الحسن الأشعري منها رسالة في الثناء على أبي الحسن الأشعري رضي الله عنه، و ذكر فضله و إمامته التي أشرنا إليها. كما ذكر له أيضاً جواباً عن سؤال وجَّهه إليه بعض أهل إفريقية يتعلق بالأشعري، بين فيه فضل "الأشعري" و منهجه في نصرة العقيدة و دافع عنه بإبطال بعض ما نسب إليه، و من بين ما قاله: «واعلموا أنَّ أبا الحسن الأشعري رضي الله عنه لم يأت من هذا الأمر (يعني الكلام) إلا ما أراد به إيضاح السنن، و التبييت عليها، و دفع الشبه عنها، ففهمه من فهمه بفضل الله عليه، و حفي عنمن خفى بقسم الله له». <sup>3</sup>

و يذكر "عبد المجيد النجار" أنه بعد الإطلاع على الآثار الكتابية للقابسي، و على الخصوص رسالته التربوية "الرسالة المفصلة لأحوال المتعلمين وأحكام المعلمين و المتعلمين" يستشف من

1- يوسف أحنانة: تطور المذهب الأشعري في الغرب الإسلامي، ص: 52، 53.

2- عبد المجيد النجار: فصول في الفكر الإسلامي، ص: 25.

3- ابن عساكر: المصدر السابق، ص: 123، 124.

خلالها وجود لمحات أشعرية، إذ أنه اتبع منهاجاً استدلاليًا يقوم على الحجة العقلية والتحليل النفسي، أكثر ما يقوم على الاستشهاد النصيّة.<sup>1</sup>

و هذا ما يؤكد "أحنانه" بقوله "... فالمتمعن لرسالة المفصلة يجد نفسه أمام رسالة شملها صاحبها بعطفه أشعري واضح فهناك بعض الشذرات التي تشهد على أشعرية القابسي في هذه الرسالة على الرغم من أنها ليست في أمور العقيدة. ففي معرض جوابه عن معنى الإيمان يقول القابسي « هو تصديق فيما عقد عليه القلب، واطمأن إليه، وكذلك هو الإيمان بجميع ما جاء به الرسل » فمفهوم الإيمان عند القابسي يطبعه الطابع الأشعري حينما يعتبره اعتقاداً بالقلب وفي نفس الوقت إقراراً باللسان لأن « القول يعبر عنه، ولا تعلم صحة ما وراء القول من هذا الخبر عن نفسه بالإيمان إلا بالله عز وجل » فالعمل بالجوارح ليس شرطاً من شروط الإيمان عندـه، لأنـ الإنسان المؤمن يكتفي في ذلك اعتقادـه، وإقرارـه بالقول، أما العمل فليس شرطاً ضروريـاً في ذلك، علىـ أنـ القول نفسه لا يكون مؤثـراً علىـ الإيمـان لأنـه قد يخفـي أو يخفـي عـكسـه، ولذلك كانـ اللهـ وـالوكيلـ علىـ ما يقولـ الناسـ ويقرـونـ بهـ اعتقادـاـهـمـ، وهوـ العـالمـ المـطلـعـ علىـ ماـ فيـ الصـدورـ.<sup>2</sup>

أما في سياق حديثه عن القرآن هل هو محدث أو قديم؟ فإنـ القابـسيـ يوردـ موقفـهـ منـ هذهـ المسـألـةـ ويـتـضـحـ أنـ موقفـهـ أـشـعـريـ فهوـ يـقـولـ «ـ ويـكـفـيـكـ منـ فـضـلـ الـقـرـآنـ مـعـرـفـتـكـ أـنـ الـقـرـآنـ كـلـامـ اللهـ، وـكـلـامـ اللهـ غـيرـ مـخـلـوقـ ».ـ

علاوة علىـ هـذـاـ فإنـناـ نـلـمـسـ منـ خـالـلـ حـدـيـثـ القـابـسـيـ عـنـ خـلـقـ الـأـفـعـالـ الـإـنـسـانـيـةـ عـدـمـ نـسـبـتـهـ الـفـعـلـ إـلـىـ الـإـنـسـانـ حـقـيقـةـ كـمـاـ هوـ الشـأـنـ فيـ نـظـرـيـةـ الـكـسـبـ الـأـشـعـريـ ذـلـكـ أـنـ يـرـىـ أـنـ الـإـنـسـانـ إـذـاـ نـسـىـ شـيـئـاـ مـنـ الـقـرـآنـ فـلـاـ يـصـحـ لـهـ أـنـ يـقـولـ «ـ نـسـيـتـ كـمـاـ فـيـ الصـحـيـحـ عـنـ حـدـيـثـ سـفـيـانـ عـنـ مـنـصـورـ عـنـ أـبـيـ وـائـلـ عـنـ عـبـدـ اللهـ قـالـ رـسـوـلـ اللهـ صـلـىـ اللهـ عـلـيـهـ وـسـلـمـ مـاـ لـأـحـدـكـمـ يـقـولـ نـسـيـتـ آـيـةـ كـيـتـ وـكـيـتـ بـلـ هـوـ نـسـيـ ».ـ<sup>3</sup>

1- عبد المجيد النجار: فصول في الفكر الإسلامي، ص: 26.

2- يوسف أحنانه: تطور المذهب الأشعري في الغرب الإسلامي، ص: 53.

3- المرجع نفسه، ص 54.

أضف إلى هذا كله أن رسالة المفصلة تتضمن جوءاً متعدداً إلى التأويل، فمن ذلك أن القابسي يقول كل الأحاديث التي تفيد بظاهرها النهي عن التعليم لجعلها بفعل التأويل تبيحه ولا ترى فيه مانعاً. والتأويل عملية عقلية تؤشر لنا على حضور الفكر الأشعري ومنهجيته.

زد على ذلك أن هذه الرسالة تتضمن في غير ما موضع قياس الغالب على الشاهد وهي آلية منطقية وظفها الأشاعرة في مقاييسهم العقلية.<sup>1</sup>

كما يرجع له الفضل في أنه ترك جيلاً من التلاميذ، كان من بينهم من عمل على نشر مبادئ الأشعرية وتكريسها في أوساط الثقافة العقدية في الغرب الإسلامي، ونذكر تلميذان له حظياً بالاكتراع من أفكاره وتصوراته ويتعلق الأمر بأبي عمران الفاسي (ت 430هـ/1012م) والمقرئ أبي عمرو الداني (ت 444هـ/1052م) تلميذ أبي الحسن القابسي، وصاحب عدة تأليف في العقيدة الأشعرية، و بعد القابسي سيظهر مفكرون آخرون سيعملون على نشر المذهب العقدي الجديد. فقد كان مجموعة من كبار المفكرين بالأندلس والمغرب، وتونس يتوجهون في بداية حياتهم العلمية إلى المشرق فيتلقون دراستهم الفقهية، والعقدية على كبار الأشاعرة هناك وعند عودتهم إلى بلدانهم يعودون مقتنيين أشد ما يكون الاقتناع بهذا المذهب وبضرورة نشره وتعيممه بين الناس.<sup>2</sup> منهم أبو عمران موسى الغجومي الفاسي" (430هـ/1038م)<sup>3</sup>، هذا الأخير الذي كان له دور فعال في نشر هذا المذهب ببلاد المغرب، كانت رحلة "أبو عمران" إلى بغداد سنة (399هـ/1008م) و سمع من الفتح بن أبي الفوارس وأبي الحسن المستملي، و خلالها تلقى و درس أصول المذهب عن القاضي "الباقلاني" الذي أعجب بذكائه و حفظه<sup>4</sup>، و لما رجع إلى القبوران و

1- يوسف أحناة: تطور المذهب الأشعري في الغرب الإسلامي ،ص: 53، 54.

2- ابن فردون: الديبايج،ص201؛ يوسف أحناة: تطور المذهب الأشعري في الغرب الإسلامي:ص55؛ محمد المغراوي: تطور المذهب الأشعري بالغرب الأقصى إلى حدود العصر المرابطي،ص137.

3- أبو عمران الفاسي موسى بن عيسى بن أبي حاج البربرى الفاسي الزناتي، رحل إلى الأندلس و حج أكثر من مرة، أخذ علم العقليات عن الباقلاني، توفي سنة 430 هـ، انظر ترجمته : ابن بشكوال: المصدر السابق، ج 2، ص: 611؛ يوسف أحناة: تطور المذهب الأشعري في الغرب الإسلامي:ص62.

4- ذكر أن الباقلاني كان يعجبه حفظه و يقول: "لو اجتمعت في مدرستي أنا و عبد الوهاب - البغدادي - لاجتمع عندي علم مالك، انت تحفظه و هو ينظره" ينظر: عبد الله كنون: النبوغ المغربي، ج 1، (ب.ن)، طنجة، 1960، ص52.

جلس بها و ظهر علمه قصده الناس من كل جهة ، ولزم تدريس الفقه والعقيدة، ونحضر بأدوار سياسية بالغة الأهمية في القضاء على تأثير العبيددين.<sup>1</sup> و يشير الباحث أحناة إلى دور الفاسي في نشر الأشعرية في بلاد المغرب بقوله: " و عند عودته حمل معه أفكارا إصلاحية - يغلب أن تكون أشعرية المنحني-"<sup>2</sup> دعته إلى " محاربة البدع، ودفع المظالم و المغارم و أخذهم أموال الناس بغير حق."<sup>3</sup> ، و يضيف عبد الله كنون أنه نتيجة لأفكار أبو عمران الإصلاحية : "...فأن الطغاة من أهل فاس العاملين عليها لمعراوة أخرجوه منها لأمره بالمعروف و نهيه عن المكر.." <sup>4</sup>

فانتهى به الأمر إلى تونس، وبالضبط في القيروان و هناك ظل يبث أفكاره الإصلاحية والدينية في كل من الحجاج<sup>5</sup> والقادسين المشرق من أهل المغرب قصد طلب العلم أو التجارة، إلى أن أثار جهده تأسيس دولة المرابطين بإيعاز منه إلى واجح بن زلو اللقطي، إلى عبد الله بن ياسين<sup>6</sup>، ينضاف إلى هذا كله أن أبو عمران الفاسي كان من تلاميذ أبي الحسن القابسي (ت 403 هـ/1012 م).

وللأسف فإننا لا نملك من آثار أبي عمران العقدية أي شيء يمكنه أن يجعلنا الموقف، ويحجز القول، ويقطع الرأي في أشعارته، فكل ما وصلنا من آثاره بعض الكتب الفقهية، وبعض الفتاوي والرسائل في نفس التوجه، إلا أن هناك ملاحظة ذات أهمية في هذا الصدد وهي أن النصوص الأشعرية المتأخرة في الغرب الإسلامي ظلت تورد اسمه ضمن من له آراء في علم الكلام الأشعري. ومن جهتنا نحن أمكنتنا استجلاء بعض آرائه الكلامية من خلال بعض ما وصلنا من كتاباته و

1- القاضي عياض: ترتيب المدارك، ج 2، ص: 703؛ محمد المغروبي: تطور المذهب الأشعري بالغرب الأقصى إلى حدود العصر المرابطي، ص 136.

2- يوسف أحناة: تطور المذهب الأشعري في الغرب الإسلامي: ص 62.

3- إسماعيل بن الأحمر: بيوات فاس الكبيرة، دار المنصور للطباعة و الوراقه، الرباط، 1972، ص 28.

4- عبد الله كنون: النبوغ المغربي، ج 1، ص 52، 53.

5- و يتعلق الأمر بأحد زعماء قبيلة صنهاجة العظيمة و هو يحيى بن ابراهيم الجداли، فأنه لما حج و مر في طريق عودته بالقيروان، و اجتمع بأبي عمران الفاسي و تحدث إليه عن سوء الحالة الاجتماعية بالغرب و ما عليه القبائل من الجهل بأصول الدين و الفروع الشرعية، فبعث معه كتاب إلى أحد تلاميذه و حاج بن زلو اللقطي الذي أشار عليه بعد الله بن ياسين. للمزيد ينظر: إسماعيل بن الأحمر: بيوات فاس، ص 28؛ عبد الله كنون: النبوغ المغربي، ج 1، ص 57.

6- عبد الله كنون: النبوغ المغربي، ج 1، ص 57.

النقول عنه."، و يضيف أحنانة في التدليل بأشعرية أبو عمران الفاسي حين يقول : " وأول ما يسترعي انتباها بصدق آراء هذا الفقيه المغربي هو تأكide على رفض التقليد في العقائد، وهو رأي أشعري واضح، ذلك أنه عند حديثه في بعض مسائله الفقهية عن هبة ورعاية المرأة اشرط فيها أن تكون ذات دين، تؤدي الصلاة، وتعرف بها بلا تقليدا. ولا شك أن هذا الشرط الأخير المتمثل في شرط معرفة الله بدون تقليد، شرط تأتي له إضافته تحت وطأة تأثيره بالأشعرية التي يرى معظم أقطابها أن اكتمال إيمان المرأة لا يتم إلا بمعرفة الله معرفة نظرية بلا تقليد . لا سيما إذا علمنا أن هذه الفتوى تخص نساء لمطة، وجزولة، وماسحة وأبو عمران نفسه يصرح بأنهن خلاف الرشد في الغالب ، وفي نفس سياق معرفة الله تروي عن أبي عمران الفاسي حكاية طريفة يشهد فحواها على توجه صاحبنا الأشعري<sup>1</sup> ، و يذكر ابن الزيات أنه قد وقع أيام إقامة أبو عمران بالقيروان نقاش فكري بين عامة الناس حول " مسألة في الكفار : هل الكفار يعرفون الله أم لا؟" فكثر النزاع بينهم حتى كاد يؤدي بهم إلى الإقتتال. ففزعوا إلى أبي عمران الفاسي وهو يومها إمام الوقت، ليحل لهم ما أشكال عليهم، ويفتي في المسألة برأيه فقال لهم : « إن أنتـم وأـحسـنـتـم الـاستـمـاعـ لـيـحـلـ لـهـمـ ماـ أـشـكـلـ عـلـيـهـمـ ، وـيـفـتـيـ فـيـ الـمـسـأـلـةـ بـرـأـيـهـ فـقـالـ لـهـمـ : « إـنـ أـنـصـتـمـ وـأـحـسـنـتـمـ الـاسـتـمـاعـ أـخـبـرـكـمـ بـمـاـ عـنـدـيـ ، فـقـالـوـاـ لـهـ: مـاـ نـحـنـ إـلـاـ جـوـابـاـ بـيـنـاـ عـلـىـ قـدـرـ أـفـهـامـنـاـ ، فـتـوـجـهـ بـالـحـدـيـثـ إـلـىـ أـحـدـهـمـ قـائـلـاـ: أـرـأـيـتـ لـوـ لـقـيـتـ رـجـلـاـ فـقـلـتـ لـهـ أـتـعـرـفـ أـبـاـ عـمـرـانـ الفـاسـيـ؟ـ»<sup>2</sup>. فـقـالـ لـكـ أـعـرـفـهـ. فـقـلـتـ لـهـ صـفـهـ لـىـ. فـقـالـ: هـوـ رـجـلـ يـدـرـسـ الـعـلـمـ ، وـيـفـتـيـ النـاسـ ، وـيـسـكـنـ قـرـبـ السـمـاطـ . أـكـانـ يـعـرـفـنـيـ . فـقـالـ: لـاـ. فـقـالـ: لـوـ لـقـيـتـ آـخـرـ فـقـلـتـ لـهـ: أـتـعـرـفـ الشـيـخـ أـبـاـ عـمـرـانـ فـقـالـ: نـعـمـ. فـقـلـتـ لـهـ صـفـهـ . فـقـالـ هـوـ رـجـلـ يـدـرـسـ الـعـلـمـ ، وـيـفـتـيـ النـاسـ . أـكـانـ يـعـرـفـنـيـ . قـالـ: نـعـمـ، قـالـ: وـالـأـوـلـ مـاـ كـانـ يـعـرـفـنـيـ؟ـ قـالـ: لـاـ، قـالـ لـهـمـ الشـيـخـ، فـكـذـلـكـ الـكـافـرـ إـذـاـ قـالـ لـمـعـبـودـهـ صـاحـبـةـ وـوـلـدـ، وـأـنـهـ جـسـمـ، وـقـصـدـ بـعـادـتـهـ مـنـ هـذـهـ صـفـتـهـ فـلـمـ يـعـرـفـ اللـهـ وـلـمـ يـصـفـهـ بـصـفـتـهـ. بـخـالـفـ

1- يوسف أحنانة: تطور المذهب الأشعري في المغرب الإسلامي ،ص33.

2- أبي يعقوب بن يحيى التادلي ابن الزيات: التشوف إلى رجال التصوف و أخبار أبي العباس السبتي، تحقيق أحمد توفيق، ط2، كلية الآداب الرباط، 1997، ص87؛ يوسف أحنانة: تطور المذهب الأشعري في المغرب الإسلامي:ص.63.

المؤمن الذي يقول إن معبوده هو الله، الأحد الذي لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كفؤاً أحد، فهو قد عرف الله ووصفه بصفته، وقصد بعبادته من يستحق الربوبية ». <sup>1</sup>

و يعلق أحناة على هذه المسألة بقوله: "...إن هذه الحكاية البسيطة تشهد وتقطع في شهادتها على أشعار أبي عمران الفاسي، فمضموها يرفض التحسيم أو التشبيه للذات الإلهية؛ كما يؤكّد على ثابت من ثوابت الفكر الأشعري، وهو أن الجهل بالصفة يقتضي الجهل بالموصوف. فكلما كان هناك جهل بما يلزم الذات الإلهية من الصفات، فإن هذا الجهل يقتضي أن يكون هناك بهذه الذات. وعليه فإن عبادة الجاهل بصفات الله أو الذي ينسب له صفات ليست له أو لا تليق بذاته العالية عبادة باطلة، لأنه قد لا يتوجه في عبادته إلى الله. إن هذا الموقف الذي نخرج به من نص هذه الحكاية لا يقوى أحد على نفي طابعه الأشعري، وما يزكي ذلك هو أن النصوص المتأخرة للأشاعرة الغرب الإسلامي ظلت تردد معناه وتستدل به وتسنده إلى أبي عمران الفاسي في غير ما مرة « الجهل بالصفة يؤدي إلى الجهل بالموصوف »

ذلك هو موقف أبي عمران الفاسي من معرفة الله وهو موقف ينشد انداداً واضحاً إلى منطلقات الأشاعرة، ويستمد منها حقيقته على أن هناك شهادات أخرى تزيد في تأكيد دعوانا<sup>2</sup> إن النتيجة التي نخلص إليها من قراءة هذه الشذرات القليلة هي أن أبو عمران الفاسي كان أشعرياً العقيدة. وما يزيد في تأكيد هذا هو ما ساد في أفهام رهط من الباحثين المعاصرین حين ربطوا بين تتلمذه على الباقياني وبين انتمامه الأشعري.

1- ابن الزيات التادلي: التشوّف، ص 88، 89؛ يوسف أحناة: المرجع السابق: ص 64.

2- فقصد موقفه من المشكّل السياسي (الإمامية) وبالضبط من شروط الإمام التكميلية نراه يؤكّد على: 1- لا تكون زوجة الإمام تأتي الأماكن المنهي عنها كاماكن اللهو واللعب. 2- وألا يحضر هو الولائم، ويأكل مع العامة. 3- وألا يشهد الملاهي و النوائح. 4- وأن لا يكون قاتل نفس. أما إذا كان هناك بلد لا إمام فيه يقوم بأمور الشرعية، ويعين المظالم، ويحمي الحرمات فإنه يجوز في نظر الفاسي أن يتافق العلماء ذوى الرأى على أحكام احتمادية ينذر بها الناس ويرتدون وتكون بدلاً مؤقتاً للإمام وفي حال وجود زمان لا سلطان فيه، أو كان ولم يكن عادلاً فإن الجماعة تقوم مقامه في تطبيق الأحكام الشرعية، شريطة ألا يؤدي ذلك إلى الفتنة فإن كان في قيام الجماعة على السلطان فتنة فعليهم بالصبر، لأن كل فتنة يعمل أبو عمران الفاسي على تفاديها وتجنب عواقبها، شأنه في ذلك شأن أسلافه الأشاعرة. "، ينظر: يوسف أحناة: تطور المذهب الأشعري في الغرب الإسلامي: ص 64، 65

و من الشخصيات التي ساهمت في نشر المذهب الأشعري في الديار المغربية خلال القرن الخامس الهجري ، "أبا ذر الھروي"<sup>١</sup>، فقد كان له هو الآخر دور كبير في تعريف المغاربة بذلك المذهب، بل هو الذي علمه لهم، إذ كان طلبة العلم يقبلون عليه لكونه كان يجمع بين الأشعرية في الأصول و المذهب المالكي في الفروع.

و في هذا يقول الإمام "الذهبي" أن "أبا ذر الھروي" «أخذ الكلام و رأى أبي الحسن". عن القاضي "أبي بكر بن الطيب" و بث ذلك بمكة و حمله عنه المغاربة إلى المغرب و الأندلس، و قبل ذلك كان علماء المغرب لا يدخلون في الكلام، بل يتقنون الفقه أو الحديث أو العربية و لا يخوضون في المعقولات». <sup>٢</sup> كما يؤكد صاحب "البداية و النهاية" صلة هذا الرجل ببلاد المغرب و أثره فيه، فيقول: «و المغاربة إنما أخذوا الأشعرية عن "أبي ذر الھروي"»<sup>٣</sup>

و من أخذ عنه نذكر "أبو عمران الفاسي" الذي سبق و أن تطرقنا إليه، فقد أخذ عنه خلال رحلته إلى المشرق، و بعد رجوعه قام بنشر المذهب في المغرب، و تم على يده ترويج كتبه و نشرها بين الناس، و يعتبر "أبو محمد ابن الصائغ"<sup>٤</sup> من أشهر علماء المغرب الذين تلقوا الأشعرية عن "أبي عمران الفاسي"، و قد خرج "ابن الصائغ" بعلمه ذاك من القиروان إلى المهدية أين أتيح لأحد التلاميذ النابحين أن ينهل من علمه، و يصبح واحد من أبرز علماء المالكية و الأشعرية بال المغرب إلا و هو الإمام "المازري"<sup>٥</sup>. و من أخذ عن "الھروي" أيضاً "محمود بن سعدوي"<sup>٦</sup> ، و الإمام "الوليد الباقي"<sup>٧</sup> الذي لزمه ثلاثة سنوات كاملة يدرس عليه الكلام.

١- أبو ذر عبد الله بن أحمد بن محمد الھروي المالكي الحافظ الثقة، توفي سنة 434 هـ إذ كانت ولادته سنة 356 هـ، انظر ترجمته: ابن عساكر: المصدر السابق، ص: 255.

٢- شمس الدين الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج 17، ص: 557.

٣- عماد الدين أبو الفداء اسماعيل ابن كثير: البداية و النهاية، ج 12، ط 1، مكتبة المعرف، بيروت، 1966، ص: 50.

٤- أبو محمد عبد الحميد بن الصائغ، فقيه مالكي من أصل القиروان، سكن سوسة و تفقه على النيسابوري و أبي عمران الفاسي، و عليه تفقه الإمام المازري، تولى الإفتاء و التدريس بالمهدية، توفي سنة 482 هـ. انظر: الدباغ:، المصدر السابق، ج 3، ص 200.

٥- المازري إمام أهل إفريقية، بلغ درجة الإجتهاد، من كتبه "المعلم بفوائد المسلم" أو "شرح البرهان للجويني" توفي سنة 536 هـ. انظر ترجمته: الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج 20، ص 104-106.

٦- الدباغ، المصدر السابق، ج 3، ص: 202. 203.

و مما تجدر الإشارة إليه أن هناك علاقة علمية ربطت بين "أبي الحسن القابسي" و "أبي ذر المروي"<sup>4</sup>.

كما يذكر لنا المغراوي أحد حالات الأشعرية بالأندلس ، الحديث أبي عمر الظمنكي (ت 429هـ/1038م)<sup>5</sup> ويقول عنه أحناة: " هو مفكر أندلسي عرف شهرة كبيرة في علم القراءات، وصنف ضمن المكترين في هذا العلم: إلا أنه ألف في علم التوحيد مؤلفات لم تصلنا، وكان من بينها كتاب في مجلدين سماه « الوصول إلى معرفة الأصول » وهو كتاب لم يصلنا وكل ما وصلنا منه بعض الشذرات نقلها عنه الإمام الذهبي. وعلى الرغم من أن أحداً من القدماء والمخذلين لم يشر إلى أشعرية هذا الرجل ما عدا ما اكتبه في زمانه من طرف طائفة من فقهاء الأندلس المتألين عليه أنه يمثل مذهبها في العقائد غريباً على خلاف السنة وأشبه ما يكون بمذهب الحنفية، وقد حُكم الظمنكي بمحنة التهمة لكن القاضي ومشاوريه أفتوا بإسقاط شهادة المتألين، وببطلان هذه التهمة. ورغم ذلك كله فإن أحداً من أصحاب التراجم لم يصنفه ضمن أشاعرة الأندلس. لكن بعض الشذرات المنقوله عنه لا يقوى أحد على إنكار طابعها الأشعري." فالظمنكي يستعمل التأويل بقصد بعض التصورات العقدية، كوصف الله بالمكان، وعلاقة الصفات بالذات، والجسمية... الخ ومن ذلك أنه يقول «أجمع المسلمين من أهل السنة على معنى قوله ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ﴾<sup>6</sup> أو نحو ذلك من القرآن أنه علمه » فالله إذن يوجد في كل

1- أبو عبد الله محمد بن سعدوي، تفقه بالقيروان على جماعة، وحج فسمع بمكة من أبي ذر المروي وغيره، و كان تاجراً، توفي سنة 486 هـ. انظر ترجمته، القاضي عياض: ترتيب المدارك، ج 2، ص 799

2- أبو الوليد الباقي فقيه مالكي من حفاظ الحديث، ولد سنة 403 هـ رحل إلى المشرق سنة 426 هـ وعاد إلى الأندلس، تولى القضاء بها، توفي بالمرية سنة 474 هـ له عدة تصانيف منها "المتنقى" و "شرح المدونة". انظر ترجمته: ابن قنفذ، الوفيات، ص 265.

3- الذهبي، : سير أعلام النبلاء، ج 18، ص 537

4- ابن عساكر، المصدر سابق، ص 122-123.

5- محمد المغراوي: تطور المذهب الأشعري بالمغرب الأقصى إلى حدود العصر المرابطي، ص 137.

6- سورة: الحديد، الآية: 04.

مكان لكن بعلمه لا بذاته. وهذا تأويل على طريقة الأشاعرة، وهم الذين أسمواهم الظلمنكي في النص المسلمين من أهل السنة.<sup>1</sup>

أما بقصد تشبيه الذات الإلهية، وتسمية الله بأسماء يشتراك فيها مع مخلوقاته فيقول الظلمنكي : « فقد قال قوم من المعتزلة، و الجهمية: لا يجوز أن يسمى الله عز وجل بهذه الأسماء على الحقيقة، ويسمى بها المخلوق، فنفوا عن الله الحقائق من أسمائه، وأثبتوها لخلقه. فإذا سئلوا ما حملهم على هذا الزيغ؟ قالوا: الاجتماع في التسمية يوجب التشبيه قلنا هذا خروج عن اللغة التي خططنا بها لأن المعقول في اللغة أن الاشتباه لا يحصل بالتسمية، وإنما تشتبه الأشياء بأنفسها وبهياطها فيه كالبياض بالبياض، والسوداد بالسوداد، والطويل بالطويل والقصير بالقصير. ولو كانت توجب اشتباها، لاشتبهت الأشياء كلها لشمول اسم الشيء لها، وعموم تسمية الأشياء به. فنسألكم: أنقولون إن الله موجود؟ فإن قالوا: نعم، قيل لهم: هل يلزمكم من دعواكم أن يكون مشتبها للموجودين وإن قالوا موجود لا يوجب وجود الاشتباه بينه وبين الموجودات. قلنا فكذلك هو حي عالم، قادر، مريد، سميع، بصير، متكلم. يعني ولا يلزم اشتباهه بمن اتصف بهذه الصفات »<sup>2</sup>

" صحيح أننا نلمس في هذا النص خطا بين تصور الجهمية، وتصور المعتزلة لعلاقة الذات الإلهية بصفاتها دونما تمييز بين التصورين. الواقع أنه إن كانت الجهمية تنفي عن الذات الإلهية جميع صفاتها التي تشترك فيها مع مخلوقاتها، فإن المعتزلة قاموا بإدماج هذه الصفات في الذات واعتبروها شيئا واحدا، لكن جرت عادة القدماء على تصنيف المعتزلة ضمن نفاة الصفات.

إلا أن ما يهمنا بالدرجة الأولى من هذا النص هو المنطلق الذي يصدر عنه في الجدال مع الخصوم ذلك أنه منطلق يكشف بوضوح أشعرية الظلمنكي، ويجعله ضمن أوائل أشاعرة الغرب الإسلامي، ومن أوائل من ردد هذا المذهب في الأندلس، ودافع عنه، وعمل على نشر مبادئه ومعتقداته، وبتها في حقل الثقافة العربية الإسلامية هناك.<sup>3</sup>"

1- أحناة:تطور المذهب الأشعري في الغرب الإسلامي،ص 56.

2- نفسه، ص: 56، 57.

3- نفسه، ص: 57، 58.

والواقع أنه حينما يتعلّق الأمر بأبي عمر الطرمني فإنه يتعلّق برجل ظل انتماًء إلى الأشعرية خفياً ومتّسحاً بوشاح اهتمامات أخرى، وبخاصة اهتماماته بمجال القراءات الذي حجب عنا جانباً مهماً من حياته الفكرية وهو الجانب الكلامي الأشعري.

و من رواد المدرسة الأشعرية بالشرق، الذين كان لهم باع طويلاً في ترسّيخ دعائم هذه المدرسة أبو المعالي الجوني<sup>1</sup> (ت 478 هـ / 1085 م) فقد كان لهذا الإمام أثرٌ و دورٌ كبيرٌ في نشر المذهب الأشعري بالمغرب الإسلامي، و عرفت كتبه رواجاً كبيراً بهذه البلاد، و اعنى العلماء المغاربة بها شرحاً و تدريساً و بالخصوص كتاب "الإرشاد" و كتاب "البرهان".

و مما يجدر أن ننوه إليه في هذا المقام هو أن إمام الحرمين "الجوني" كان مجدها أكثر من مقلد، إذ أنه أفاد من فلسفة اليونان التي أكسبته مقدرة على الجدل و قوّة في الاستدلال، حقيقة أنه لم يشتغل بالفلسفة كما فعل فلاسفة الإسلام و لكنه أفاد منها منهجهياً فقط، كذلك انعكست الثقافة الفلسفية على نسقه الكلامي و صياغاته للموضوعات، و على الرغم من ذلك فقد بقي "الجوني" متكلماً أشعرياً في الصميم، إلا أنه أصبح يميل في الأغلب إلى الجانب العقلي أكثر من التقلي، على أن ذلك لا يعني بحال من الأحوال انحرافه من الأتباع عن آراء "أبي الحسن الأشعري"، فلقد وافقوا و اتفقوا معه في كثير منه الموضوعات خصوصاً تلك التي فارق من أجلها مذهب الاعتزال.<sup>2</sup> و إلى جانب كتبه و مؤلفاته التي دخلت المغرب و اهتم الناس بها، تتلمذ عدد لا يستهان به من علماء المغرب عليه و أخذوا عنه، و كذا وفود عدّ من التلاميذ من أهل الشرق إلى المغرب، و من تتلمذ عليه من المغاربة "محمد بن سعيد المبورقي"<sup>3</sup> الذي رحل إلى ميورقة في بلاد الأندلس، و تصدر لتدريس الفقه و علم الكلام، أما من تلاميذه من أهل المشرق الذين وفدوا

1- إبراهيم التهامي:، جهود علماء المغرب في الدفاع عن عقيدة أهل السنة ، ص: 260.

2- محمد صبحي صالح: المرجع سابق، ج 2، ص: 149.

3- أبو عبد الله محمد بن سعيد المبورقي، حجّ سنة 402 هـ لقي إمام الحرمين و أخذ عنه و لزمه ثم رجع إلى ميورقة و بها درس العلوم. انظر: إبراهيم تهامي: جهود علماء المغرب في الدفاع عن عقيدة أهل السنة ، ص: 265.

على المغرب نذكر "أبي نصر النيسابوري"<sup>1</sup>، فقد تلمند على "الجويني" و قدم إفريقية و استقر بالغرب الأقصى.<sup>2</sup>

و من علماء المشرق أيضا الذي وفدوا على المغرب و ساهموا في نشر علم الكلام على الطريقة الأشعرية "أبو الحسن الجوهرى"<sup>3</sup>، الذي قدم الأندلس وكان عالما بالاعتقادات مكلّما عليها و وضع كتابا في خمسة أجزاء سماه "الاستبصار".<sup>4</sup> و خلال هذه الفترة شهدت الساحة الفكرية لدى أشاعرة المغرب الإسلامي بعض النشاط تمثل في حركة التأليف، فهم لم يكتفوا بما كان يفسد إليهم من المشرق من كتب و مصنفات، و إنما عملوا على وضع بعض التأليف المحلية، فبرز فيهم من العلماء في هذا الجانب عدد كبير كانوا في مستوى أولئك المشارقة أمثال "يجي بن كيس"<sup>5</sup>، الذي كان متكلما حانقا في علم الكلام، حتى قال فيه أحدهم: «ما نعلم بالأندلس في وقته أبصر منه بالكلام و الجدل و نحو ذلك».<sup>6</sup>

و العالمة "أحمد بن محمد الجذامي"<sup>7</sup>، و قد اشتهر بكثرة التجوال و الترحال في طلب العلم و نشره، و كان شيخ المتكلمين على المذهب الأشعري، و له رسائل في علم الكلام و أشعار تدور حول معارفه بعلم الكلام.<sup>8</sup>

1- أبو نصر سهيل بن عثمان النيسابوري الشيخ التاجر، أقام بسيبه و أدرك إمام الحرمين بننيسابور و حضر مجلسه و درسه، و كان شافعياً للمذهب، توفي غريقاً سنة 531هـ. انظر: إبراهيم التهامي: جهود علماء المغرب في الدفاع عن عقيدة أهل السنة . 264، ص:

2- المرجع نفسه: ص: 264.

3- أبو العباس نافع بن العباس بن جبير الجوهرى التنسى الحافظ قدم الأندلس تاجراً سنة 416هـ روى عن شيوخ مصر و غيرهم من أهل العراق، لم تحدد المصادر تاريخ وفاته. ينظر ترجمته: ابن بشكوال، المصدر السابق، ج 2، ص: 640.

4- ابن بشكوال، المصدر السابق، ج 2، ص: 641.

5- يحيى بن عبد الله كيس، من أهل قرطبة، سمع الحديث عن عدة شيوخ، توفي في آخر ربيع الأول و هو ابن 47 سنة من سكتة أصابته. انظر: ابن بشكوال: المصدر السابق، ج 2، ص: 642.

6- المصدر نفسه: ج 2، ص: 668.

7- أبو العباس بن محمد الجذامي، أصله من مرسية، سمع عن عدة علماء، لم تذكر المصادر وفاته. انظر: ابن الآبار: المصدر السابق، ج 1، ص: 38، 39.

8- أحمد بن عيسى الألبيري سكن غرناطة و كان أديباً و شاعراً، عالماً بالكلام، توفي سنة 429هـ. انظر: ابن بشكوال: المصدر السابق، ج 1، ص: 44.

و منهم أيضاً "أحمد بن يحيى الألبيري" و الذي كان متكلماً دقيق النظر عارفاً بالاعتقادات على الطريقة الأشعرية.<sup>1</sup> ، و يعتبر "أبو بكر المرادي" (ت 489 هـ/1096 م) أول من أدخل علم الكلام إلى المغرب الأقصى، و كانت لديه عدة تأليف في أصول الدين، و استمر يدرسها إلى أن توفي.

و من أعلامهم أيضاً "محمد بن سليمان الباجي"<sup>2</sup> ، و "أحمد بن سابق الصقلي"<sup>3</sup> ، هذا الأخير الذي برع في الكلام و له تصانيف تدل على حذقه و على ذكائه، و صنف في الجانب العقدي كتاب "العقيدة في المذاهب السديدة" و كتاب "البرهان على أن أول الواجبات الإيمان" و كتاب "معيار النظر".<sup>4</sup>

و من بين المبرزين في علم الكلام على الطريقة الأشعرية أيضاً "أبو عبد الله الزبيدي"<sup>5</sup> ، و "أبو علي الكلاعي"<sup>6</sup> و "عبد الغالب السالمي".<sup>7</sup>

و على الرغم من طول قائمة الممثلين الأوائل للمذهب الأشعري ببلاد المغرب الإسلامي إلا أن أبرزهم على الإطلاق خلال هذه المرحلة و الذين عملوا على ترسیخ هذا المذهب الإمام "أبو الوليد الباجي" و الإمام "المازري".

1- ابن بشكوال: المصدر السابق، ج 1، ص 44.

2- أبو القاسم أحمد بن سليمان بن خلف الباجي، سكن سرقسطة، و روى عن أبيه كثيراً و خلفه في حكمه، توفي سنة 493 هـ، انظر ترجمته: ابن بشكوال: المصدر السابق، ج 2، ص 604.

3- أبو بكر محمد بن سابق الصقلي، روى بحكمة عن كريمة بنت أحمد المروزية، قدم الأندلس وأخذ عن علماء غرناطة، توفي سنة 493 هـ، ينظر: بن عميرة الضبي: بغية الملتمس ، ص 169.

4- الضبي: المصدر السابق، ص 169.

5- أبو عبد الله محمد بن عمر بن قطر الزبيدي، أصله من اشبيلية، رحل إلى المشرق دخل الحجاز و العراق و الشام. من شيوخه: محمد بن حاج السبتي، و كان مجاوراً لملكة، توفي سنة 501 هـ. انظر ترجمته: ابن بشكوال، المصدر السابق، ج 2، ص 567.

6- أبو علي حسن بن عبد الأعلى الكلاعي، الفقيه من أهل سفاقس، سكن المغرب الأقصى و الأندلس، كان مقتصباً فاضلاً، كما كان عارفاً بعلم السنة، توفي سنة 505 هـ. ينظر ترجمته: إبراهيم التهامي، جهود علماء المغرب في الدفاع عن عقيدة أهل السنة ، ص 267.

7- أبو أحمد عبد الغالب بن يوسف السالمي المتتكلم، أخذ عن بشر بن القاضي و غيره، و أخذ عنه الناس، له تصانيف كثيرة، توفي بمراكش سنة 516 هـ، انظر ترجمته: ابن بشكوال: المصدر السابق، ج 2، ص 338.

فالإمام "أبي الوليد الباقي (ت 474 هـ/1081 م)" رحل إلى المشرق و لقي كبار رجال الأشعرية، و تلمذ لإمام شافعي وأشعري ومحدث شهير هو الخطيب البغدادي (ت 463 هـ/1071 م)<sup>1</sup>، و عاد إلى المغرب يجادل عن الأشعرية و يصنف في مذهبهم، و كانت مصنفاته متداولة بكثرة، و وخاصة كتاب "التسديد"<sup>2</sup>

ونحن نعتقد أن الباقي لا يمكن الشك في أشعاريته فقد كان تولى الدفاع عن أبي بكر الباقياني، وبخاصة عن بعض آرائه الكلامية. فقام بدفع الشبه عنه، والتناقضات التي أرمه بها خصومه بأن التمس له العذر أحياناً و بأن برر كلامه أحياناً أخرى، عن طريق التأويل الذي يتولى دفع الشطط عنه في الحكم عليه. من ذلك أنه لما كان الباقياني قد أخذ موقفاً متميزاً من طريان الأعراض على الجواهر جعله نشازاً بين مواقف الأشاعرة الآخرين فإننا نجد الباقي يُؤول موقفه هذا بقوله إن الباقياني: «قصد إلى تبيين صفات النفس، ومن صفات نفس الجوهر قبوله للأعراض».<sup>3</sup>

بل نجد في بعض الأحيان يظهر أشعارياً متميزاً داخل المذهب الأشعري ينفرد ببعض الآراء والمواقف التي تجعله يصنف ضمن كبار الأشاعرة. وعلى سبيل المثال فإن الأشاعرة عندما يتكلمون على أسبقية الاعتقاد على العمل تختلف آراؤهم فمنهم من يقول إن أول الواجبات هو النظر، ومنهم من يرى أنه القصد إلى النظر، ومنهم من يرى أنه جزء من النظر، ومنهم من يقول إنه معرفة الله، ومنهم من يقول إنه التقليد... إلخ إلا أن أبي الوليد الباقي يتميز عن كل هذه الآراء بموقفه الذي يرى أن أول الواجبات هو الإيمان بالله. وما يزيد في تأكيد هذا هو أن أمير المسلمين المرابطي أبو الحسن علي بن يوسف بن تاشفين كان قد وجه سؤالاً إلى أبي الوليد بن رشد الجد (ت 520 هـ/1126 م) يسأله فيه عن الحكم في آراء الأشاعرة المشهورين كأبي الحسن الأشعري وأبي إسحاق الإسفرايني، وأبي بكر الباقياني وأبي بكر بن فورك، وأبي المعالي الجوهري، وأبي الوليد الباقي. فكان تصنيف أبي الوليد الباقي مع أشهر الأشاعرة ومن مثل هذا المذهب في المشرق. فرسالة الحدود التي

1- محمد المغروبي: تطور المذهب الأشعري بالمغرب الأقصى إلى حدود العصر المرابطي، ص 137.

2- إبراهيم التهامي: جهود علماء المغرب في الدفاع عن عقيدة أهل السنة ، ص: 268.

3- يوسف أحناة: تطور المذهب الأشعري في الغرب الإسلامي، ص: 58.

ألفها الباقي، وبخاصة الحدود الكلامية فإنه لا شك واجد طابعاً أشعرياً واضحاً يهيمن على هذه الحدود.

فيقصد مفهوم العلم النظري يقول الباقي « هو ما احتاج إلى تقدم النظر، والاستدلال ووقع عقبيه، بغير فاصل. قولنا: نظري يقتضي اختصاصه بالنظر والاستدلال، وأنه لا يوجد إلا به، وفي ذلك احتراز من علم البارئ تبارك وتعالى فإنه لا يحتاج إلى نظر واستدلال. وقولنا: وقع عقبيه بغير فصل، على قول القاضي أبي بكر في قوله: "أما العلم النظري إنما يقع بعد كمال النظر والاستدلال".

أن هذا النص يستشهد بقول أحد أعلام هذا المذهب في هذه الفترة وهو أبو بكر الباقي، وتزداد أشعرية الباقي اتضاحاً حينما نراه يؤكد على قيمة علم الكلام بين مختلف العلوم فيقول « إن أفضل العلوم علم الشريعة، وأفضل ذلك لم يوفق أن يوجد قراءة القرآن ويحفظ حديث النبي صلى الله عليه وسلم ويعرف صحيحه من سقيمه، ثم يقرأ أصول الفقه، فيتحققه في الكتاب والسنّة ثم يقرأ كلام الفقهاء وما نقل من المسائل من العلماء ويدرب في طرق النظر وتصحيح الأدلة والحجج فهذه هي الغاية القصوى، والدرجة العليا »<sup>1</sup> إلا أنه وإن كان يعطي لعلم الكلام هذه الحظوة، وينزله هذه المنزلة فإنه في المقابل يتخوف تخوفاً واضحاً من الاطلاع على كتب الفلسفة والمنطق، فهو ينصح ولديه ويخذلهم من قراءة هذه الكتب لأنها كتب - في نظره - مبنية على الكفر والإلحاد، والبعد عن الشريعة. لكنه يعود فيؤكد لهم أنه « لو كنت أعلم أنكم تبلغان منزلة المميز، والمعرفة، والقوة على النظر لحضرتكم على قرائته وأمرتكم بطالعته، لتحققا ضعف المعتقد له، وركاكة المغتر به ».

واضح وجلٍ إذن أن الباقي يحض على الاشتغال بعلم الكلام، والجدل وينهي عن الاشتغال بكتب الفلسفة، والمنطق الأرسطي. وهذا الاتجاه هو الذي سار في متقدمو الأشاعرة حينما كان علم الكلام عندهم يسير بمحاذاة مع طريقة أهل التسليم والتغويض في رفض المنطق الأرسطي والفلسفة، وهذا تأكيد آخر على أشعرية الباقي.

1- يوسف أحناة: تطور المذهب الأشعري في المغرب الإسلامي، ص: 59.

أما فيما يتعلق موقفه من الإمامة فإنه يردد موقف الأشاعرة وذلك بضرورة طاعة الخليفة وملازمة الجماعة، ولو كان الخليفة ظالماً طاغياً، لأن ظلمه أهون على الناس من الفتنة، فقد عبر الباقي عن ذلك من خلال نصيحة لولديه قائلاً: «عليكم بطاعة من ولاه الله أمركم، لا معصية فيه لله تعالى، فإن طاعته من أفضل ما تتمسكان به، وتعتصمان به من دعائكم. وإياكم والتعريض للخلاف لهم، والقيام عليهم فإن هذا فيه العطب العاجل، والخزي الآجل» ويزيد الباقي في هذه النصيحة ويقول «فالترثما الطاعة وملازمة الجماعة، فإن السلطان الجائر أرفأ بالناس من الفتنة وانطلاق الأيدي والألسنة. فإن رابكم أمر من ولـي عليكم، أو وصلـت منه إذـية إليـكم فاصـبرا، وانـقـبـضا، وتحـيـلا، لـصـرـفـ ذـلـكـ عـنـكـمـ بـالـاسـتـرـزـالـ وـالـاحـتـمـالـ وـالـإـجـمـالـ. وإنـاـ فـاخـرـجاـ عـنـ بـلـدـهـ إـلـىـ الـإـحـسـانـ إـلـيـكـمـ نـيـتـهـ».

وبالجملة فإن أبو الوليد الباقي هو المفكر الوحيد في هذه الفترة الذي وصلـنا بعض عطاءاته في هذا المجال، والذي ظلت آراؤه العقدية تتـردد في كتب العقائد بالغرب الإسلامي شاهدة على إمامية هذا الرجل في هذا المذهب، وعلى باعه الواسع، وشخصيته المتميزة. أجل فقد كان في قرارـةـ نـفـسـهـ يـشـعـرـ بـحـمـلـ المسـؤـلـيـةـ الـمـلـقاـةـ عـلـىـ عـاتـقـهـ وـعـاتـقـ أـتـرـابـهـ مـنـ تـولـوـ مـهمـةـ إـدـخـالـ العـقـيـدـةـ الـأـشـعـرـيـةـ إـلـىـ الـغـرـبـ إـلـيـ الـإـسـلـامـيـ،ـ وـذـلـكـ بـنـوـعـيـهـ بـأـنـ إـدـخـالـ هـذـاـ المـذـهـبـ الـجـدـيدـ لـاـ بـدـ أـنـ يـواـكـبـهـ تـرـسيـخـ لـأـدـبـ الـمـنـاظـرـةـ وـالـجـدـلـ،ـ وـتـبـيـتـ لـأـخـلـاقـ النـقـاشـ وـالـمـخـاجـةـ،ـ فـكـانـ عـلـيـهـ أـنـ يـضـعـ «ـمـنـهـاـجـاـ فـيـ تـرـتـيبـ الـحـجـاجـ»ـ يـدـشـنـ بـهـ عـصـراـ جـدـيدـاـ مـنـ الـحـوارـ الـكـلامـيـ<sup>1</sup>ـ،ـ وـالـمـنـاظـرـةـ الـعـقـدـيـةـ،ـ فـيـ وقتـ كـانـ فـيـهـ أـهـلـ عـصـرـهـ «ـعـنـ سـبـيلـ الـمـنـاظـرـ نـاكـبـينـ،ـ وـعـنـ سـنـنـ الـمـجـادـلـةـ عـادـلـينـ،ـ خـائـضـينـ فـيـمـاـ لـاـ يـلـغـهـمـ عـلـمـهـ،ـ وـلـمـ يـحـصـلـ لـهـمـ فـهـمـهـ،ـ مـرـتـبـكـيـنـ اـرـتـبـاكـ الـطـالـبـ لـأـمـرـ لـاـ يـدـرـيـ تـحـقـيقـهـ وـالـقـاصـدـ إـلـىـ نـجـاحـ لـاـ يـهـتـدـيـ طـرـيـقـهـ»<sup>2</sup>

و أما "المازري" فقد ظهر منهـجهـ الـأـشـعـرـيـ وـاضـحاـ منـ خـالـلـ كـتـابـهـ "ـالـمـعـلـمـ بـفـوـائـدـ الـمـسـلـمـ"ـ الـذـيـ شـرـحـ فـيـهـ أـحـادـيـثـ مـتـعـلـقـةـ بـالـعـقـيـدـةـ مـثـلـ الـكـلامـ فـيـ الصـفـاتـ وـ فـيـ التـأـوـيلـ وـغـيـرـ

1- يوسف أحـنانـةـ: تـطـورـ الـمـذـهـبـ الـأـشـعـرـيـ فـيـ الـغـرـبـ إـلـيـ الـإـسـلـامـيـ،ـ صـ:ـ 60ـ.

2- المرـجـعـ نـفـسـهـ،ـ صـ:ـ 61ـ.

ذلك، وقد انتصر في كتابه هذا لرأي الأشعري و دافع عنه، ووضع كتاباً بعنوان "النكت القطعية في الرد على الحشوية".<sup>1</sup>

و من هنا نستطيع القول أن فقهاء المالكية قد تقبلوا الأشعرية لا بصفتها مقالات جدالية وإنما بصفتها مواقف إيمانية ينبغي التسليم بها وهذا يذكرنا بطريقة نقل المقالات الأشعرية إلى بلاد المغرب. إذ يذكر أحد الفقهاء عرف مقالة "أنا مؤمن إن شاء الله وألقاها في القبور".<sup>2</sup>

هذا عن أهم وأبرز رجال الأشعرية الأوائل في بلاد المغرب الإسلامي، الذين ساهموا كلهم و لو بدرجات متفاوتة في بسط سلطان المذهب الأشعري بهذه البلاد.

1- إبراهيم التهامي: جهود علماء المغرب في الدفاع عن عقيدة أهل السنة ، ص: 269.

2- المirok المنصوري: المرجع السابق، ص 05.

## خلاصة:

من خلال تناولنا لفصل دخول المذهب الأشعري لبلاد المغرب الإسلامي، فقد توصلنا للنتائج التالية:

**أولاً:** فرضت الاتجاهات الفكرية التي ظهرت في القرنين الثاني و الثالث الهجريين تحديا عقديا على أهل السنة مشرقا و مغريا، حيث نشطت في الساحة الفكرية آراء و أفكار الفرق المبتدعة، التي تأثرت بعضها بالفلسفة اليونانية و غيرها. و شكل ذلك خطرا كبيرا على العقيدة الإسلامية، مما حدا بعلماء المذاهب السنية إلى الدفاع بكتابات و مناظرات، و كان من بينهم الإمام أبو الحسن الأشعري (ت 324هـ/935م) الذي تمرس بمناهج المعتزلة العقلية، و كان أحد أئمتها، و كان ذاته الإمام واسع بعناصر قوتها و ضعفها، فاقتصر منهاجا عقديا جمع فيه بين الاستدلال بالكتاب و السنة و بين الاستدلال العقلي، أي قواعد علم الكلام. تکللت هذا المنهج بظهور مذهب عقدي أطلق عليه اسم المذهب الأشعري، الذي عرف انتشارا و تطويرا كبيرا في المشرق الإسلامي بعد وفاة أبو الحسن الأشعري على يد كل من الباقلي و البغدادي و الجويني و الغزالي الذين طوروا المذهب من حيث أساليبه و منهجه، و قاموا بنشر الفكر الأشعري في أصقاع العالم الإسلامي عن طريق تلامذتهم فكان المغرب الإسلامي أحد هذه المناطق التي دخل إليها هذا المذهب.

**ثانياً:** عرف أهل المغرب المذهب الأشعري في فترة مبكرة، ربما و صاحب المذهب على قيد الحياة، و الغالب بعدها بقليل إذا اعتبرنا أن أول من حمل العقيدة الأشعرية إلى بلاد المغرب، هو "أبو ميمونة درّاس بن إسماعيل الفاسي" (ت 357 هـ/967م)، و خلال هذه الفترة كان هذا الفكر مقتضرا على عدد محدود من الأفراد، ليتم اعتماد الطريقة الأشعرية في التصور العقدي مع منتصف القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي - أي تقريرا مع بداية العصر المرابطي -. وقد كانت للعوامل الدينية و العلمية، و حتى التاريخية و السياسية، الأثر الحاسم في انتشار و تغلغل هذا المذهب في بلاد المغرب.

**ثالثاً:** تمكن المذهب الأشعري ببلاد المغرب من الانتشار ابتداء من منتصف القرن الرابع الهجري و ذلك بفضل جهود علماء الأشاعرة في نشر عقيدتهم، سواء من علماء المشرق مثل: الإمام الباقلي، و الإمام الجويني، و الإمام الغزالي الذين سخروا لذلك عددا من الدعاة الذين تفرقوا في

العالم الإسلامي مشرقاً و مغرياً، ووصل بعضهم إلى المغرب الإسلامي. من أمثال عبد الله الأذري وأبا طاهر البغدادي والقلانسي والقابسي وغيرهم كثير، و هنا يبرز تأثير شخصية هؤلاء العلماء الأشاعرة على طلبتهم و تلاميذهم من أهل المغرب.

و في الحقيقة أن الفترة التي عرفت المدشنين الأوائل للفكر الأشعري بال المغرب الإسلامي كانت فترة انتقالية عرفها المغرب الإسلامي على المستوى الفكري، ستشهد صراعاً محتدماً بين مفكري أهل التسلیم والتفسير ومفكري الأشاعرة، وسيتبلور هذا الصراع أكثر في كنف الدولة المرابطية. فكيف كان موقع الدولة المرابطية من هذا الصراع؟ وما علاقتها بالفکر الأشعري؟

## **الفصل الثالث:**

### **المذهب الأشعري زمن دولة المرابطين.**

- 1- نشأة الدولة المرابطية.
- 2- أسس الدعوة المرابطية.
- 3- الوضع المذهبي في بداية العصر المرابطي.
- 4- الدولة المرابطية و المذهب الأشعري.
- 1-4 موقف العلماء من تسرب الفكر الأشعري.
- 2-4 وضعية الأشعرية في العصر المرابطي.
- 3-4 الأشعرية بين المرابطين و ابن تومرت.
- خلاصة.

عرفت بلاد المغرب الإسلامي مع منتصف القرن الخامس الهجري بداية تحول تاريخي كبير، أدى إلى تغيير في وجه التاريخ في المنطقة ككل، هذا التحول التاريخي قام به قبائل من صنهاجة اللثام بإنشائهم دولة المرابطين.

و قد شكلت دولة المرابطين في المغرب الإسلامي مثالاً ناجحاً في التصدي للخطر النصراني المحدق بال المسلمين بالأندلس، ضاربة بذلك مثلاً في أن جذوة الجهاد لن تنطفئ طالما توفّرت الإرادة والعزم لدى القادة والجندي. كما نجحوا في حفظه من التفكك الداخلي عن طريق إقرار سياسة إدارية و قضائية دقيقة، إلا إن الوحدة الدائمة والاستقرار الحقيقى يجب أن تتوفر له شروط أخرى و ذلك ما أدركه المرابطون، فصاروا من أجل هذه الغاية يدعمون أعمال الفقهاء الرامية إلى محاربة كل ما هو خارج عن المذهب المالكي - مذهب الدولة الرسمي - بما في ذلك المذهب الأشعري ، حيث أن هذه الدولة الفتية طالما تحرّعت المرء من دعوة الموحدين الناشئة التي استهلّها "المهدي" بن تومرت بالمناظرات - وفق العقيدة الأشعرية - مع الفقهاء و اختتمها بالاقتتال و الذي ازداد شراسة و اتساعاً في عهد عبد المؤمن بن علي الكومي التدرومي.

فكيف كان رد فعل السلطة المرابطية من المذهب الأشعري؟ و ما موقف العلماء من تسرب و دخول الفكر الأشعري؟ و هل عرف المذهب الأشعري تطواراً في هذه الفترة؟ و قبل التطرق لمختلف الأدوار التي عرفها المذهب الأشعري في هذه الفترة، كان علينا لزاماً أن نعرّف في بداية الأمر بالدولة المرابطية.

## 1- نشأة الدولة المرابطية:

تضارب الروايات التاريخية التي تسرد لنا نسب المرابطين<sup>1</sup>، فقد ذكرت البعض منها أنهم من قبائل صنهاجة، وهذه الأخيرة تنطوي تحتها أكثر من سبعين قبيلة<sup>2</sup> ببرية أشهرها ملتونة<sup>3</sup> وجدالة ولطة ومسوفة وهي القبائل التي على أساسها ستتشكل دولة المرابطين<sup>4</sup>، ويرى بعض المؤرخين من أمثال ابن عذاري أن نسب المرابطين يرجع إلى ملتونة أحد بطون صنهاجة التي ترأست بقية القبائل، لذا انفردت ملتونة بلقب الملشين، ثم صار هذا اللقب شعار يطلق على كل من ساند وأيد ملتونة.<sup>5</sup> ويرى صاحب الحلل الموسوية أن نسب أمراء دولة المرابطين ينتمي إلى جد مشترك يدعى منصور، وافتقرت أحفادهم من الجد "تورقيت بن ورتاقطن بن منصور بن مصالحة بن أمية بن وانمالي الصنهاجي<sup>6</sup> وتفرق من أولاد ترجموت الثلاثة "محمد، حميد، إبراهيم" بطون كثيرة، ويرجع

1- مجهول : مفاحر البربر ، تحقيق : عبد القادر بوبابة ، ط1 ، دار أبي رقراق ، الرباط ، 2005 ، ص 144 ؛ مجهول : الحلل الموسوية في ذكر الأخبار المراكشية ، تحقيق : سهيل ركار وعبد القادر زمامنة ، ط1 ، دار الرشاد الحديثة ، الدار البيضاء ، 1979 ، ص 17 ؛ ابن عذاري المراكشي : البيان المغرب ، ج 4، ص 17 .

2- يؤكّد ابن حوقل على كثرة بطون القبائل المغربية بقوله : " ولو قلت أني لم أصل إلى علم كثير من قبائلهم لقلت حقا ، إذ البلاد التي تجمعهم والنواحي التي تحيط بهم مسيرة شهور في شهور ، والعلماء بأنسابهم وأخبارهم وآثارهم هلكوا ، وكانت قد أخذت عن بعضهم رسوماً أثبتتها ، ولم أرجع منها إلى غير ما قدمته من ذكر قبائلهم " ابن حوقل : صورة الأرض ، ص 103 ؛ ينظر أيضا:

ANDRÉ JULIEN : histoire de l'afrique du nord, p: 77.

3- مجهول : مفاحر البربر ، ص 144 ؛ ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج 8 ، ص 327 وما بعدها .

4- علي محمد الصلايبي : دولة المرابطين ، دار ابن الجوزي ، القاهرة ، 2007، ص 09.

5- ابن عذاري : المصدر السابق ، ج 4 ، ص 17 ؛ الصلايبي : دولة المرابطين ، ص 09.

6- ابن عذاري : المصدر السابق ، ج 4 ، ص 17؛ مجهول : الحلل الموسوية: ص 24.

ابن عذاري أصل الصنهاجيين إلى حمير قوله: " إن صنهاجة من ولد عبد شمس بن وايل بن حمير ١ " .

يبينما يذكر عبيد الله البكري أن المرابطين هم " قبيل من صنهاجة يعرفون ببني ملدونة ظواعن رحالة في الصحراء ... ليس يعرفون حرثا ولا زرعا ولا خبزا وإنما أموالهم الأنعام وعيشتهم من اللحم واللبن ، ينفذ عمر أحدهم وما رأى خبزا ولا أكله ... يمر التجار من بلاد الإسلام أو بلاد السودان فيعطونهم الخبر ويتحفونهم بالدقيق وهم على السنة مجاهدون ٢ " .

أما ابن خلدون فيصنف حركة المرابطين في الطبقة الثانية من قبائل صنهاجة ، وهم موطنون بالقفر وراء الرمال الصحراوية بالجنوب ، وأصحرروا عن الأرياف ووجدوا بها المراد وهجروا التلول وجفوها واعتمدوا ألبان الأنعام ولحومها أساسا لطعامهم ، ويرى ابن خلدون بأن أصلهم من ريف الحبشة وصاروا بين بلاد البربر وببلاد السودان ، واتخذوا اللثام وت Mizwāt بـ شعاره بين الأمم ٣ ، ويرى ابن الأثير أن ابتداء أمر الملثمين ( المرابطين ) كان سنة ( 448 هـ / 1056 م ) ، وقد نسب قبائلهم إلى حمير ، وأن مسيرهم من اليمن كان أيام الخليفة أبو بكر الصديق ( رضي الله عنه ) فسيرهم إلى الشام ثم انتقلوا إلى مصر ثم دخلوا إلى المغرب مع موسى بن النصير ثم توجهوا إلى طنحة ٤ واحبوا الإنفراد فدخلوا الصحراء ثم استوطنوها ٥ .

كما يذكر ابن أبي زرع صاحب روض القرطاس أن المرابطين من ملدونة ويرجع أصلهم إلى صنهاجة حيث يقول : " وروى أبو عبيدة عن ابن الكلبي أن أفريقش لما نقل البربر عن الشام ومصر

١- ابن عذاري : البيان المغرب ، ج ٤ ، ص 46.

٢- البكري : المغرب في ذكر بلاد أفريقيا والمغرب ، ص 164.

٣- ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون ، ج 6 ، ص 241 .

٤- هي إحدى مدن المغرب الأقصى أسسها الرومان عندما كانوا مستولين على الأندلس ، موقعها على شاطئ المحيط ، على بعد خمسين فرسخا من فاس في جهة الشمال ، تحيط بها أسوار متينة محصنة بخنادق وحصون ، وهي مليئة بالمراعي الخصبة مزданة بالبساتين لكثرة المياه . ينظر: البكري : المصدر السابق ، ص 104 وما بعدها ؛ ابن الخطيب : معيار الاختيار في ذكر المعاهد والديار ، تحقيق : محمد كمال شبانة ، مكتبة الثقافة الدينية ، القاهرة ، 2002 ، ص 147 ؛ مارمول كريحال : أفريقيا ، ترجمة : محمد حجي وآخرون ، ج 2 ، مكتبة المعارف ، الرباط ، 1984 ، ص 208 وما بعدها .

٥- ابن الأثير : المصدر السابق ، ج 8 ، ص . 327-328 .

إلى المغرب وبنى مدينة أفريقيا وأنزل العرب منازلهم من المغرب ترك فيه قبيلتين من دهاته ، وهما صنهاجة وكتامة ، وهما في البربر إلى اليوم ، وقال الزبير بن بكار أن صنهاجة أب صنهاجة ابن حمير ابن سباء جد حمير بن سباء لصلبه ".<sup>1</sup>

و في هذا الصدد يقول الشاعر أبو فارس عبد العزيز المندوزي - رحمه الله تعالى - في أرجوزته المسماة (نظم السلوك في الأنبياء والخلفاء والملوك) :

مرابطون أصلهم من حمير      قد بعثت أنسابهم عن مضر  
 كانوا ملوكا في الرمان الأول      وأمرهم وحالهم لم يجعل  
 وقد رأيت في كتاب النسب      قوله أعجز به أهل الأدب  
 بأن صنهاجة سليل حمير      وهو ابنه لصلبه لا العنصر  
 أكرم به من نسب صريح      فقله لا تخف من التصريح  
 عدهم وفضلهم مشهور      وبمحدهم وسعدهم مذكور  
 قد خلفوا من بعدهم حسن الثنا      في غربنا وبلغوا فيه المنا<sup>2</sup>

كما ذهب ابن خلكان في أن أصل المرابطين يعود إلى حمير أيضا بقوله : " والذى وجدته أن أصل هؤلاء القوم من حمير بن سباء وهم أصحاب خيل وإبل " .<sup>3</sup>

بينما نجد أن أبو العباس أحمد بن خالد الناصري صاحب الاستقصا يقول عكس ذلك : " والتحق خلاف ذلك : وأئممن كنان بن حام كسائر البربر "<sup>4</sup>، ويؤكد المؤرخ يوسف أشياخ

1- علي الفاسي ابن أبي زرع: الأنسي المطربي بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس ، دار المنصور للطباعة والوراقة ، الرباط ، 1972 ، ص 119.

2- ابن أبي زرع : المصدر السابق ، ص 120 .

3- ابن خلكان : وفيات الأعيان ، ج 7 ، ص 128.

4- السلاوي : الاستقصا لأنباء دول المغرب الأقصى ، ج 2 ، ص 3 . ويضيف قائلا في نفس الصفحة : « وتحت صنهاجة قبائل كثيرة تنتهي إلى السبعين منهم متونة وكالة ومسوفة ... وكانت لهم بالغرب دولتان عظيمتان إحداهما دولة بني زيري بن مناد الصنهاجيين بأفريقية ورثوا ملكها من يد الشيعة العبيديين والأخرى دولة الملثمين بالغرب الأقصى والأندلس »

بأن المرابطين من بني كdaleة ( جdaleة ) الذين يرجع نسبهم إلى إحدى بطون صنهاجة<sup>1</sup> التي كانت تستقر بأعماق الصحراء بأرض موريطانيا الحالية<sup>2</sup>

هذا و قد عرف المرابطون باسم الملثمين حسب العديد من المصادر التي تطرق إلى سيرهم بهذا الاسم كابن الأثير و ابن عذاري و صاحب الحلل الموشية<sup>3</sup> ، لكن معنى التسمية كان موضوع جدل و خلاف ، فقد ذكر صاحب الحلل الموشية أن اللثام صار زيا رسميا للمرابطين الصنهاجيين لأن الله أكرمهم به ونجاهم بفضله من عدوهم فلازموه<sup>4</sup> ، بينما تذكر روايات أخرى بأنهم تلثموا<sup>5</sup> لشدة الحر أو لرمتها للتمويل عن الأعداء وقد كانوا شديدي التمسك بهذه العادة.<sup>1</sup>

<sup>1</sup>- يوسف أشباح : تاريخ الأندلس في عصر المرابطين والموحدين ، ترجمة : محمد عبد الله عنان، ج 1، ط 2 ، مؤسسة الحاجي ، القاهرة ، 1996 ، ص 67 .

2- محمد بن عمرو الطمار : تلمسان عبر العصور ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر ، 1984 ، ص 41 ؛ مجموعة مؤلفين : الجزائر في التاريخ - العهد الإسلامي من الفتح إلى بداية العهد العثماني - ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر ، 1984 ، ص 292.

3- ابن الأثير المصدر السابق ، ج 5 ، ص 327 ؛ مجھول : الحلل الموثقية ، ص 19 ؛ ابن عذاري : المصدر السابق ، ج 4 ، ص 07 ؛ أحمد مختار العبادي : صورة من حياة الحرب والجهاد في الأندلس ، ط 1 ، منشأة المعارف ، الاسكندرية ، 2000 ، ص 95 . وأيضاً :

**MAHFOUD KADDACHE** : l'algerie medievale , société nationale d'édition et de diffusion , alger , 1982 , p : 99 .

4- مجهول : الحل الموشية ، ص19 ؛ عصمت عبد اللطيف دندش : دور المراطيين في نشر الإسلام في غرب أفريقيا ( 430 هـ - 515 هـ / 1038 م - 1121 م ) ، دار الغرب ، الإسلام ، بيروت ، 1988 ، ج 1 ، ص 29

5- ومن التفاسير التي أوردها ابن خلkan حول سبب ارتداء اللثام ، هو أن طائفه من لمحونة خرجوا مغيরين على عدو لهم فالخالفهم العدو إلى بيوقهم ، ولم يكن بما إلا المشايخ والنساء والولدان ، فلما أدرك الشيخ من إغارة العدو أمروا النساء بلبس بشاب الرجال وأن يتلشنمن ويضيقن اللثام حتى لا يعرفن ، ويلبسن السلاح ، ففعلن ذلك ، وتقدم الشيخ والصبيان أمامهن واستدار النساء بالبيوت ، فلما أشرف العدو رأى جمعاً عظيماً فظنوه رجالاً وقالوا : هؤلاء عند حرميهم يقاتلون عنهم قتال الموت ، فعليينا بجمع النعم والتقدّر ، فإن تبعونا قاتلناهم بعيداً عن نسائهم ، في بينما العدو منشغل بجمع النعم من المرعاي قبل الرجال فبقي العدو وسطهم ( أي بين الرجال والنساء المتشدين ) هجموا عليه وقتلوا خلقاً كثيراً من العدو ، من ذلك الوقت جعلوا اللثام سنة يلازمونه ، لا يعرف الشيخ من الشاب ، ولا يزيرون له ليلاً ولا نهاراً ، ينظر: ابن خلkan : =المصدر السابق ،

وما قيل في ارتداء المرابطين زي اللثام ما نصه :

قوم لهم درك العلا في حمير وان انتموا صنهاجة فهم هم  
لما حروا إحراز كل فضيلة غالب عليهم الحياة فتلتسموا<sup>2</sup>

و يتجلى من خلال هذه الأبيات أن علة الحياة كانت من مبررات ارتداء اللثام .

أما اسم المرابطين فهو مشتق من الكلمة المرابطة أي المسلمين الورعون المنقطعون للعبادة في مكان يسمى الرباط<sup>3</sup> ومنه جاء المرابط أي الملازم للنغر للدفاع عن الإسلام ومن ذلك قوله تعالى :

ج 7 ، ص 129 ؛ و اللثام هو قطعة من قماش يعطي بها الرجال وجوههم من أسفل إلى أعلى، ينظر: أفرد بل: المرجع السابق، ص 228.

1- ابن حلكان : المصدر السابق ، ج 7 ، ص 129 ؛ الصالبي : دولة المرابطين ، ص 10.

2- ابن حلكان : المصدر السابق ، ج 7 ، ص 130.

3- الرباط : من الفعل ربط ، ربط الشيء بربطه ربطا ، والجمع رُبْط ، والرباط : المواظبة على الأمر ، كما تعني ملازمة النغر ، وقيل أن معناه واكبوا وحافظوا على مواقف الصلاة ، وربط الله على قلبه أي ألممه الصبر ، كما تعني الإقامة على جهاد العدو بالحرب ، ابن منظور : لسان العرب ، تحقيق عبد الله علي الكبير وأخرون ، دار المعارف ، القاهرة ، د.ت ، مج 6 ، ص 1561 ؛ أما عن المعنى الاصطلاحي فيرى شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب التوييري أن المرابطة في سبيل الله ، تنزل من الجهاد والقتال في سبيل الله منزلة الاعتكاف في المساجد من الصلاة ، لأن المرابط يقيم في وجه العدو متأنها ومستعدا ، حتى إذا أحس من العدو أي حركة أو هجوم خض لقتاله ، كما أن المعتكف يكون في موضع الصلاة مستعدا فإن دخل الوقت وحضر الإمام قام إلى الصلاة ، ويضيف قائلا لا شك أن المرابطة في سبيل الله اشق من الاعتكاف وسنة المرابطة في سبيل الله أن بعد المسلمين من الخيل والسلاح ما يحتاجون إليه ، ذلك أن انتظار الوعنة من غير استعداد لها يعرض للهلاك . ينظر: شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب التوييري : نهاية الأرب في فنون الأدب ، تحقيق : علي بوملجم ، ج 6 ، ط 1 ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، 2004 ، ص 169 - 170 ؛ أما الطريقي فيرى أن الرباط الخيل بال العدو ، ثم أطلق على كل مقيم على ثغر مدافعا عن المسلمين ، ويزيد المعنى تأكيدا وتدعيقا أبو القاسم البرزلي الذي يرى بأن الرباط هو موضع الحرس في الأوقات التي يتوقع فيها العدو ، فإذا كان العدو حاضرا فهو حرس كما أن الرباط هو لفظ مشترك بين معاني الخيل وانتظار الصلاة بعد الصلاة حسب الألوسي في كتابه روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثانى ، وعموما يلخص لوسيان قولفين معنى الرباط لفظا و وظيفة ، بأنه عبارة عن ثكنة محصنة ثم تحول إلى مكان يقصد لتعلم فنون الحرب استعدادا للجهاد ، وأوقات الفراغ فيه تخصص للعبادة ، وهذه الطريقة تحولت إلى سلوك معهود ومتبوع داخل الرباط ، كما أن الرباط يعني المدينة المحصنة التي يسكنها رجال الحرب والدين . ينظر : الطاهر بونابي : التصوف في الجزائر - خلال القرنين 6 و 7 المجريين ، 12 و 13 الميلاديين - ، دار المدى للطباعة ، عين مليلة ، 2004 ، ص 54 ، هامش (2)؛ سعدون عباس نصر الله : دولة المرابطين في المغرب والأندلس - عهد يوسف بن تاشفين - ، دار النهضة العربية ، بيروت ، 1985 ، ص 23 وما بعدها ؛ وعلى ذكر الأربطة يؤكد الأستاذ محمد الأمين بلغيث أن رباط المستير في تونس هو الوحيد الذي بقي على هيئته

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾<sup>1</sup> قوله أيضا : «وَأَعِدُوا هُم مَا اسْتَطَعْتُم مِّنْ فُتُّةٍ وَمِنْ رِتَاطِ الْخَيْلِ ﴾<sup>2</sup>.

وهناك من يذهب إلى القول بأن اسمهم مشتق من الثوب البسيط "اللمت" لذلك فهم قوم بدو رحل<sup>3</sup>، أما موطنهم فهو الصحراء الكبرى في قارة إفريقيا من غدامس<sup>4</sup> شرقا إلى المحيط الأطلسي<sup>5</sup> وتمتد جنوبا حتى بلاد السنغال مرورا ببلاد السوس<sup>6</sup> و وادي درعة<sup>7</sup> وصحراء شنقيط<sup>1</sup>،

=الأصلية ، وهو أقدم رياطات المغرب ، حيث شكل أنموذجا لبقية الرباطات . محمد الأمين بلغيث : فصول في التاريخ وال عمران بالغرب الإسلامي ، ط 1 ، منشورات انتر سيني ، الجزائر ، 2007 ، ص 39 ؛ محمد بكاري: تأصيل العقيدة، ص 52.

1- سورة: آل عمران ، الآية: 200 .

2- سورة: الأنفال ، الآية: 61 .

3- يوسف اشباح : المرجع السابق ، ج 1 ، ص 67 ؛ جورج مارسيه : بلاد المغرب وعلاقتها بالشرق الإسلامي في العصور الوسطى ، ترجمة : محمود عبد الصمد هيكل ، مطبعة الانتصار ، الإسكندرية ، 1991 ، ص 275 .

4- غدامس منطقة شاسعة مأهولة ، يوجد بها عدد كبير من القصور والقوى الكبيرة ، تبعد جنوبا عن البحر المتوسط ب نحو مائة فرسخ ، بقارات أهلها أساسا على التمور وأموال التجارة ، أكثر تجارتهم مع بلاد السودان ، لا ينبع في هذه البلاد إلا القليل من الحبوب . ياقوت الحموي : معجم البلدان ، ص 187 ؛ مرمول كريحال : المراجع السابق ، ج 3 ، ص.ص 173-174 ؛ عبد الحكيم العفيفي : موسوعة 1000 مدينة إسلامية ، ط 1 ، دار أوراق شرقية ، بيروت ، 2000 ، ص 348 .

5- يعرف أيضا باسم المحيط الأطلسي ، وفي الجغرافيا العربية البحر المحيط وكذا البحر الأعظم وبحر الظلمات وغيرها . يوسف أشباح : المراجع السابق ، ج 1 ، ص 67 ، هامش (3) .

6- تقع في أقصى بلاد المغرب ، وهي مدينة جليلة وحاضرة جامعة لكل خير وفضل يكثرا بها السكر الذي تصنع منه أشياء كثيرة ، محمد بن عبد المنعم الحميري : الروض المعطار في خبر الأقطار ، تحقيق : إحسان عباس ، ط 1 ، مكتبة لبنان ، بيروت ، 1975 ، ص 326 ؛ فيها حبوب وأغذية كثيرة وتنبع الحبوب والحوامض وفي قصور منغلقة قلاعها محصنة . ابن سعيد المغربي : كتاب الجغرافيا ، تحقيق ، إسماعيل العربي ، ط 1 ، منشورات المكتب التجاري ، بيروت ، 1970 ، ص 123 ؛ مرمول كريحال: المراجع السابق ، ج 3 ، ص.ص 139 - 140 .

7- تنسب تسمية درعة إلى النهر الكبير الذي تتفجر عيونه بين جبال الأطلس المغربية وتتدفق مياهه نحو الجنوب...للمزيد ينظر: مرمول كريحال : المراجع السابق ، ج 3 ، ص 144 وما بعدها .

وبладهم قليلة الأمطار ، عديمة الأنهر لذلك أهلها دائموا الشغل والترحال<sup>2</sup> وقد وصفهم صاحب الحال الموسية بقوله : " هم ظواعن الصحراء رحالة لا يطمئن بهم منزل وليس لهم مدينة ، مراحلهم في الصحراء ، مابين بلادهم وببلاد الإسلام مسيرة شهرين "<sup>3</sup> ، كما علق على ذلك صاحب روض القرطاس بقوله : " أنهم يسكنون آخر بلاد الإسلام - أي في الجنوب - ويحاربون السودان "<sup>4</sup> ، ثم حدث أن توسيع بلاد المرابطين من ناحية الشمال بقضاءها على دول الطوائف وضمها للأندلس<sup>5</sup> ، ويؤكد الأستاذ محمد الأمين بلغيث أن بداية قيام دولة المرابطين كان في الصحراء ، وهو الأمر الذي كان له الدور البالغ في نسج علاقات بين الصحراء الغربية والشمال الغربي ، تلك العلاقة التي شكلت أنموذجاً للصراع على الموارد الأولية النفيسة كالذهب والفضة وغيرها.<sup>6</sup>

## 2- أسس الدعوة المرابطية :

تأسست دعوة دولة المرابطين وفق المذهب السني المالكي ، وكان نظام الشوري و اختيار الأمير من أولى الاهتمامات<sup>7</sup> مصداقاً لقوله تعالى : ﴿وَالَّذِينَ اسْتَحَاْبُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ وَمَمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ﴾<sup>8</sup> ، قوله تعالى أيضاً : ﴿فِيمَا رَحْمَةٌ مِّنَ اللَّهِ لِنَتَّهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظَّا غَلِيلَ الْقُلْبِ لَا نَفَضُّلُ مِنْ حَوْلِكَ فَاغْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَارِذُهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَرَمْتَ فَتَوَكَّلْ﴾

1- هارون فاطمة : السلطة العلمية بالأندلس في عصر المرابطين ( 445 هـ / 1056 م - 541 هـ / 1147 م ) . ابن رشد الجد أنموذجاً ( 520 هـ / 1126 ) ، مذكرة ماجستير ، قسم التاريخ ، جامعة الجزائر ، 1430-1429 هـ / 2008-2009 م ، ص 22.

2- الصلاي : دولة المرابطين ، ص 10 .

3- مجھول : الحال الموسية ، ص 17 ؛ السلاوي : المرجع السابق ، ج 2 ، ص 3 .

4- ابن أبي زرع : المصدر السابق ، ص 123 ؛ ابن خلكان : المصدر السابق ، ج 7 ، ص 128 .

5- محمد الأمين بلغيث : نظرات في تاريخ الغرب الإسلامي ، ط 1 ، دار الخلدونية ، الجزائر ، 2007 ، ص 9 .

6- محمد الأمين بلغيث : دراسات في تاريخ الغرب الإسلامي ، دار التدوير للنشر والتوزيع ، الجزائر ، 2006 ، ص 36 ؛ وهو نفس ما أكدته سعد زغلول حيث أكد على أهمية هذه الثروات ومنها الملح . سعد زغلول عبد الحميد : تاريخ المغرب العربي ، ج 3 ، مطبعة أطلس ، القاهرة ، 1990 ، ص 513 .

7- البكري : المصدر السابق ، ص 164 ؛ الصلاي : دولة المرابطين ، ص 129 .

8- سورة الشورى ، الآية : 35 .

عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ<sup>1</sup> ، وهذا ما دفع بدولة المرابطين بأن تلتزم بالشريعة الإسلامية في كل تنظيماتها خاصة الإدارية والعسكرية منها .<sup>2</sup>

كما أن دولة المرابطين قبل إكمالها كمشروع سياسي لم تكن سوى منهجاً للتغيير والإصلاح الديني والاجتماعي ، خاصة أن الفساد دب وانتشر وسط المغاربة<sup>3</sup> ، وقد بزرت عدة شخصيات نادت بهذا التغيير ؛ من أمثال الأمير يحيى بن إبراهيم الجدالي<sup>4</sup> والفقير أبو عمران الفاسي المتوفى سنة 430 هـ / 1038 م<sup>5</sup> ، وهذا بسبب الوضع الذي كان سائداً في بلاد المغرب الأقصى الذي قد بدأ يأخذ منحى خطيراً ، و ذلك بالانحراف الديني الذي شهدته العامة لا سيما في كل من برغواطة<sup>6</sup> وقبائل زناتة وكذلك قبائل جبال غمارة.<sup>7</sup>

1- سورة: آل عمران ، الآية : 159.

2- ج.ف.ب هو بكنز : النظم الإسلامية في المغرب في القرون الوسطى ، تعريب : أمين توفيق الطيبى ، الدار العربية للكتاب ، ليبيا و تونس ، 1980 ، ص 42 وما بعدها ؛ محمد عبد الله عنان : دولة الإسلام في الأندلس – عصر المرابطين والموحدين في المغرب والأندلس - ، ط2 ، مكتبة الحاجي ، القاهرة ، 1990 ، ص 411 .

3- مجھول : الحال الموشية ، ص : 19-20 ؛ ابن عذاري : البيان المغرب ، ج 4 ، ص 08.

4- هو يحيى بن عمر بن تكلاكين اللمتوني أبو زكريا ، مؤسس دولة المرابطين في المغرب ، ويورده البكري باسم يحيى بن عمر بن تلاجاجين . البكري : المصدر السابق ، ص 165 ؛ ويسميه ابن عذاري باسم يحيى بن عمر بن بولنكابين اللمتوني ينظر : ابن عذاري : المصدر السابق ، ج 4 ، ص 09 .

5- عبد الكبير الفاسي واحمد بن قنفاذ القسيطي : تذكرة المحسنين بوفيات الأعيان وحوادث السنين ، تحقيق محمد حجي ، ط 1 ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت 1996 ، ج 1 ، ص 299 .

6- عن الانحراف الديني الذي شهدته برغواطة يقول البكري : « وأما هذا الضلال الذي شيع لهم فإنهما يقدمون مع الإقرار بالنبينا ، الإقرار بنبوة صالح بن طريف ونبوة من تولى الأمر من بعده من ولده ، وأن الكلام الذي ألف لهم وهي من الله تعالى لا يسكنون فيه ، وصوم رجب وأكل شهر رمضان وخمس صلوات في اليوم وخمس صلوات في الليلة والتضحية في اليوم الحادي عشر من المحرم ، وفي الوضوء غسل السرة والخاصرتين ثم المضمضة وغسل الوجه ومسح العنق واللقف ... » البكري : المصدر السابق ، ص.ص 138-139 ؛ وقد بعث يوسف بن تاشفين بعدد من الرسل والعلماء إلى زعماء برغواطة أملأ منه في تحذب الحروب معهم لكنهم أجهزوا عليهم وجندوا لهم جيشاً محارتهم . عبد الهادي التازى : التاريخ الدبلوماسي للمغرب ، ج 5 ، مطبع فضالة ، الحمدية ، 1986 ، ص 9 .

7- من أخصب جبال المغرب وأشهرها تسكنته قبائل كثيرة من غمارة وهم أمم لا تختصى وفي هذه الجبال بسائق كثيرة ، ومدن قديمة . الشريف الإدريسي : المغرب وأرض السودان ومصر والأندلس - من كتاب نزهة المشتاق في اختراق الآفاق - ، طبعة ليدين ، 1866 ، ص 171 ؛ مجھول : الإستبصار ، ص 190 ؛ ويضيف صاحب الإستبصار معلقاً في نفس الصفحة

و بعد أن ظهر في الأفق مشروع الدولة الفتية أحال أبو عمران المثمرين على أحد الفقهاء من بلاد السوس ، حيث بعث له كتاباً مع يحيى بن إبراهيم ، وكان اسم هذا الفقيه واجاج ابن زلوان<sup>1</sup> ، الذي كان في دار المرابطين بمدينة نفيس<sup>2</sup> ، ومن هذا الرباط انضم إلى حركة عبد الله بن ياسين الجزوئي ، الذي يعتبر العماد الروحي لحركة المرابطين حيث بدأ يفقه الصحراويين ويعلهم أصول الدين الإسلامي ، وبإتحاد الفقيه ابن ياسين مع يحيى بن إبراهيم قامت دولة المرابطين التي تزعمها أبو بكر بن عمر ثم يوسف بن تاشفين<sup>3</sup>.

## 1-2- مكانة الفقهاء في عصر المرابطين:

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " إثنان لو صلحا صلح الناس كلهم ، الأمراء والعلماء " انطلاقاً من هذا الحديث الشريف يتجلّى التكامل بين السلطة السياسية والدينية في الحياة ، رغم أن الأمر يطرح أشكالاً في التاريخ الإسلامي ، إلا أن السلطة السياسية افترقت عن

على الإنحراف الديني في هذه المنطقة بقوله : « ولأهل هذا الجبل مذاهب شتى ، وسير مختلفة وقد تباًع عندهم إنسان يعرف به " حاميم بن من الله " ولقب بالفتري ... وأصحابه بشر كثير من غمارة ، وأقروا بنبوته ، ووضع لهم قرآنًا بل شريعة استهواهم برحسهها ، فرد لهم الصلاة صلاتين عند طلوع الشمس وعند غروبها ، ويُسجدون على ظهور أكفهم ، ووضع لهم قرآنًا بلسانهم تفسيره ... خلّى من الذنوب يا من أخرج موسى من البحر ، آمنت بحاميم وأمنت بأبي يخلف وهو والد حاميم ... » .

1- ويورده صاحب الحال الموشية باسم واكاك ، وفي نسخة أخرى باسم بوجاج ، فالاسم واكاك أو وجاج ، باسم أبيه زلوان كما في الروض المعطار ، وزلوي عند البكري . ابن عذاري : المصدر السابق ، ج 4 ، ص 8 ، هامش (1) .

2- مدينة من بلاد المغرب عند أغمات تعرف بالبلد النفيس ، وهي قديمة وصغيرة حولها عمارات وطوابق من قبائل البربر ، بها من الفواكه واللحوم لا يكون في كثير من البلاد ، وبها جامع وسوق ، ويشقها نهر كبير .

ينظر: الحميري : الروض المعطار ، ص 578 ؛ ويوردها ابن عذاري باسم ملكوس . ابن عذاري : المصدر السابق ، ج 4 ، ص 8 .

3- نفسه ؛ يوسف أشياخ : المرجع السابق ج 1 ، ص 68 وما بعدها .

4- أبو بكر جمال الدين الخوارزمي : السلطان وأسرار الوزارة ، تحقيق : السحاب أحمد الطحان ، ط 1 ، دار الكلمة ، مصر ، 2001 ، ص 13 .

السلطة الدينية<sup>1</sup> ونافستها ، بل ودخلتا في صراع قوي تحول إلى امتحان لعديد الفقهاء في المغرب والأندلس. أما في الفترة المرابطية فقد دخل المغرب الإسلامي مرحلة سياسية فقهية مختلفة عن التجارب السابقة ، لعب في ظلها الفقهاء أكبر الأدوار الطلاقعية.<sup>2</sup>

و هذا ما تبيّنه و تؤكده المصادر التاريخية ، حيث ذكر ابن عذاري في حديثه عن عبد الله بن ياسين « ... وكان أشدّهم انقياداً له (أي عبد الله بن ياسين) أمير ملتونة يحيى بن عمر»<sup>3</sup> كما علق عبد الواحد المراكشي في المعجب عن ولادة أبي الحسن علي بن يوسف بقوله « وأشد إيثاراً لأهل الفقه والدين ».<sup>4</sup> وقد تكرس هذا الدور والحضور السياسي منذ عهد يوسف بن تاشفين حيث ذكر ذلك ابن عذاري قائلاً : «كان يفضل الفقهاء ويعظم العلماء ويصرف الأمور إليهم ... ويقضي على نفسه بفتواهم (أي بفتواهم) »<sup>5</sup> ، كما نجد أن ابنه (علي بن يوسف) قد سار على نحجه حيث أنه « كان لا يقطع أمراً في جميع مملكته دون مشاورة الفقهاء ، كما كانت أمور المسلمين راجعة إليهم ، وأحكامهم صغيرها وكبيرها موقوفة عليهم ».<sup>6</sup>

إن الحضور الفقهي المالكي في المغرب الإسلامي لم ينفرد به المغرب دون الأندلس فقد كانت مكانة الفقهاء كبيرة أيام الأسرة العامرية<sup>7</sup> ، وقد تراجعت قليلاً أيام الحكم الطائفي (ملوك

1- أبو حامد الغزالي : إحياء علوم الدين ، تحقيق : السحاب الطحان وعبد الله المنشاوي ، ج 1 ، ط 1 ، مكتبة الإيمان ، القاهرة ، 1996 ، ص 65 .

2- لخضر بولطيف : الفقيه والسياسة في الغرب الإسلامي ، ص 33 ، 34 .

3- ابن عذاري : المصدر السابق ، ج 4 ، ص 09 .

4- عبد الواحد المراكشي: المعجب في تلخيص أخبار المغرب، ص: 121.

5- ابن عذاري : المصدر السابق ، ج 4 ، ص 46 .

6- عبد الواحد المراكشي : المعجب ، ص 121.

7- بنو عامر : هم الذين حكموا الأندلس ابتداء من سنة (366 هـ / 1008 م) إلى غاية (976 هـ / 399 م) وكانت بداياتهم أيام هشام الثاني بن الحكم الثاني ، وعمره حينها 11 سنة ، حيث كان هناك نفر من أصحاب النفوذ أولهم الوزير " جعفر المصحفي " ويعرف باسم أبي عامر وينحدر من أسرة عربية عريقة تمتلك إقطاعات بالقرب من الجزيرة الخضراء ، هذا الأخير الذي غدا صاحب نفوذ حقيقي في الحكم ودعم مركزه وبذلك بدأ الحكم العامري في الأندلس =مونتغمري وات : في تاريخ إسبانيا الإسلامية ، ترجمة : محمد رضا المصري ، ط 2 ، شركة المطبوعات للنشر والتوزيع ، بيروت ، 1998 ، ص . 93-94 .

الطوائف)<sup>1</sup> إلا أن نشاط الفقهاء كان مستمراً وقوياً إذ أن أبو الوليد الباقي جمع صفوف ملوك الطوائف وأعاد و蒂رة هذا الحضور مما سوغ وسهل إلحاق الأندلس بالحكم المرابطي .<sup>2</sup>

بل كان الفقهاء يظهرون أحياناً أنه الحكام الحقيقيون ، و هذا ما يؤكده صاحب الحلل الموسوية بقوله: "كان الأمير أبو زكريا إذا تقدم بجيشه تقدم أمامه الشيخ أبو محمد عبد الله بن ياسين ، والشيخ كان في الحقيقة الأمير وهو الذي يأمر وينهى"<sup>3</sup>

## 2- دور ابن ياسين في قيام دولة المرابطين :

هو عبد الله بن ياسين ابن مكوك ابن سير ابن على الجزوبي، ولد في قرية تماماً ناوت<sup>4</sup> وأمه أسمها "تین یزامارن"<sup>5</sup> من أهل جزولة<sup>6</sup> درس على فقيه السوس وجاج بن زلوان ثم رحل إلى الأندلس وأقام بها سبع سنوات حيث استزد في طلب العلم ، وقد دخل المغرب الأقصى مع الأمير يحيى بن إبراهيم الجداли عام 430 هـ / 1038 م إلى جدالة ، فابتھج أهلها بهذا الوافد الجديد –

1- أشتقت أسمها من الطوائف الثلاثة البربرية والأندلسية والصقالبة وقد ظهرت عدة ممالك في الأندلس مثل بنو حمود في مالقة ، وبنو عباد في إشبيلية ... وقد دام حكمهم من سنة (399هـ/ 1009 م - 484هـ / 1091 م). لخضر بولطيف : الفقيه والسياسة ، ص 38 ؛ مونتموري وات : المرجع السابق ، ص 102 وما بعدها .

2- لخضر بولطيف : الفقيه والسياسة ، ص 38.

3- مجهول : الحلل الموسوية ، ص 21 ؛ للإطلاع أكثر حول دور فقهاء المالكية في المغرب انظر : علياء المشهداني : فقهاء المالكية دراسة في علاقتهم العلمية في الأندلس والمغرب - حتى منتصف القرن 6 هـ / 12 م - ، أطروحة دكتوراه ، مجلس كلية التربية ، جامعة الموصل ، العراق ، 2003.

4- في طرف صحراء غانة . البكري : المصدر السابق ، ص 165 .

5- البكري : المصدر السابق ، ص 165 .

6- هي قبيلة كبيرة قامت بدور كبير أيام المرابطين ، تستقر جنوب الأطلس الكبير ، اتحدت مع عدة قبائل أمثال لتوينة ومسوفة ولطة أيام عبد الله بن ياسين وساهمت في المعارك التي أسفرت عن تأسيس دولة المرابطين . محمد سليمان الطيب : موسوعة القبائل العربية ، المجلد 1 ، ط 2 ، دار الفكر العربي ، مدينة نصر ، 1997، ص 1056 .

عبد الله بن ياسين<sup>1</sup> – سموه إمام الحق ، وبذا يعلم الناس في أمور دينهم وقد كان هذا التعليم باللغة العربية لأهل العلم وباللغة العامية لعامة الناس<sup>2</sup> .

لاقى عبد الله بن ياسين كثيراً من الصعوبات في تعليم أهل المغرب وبدأ برحالة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، ويحث على تطبيق تعاليم الدين الإسلامي وما اقره الشارع ، فتعلق به عامة الناس ، وبذلك صار يشكل خطراً " على أمراء وأشراف تلك المناطق مما أدى هم الأمر إلى التفكير في إبعاده نهائياً وبذلك عزلوه وهدموا داره بعد أن دبروا له مكيدة .<sup>3</sup>

فبدأت عزيمة عبد الله بن ياسين تتراجع بل وفك في التراجع عن تعليم الناس دينهم فحاول الأمير يحيى بن إبراهيم<sup>4</sup> أن يقنعه بالعدول عن رأيه ونصحه بالمرابطة في أحد الرباطات في السنغال قائلاً له « ولكن يا سيدي هل لك في رأي أنير به عليك إن كنت تريد الآخرة ؟ قال : وما هو ؟ قال : إن هاهنا جزيرة في البحر إذا حسر ( أي انخفض منسوب المياه ) دخلنا إليها على أقدامنا وإذا ملأ ( ارتفع منسوب المياه ) دخلنا في الزوارق ، وفي الحال المخض الذي لا شك فيه من الشجر البرية وصيد البر والبحر من أصناف الطير والوحش والحوت ، فندخل إليها ،

1- يذكر حسن احمد محمود أن المصادر العربية لم تكنلتتصد لنا أخبار ابن ياسين بدرجة كبيرة ، حتى أن حضوره في كتب الطبقات هو معذوم عدا حضوره في كتاب ترتيب المدارك للقاضي عياض ، كما أن هناك كتاب هام جداً للقاضي عياض فيه ترجمة مفصلة وهذا الكتاب يتناول تاريخ سبعة إلا أنه ما زال مفقوداً إلى اليوم ولم يعثر له على أثر ، ذلك أن القاضي عياض من فقهاء المالكية في المغرب وقد اهتم بجمع الأخبار وتقفي الحقائق حول فقهاء هذا المذهب ببلاد المغرب . حسن أحمد محمود : قيام دولة المرابطين ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، د . ت ، ص 115 .

2- ابن عذاري : المصدر السابق ، ج 4 ، ص 9 ، 10 .

3- لما التفت عامة الناس حول عبد الله بن ياسين وصاروا منقادين له ، نقض عليه شخص منهم اسمه الجوهر بن سحيم ( حسب ابن عذاري ) والجوهر بن سكم ( حسب صاحب الحلل الموسوية ) عليه شيئاً من أحكامه وجد في تناقضها ، فاتفق مع كبراء المنطقة وعزلوا ابن ياسين وقطعوا عليه المعونة وانتهبو داره وهدموها وأخذوا ما كان فيها ، فخرج ابن ياسين خائفاً منهم . ابن عذاري : المصدر السابق ، ج 4 ، ص 8 ، 9 ؛ البكري : المصدر السابق ، ص 165 .

4- يورد البكري أن واجح بن زلوي عاتب قبائل صنهاجة التي أساءت إلى عبد الله بن ياسين وآذته ، وأعلمهم أن من خالفة عبد الله بن ياسين فقد فارق الجماعة وأن دمه هدر ، وقد أمر وجاج بن زلوي عبد الله بن ياسين بالعودـة ، وعاد فعلاً وأطاعته تلك القبائل ودانـت له قبائل أخرى فيما بعد مثل لحظـة و درعـة أما الذين أـسأـوا إـلـى عبد الله وحرقوـا له دـارـه فقد تم قـتـلـهـم . البكري : المصدر السابق ، ص 166 .

فتعيش فيها بالحلال ونعبد الله حتى نموت . فقال له ابن ياسين : هذا حسن ، هلم بنا ندخلها على اسم الله »<sup>1</sup> ، وبهذا غادر ابن ياسين بلاد المغرب واتجه جنوبا إلى حوض نهر السنغال حيث أسس رباطا للعبادة وحفظ القرآن وتفسيره.<sup>2</sup>

بدأت المرابطة في الجزيرة عام 1043هـ/433م بعدد قليل من الناس ثم بدأ العدد يتزايد حتى بلغ الألف من أتباع ابن ياسين<sup>3</sup> ، ولكثرة الناس وضع ابن ياسين شروطا يجب أن تتوفر في كل من أراد أن ينضم ، وبذلك انتقى منهم الأكثر إيمانا وصبرا وتحملا للمشاكل ، وقد علم ابن ياسين الجهاد وأحكامه للناس ثم فرضه على المرابطين وأخذ بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وإقامة الحدود الشرعية.<sup>4</sup>

بعد أن كثر أتباع عبد الله بن ياسين واستكمل قوله أمر أتباعه بالخروج لتوحيد قبيلة صنهاجة ، وبدأ عملياته العسكرية بثلاثة آلاف مرابط<sup>5</sup> ، فهاجمت قبيلة جدالة التي تآمرت عليه فدخلت تحت طاعته عام 434هـ / 1042م ، ثم اتجه نحو قبيلة لمتونة فباقعه<sup>6</sup> ثم غزى سائر قبائل الصحراء فدان بعضها بالسيف والبعض الآخر بالإقناع<sup>1</sup> ، وهكذا وحد الإمام ابن ياسين فروع قبيلة صنهاجة واستكملت القوة الجديدة عصبيتها القبلية التي ستكون سيفها

1- ابن أبي زرع : المصدر السابق ، ص.ص 124-125 .

2- سعدون نصر الله : دولة المرابطين في المغرب والأندلس ، ص 26 .

3- يذكر ابن أبي زرع أنه قد كثر الواردون على ابن ياسين فبدأ يعلمهم القرآن ويرغبهم في ثواب الله حل وعلا ومحذره من مخالفة أوامر الشارع ، ولما كثر الناس سعاهم المرابطين للزومهم رابطته ، وأما عن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فيقول ابن أبي زرع صاحب روض القرطاس : « وأمرهم – أي ابن ياسين – بتقوى الله والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وأخبرهم بما في ذلك من ثواب الله تعالى وعظم الأجر ». ابن أبي زرع : المصدر السابق ، ص 126 .

4- نفس المصدر ، ص 125 ؛ سعدون نصر الله : المرجع السابق ، ص 29 وما بعدها ؛ عبد العزيز سالم : المغرب الكبير ، ج 2 ، دار النهضة العربية ، بيروت ، 1981 ، ص 695 .

5- ينقل ابن أبي زرع الحوار الذي دار بين ابن ياسين وأتباعه المرابطين حين أمرهم بالخروج للجهاد بقوله : « ثم دعاهم إلى جهاد من خالفهم من قبائل صنهاجة ، وقال لهم يا معشر المرابطين إنكم جمّع كثير ، وأنتم وجوه قبائلكم ورؤساء عشائركم ، وقد أصلحكم الله تعالى وهداكم إلى صراطه المستقيم فوجب عليكم أن تشکروا نعمته ... وتجاهدوا في سبيل الله حق جهاده ، فقالوا يا أيها الشيخ المبارك : مرتنا بما شئت تجدنا سامعين مطيعين ولو أمرتنا بقتل آبائنا لفعلنا ، فقال لهم أخرجوا على بركة الله ، وأنذرموا قومكم وخوفوهم عقاب الله ، وأبلغوهم حجته ». ابن أبي زرع : المصدر السابق ، ص 125 .

6- مجھول : الحلل الملوشية ، ص 21؛ سعدون نصر الله : المرجع السابق ، ص 30 .

الضارب.<sup>2</sup> وفي عام 440 هـ / 1048 م توفي الأمير يحيى بن إبراهيم الجدالي ، فتشاور الإمام ابن ياسين مع المرابطين واختاروا يحيى ابن عمر اللمتوني<sup>3</sup> الذي تمرد عليه قبيلة جدالة إلا أنه ردها إلى طاعته<sup>4</sup> ، ثم استشهد الأمير يحيى بن عمر عام 448هـ/1056م في قتال ضد قبيلة برغواطة فقدم ابن ياسين أخاه أبو بكر بن عمر اللمتوني وأمره بإتمام فتح المناطق الشمالية فغزا بلاد مصودة<sup>5</sup> والسوس وقد جعل على قيادة جيشه ابن عمه يوسف ابن تاشفين الذي دخلت معه دولة المرابطين مرحلة جديدة وذلك ببناء مدينة مراكش:<sup>6</sup>

### 3- الوضع المذهبي في بداية العصر المرابطي:

لم تعرف بلاد المغرب تنوعاً مذهبياً في الفكر العقدي والشرعى مثل التنوع الذى شهدته المشرق<sup>7</sup> ، فهذه الأرض لم تكن ولوداً للمذاهب ، ولا منشطة لما يتسلط من المشرق ، عزوفاً في كل ذلك عمّا ينشأ من كثرة المذاهب من اللجاجة والصخب.<sup>8</sup> ورغم ولوج أفكار بعض

الفرق إلى بلاد المغرب ، ممثلة في كل من الشيعة والمعزلة و حتى المرجئة و غيرها ، إلا أن هذه المذاهب لم يكن لها تأثير يذكر في عقيدة عامة الأمة ، وسرعان ما آل أمرها إلى الزوال.<sup>9</sup>

1- مجهول : الحلال الملوثية ، ص 21. ؛ يوسف أشباح : المراجع السابق ، ج 1 ، ص 69 .

2- سعدون نصر الله : المراجع السابق ، ص 31 .

3- يذكر البكري أن يحيى ابن عمر كان أشد الناس انقياداً لعبد الله ابن ياسين وامتثالاً لأوامره . البكري : المصدر السابق ، ص 166 .

4- المصدر نفسه ، ص 167 .

5- مجموعة قبائل عظيمة من البرانس ، تستقر هذه القبائل منذ القدم جنوب نهر أم الرياح والأطلس الكبير حتى شواطئ المحيط الأطلسي ، ولعبت دوراً كبيراً في تاريخ المغرب ، خاصة في عهد الموحدين . محمد سليمان الطيب : المراجع السابق ، ص 1056 ؛ وبصفتهم ابن حزم بأنهم كانوا ذويوا ثروة وعدد . ابن حزم : جمهرة انساب العرب ، ص 500 .

6- ابن عذاري : المصدر السابق ، ج 4 ، ص 19 - 20 ؛ ابن أبي زرع : المصدر السابق ، ص 98 ؛ ابن خلدون : العبر ، ج 6 ، ص 184 ؛ السلاوي : المراجع السابق ، ج 1 ، ص 107 ، ابن سعيد المغربي : كتاب الجغرافيا ، ص 125 .

7- تمت الإشارة لهذه الفكرة في الفصل الأول من الدراسة.

8- عبد المجيد النجار: تجربة الإصلاح في حركة المهدى بن تومرت،ص50.

1- عبد المجيد النجار: تجربة الإصلاح في حركة المهدى بن تومرت،ص50.

وما تلّاه المغرب بالقبول وظلّ به شاملاً وراسخاً على الأيام إنما هو مذهب السلف في العقيدة، ومذهب ملك في الفقه. وقد أدى افتقاد حركة الحوار التي يُحدثها تكاثر المذاهب واحتكاكها بعضها إلى التشبث المفرط بعذين المذهبين والانغلاق عليهما ورفض ما سواهما حتى في نطاق مذاهب أهل السنة نفسها.

ولما استولى المرابطون على المغرب، وكان المؤسس الروحي لدولتهم كما رأينا فقيها مالكيَا، ازدادت تلك البنية الثقافية توطّداً بما أصبح لها من السند السياسي، وأصبح كافة الناس يحملون على السلفية في العقيدة والمالكيّة في الفقه بتوجيهه من الفقهاء الذين كانت لهم السلطة في تقرير النمط الثقافي الذي ينبغي أن يسود.

وقد أدى الانغلاق على الفقه المالكي إلى إثارة كتب الفروع المؤلفة في المذهب بعد مالك، والاكتفاء بها عن أصولها من آثار مالك نفسه بل الرجوع إلى أصولها من نصوص القرآن والحديث، فساد بذلك واستحکم منهج في الفكر الشرعي يقوم على التقليد باعتماد الأقوال والتفریعات التي أثرت عن أتباع مالك وخاصة منهم ابن القاسم، وإهمال النظر في الأصول النصية لاستنباط أحكام مناسبة للنوازل المستجدة، وقد صور المراكشي هذا الوضع خيراً تصویر في قوله: « ولم يكن يقرب من أمير المسلمين ويحظى عنده إلا من علم الفروع أعني فروع مذهب مالك، فنفقت في ذلك الزمان كتب المذهب، وعمل بمقتضها ونبذ ما سواها، وكثير ذلك حتى نسي النظر في كتاب الله وحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلم يكن أحد من مشاهير ذلك الزمان يعتني بها كلّ<sup>1</sup> الاعتناء ».«.

وكما كان هذا المنهج الفروعي حائلاً دون الاعتناء بالأصول النصية فقد كان حائلاً أيضاً دون الاعتناء بالعلوم التي من شأنها أن تربّي الملكة الفقهية المتحرّرة مثل علوم أصول الفقه، وعلم الخلافيات القائم على المقارنة بين المذاهب، بل كانت هذه العلوم تلقى المعارضة الشديدة من قبل سياسة المرابطين الثقافية، فقد ذكر أن أبو الفضل بن النحو (ت 513 هـ / 1119) لما دخل

2- عبد الواحد المراكشي : المعجب : 236؛ عبد المجيد النجار: تجربة الإصلاح في حركة المهدي بن تومرت، ص 51.

سحملامة انتصب لتدريس علم أصول الفقه، فمَرَّ به أحد رؤساء البلد فقال: ما العلم الذي يقرئه هذا؟ فأخبر، فقال: هذا يريد أن يدخل علينا علوما لا نعرفها، وأمر بإخراجه.<sup>1</sup>

ولم يكن الفكر العقدي في العهد المرابطي أكثر افتاحا من الفكر الشرعي بل كان متأثرا به في الاكتفاء بالصور التي أثرت عن السلف إماراتا للنصوص على ظواهرها على نحو ما قرره مالك بنأنس في قوله: «الاستواء معلوم ، والكيف مجهول ، والإيمان به واجب ، والسؤال عنه بدعة»<sup>2</sup>، ورفضا لكل تأويل أو استدلال عقلي على حقائق العقيدة، ولذلك كانت المقاومة شديدة لعلم الكلام وأهله وهو ما صوره المراكشي في قوله: «ودان أهل ذلك الرمان بتکفیر کل من ظهر منه الخوض في شيء من علوم الكلام، وقرر الفقهاء عند أمير المسلمين تقبیح علم الكلام وكراهة السلف له، وهجرهم من ظهر عليه شيء منه، وأنه بدعة في الدين، وربما أدى أكثره إلى اختلال في العقائد، في أشباه هذه الأقوال، حتی استحکم في نفسه بعض علم الكلام وأهله، فكان يكتب عنه في كل وقت إلى البلاد بالتشديد في نبذ الخوض في شيء منه، وتوعّد من وجد عنده شيء من كتبه»<sup>3</sup>.

وفي غياب الفكر العقدي الموصّل لمسائل العقيدة، الجامع بين ما يبدو في ظاهره متنامرا من الآيات، المفسّر لما ورد من الصفات الخبرية، ربما تكون قد نمت بعض الأفهام العقدية في اتجاه التجسيم والتّشبّيـة خاصّة بين أولئك البدو الذين لم يحظوا بثقافة دينية متينة، وهو ما أشار إليه ابن حوقل في وصفه لأهل السوس إذ يقول: «والمالكيون من فظاظ الحشوية»<sup>4</sup> ، وإذا كان وصف أهل المغرب والمرابطين خاصّة بأنّهم من المشبهة والمحسّمة يعـدّ من مبالغة الموحـّدين فإنـّ من الثابت أنـّ الفكر العقدي في العهد المرابطي كان يقوم على منهج الأخذ بظواهر النصوص وحرفيتها ، والعزوف عن التأويل والاستدلال، وربما أدى ذلك عند البعض إلى ما يقارب التشبيه. وقد كان الفكر الفلسفـي يلاقيـه الفكر الكلامي استمدادـا في ذلك مما كان من العداء البالـغ بين مالـك

1- عبد المجيد النجـار: تجـربـة الإصلاح ،ص 51.

2- المرجـع نفسه:ص 52.

3- المراكـشي : المعـجب:ص 151؛ عبد المجـيد النـجـار: تجـربـة الإصلاح ،ص 52.

4- ابن حوقـل : صـورة الأرض : 90؛ عبد المجـيد النـجـار: تجـربـة الإصلاح ،ص 53.

وأتباعه وبين المتنحّلين للعلوم الفلسفية، وقد بلغ عداء أهل المغرب للفلسفة أن « كانت العامة في المغرب والأندلس كلّما قيل فلان يشتغل بالفلسفة أطلقت عليه اسم زنديق، فإن زلّ في شبهة رموه بالحجارة أو أحرقوه »<sup>1</sup> ولا شك أن هذه الروح كانت بتوجيهه من الفقهاء الذين كانوا في عهد المرابطين على الخصوص المحدّدين للمنهج الثقافي للأمة كما مرّ بيانه

يبدو مما تقدّم أن الوضع المذهبي بالمغرب أوائل القرن السادس كان يتصف بخطية في الفكر الشرعي والعقدي ترقى المقارنة والنقد، وتتسبّب الحوار بين الوجهات المختلفة، وتبعد عن التعامل المباشر مع الأصول في سبيل استخلاص رؤى تستجيب لمستجدّات الأوضاع إيثاراً في كلّ ذلك للرأي الشرعية والعقدية الموروثة عن فقهاء المالكية. وربما يكون من أسباب هذا الوضع ما وضعه المرابطون نصب أعينهم من هدف أساسى تمثل في تحقيق الوحدة المغربية، تلك الوحدة التي ظنوا أنها لا تتحقق إلا ب لهذا الضرب من الخطية والتقليل.<sup>2</sup>

#### 4- الدولة المرابطية والمذهب الأشعري:

لقد كان الإسلام في عهد المرابطين هو الإسلام السنّي على مذهب الإمام "مالك"، و لكن هناك فارق كبير بين المذهب السنّي الذي ظهر في المغرب منذ الفتح واستمر أيام الأغالبة وبين التطور الذي شهدته أيام المرابطين في القرنين الخامس والسادس.

ذلك أن الإسلام فيما سبق أيام الأغالبة والأدارسة كان إسلام للزهاد والمتعبدين الذين شغلو أنفسهم بعلوم الآخرة القائمة على معرفة الله تعالى عز وجل و الخوف منه، أما الإسلام في عهد الملثمين (المرابطين) فتغيرت الصورة النقيّة للإسلام السنّي، لأنّهم انكبوا على فروع الفقه و خاضوا في الخلافيات خوضاً جعلهم ينسون كتاب الله و علوم الحديث و ذلك لجهلهم بها و عدم تذوقهم لها.<sup>3</sup>

1- المقري : نفح الطيب:، ج 1، ص 102؛ عبد المجيد النجاشي: تجربة الإصلاح في حركة المهدي بن تومرت، ص 53.

2- عبد المجيد النجاشي: تجربة الإصلاح في حركة المهدي بن تومرت، ص 53، 54.

3- يحيى هويدى: المرجع السابق، ج 1، ص ص: 201 ، 202 .

فقد قضى المرابطون على بقايا المذاهب التي كانت متواجدة في المغرب، و هو أثر المذهبين الإباضي والصفرى في ما سالوه من بلاد المغرب الأوسط وإقليم سجلماسة<sup>1</sup>، و اعتبروا أهل الكلام أهل بدع و لا تقبل لهم شهادة في الإسلام، و أمروا بمحررهم و تأديبهم على بدعهم، و يرجع موقفهم هذا إلى تأثّرهم الشديد "بمالك بن أنس" ، حيث روي عنه أنه كان يقول: «الكلام في دين الله أكرهه، و لا أحب إلا فيما تخته عمل، أما الكلام في الله و دين الله فالسكتوت أحب إلي...»<sup>2</sup>

فقد أكفى معظم الفقهاء بالكتب و مؤلفات الفقه المالكي و انصرفا عن الأصول، من هذه المؤلفات "مدونة سحنون" و كتاب "أبي سعيد بن يونس" و "نوادر أبي زيد و مختصراته" و كتاب "التهذيب للبرادعي" ، و "واضحة ابن حبيب" و التي كان معظم الفقهاء يقتصرن عليها و على تطبيق ما فيها دون تكليف أنفسهم الرجوع إلى أصول الشريعة و هي الكتاب و السنة، فكان معظمهم لذلك مقلدين قد استغنووا عن الاجتهاد بالتقليد.<sup>3</sup>

و في هذا الصدد يتحدث صاحب جذوة المقتبس عن التعجب الذي أبداه "عبد الله بن أبي زيد القيرواني"<sup>4</sup> (ت 386 هـ) عندما سُئل أحد القادمين إلى القيروان من بغداد هل حضرت مجالس أهل الكلام؟ فوصف له مجلس من تلك المجالس اجتمع فيه بعض الفرق المسلمين، و جعلوا ينتظرون بحجج العقل و القياس إلا بأدلة النص، هذا ما جعل "عبد الله بن أبي زيد" يتعجب و يقول: «ذهبت حرمة الإسلام و علماؤه». <sup>5</sup>

1- حسين مؤنس، تاريخ المغرب و حضارته ، ج 2، ص:110.

2- إبراهيم التهامي: جهود علماء المغرب في الدفاع عن عقيدة أهل السنة ، ص: 107

3- حسين مؤنس: تاريخ المغرب و حضارته، ج 2، ص: 140 ، 141.

4- عبد الله بن عبد الرحمن بن أبي زيد القيرواني، فقيه مالكي من أعيان القيروان، كان إمام المالكية في عصره، من أشهر تأليفه : "الرسالة" ، "النوادر و الزبيادات". انظر ترجمته: الفصل الثاني من الدراسة.

5- أبو عبد الله بن محمد بن أبي نصر الحميدي: جذوة المقتبس في ذكر ولادة الأندلس، الدار المصرية للتتأليف، القاهرة، 1966م، ص ص: 109،110.

و من هنا يتضح أن الجدل في العقائد لم يكن ظاهرة ذات بال ببلاد المغرب، و لم يكن وجوده إلا قليلاً و شاذًا، إذ بقيت الساحة الفكرية فيه خالصة لعقيدة السلف عقيدة أهل السنة التي مثلها المذهب المالكي.<sup>1</sup>

و على هذا الأساس بحد أهل المغرب يتقيدون بآراء "مالك" و لا يكادون ييرحون عنها قيد أئملا، فاشتبأوا في ذلك إلى درجة لم يعودوا يرجعون للأصول "القرآن و السنة" عند استنباط الأحكام، و إنما اتجهت عنایتهم إلى كتب الفروع التي صنفها إمام المذهب و أتباعه.<sup>2</sup>

و قد صور لنا "الراکشی" ذلك في قوله: «... و لم يكن يقرن من أمير المسلمين و يحظى عنده إلا من علم الفروع أعني فروع مذهب الإمام "مالك"، فنفت في ذلك الزمان كتب المذهب و عمل بمقتضاها و نبذ ما سواها، و كثر ذلك حتى نسي النظر في كتاب الله و حدث رسول الله صلى الله عليه وسلم، فلم يكن أحد من مشاهير أهل ذلك الزمان يعتني بهما كل الاعتناء...».<sup>3</sup>

و هذه الصورة الصادقة التي قدمها لنا صاحب "المعجب" و صور لنا فيها اهتمام المرابطين بعلوم فروع الفقه يؤكدها ما نطالعه من تراجم الفقهاء في كتب الطبقات، و يروي لنا "الخشنی" في كتاب "طبقات علماء إفريقية" هذه القصة، و هي كبير الأدلة على ما وصل إليه ازدهار الدراسات الفقهية في هذا العهد (عهد المرابطين) مع إهمال تام لعلوم الحديث و السنة ، فقد روى أن مغرياً جمعه الطريق بالحجاز برجل بગدادي، و كان إذ ذاك يرى "مالك" ، فقال البغدادي: «روي عن النبي صلى الله عليه وسلم كذا» فقال له المغربي: «فيما أنكر مالك لا يرى ذلك»، فقال البغدادي: «شاهدت وجوهكم يا أهل المغرب، تعارضون قول النبي بقول مالك».<sup>4</sup>

1- ابن رشد: مسائل أبي الوليد ابن رشد، تحقيق محمد الحبيب التحكاني، الدار البيضاء، دار الآفاق الجديدة، ج 1، ط 1، 1992، ص: 34.

2- أحمد شلبي: التاريخ الإسلامي ، ج 4، ص: 185.

3- عبد الواحد الراکشی: المعجب في تلخيص أخبار المغرب، ص: 151.

4- الخشنی: طبقات علماء إفريقية، ص: 214.

وهكذا فقد شكل التمكّن الفقهي الذي أدى إلى التمكّن في التصور العقدي وحدة تقول على الانتماء المذهبي العام إلى الإمام "مالك" و مذهبة.<sup>1</sup>

القرآن بالإضافة إلى اهتمام المرابطين بعلم الفتاوى و الفروع و جمودهم عند الخلافيات الفقهية لجهلهم بأصول الفقه و علوم الحديث و السنة، فإن ثمة اتجاهها آخر يميز فلسفة الإسلام في هذا العهد، و يتمثل في تشدد المرابطين و ترُؤُّ لهم إلى التجسيم، و هذا ما نلمسه في النقد الذي وجهه "ابن تومرت" لهم، و قد أطلق عليهم "حشوية الفروع"، و "ابن تومرت" عندما يصف المرابطين بالتجسيم و التشبيه لا يفصل القول كثيراً في ماهية هذا التجسيم و التشبيه، إلا أننا نشتئ من اتجاهه إلى تأويل الآيات المشابهة في القرآن تأويلاً عقلياً يذكرنا بتأويل المعتزلة لها، وإنه لم يتجه هذا الاتجاه إلا لأن المرابطين كانوا ينحون في تفسيرها منحى تجسيمية على نحو ما كانت تفعل الحشوية و الكرامية مثلاً.<sup>2</sup>

- فما هو موقف علماء الدولة المرابطية من دخول الفكر الأشعري إلى بلادهم؟

#### 4-1- موقف العلماء من تسرب الفكر الأشعري :

إن المذهب العقدي الذي كان سائداً و رسمياً في زمن المرابطين كما رأينا هو مذهب أهل التسليم و التفويض الذي كان له أقطاب يدافعون عنه، و مثلون يسطرون مبادئه و محتوياته؛ ولكن على الرغم من ذلك فقد عرفت هذه الفترة تراكمًا كمياً لأفكار الأشاعرة، كما نلاحظ ممثلين لهذا المعتقد أيضاً.<sup>3</sup>

و مع بداية تسرب أفكار المذهب الأشعري لبلاد المغرب، فقد قام علماء المرابطين بالرد على أفكار المذهب سواء على علمائه أو على المصنفات و الكتب التي تحمل أفكار الأشعرية لمحاولة طمس أفكاره و أرائه منذ بدايتها.

حيث أن عقيدة المغاربة كانت تنفي كل ما من شأنه أن يؤدي إلى الغوص في المسائل العقدية، و كانت تقوم على إقصاء المذاهب الأخرى التي تختلفها في الاتجاه، و في مقدمتها

1- عبد المجيد النجار: فصول في الفكر الإسلامي بالغرب، ص ص: 42 - 43.

2- يحيى هويدى، المرجع السابق: ج 2، ص ص: 208 - 212.

3- يوسف أحناة: تطور المذهب الأشعري في الغرب الإسلامي، ص 61.

المذاهب الكلامية، و لما كان المذهب الأشعري مذهب كلامي فقد لقي معارضة شديدة من المذهب المالكي الممثل من طرف الدولة المرابطية.<sup>1</sup>

و قد وصف لنا "الراکشی" عداء أهل المغرب للعلوم العقلية الكلامية و خاصة أيام المرابطين فقال: «و دان أهل ذلك الزمان بتکفیر كل من ظهر منه الخوض في شيء من علوم الكلام... و توعد من وجد عنده شيء من کتبه».<sup>2</sup>

إلا أنه إذا حاولنا أن نستقصي سبب هذا العداء، و ذلك بناء على ما ورد في بعض المصادر من معطيات سنأتي على ذكر سببين هما:

أحدهما: هو أن ذلك التشديد و المنع من الخوض في علم الكلام إنما كان المقصود به في الأساس حفظ عقائد العامة من جمهور المسلمين و حجزهم عن الوقوع في الشبهات، و نحن نعلم أن درء الفساد عن العقول العامة مهمة كبيرة من مهامات العلماء. و هي مهمة قاموا بها في كل أنحاء العالم الإسلامي و على مر العصور، إلا أن الفارق في عهد المرابطين هو وجود دولة و جهاز حاكم ساند توجيهات الفقهاء المالكين و طبق تعليماتهم.<sup>3</sup>

و من العلماء الذين أخذوا على عاتقهم حفظ عقائد العامة بمنعهم من الخوض في علم الكلام نجد الفقيه "أبو الوليد بن رشد"<sup>4</sup>، و على الرغم من أنه انتصر لأقطاب المذهب الأشعري

1- محمد عبد الهادي شعيرة: المرابطون و تاريخهم السياسي(430 - 539)، ط1،مكتبة القاهرة الحديثة:القاهرة، 1969م،ص ص 15-37.

2- عبد الواحد الراکشی: المعجب، ص: 151.

3- عبد الله بن يه: الأثر السياسي للعلماء في عصر المرابطين، ص: 120.

4- أبو الوليد محمد بن أحمد بن رشد القرطبي المالكي، تفقه على يد أبي جعفر أحمد بن رزق، توفي سنة 520 هـ، و كان فقيها عالما حافظا للفقه مقدما فيه على جميع أهل عصره نافذا في علم الفرائض والأصول من أهل الرياسة في العلم والبراعة وقد تولى قضاة قرطبة تحت إلحاح أمير المسلمين علي بن يوسف وكان ابن رشد كارها لهذه التولية فاستعنف منها بعد أربع سنوات من ممارسته لها التي سار فيها بأحسن سيرة وأقوم طريقة ورجع إلى نشر العلم فرحل الطلبة إليه من أقطار الأندلس للتلقفه وقد اجمع من ترجعوا له بأنه كان ناسكا عنيفا سهل الحجاب وأستاذًا بطبعه يحب التدريس ويحسن طرق التبليغ تسعفه مادة علمية غزيرة وتفكير منظم وحرص على نفع الطلب وقد أعطاهم كل ذلك مكانة مرموقة عند الخاصة والعامة فكان مقدما عند أمير المسلمين علي بن يوسف عظيم المنزلة عنده معتمدا على فتواه استخدم ابن رشد هذه المكانة الرفيعة لرعاية أهل بلده وخدمتهم فكان الناس يلجنون إليه ويعولون في مهماتهم عليه كثير النفع لأصحابه جميل العشرة لهم كثير البر بهم. وكانت له مواقف

في إحدى الأسئلة التي وجهت له، واعتبر كل من قال بجهلهم وضلالهم مبتدع زائغ، إلا أننا بعده فيما بعد يصدر فتواً يمنع فيها العامة من الإقبال على قراءة الكتب المتكلمين بما فيهم الأشاعرة، وأكثر من هذا فقد أكد فيما بعد على أن كل مصر على ضرورة تعليم عامة الناس المعتقد الأشعري يعتبر كافراً، وقد بذر "ابن رشد" موقفه هذا بأن العامة غير قادرٍ على معرفة الله معرفة صحيحة بطريقة الأشاعرة لغموضها، وأن محاولة خوض العامة في مثل هذا قد يؤدي بهم إلى المروق عن الدين، وفي المقابل أمرهم أن يقتصرُوا فيما يلزم الاعتقاد على الاستدلال الذي نطق به القرآن الكريم و السنة النبوية.<sup>1</sup>

أما الثاني: فهو خوف الفقهاء من أن يحتل أصحاب علم الكلام المكانة التي كانوا يحتلونها لدى الأمراء المرابطين. و عن المبلغ الذي بلغه الفقهاء المالكين على عهد المرابطين يحدثنا "المراكشي" فيقول: «.... لم يزل الفقهاء على ذلك و أمور المسلمين راجعة إليهم و أحکامها صغیرها و کبیرها موقوفة عليهم طول مدته، فعظم أمر الفقهاء و انصرفت وجوه الناس إليهم، فكثرت بذلك أموالهم و اتسعت مکاسبهم». <sup>2</sup> و ما حادثة إحراق كتب "الغزالى" و في مقدمتها كتاب "إحياء علوم الدين"<sup>3</sup> إلا أكبر دليل على ذلك.

فلما كان للفقهاء قوة نافذة في الدولة و فتواهم نافذة في السياسة و نافذة في الدين، فأقدم بعض العلماء المرابطين على التنديد بكتاب "إحياء علوم الدين" و قاموا بالرد عليه، ثم أفتوا بمنعه من

= عظيمة مثل موقفه وبلاعه في إخراج ثورة أهل قرطبة وأواخر سنة 514هـ وقد أثرى ابن رشد الميدان الفقهي بمؤلفاته نذكر منها على سبيل المثال "البيان والتحصيل" وهو أهم مؤلفاته وهو كتاب جليل يعتبر أحد أهم أمهات كتب المذهب المالكي ومن أهميته أن ابن رشد طلب الإعفاء من القضاء لأجل إملاء هذا الكتاب على الطلبة وكذلك كتاب المقدمات المهمات. ينظر: ابن بشكوال: الصلة، ج 2، ص: 546. 547؛ محمد بن مخلوف: شجرة النور الركية، ج 1، ص: 129؛ القاضي عياض: الغنية، تحقيق: ماهر زهير حرار، ط 1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1982 ص: 118؛ المقرى: نفح الطيب، ج 2، ص: 272؛ عصمت عبد اللطيف دندش: الأندلس في نهاية المرابطين و مستهل الموحدين عصر الطوائف الثاني، ط 1، دار الغرب الإسلامي، بيروت ، لبنان، 1988، ص 390.

1- يوسف أحنانة: تطور المذهب الأشعري ، ص ص: 72 - 73 .

2- عبد الواحد المراكشي: المعجب ، المصدر السابق، ص: 150 .

3- نظرة الغرب الإسلامي أيام المرابطين و الموحدين لهذا الكتاب ينظر: محمد المنوبي: حضارة الموحدين، ص 191 - 199 .

التداول، ثم قام نفر منهم و خصوصا علماء قرطبة على رأسهم القاضي "ابن حمدين"<sup>1</sup> باستصدار أمر من الأمير "علي بن يوسف"<sup>2</sup> بإحراق كتاب "إحياء علوم الدين" فتم ذلك سنة 503 هـ/1109 م بالمسجد الجامع بقرطبة<sup>3</sup>، واستمر التحرير و جدد عام 538 هـ/1143 م<sup>4</sup>، ولم يتوقف الأمر عند هذا الحد بل أجريت عمليات تفتيش على مستوى المكتبات و تحريف الناس بأغلظ الأيمان أن ليس عندهم نسخ من الإحياء.<sup>5</sup>

و على الرغم من تعدد الأسباب التي حذرت بالعلماء المرابطين إلى القيام بعملية حرق هذا الكتاب كاشتماله على أحاديث ضعيفة و أخرى موضوعة، و كذلك احتواه على أراء فلسفية لم تكن معروفة لدى أهل المغرب الإسلامي، إلا أن هناك سببا آخر يعزز ما نبهنا إليه سابقا و هو تعریضه بالفقهاء و تشنيعه عليهم.<sup>6</sup>

و ما قاله الغزالى في هذا الصدد « شغر منهم الزمان و لم يبق إلا المترسون، و قد استحوذ على أكثرهم الشيطان و إستغواهم الطغيان و أصبح كل واحد يعاجل حظه مشغوفا»<sup>7</sup>، و إلى غير ذلك من العبارات الحارحة بحق الفقهاء التي ملأ بها الغزالى مقدمة كتابه، و بثها في ثنايا أجزائه.

و هكذا لما رأى فقهاء قرطبة في كتاب الإحياء دعوة مباشرة للحد من نفوذهم و الثورة عليهم تحندوا ضده وقاد الحملة كما أشرنا من قبل "ابن حمدين" الذي كان شغوفا بتزكية منصبه السياسي، و يذكر "محمد عابد الجابري" أنه كان على رأس الفقهاء في الأندلس في عصر المرابطين أسرتان "بنو حمدين" و "بنو رشد"، و كان "بنو حمدين" طموحين سياسيا ميالين إلى ترجمة

1- أبو عبد الله محمد بن علي بن عبد العزيز بن حمدين الأندلسي المالكي، قاضي قرطبة على عهد الأمير المرابطي علي بن يوسف بن تاشفين، توفي سنة 508 هـ. ينظر ترجمته: الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج 20، ص: 422.

2- علي بن يوسف بن تاشفين، رابع الأمراء المرابطين (500 - 533 هـ)، راجع: محمد شعيرة، المراجع السابق: ص: 87.

3- ابن عذاري: البيان المغرب في أخبار الأندلس و المغرب، ج 4، ص: 59.

4- محمد شعيرة: المراجع السابق: ص 251.

5- رابح بونار: المراجع السابق، ص: 270.

6- محمد بيه: المراجع السابق، ص: 126 .

7- الغزالى: إحياء علوم الدين، ص 08.

مكانتهم العلمية و الاجتماعية إلى نفوذ سياسي مباشر.<sup>1</sup> ، و من مظاهر الطموح السياسي لبني حمدين قيام أحد أفراد هذه العائلة وهو أبو جعفر بإعلانه ثورة على والي قرطبة المرابطي، و تنصيب نفسه واليا عليها سنة 539 هـ/1144 م<sup>2</sup>

و في الحقيقة أنه بالرغم من كون الفتوى التي أصدرها "ابن حمدين" في حق "الغزالى" كانت تهدف إلى طمس أفكار و أراء هذا الإمام و الحيلولة دونها و دون عقول المغاربة، إلا أن النتيجة التي كان يرجى حصولها كانت نسبية للغاية، فعملية إحراق الكتب دفعت بالكثير من أهل المغرب إلى البحث في حقيقتها و استجلاء مضامينها، و بالتالي فقد ساعدت هذه العملية و لو على المدى البعيد على التعريف بالمذهب الأشعري بالمغرب الإسلامي و ليس الحد منه.

و زيادة على ذلك أن كتاب "إحياء علوم الدين" الذي نال القسط الأكبر من سخط "ابن حمدين" و أتباعه هو الذي رفع من شأنه و سما به إلى درجة الحجية في الإسلام (حجـة الإسلام)، فهو يبيـن من ناحية تبـحر "الغزالى" في معرفة المذاهب الإسلامية المختلفة من مذاهب أهل السنة و الشيعة و المتكلمين، ثم الصوفية، و هو من ناحية أخرى يمثل مشروع "الغزالى" الإصلاحي الذي يهدف إلى لم شمل الفرق الإسلامية المختلفة تحت مظلة واحدة تعـيد إلى الدين حـيويـته و شـبابـه بفضل التـفكـير المنـطـقـي سـمة المـعـرـفـة العـقـلـيـة، و الشـفـافـيـة الروـحـيـة سـمة الـوعـي الـقـلـبـيـة (الصـوـفـيـ)، و عن طـريق التـمـسـك بالـعـلـم الـأـخـرـوـي و نـبذـ كل ما دونـهـ منـ الـعـلـم الـدـنـيـوـيـ الـذـي لاـ يـيـتـغـيـرـ بـهـ وـجـهـ اللهـ عـزـ وـجـلـ بلـ إـرـضـاءـ السـلاـطـينـ وـالـمـلـوـكـ.<sup>3</sup>

لقد كان نفور المالكيـن المغارـبة من علم الكلام مـقـرـونـاـ بالـابـتعـادـ عـنـ الرـأـيـ وـ التـأـوـيلـ وـ إـقـرـارـ المـتـشـابـحـاتـ فيـ الآـيـاتـ الـكـرـيمـةـ مـلـتـزـمـينـ بـالـنـصـ الـحـرـفيـ أوـ التـفـسـيرـ الـظـاهـرـيـ لـالـآـيـاتـ الـخـبـرـيـةـ، وـمـرـجـعـيـتـهـ الـتـيـ اـسـتـنـدـواـ عـلـيـهـ فـيـ ذـهـبـواـ إـلـيـهـ هـيـ الـإـقـتـداءـ بـالـسـلـفـ الـصالـحـ وـ عـلـىـ رـأـسـهـمـ "الـإـمـامـ مـالـكـ بـنـ

1- محمد عابد الجابري: ابن رشد- سيرة و فكر- دراسة ونصوص، ط 2، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 2001، ص: 26

2- عبد الكريم توقي: مأساة أئمـار الـوـجـودـ الـعـرـبـيـ فـيـ الـأـنـدـلـسـ، ط 1، مـكـتبـةـ الرـشـادـ، الدـارـ الـبـيـضاـءـ، 1967م، صـ صـ: 361 - 359

3- سـعـدـ زـغـلـولـ عـبـدـ الـحـمـيدـ: تـارـيـخـ الـمـغـرـبـ الـعـرـبـيـ، جـ 4ـ، صـ: 416

"أنس"<sup>1</sup>، وقد كان لنزوعهم إلى مثل هذا الاتجاه أن ابتعدوا عن أولئك الذين نحوا منحى مخالف للظاهر، و تبناوا مقالات جديدة غير تلك التي هي متداولة عندهم.

و اعتبروهم زنادقة و أهل بدع<sup>2</sup>، بل إنهم كانوا في كثير من الأحيان يحكمون عليهم بالإعدام.<sup>3</sup>

و من كل ما سبق نستشف أن عداء الفقهاء المالكين ببلاد المغرب الإسلامي لم يكن موجهاً للأشاعرة فحسب، بل كان عاماً، فالمدرسة المالكية لم تكتف بعدم السماح لأي مدرسة فقهية أخرى بالازدهار فحسب، بل عملت على استبعاد أي تغيير أو تطور فيها، و كانت ترتاب من كل جديد في مجال المبادئ الفقهية و العلوم الدينية.

إلا أن بعض المصادر أوردت إشارات متفرقة تدل على أنه كان هناك اتجاه خاص يعادي الأشعرية بالذات، منها ما ذكره "إبن الفرضي" عند حديثه عن أحد الأئمة المالكين ببلاد المغرب الإسلامي و هو الإمام "القططاني"<sup>4</sup> أنه عدّ الأشاعرة كفاراً و زنادقة، و قال فيهم: «يا أشعرية يا زنادقة الورى».<sup>5</sup>

و من جهة أخرى فإن السؤال الذي ورد على "أبو الوليد بن رشد" (ت 520 هـ/1126م) و الذي سُأله فيه صاحبه عن رأيه في أئمة الأشعرية أمثال "أبي الوليد الباقي" (ت 474 هـ/1081م) و "أبي المعال الجوني" (ت 478 هـ/1085م) و نظرائهم من انتحل الطريقة الأشعرية، أهُم أئمة إرشاد أم قادة ضلال؟ و ماذا يقول في قوم يسبُّونهم و يسيّبون كل من ينتمي إلى الأشعرية و يكفرون بهم و يتبرّؤون منهم، و يحرّفون بالولاية عنهم و يعتقدون أنهم على ضلاله إعتبره "التهامي" على أنه دلالة واضحة على وجود إتجاه في المغرب كان أصحابه ينقمون على

1- أحمد محمود صبحي: المرجع السابق، ج 2، ص: 229.

2- أخل حثاثل بالشيا: تاريخ الفكر الأندلسي، ترجمة حسين مؤنس، مكتبة الثقافة الدينية، بورسعيد، (دـ ت)، ص ص: 430 - 431.

3- ماريا إيزابيل فيريو: الزنادقة و البدع في الإسلام، ضمن كتاب جماعي "الحضارة العربية الإسلامية بالأندلس" بإشراف سلمى حضراء الجيوسي، ط 1، ج 1، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 1998م، ص: 1254.

4- أبو محمد عبد الله بن محمد الأندلسي القططاني المالكي. انظر ترجمته : أبو الوليد عبد الله بن محمد ابن الفرضي: تاريخ علماء الأندلس، ج 2، الدار المصرية للتتأليف والترجمة، القاهرة، 1966م، ص 89.

5- المصدر نفسه: ج 2، ص: 89.

علماء الأشعرية خصوصاً، و من ينتحل علم الكلام عموماً، و قد أدىت بهم هذه النكمة إلى سب كبار الأشاعرة و الانتقاد من قدرهم.<sup>1</sup>

و علاوة على ذلك الاتجاه العام المعادي للأشعرية وجد اتجاه آخر يمثله بعض الأفراد، كانوا أكثر من شنع على الإمام الأشعري وأصحابه، و في مقدمتهم "ابن حزم الظاهري"<sup>2</sup> (ت 456 هـ/1064م)، فقد حمل عليهم حملة عشواء، و شنع عليهم في العديد من مصنفاته، و من أقواله: «و تقصّينا الرد على هذه المقوله الملعونة (يعني الأشعرية) في كتاب لنا واسمه: "كتاب اليقين في النقض على الملحدين المحتجين عن إبليس اللعين و سائر الكافرين" تقصّينا فيه كلام رجل من كبارهم من أهل القيروان اسمه "عطاف بن دوناس" في كتاب أله في نصر هذه المقالة».<sup>3</sup>

و في موضع آخر وصف الأشعرية بالفرقة الملعونة، بل أنه لا يتوانى عن لعنهم بين الحين و الآخر، حيث يقول: «لعن "ابن فورك" و أشياعه و أتباعه»<sup>4</sup> ، كما أنه وصف "الباقلاني" بالجهل في قوله: «لقد كذب هذا الجاحد و أفك».<sup>5</sup>

و انطلاقاً من القاعدة التي تقول: «لكل فعل ردة فعل»، لا يمكن تصور الأشاعرة ببلاد المغرب الإسلامي قد وقفوا أمام الحملات التي كانت تشن ضدهم موقف المتفرج، و إنما كان لهم موقفاً معادياً، و كانت ردة فعلهم قوية.

و من صور ذلك الموقف المناهض، المناظرة التي جمعت بين "أبو الوليد الباقي" و "ابن حزم" ، و التي تمكن فيها "الباقي" من إفحام "ابن حزم" ، و عنها يحدثنا القاضي "عياض" فيقول: «... فلما ورد "أبو الوليد" الأندلس و عنده من الإتقان و التحقيق و المعرفة بطرق الجدل و المناظرة ما

1- كمال السيد أبو مصطفى: دراسات أندلسية في التاريخ و الحضارة، مركز الإسكندرية للكتاب، الإسكندرية، 1997م، ص: 26.

2- ابن حزم بن أحمد بن سعيد بن حزم الظاهري، كان صاحب حديث و فقه و حدخل، كان شافعيا ثم صار ظاهريا، ولبث عليه إلى أن مات سنة 456 هـ من مؤلفاه "أخلاق النفس" و "طوق الحمام". انظر ترجمته: المقري: نفح الطيب، ج 2، ص: 283.

3- ابن حزم: الفصل في الملل و النحل، ج 4، ص: 207.

4- المصدر نفسه: ج 4، ص: 221.

5- المصدر نفسه: ج 1، ص: 112.

حصّله في رحلته، أمنه الناس لذلك، فجرت له معه مجالس كانت سبب فضيحة "ابن حزم" ...<sup>1</sup>.

كما أن من صور دفاع أشاعرة بلاد المغرب الإسلامي عن أنفسهم هو وضعهم للمؤلفات والتصانيف لدرء شوك واتهامات المعادين. من هذه المؤلفات كتاب "أحكام الفصول في أحكام الأصول" للباجي<sup>2</sup>، وقد وضعه بعد مناظرته مع "ابن حزم"<sup>2</sup>، وكتاب "النكت القطعية في الرد على الحشوية" للمازري<sup>3</sup>.

#### 4- وضعية الأشعرية في العصر المرابطي:

يرى أحناة أن تاريخ المرابطين طاله الكثير من التشويه، ولحقه المزيد من التزوير من طرف المؤرخين القدماء. وما ذلك إلا لكون تاريخهم لم يكتب إلا زمن خصومهم السياسيين أعني الموحدين، فقد ساد في أفهام الناس، وتكرس لديهم، من خلال هؤلاء المؤرخين أن المرابطين كانوا على عقيدة التجسيم والتшибie. كما أن مجتمعهم كان من طبيعة أمومية تسيطر فيه المرأة على الرجل . أضعف إلى ذلك أن عقيدة أهل الحل (الأشاعرة) لم تعرف طريقها إلى الغرب الإسلامي إلا زمن الموحدين.<sup>4</sup>

والواقع أنه بقدر ما انتاب تاريخ المرابطين من تحريف وتزوير، بقدر ما ازداد شغف الباحثين وتطلعهم لاستجلاء الواقع، والكشف عن الحقائق. وتخمنا من جهتنا أن نقف على الجانب العقدي في اللحظة المرابطية لتحقق هل بالفعل كانت العقيدة السائدة في زمن المرابطين هي عقيدة التجسيم والتшибie؟ وهل المذهب الأشعري لم يعرف وجوده في هذه الفترة؟

1- القاضي عياض: ترتيب المدارك، ج 2، ص 805.

2- ماريا إيزابيل فييرا: المرجع السابق: ج 2، ص 1246.

3- إبراهيم التهامي: جهود علماء المغرب في الدفاع عن عقيدة أهل السنة، ص 271.

4- يوسف أحناة: تطور المذهب الأشعري في الغرب الإسلامي، ص 61.

الحقيقة أن تأسيس دولة المرابطين قام على شيء من الاعتقاد الأشعري، لكن الظروف كانت أقوى من أن يجعل المرابطين يستعيضون بهذا المذهب الجديد عن مذهب عقدي كان قد ترسخ وعرف جذوره في جميع أوساط الغرب الإسلامي.<sup>1</sup>

لقد أعطى لنا المؤرخ عبد الواحد المراكشي معلومات مفيدة عن وصف وضعية المذهب الأشعري بال المغرب في عصر المرابطين ، وأكد أن أهل المغرب في هذا العصر كانوا ينافرون علم الكلام على الطريقة الأشعرية معتبرين إياها "بدعة في الدين" ، لأنهم كانوا على خطى « السلف في ترك التأويل وإمرار المتشابهات كما جاءت »<sup>2</sup>. يستنتج من هذه الشهادة أن المذهب الأشعري كان موجودا بالفعل خلال هذا العصر، لكن انتشاره كان يعاني من بعض الصعوبات. ومع ذلك نقف في كتب التراجم على أسماء عدد من علماء الكلام بال المغرب الأقصى في هذا العصر من درسوا الأشعرية وألفوا فيها، من أشهرهم أحد أئمة هذا العلم وهو أبو بكر بن الحسن المرادي الحضرمي<sup>3</sup>، يعتبره ابن الزيات "من كبار الفقهاء الأصوليين، أصله من القيروان، وقد قربه أبو بكر بن عمر مؤسس دولة المرابطين بأغمات بعد وفاة عبد الله بن ياسين"<sup>5</sup>، وقد رحل من إفريقية إلى الأندلس ثم دخل المغرب الأقصى، وارتسם في سلك الأمير أبي بكر بن عمر المتنوي ورافقه إلى صحراء المرابطين، وبقي هنالك قاضيا إلى أن توفي بأزكي سنة 489هـ/1096م. كان الإمام الحضرمي « رجلا نبيها عالما وإماما في أصول الدين، وله نهوض في علم الاعتقادات والأصول »<sup>6</sup>،

1- يوسف أحناة: تطور المذهب الأشعري في الغرب الإسلامي، ص 61.

2- المراكشي: المعجب، ص 172.

3- محمد المغراوي: تطور المذهب الأشعري بال المغرب الأقصى إلى حدود العصر المرابطي، ص 140.

4- يحتمل أحناة إمكانية أن يكون أبو بكر الحسن بن المرادي تلميذا للإمام أبو عمران الفاسي فيقول: "... إن نبوغ أبي عمر الفاسي وتضلعه في الفقه المالكي، والعقيدة الأشعرية دفعه إلى تأسيس دولة جديدة بال المغرب الأقصى كان يهدف منها أن تكون عقيدتها الرسمية هي عقيدة الأشاعرة لكن تجري الرياح بما لا تشتهي السفن، فقد تأسست فعلا دولة المرابطين الملثمين وفق تحضيره وهندسته لكنه لم يعاصر ولم يواكب هذا التأسيس، حتى يتمكن من الإشراف عليه، وتوجيهه الوجهة التي يرتضيها. فقد مات قبل قيام هذه الدولة، لكن شخصا من المتحمل أن يكون تلميذا له هو الذي سيتولى هذه الموكبة والتنظيم لهذه الدولة الجديدة وتوجيهها توجيهها سياسيا، ويتعلق الأمر بأبي بكر محمد بن الحسن الحضرمي المرادي..." تطور المذهب الأشعري في الغرب الإسلامي، ص 65.

5- ابن الزيات التادلي: التشوف إلى رجال التصوف، ص 106.

«<sup>1</sup>، وبسبب تبريزه فيها اعتبره ابن الزيات التادلي «أول من أدخل علوم الاعتقادات إلى المغرب الأقصى»<sup>2</sup>. وألف كتاباً سماه "التجريد في علم الكلام".

و صاحب كتاب "الإشارة إلى أدب الإمارة" الذي اشتهر بهذا الكتاب وصنف ضمن العلماء الذين أسهموا في علم السياسة العربي الإسلامي. لكن في مجال العقائد ظل الالتباس يحوم حوله، بحيث لا يدرى الباحثون أهو من أهل التسليم والتفويض أم من الأشاعرة؟<sup>3</sup>

والحقيقة أن النصوص لتضمن علينا في استجلاء موقف هذا الرجل العقدي والبت في انتمامه الكلامي، فكل ما ترويه عنه بعض النصوص القديمة أنه كان «أول من أدخل علوم الاعتقادات بالغرب الأقصى»<sup>4</sup> علماً أن علوم الاعتقادات كانت تعني في هذه الفترة علم الكلام الأشعري في مقابل أصول الديانة التي كانت تعني معتقداً أهل التسليم والتفويض.

بالإضافة إلى ما سبق فإن تلميذه المباشر الذي اختص به ولازمه، وخلفه في علوم الاعتقادات كما يؤكد على ذلك صاحب التشوف هو أبو الحاج يوسف بن موسى الضرير (ت 520 هـ/1126 م) كان أشعري العقيدة بلا جدال ولا مارة، كما سنرى لاحقاً.

و يؤكد أحناة أشعري الحضرمي بقوله: "... وما يزيد في تأكيد أشعري المرادي الحضرمي — من جهتنا — هو أنه في زمانه وقع بالأندلس نقاش محتدم حول كلام الله هل هو حال في أحرف القرآن؟ وبالتالي فالكلمات والأصوات المنطقية في القرآن هي كلام الله. وكان صاحب هذه الفكرة رجل من أمرية بالأندلس يدعى وليد النفري الذي كان قد جمع إلى رأيه هذا جمعاً كبيراً من الناس والأتباع. واختلف الناس في ذلك حتى صار «يُكفر بعضهم بعضاً، ويُبرأ الوالد من ولده» فما كان من المعتصم بالله بن صمادح إلا أن استنجد من الأندلس بالفقهي المتكلم أبي بكر محمد بن الحسن الحضرمي في المغرب كي يتولى الرد عليه «فذهب إلى أن يعبر البحر فهال عليه وكتب إلى

1- محمد المغراوي: تطور المذهب الأشعري بالغرب الأقصى إلى حدود العصر المرابطي، ص 141.

2- ابن الزيات: التشوف ،ص 106؛ القاضي عياض : الغنية، ص 226؛ محمد المغراوي: تطور المذهب الأشعري بالغرب الأقصى إلى حدود العصر المرابطي، ص 141.

3- يوسف أحناة: تطور المذهب الأشعري في الغرب الإسلامي، ص 66.

4- ابن الزيات: التشوف ،ص 106.

ابن صمادح: « مسألة التلاوة و المتلتو مبنية مفسرة مشروحة » وكأنه يحيل إلى ما قاله الأشاعرة في هذا الباب، لكنه لم يتوقف بل اتبع ذلك بقصيدة يرد فيها على وليد النفري يقول فيها:

شباء جاء بها وليد		لا در در سخافة
ل - على ثقالتها - تميذ		كفر تکاد لها الجبا
بمقيت جهل لا يفيد		وحماقة ممزوجة
منظومة حمر وسود؟		أكلام ربك أحرف
يانا لجارتها الجلود "1		لو باعها العطار أحد

وهذا النص يحتوي على مجموعة من العلامات ويكفيها منها علامة المضمون المباشر التي تدور حول كلام الله. فإذا علمنا أن الأشاعرة يقولون بصدق خلق القرآن بأن المعنى قديم، واللفظ محدث مخلوق، فإن هذا هو الذي نجده مضمونا في هذه القصيدة.<sup>2</sup>

ويقول فيه " عن أبي منصور الشعالي، أنسداني أبو بكر المرادي لنفسه في الحجة على إثبات القدر" و ما يجعلنا أكثر يقيناً بأشعرية الحضري، لما اطلعنا على نص آخر مشهور يورده القاضي عياض

يقضي بأني محمل على القدر		علمي يصبح المعاصي حين أركبها
ما كنت أطرحها في لجة العذر		لو كنت أملك نفسي وأصرفها
أكن أفعل أفعالا بلا قدر		كلفت فعلا ولم أقدر عليه ولم
فلم أشاركه في نفع ولا ضرر		وكان في عدل ربي أن يعذبني
أو شاء صوري في أভى الصور		إن شاء نعمي أو شاء عذبني
عدلا على فهب لي صفح مقتدر <sup>3</sup>		يا رب عفوك عن ذنب قضيت به

<sup>1</sup> - يوسف أحناة: تطور المذهب الأشعري في الغرب الإسلامي، ص 66، 67.

- المرجع نفسه: ص 67، 68

<sup>3</sup>- القاضي عياض: الغنية، ص 227؛ يوسف أحناة: تطور المذهب الأشعري في الغرب الإسلامي، ص 68.

وهذا النص أيضا - وإن كان لا يصرح بمفهوم الكسب الأشعري - فإننا نلحظ فيه ذلك التبرير العقلي الذي يسلكه الأشاعرة في هذا السياق استدلاً على أن فعل الله وخلقه لأفعال العباد هو فضل وعدل.

و يثبت أحناة أشعرية الحضري عندما ينفي كل الشكوك من طرف الباحثين الذين ينسبون المرادي إلى أهل التسليم والتفسير فيقول: "... إن هناك من الباحثين المعاصرین من يشكك في أشعری هذا الرجل، وينسبه إلى مذهب أهل التسليم والتفسير واعتمدا على نص منقول عن ابن تیمیة نقله من كتاب للمرادي عنوانه «الإيماء إلى مسألة الاستواء» عن معنى استواء الرحمن على العرش فقال: « قول ابن أبي زيد القیروانی المالکی، والقاضی عبد الوهاب المالکی، وجماعۃ من شیوخ الحدیث، والفقہ، وهو ظاهر بعض کتب الباقلانی، وأبی الحسن الأشعري، وهو أنه سبحانه مستو على عرشه بذاته. وأطلقو في بعض الأماكن فوق على عرشه، وهو الصحيح الذي أقول به من غير تحديد ولا تمکین في مكان، ولا كون فيه ولا ماسة ».

فها نحن أمام موقعين من انتماء المرادي العقیدي أحدهما ينسبة إلى الأشعرية، والآخر إلى مذهب أهل التسليم والتفسير. إلا أنه من جهتنا، لا يسعنا إلا أن نرجح الموقف الأول وحجتنا في ذلك أنه موقف رواه وأكده من هو أقرب إلى المرادي زماناً ومكاناً. فابن الزيات صاحب كتاب التشوف عندما نسب المرادي إلى الأشعرية كان أقرب إليه زماناً إذا علمنا أن ابن الزيات توفي سنة 617هـ/1220م ومكاناً إذ كلاهما من مفكري الغرب الإسلامي. أما الموقف الثاني فقد جاء على لسان من هم أبعد من المرادي زماناً ومكاناً. علامة على أن النص المروي عنه يحمل أوجه القراءة والتأويل، ويتحمل تأويلات تزكي ما نذهب إليه لا سيما وهو يربط بين ما يقره الباقلانی و أبو الحسن الأشعري...<sup>1</sup>

كما شهد تاريخ المعتقد الأشعري في الغرب الإسلامي في العهد المرابطي ظهور أول عقيدة أو نص يلخص العقيدة الأشعرية في هذه المنطقة، ويتعلق الأمر بعقيدة المفكر التونسي أبي الطيب سعيد بن أحمد بن سعيد الأسفاقي (ت 501هـ/1107م) عنوانها "العقيدة السننية أو عقيدة

1- يوسف أحناة: تطور المذهب الأشعري في الغرب الإسلامي، ص 68، 69.

الصالحين أو العقيدة الأسفاقية". و المتوفر من هذه العقيدة الجزء الثاني فقط ، وضع شرح له بعنوان « مشارق المهددين في شرح عقيدة الصالحين » لشارح اسمه القطب الصنهاجي نرجح أن يكون من أعلام القرن الثامن الهجري. و قد تتبع الباحث أحناة مضمون هذا النص و حدد أبرز معالم عقيدة الأسفاقسي فيقول: "... ولقد قمنا من جهتنا بتتبع هذا الشرح لتجريد بعض مضمون هذه العقيدة فاتضح لنا بما لا يدع أي مجال للشك أنها أشعرية المضمون والمنهج. فالأسفاقسي يصدر في هذه العقيدة عن قناع تامة بتنزيه الذات الإلهية عن الجهة، والمكان، والمحاذاة، لأن هذه الصفات في صفات المخلوقات ويستعمل في استدلاله على هذه القناعة قياس الغائب على الشاهد فهو يقول: « إذا كان النوم واليقظة، موجودين غير محدودين، هما مخلوقان ولا كائنان في مكان، وجها، ولا أطراف لهما، ولا حدود. وإنما الحد لقبيل من المخلوقات، وهي الجواهر والأجسام. وإذا كان في المخلوقات موجود بهذه الصفات، فالحالة أخرى وأولى أن لا يجوز عليه ذلك ». <sup>1</sup>

إذا كان النوم واليقظة في الشاهدة لا يتضمان بالجهة، ولا بالمكان، ولا بالمحاذة وهم مخلوقان من مخلوقات الله، فإنه من باب أولى وأحرى أن يكون في الغالب موجود غير مخلوق منها عن هذه الصفات، ولذلك فالله منزه عن الجهة، والمكان، والمحاذة. وهذا كما نرى أشعرية المضمون والمنهج. أما فيما يتعلق بإثبات وحدانية الله، فإننا نرى الأسفاقسي يحدد أربعة أوجه تعكس هذه الوحدانية و تؤشر عليها، وهي :

1- الوجه الأول : أنه واحد غير محدود، وغير منقسم، لا تجوز عليه التجزئة والتقسيم.

2- الوجه الثاني : أنه واحد في ملكه ولا شريك له.

3- الوجه الثالث : أنه واحد في صفات الكمال لا أحد له صفات كصفاته.

4- الوجه الرابع : أنه واحد في الاختراع، لا أحد يخترع معه شيئا.

---

1- يوسف أحناة: تطور المذهب الأشعري في الغرب الإسلامي، ص 69؛ محمد المغراوي: تطور المذهب الأشعري بالمغرب الأقصى إلى حدود العصر المرابطي، ص 138، 139.

فالوحدانية كما يستدل عليها الأسفاقسي وحدانية كمية، ووحدانية كيفية، فالله واحد غير مركب، ولا تجوز عليه القسمة والتجزيء فهذه وحدانية كمية. أما باقي الأوجه الدالة على وحدانيته فهي صفات كيفية ينفرد بها الباري لا يشاركه فيها أحد من مخلوقاته...<sup>1</sup>

أما بصدق الصفات الإلهية فإن الأسفاقسي يثبتها ويؤكد أنها قديمة بقدم الذات الإلهية.

أما بصدق كلام الله الذي هو صفة من صفاته تعالى فإن الأسفاقسي يرى أنه كلام ليس بأصوات، ولا قائم بلسان، ولا لهوات وهو ما يصطلاح عليه الأشاعرة باسم الكلام النفسي.

إضافة إلى أن الإقرار بصفة البصر للذات الإلهية هو إقرار بأن الله مبصر لكن بغير مقلة ولا سواد. وبالجملة فإن الأسفاقسي يخلص في هذا الموضوع إلى تزييه الذات الإلهية تزييها أشعرياً فيقول: إنه « تعالى عن الأضداد، والأولاد، و مشابهة الأجساد ». وفي نفس الوقت نلخص إلى القول بأن هذه العقيدة المختصرة ذات الطبيعة الأشعرية اعتبرت من أوائل ما كتب في العقائد الأشعرية في الغرب الإسلامي. لكنها لم يكتب لها الشهرة، والذيع فظلت بذلك مغمورة مجاهلة، لا يعرفها حتى المهتمون ناهيك بغيرهم. وهي كفيلة بدراسة مفصلة ببحث أكاديمي يعرف أصحابها، وبسياتها ومصادميها.<sup>2</sup>

و من أعمال الأشعرية في هذا العهد الزاهد أبو الحجاج يوسف بن موسى الكلبي الضرير<sup>3</sup>. تلميذ الحضرمي و الذي لم تفصح لنا المصادر عن تاريخ ميلاده على وجه التحديد ، في حين نجد ابن الزيارات يذكره في كتابه فيقول: "... أصله من سرقسطة و سكن مراكش ، و بها توفي سنة عشرين و خمسين. من أشياخه أبو مروان بن سراج و أبو علي الجباني.... كما أنه خلف المرادي في علوم الاعتقادات، و غالب عليه الزهد في الدنيا و أهلها"<sup>4</sup> ، و قد نظم أرجوزة مطولة في العقيدة، واستقر بالغرب الأقصى إلى وفاته سنة (1126هـ/520م)، و اعتكف على تدريس علم

1- يوسف أحناة: تطور المذهب الأشعري في الغرب الإسلامي، ص 70؛ محمد المغراوي: تطور المذهب الأشعري بالغرب الأقصى إلى حدود العصر المرابطي، ص 138، 139.

2- المرجع نفسه، ص 70، 71.

3- ينظر ترجمته: القاضي عياض: الغنية، ص 226؛ ابن شكوكا: الصلة، ج 2، ص. 644؛ ابن عميرة الضبي: المصدر السابق، ص 492؛ ابن الزيارات التادلي: التشوف، ص. 105، 106.

4- ابن الزيارات: التشوف إلى رجال التصوف، ص 105، 106.

الكلام بأغمات. وصفه تلميذه القاضي عياض بأنه «.....كان من المشتغلين بعلم الكلام على مذهب الأشعرية و ظهار أهل السنة، عارفا بال نحو و الأدب له تصانيف مشهورة، و سكن بلدنا مدة و تردد بالأندلس و المغرب، و كان آخر المشتغلين بعلم الكلام. قرأته عليه أرجوزته الصغرى التي ألف في الاعتقاد و حدثني بالكتاب التجريد لأبي بكر المرادي و أحجازني أرجوزته الكبيرة و جميع تواليفه و روایاته منها تأليف الفقيه أبي بكر المرادي، شيخه و عنه كان أكثر أخذها و من ذلك كتاب فقه اللغة للشاعلي...»<sup>1</sup>.

و الحقيقة أنه لم يصلنا من عطاءات هذا الرجل العقدية إلا منظومة عقدية شهيرة سميت بـ "منظومة التنبيه والإرشاد في علم الاعتقاد"، و لكننا نرجح أن تكون له مؤلفات أخرى في هذا الفن بدليل أن أبو علي عمر السكوني (ت 717هـ/1317م) ينقل عنه هذه المناقضة التي جرت بينه وبين أحد أحبّار اليهود، يقول فيها على لسان الضرير "حضرني يوماً بعض أحبّار اليهود فتكلم في التعديل والتجمير، و جاء بتأليل كثیر، و كان مما أحواله و أنكره أن يكون الله تعالى يأمر بما لا ي يريد كونه. فقلت: أليس قد أمر الخليل أن يذبح ابنه؟ فقال: بلـ، فقلت: فهل أراد ذبحه؟ فقال: لا، فانقطع لوقته و أمسك لحيته. قال الأستاذ أبو الحجاج: "و هم في هذه المسألة إخوان المعتزلة، وقد بسط القول فيها أئمة؟ أهل السنة و الحمد لله ولي الطول و الملة"<sup>2</sup>

لقد سار الضرير على تنظيم قريب من التنظيم الذي نظم به الجويني مضامين كتابه الإرشاد، لأن هذا الكتاب كانت له سلطة معرفية كبيرة لكن هذا لا يعني أنه نجح نفس نجحه، و الذي يهمنا هو أن هذه المنظومة هي في عقيدة الأشاعرة، و أن صاحبها الضرير راعى فيها السهولة و التقرير إلى إفهام الناس و عقولهم و ما ذلك إلا تحت وطأة الصراع الذي كان قائماً بين مثلي الأشاعرة، و المدافعين عن مذهب أهل التسلیم و التفویض<sup>3</sup>، مما كان يدفع المفكرين الأشاعرة إلى التسهيل حتى يتمكن المبتدئون، و العامة من فهمها، و الاعتقاد بها، و التمسك بما جاء فيها، فتفتشي

1- القاضي عياض: الغنية، ص 226؛ ابن شکوال: الصلة، ج.2، ص. 644؛ ابن عميرة الضبي: المصدر السابق، ص. 492؛ ابن الزيات التادلي: التشوف، ص. 105.

2- عمر السكوني: عيون المناقظات، تحقيق سعد غراب، منشورات الجامعة التونسية، 1976، ص 290.

3- يوسف أحناة: تطور المذهب الأشعري في الغرب الإسلامي، ص 83.

أكثر في أوساطهم و تنتشر. و هذا ما دفع الضرير إلى نهج أسلوب الأراجيز السهل المنال، و الذي يطلع على منظومة " التنبيه و الإرشاد" يجدها مستوعية لجميع ما أثاره علم الكلام الأشعري من دقائق الأمور، و كبيرة. فهي تحتوي على تسع و تسعين بابا، بدءا من باب الكلام، و انتهاء بباب ترتيب الصحابة. و قد حول لها استيعابها لكل ما يطرح من أمور العقيدة الأشعرية، كذلك بساطة مضامينها، و صياغتها الرجزية أن تنهض بدور مهم وكبير في عملية انتشار المذهب الأشعري و تغلله، و تكريسه مذهبها رسميا للغرب الإسلامي، فالضرير تولى تدريسها بنفسه في مراكش ، و قد أخذها عليه مجموعة من كبار علماء المغرب في هذه الفترة.<sup>1</sup> ومن بينهم تلاميذه أبو عبد الله مالك ابن مروان اللجوسي الضرير أخذ عنه وعن أبي بكر بن العربي<sup>2</sup>. و علماء الأندلس و تالت عملية تدريسها بعد الضرير في جوامع الأندلس و المغرب و غيرها، و يسهر على تدريسها جمع كبير من كبار الأئمة في هذا المذهب، فقد تولى تدريسها بالأندلس تلميذه المباشر أبو عبد الله محمد بن خلف القرطي الشهير الإلبيري ( ت 537هـ/1143م) الذي « كان حافظا لكتب الأصول والاعتقادات واقفا على مذهب أبي الحسن الأشعري وأصحابه »<sup>3</sup> وألف تأليف عدة في الموضوع منها الرد على أبي الوليد ابن رشد في مسألة الاستواء<sup>4</sup>. و من تلاميذه عيسى بن يوسف بن عيسى بن علي الأزدي المدعو بابن الملجم (ت 543هـ/1148م)<sup>5</sup> و بعده أبو بكر محمد بن عبد الرحمن الفخار (من أعلام القرن السابع الهجري)، و محمد بن خليل السكوني صاحب أربعون مسألة في أصول الدين.<sup>6</sup>

و يشير أحناة إلى: "أن هذه المنظومة العقدية شكلت أوائل العقائد التي كتب لها أن يهتم بها من جاء بعد الضرير من المفكرين و أن تسهم بقسط وافر في تكريس هذا المذهب الأشعري مذهب رسميا في الغرب الإسلامي" ، فما هي إذن أهم الآراء التي وردت في هذه المنظومة؟

1- القاضي عياض: الغنية، ص 226

2- ابن الزيات: التشوف، ص 266.

3- محمد المغراوي: تطور المذهب الأشعري بالغرب الأقصى إلى حدود العصر المرابطي، ص 141.

4- المرجع نفسه، ص 142.

5- جمال علال البختي: عثمان السلاجji و مذهبته الأشعرية، ص 130، 131.

6- يوسف أحناة: تطور المذهب الأشعري في الغرب الإسلامي، ص 84.

الواقع أن كل ما ورد في منظومة الضرير يحمل طابعاً أشعرياً لا غبار عليه، لكن ما ينبغي الوقوف عنده هو ما يلي:

**- النظر:** و فيه يرى الضرير ضرورة تعليم علم الكلام الأشعري لعامة الناس دون استثناء حين يعتبر النظر العقلي واجباً عيناً على كل مسلم و مسلمة، فلا يصح إيمان المرء إلا باعتقاده عن طريق النظر العقلي أمور العقيدة الأشعرية، فالإيمان عندك كما هو عند سائر الأشاعرة، تصدق بالقلب، و إقرار باللسان، على أن العمل بالجوارح ليس شرطاً أساسياً من شروط الإيمان، و إنما يعتبر إضافته من الجوزات فقط حتى إذا ما ظهر شخص يقر بلسانه إيمانه إلا أن أعماله لا تتطابق مع معتقده. يقول الضرير:

فهو مومن بحكم الظاهر و غيره عند العلم القاهر<sup>1</sup>

**- حدوث العالم:** يعتمد الضرير في إثبات هذه المسألة على نفي السببية. فما دامت السببية غير موجودة في ظواهر الكون بحيث لا يمكن للأشياء أن تخلق نفسها بنفسها، أو تخلق بعضها، و لا تكون سبباً لبعضها فإن الله وحده هو الخالق، و السبب الأوحد في هذا الكون، فالزنداد مثلاً لا يتضمن ناراً و لكنه يشعلها لا باعتباره سبباً و لكن لعادة شاءها الله و أبدعها فيه. يقول الضرير:

و حدث النار عياناً يشهد ﴿إذ ليس في الزند نار توقد  
و إنما يبدعها إله﴾ ﴿عند اقتداح الزند أو سواه  
أراد أن يكون هذا عادة﴾ ﴿من فعله يفعل ما أراده﴾

**- خلق الأفعال (الكسب):** يخصص الضرير باباً في منظومته لمسألة خلق الأفعال يتكلم بصراحة عن نظرية الكسب الأشعري فهو يثبت للإنسان القدرة على فعل ما يدخل تحت مقدوراته، فهو يقول:

﴿ما هو من أجناس مقدوراته﴾ و العبد يكتسب صفاته  
﴿كلاهما ببدعة القدير﴾ و هذه القدرة و المقدور<sup>2</sup>

1- يوسف أحناة: تطور المذهب الأشعري في الغرب الإسلامي، ص86.

2- المرجع نفسه: ص86.

- الإمامة: يرى الضرير وجوب قيام الإمامة في مجتمعات المسلمين، لأن في ظلها تقام حدود الله، و يتتمكن المؤمنون من الجهاد و الدفاع عن الحياض، و الإمام الذي يتولى شؤون المسلمين ينبغي أن يكون عاقلا، عالما، مستقيما، سليم الحواس و التمييز بين الأمور، و شحاعا مقداما و أن يكون قرشيا النسب. لكنه في حالة ما عدا إذا وجد إمام يأمر بالظلم، أو يأمر بإيتان الحرام جملة، فلا يحل للMuslimين طاعته، لكن بشرط أن يكون في ذلك مأمون السطوة و المكر. أما إذا كان في زجره و تخويفه فتنة للMuslimين، فلا لجوء إلى ذلك بل إن القيام عليه يصبح حراما لأن فيه نقضاً لعهد، و الله يأمر في كتابه بالوفاء بالعهود. و على العموم فإن أبا الحجاج الضرير تطرق في منظومته هذه إلى مجموع ما طرحته العقيدة الأشعرية من أمور سواء كانت أصلية أم فرعية. و أي ما كان من الأمر فإن هذه المنظومة "التبنيه و الإرشاد" قامت بدور كبير في عملية تغلغل المذهب الأشعري و السير به نحو الترسيم نظراً لطبيعتها التعليمية، و لقرب فهمها من طرف المتعلمين فاكتسبت من هذا الجانب أهميتها التاريخية، حيث مثلت طلائع العقائد التي دخلت في تكوين هذه المرحلة.<sup>1</sup>

و ذكر القاضي أبو الفضل عياض في فهرسته الموسومة بالغنية عددا آخر من المتكلمين، منهم أبو القاسم المعافري الذي اعتكف بسببته على تدرис الأصول والكلام طول حياته. و ذكر أيضاً شيخه أحمد بن محمد الجذامي المعروف بالزنقي، و وصفه بـ «شيخ المتكلمين على مذهب أهل الحق في وقته»<sup>2</sup>. وقد روى عياض عن هؤلاء الشيوخ عدداً من الكتب في علم الكلام والعقيدة من تأليفهم وما كانوا يرونها. و مما يستحق أن يذكر هنا هو أن أكثر المتعاطفين مع الأشعرية كانوا من ذوي الميل إلى الزهد والتتصوف. فهل تعتبر تلك مقدمات تحالف صوفي أشعري لمواجهة المرابطين الذين وقفوا ضد التوجهين معاً؟

**4-2-1- السلطة المرابطية و الأشعرية:** يتأكد مما سبق أن علم الكلام الأشعري كان ضمن العلوم المعروفة في أوساط علماء المغرب في العصر المرابطي، لكن إشارة عبد الواحد المراكشي التي يذكر فيها عداء أهل المغرب لمن ظهر عليه الاهتمام بالأشعرية تؤكد من جهتها أن هذا العلم ظل يتحرك في دائرة ضيقة من المهتمين به. في حين كانت القاعدة العريضة من الفقهاء معرضة عن أي

1- يوسف أحناة: تطور المذهب الأشعري في الغرب الإسلامي ، ص88، 89.

2- القاضي عياض: الغنية، ص: 226 و 117؛ وكان القاضي عياض قد لقيه بقرطبة وأخذ عنه سنة 507هـ/1113م

نوع من الجدل الكلامي، إما لانعدام الدواعي إليه في البيئة المغربية، التي وصلت بجهود المرابطين إلى تحقيق قدر لا يأس به من الانسجام المذهبي العقدي بعد القضاء على البجليين وبرغواطة وتوحيد المغرب الأقصى سياسياً ومذهبياً، وإما لأنحيازها لأطروحة السلطة المرابطية المتحفظة منه.<sup>1</sup>

لقد عرف المغرب خلال هذا العصر تيارين مالكين متمايزين، أحدهما يتمثل في التيار المالكي السلفي الذي يشكل استمراً لمدرسة نفيس ومدرسة عبد الله بن ياسين، وهو التيار الذي كان منحاً إلى المرابطين. التيار الثاني هو التيار المالكي الأشعري الأصولي الذي ظل متواصلاً للتواصل مع مستجدات الفكر الإسلامي في المشرق، كما كان منفتحاً على التصوف، وخير من كان يمثل هذا التيار في العصر المرابطي أبو بكر المرادي الحضرمي وأبو بكر بن العربي المعافري والقاضي عياض السبتي ومحمد بن تومرت والعلماء الذين ذكروا أعلاه.

أصبحت السيادة في العصر المرابطي للتيار السلفي لمساندته للسلطة، واستطاع أن يفرض توجهه، ودليل ذلك قول المراكشي الذي تمت الإشارة إليه: «دان أهل ذلك الزمان بتکفیر من ظهر منه الخوض في شيء من علوم الكلام..... وتوعد من وجد عنده شيء من كتبه»<sup>2</sup>. بين هذا النص درجة الحدة التي بلغها رفض علم الكلام عند فقهاء المذهب المالكي المحيطين بأمير المسلمين علي بن يوسف بن تاشفين، واستغلاهم القرب منه لإقناعه بموقفهم، وتحويله وبالتالي إلى موقف رسمي تتبعه الدولة المرابطية وتنشره وتدافع عنه، فظهر الموقف العدائى من الأشعرية بشكل رسمي جماعي لدى الفقهاء ابتداءً من عهد هذا الأمير الذي عرف عنه ميله الشديد إليهم.

ورغم أن المصادر لا تقدم تاريخاً محدداً أو تقريراً لانطلاق حملة محاربة الأشعرية، فإن هذا لا يمنع من القول بأنه تزامن مع بداية اقتحام أفكارها ومقولاتها للأوساط الفقهية المغربية بشكل أكثر نشاطاً مع أوائل القرن السادس الهجري. التقت هذه العقيدة مع أفكار الإمام الغزالي الذي كان واحداً من أئمة الأشاعرة وأقطاب الصوفية في نفس الوقت، الشيء الذي كان في حينه تحدياً وإحراجاً لهؤلاء الفقهاء الذين لم يكن لهم إمام أو معرفة بمذهب الأشاعرة، وكان لهم في الوقت

1- محمد المغراوي: تطور المذهب الأشعري بال المغرب الأقصى إلى حدود العصر المرابطي، ص. 142.

2- المراكشي: المعجب، ص 151؛ محمد المغراوي: تطور المذهب الأشعري بال المغرب الأقصى إلى حدود العصر المرابطي، ص 141.

نفسه عداء للتتصوف، فتبنوا موقف الرفض والإإنكار للاحتماء به في مواجهة علم الكلام. ولم يترددوا في وصميه بالبدعة وتکفير المروجين له، لمحاصرته وللحد من تأثيره، حفاظا على خصوصيات الانتماء العقدي الذي كان المغاربة عليه منذ قرون، وهو الذي كان بعض أصحاب الخلفيات الاعتزالية والشيعية والفلسفية يطلقون عليه اسم الحشویة<sup>1</sup>.

وعما أن موقف الفقهاء الرافض للأشعريّة قد تحول إلى موقف رسمي للدول المرابطية، فقد تم تعيممه بأوامر أمير المسلمين وأصبح منع العلماء من تدریس علم الكلام أسلوباً متبعاً مختلفاً للجهات، وكأمثلاً على ذلك فقد قام أحد رؤساء سجلamasة بنع العالم الصوفي يوسف بن محمد بن يوسف أبو الفضل بن النحوی (ت 513هـ/1119م)<sup>2</sup> - الذي امتاز عن كثيرون

1- نعت ابن حوقل المالكيين من أهل السوس الأقصى في القرن 4هـ/10 م بقوله: «والمالكيون من فضاض الحشویة»، صور الأرض، ص. 91؛ أما ابن رشد الحفید (ت 595هـ) فرأى أن الحشویة يعتقدون «أن طریق معرفة وجود الله تعالى هو السمع لا العقل»، الكشف عن مناهج الأدلة، ص: 101-102؛ كما تعرف الحشویة: «الحشویة هم الذين يرون الأحادیث المشوّهة أي التي حشاها الزنادقة في أخبار الرسول صلى الله عليه وسلم ، ويقبلونها ولا يتّأولونها، وهم يصفون أنفسهم بأنهم أصحاب الحديث وأنهم أهل السن والجماعة، ولا مذهب لهم منفرد. وأجمعوا على الخير والتتشبّه، وحسّموا وصورو و قالوا بالأعضاء، وقدم ما بين الدفتين من القرآن . ويدعون أن أكثر السلف منهم، وهم براء من ذلك. وينكرون الخوض في علم الكلام والجدل، ويعملون على التقليد وظواهر الآيات »، ينظر هامش: محمد المغراوي: تطور المذهب الأشعري بالغرب الأقصى إلى حدود العصر المرابطي، ص 144.

2- توزّي الأصل، عكف على طلب العلم في صغره بافريقيّة حتّى نبغ فيه ، وقد أخذ صحيح البخاري عن اللخمي، وبحكى أنه لما لقيه طالب علم سأله: ما جاء بك؟ فقال له: جئت لأنسخ تأليف "التبصرة" فقال له: إنما تريد أن تحملني في كفك إلى المغرب، أو كلاماً هذا معناه" ، وقد أشار بذلك إلى أن عمله كله في هذا الكتاب، وأخذ أيضاً عنده أعلام ذلك العصر كالمازري صاحب الصيّت البعيد وأبي زكريا الشقراطسي وعبد الجليل الريعي، وكان أبو الفضل بن النحوی عارفاً بأصول الدين والفقه وأحد أعلام القرآن العاملين بحاله وحرامه، ويعيل إلى النظر والاجتهاد، وقد ترك تأليف حسنة . أخذ عنه جماعة من علماء ذلك العصر، أشهرهم: أبو عمران موسى ابن حماد الصنهاجي الذي كان معجباً به كثيراً حتّى قال عنه: إنه في بلادنا منزلة الغزالى في العلم والعمل.للمزید ينظر: ابن الزيات: التشوف إلى رجال التصوف، ص-ص: 95-101؛ أبو عبد الله محمد ابن مریم: البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان، مراجعة محمد بن أبي شنب، المطبعة الثعلابية، الجزائر، 1907 ، ص-

ص: 299-304؛ أبي العباس أحمد الخطيب ابن قنفدت القسنطيني: أنس الفقير وعز الحقير، نشر محمد الفاسي وأدolf فور، منشورات المركز الجامعي للبحث العلمي، الرباط، 1965، ص 107، 108، 1965؛ ابن القاضي: جذوة الاقتباس، ج 2، ص 552، 553؛ أحمد بابا التبکتی: نیل الابتهاج في تطہیر الدینیاج، تقديم عبد الحمید عبد الله المرامنة، ج 1 و 2، ط 1، منشورات كلية الدعوة الإسلامية، طرابلس، 1989، ص-ص: 622-625؛ ابن مخلوف: شجرة النور الرکیة، ص 126؛ محمد المغراوي: فتوی

معاصريه بالأسفار الكثيرة التي قام بها في أنحاء المغرب، و عاصر الدولة الحمادية بالقلعة<sup>1</sup> و بجایة و الزیرية بالمهدیة و المرابطیة بمراکش و دخل سلجماسة - من التدريس، و سبب ذلك أن ابن النحوی عندما دخل سجلamasة و أقرأ بها الأصلین: أصول الدین وأصول الفقہ، تضايق منه أحد رؤسائے البلد، وهو عبد الله ابن بسام، فقال: هذا يريد أن يدخل علينا علوماً لا نعرفها، يعني بذلك أبحاث العقائد على طریقة الغزالی، فأمر بإخراجه من المسجد، فقال له أبو الفضل: أمتَ العلم أماتك الله هنا، فجلس في اليوم الثاني لعقد نکاح سحراً، فقتله جماعة من صنهاجة .فاضطر مغادرتها إلى مدينة فاس<sup>2</sup> وانتصب بها للإقراء والتعليم فضايقه قاضيها أبي محمد عبد الله بن دبوس الیفرنی (ت 511ھ/1117م) و منعه من تدريس هذا العلم بها، وعلى إثر ذلك قرر مغادرة المغرب الأقصى والرجوع إلى بلدہ<sup>3</sup>، و دعى عليه فأصابته أكلة في رأسه فوصلت إلى حلقه فمات منها، وفي صبیحة يوم وفاته خرج أبو الفضل من فاس وجاء ولد ابن دبوس لتودیعه، فقال له الشیخ: أرجع لحضر جنازة والدك، فرجع فوجده میتاً، وكان خروج الشیخ من فاس حوالي سنة 494ھ/1100م.

=لأبي الفضل بن النحوی حول إحياء علوم الدين للغزالی، ضمن متنواعات محمد حجي، دار الغرب الإسلامی، بيروت،1998،ص-116؛ عبد الغنی حروز: الحیاة العلمیة فی قلعة بنی حماد 461-1070ھ/121-1116م، مذکرة ماجستیر، المدرسة العلیا للأساتذة، الجزائر،2011،ص103.

1- يرجع الفضل في اختطاط و تأسيس مدينة قلعة بنی حماد عام 398ھ/1007م إلى الأمير حماد بن بلکین بن زيري بن مناد الصنهاجي (ت 419ھ/1028م) الذي اتخذها عاصمة لإمارته التي انفصلت عن الدولة الزیرية. و في ذلك يقول ابن خلدون : «...و اخترط مدينة القلعة بجبل کتابة سنة ثمان و تسعين، و هو جبل عجیسه، و ولی العهد قبائل عیاض من عرب هلال. و نقل إليها أهل المسیلة و حنـة و خـرـهـما. و نقل جراوة من المغرب و أنزـلـهـمـ بـهـاـ، و تمـ بـنـاؤـهـاـ و تـصـیرـهـاـ عـلـیـ رـأـسـ المـائـةـ الرابـعـةـ. و شـیدـ مـنـ بـنـیـاـنـاـ و اـسـوـارـهـاـ، و اـسـتـکـثـرـ فـیـهـاـ مـنـ مـسـاجـدـ وـ اـنـتـادـقـ فـاستـبـحـرـتـ فـیـ الـعـمـارـةـ وـ اـسـعـتـ بـالـتـمـدـنـ. وـ رـحـلـ إـلـيـهـاـ مـنـ التـغـورـ وـ الـقـاسـیـةـ وـ الـبـلـدـ الـبـعـدـ وـ طـلـابـ الـعـلـومـ وـ اـرـیـاـبـ الصـنـائـعـ لـنـفـاقـ اـسـوـاقـ الـعـارـفـ وـ الـحـرـفـ وـ الـصـنـائـعـ بـهـاـ»  
ينظر: ابن خلدون: تاریخ ابن خلدون، ج 6، ص 202؛ عیسی بن الذیب و آخرون: الحواضر و المراكز الثقافية في الجزاير في العصر الوسيط، ص،ص 74، 75 ؛أحمد أبو عبد الرزاق: الأدب في عصر دولة بنی حماد ،ص66، عبد الغنی حروز: المراجع السابق،ص 25.

2- ابن الزیات: التشوف إلى رجال التصوف، ص.98-99؛ محمد المغراوی: تطور المذهب الأشعري بالغرب الأقصى إلى حدود العصر المرابطي،ص 144.

3- محمد المغراوی: تطور المذهب الأشعري بالغرب الأقصى إلى حدود العصر المرابطي،ص 144، 145.

لقد كان أبو الفضل متأثراً كثيراً بالغزالي في أحاجاته في العقائد والتصوف وغيرهما، وقد حاول التمكين له من خلال نشره نظرية الغزالي في التصوف بالقلعة<sup>1</sup>.

وببدأ في تطبيقها على نفسه، كان يلازم القيام والصيام والتهجد حتى أنه لا يشعر بما حوله وهذا ما يؤكده ابن مريم في قوله: "كان يصلّي أكثر في داره لللغط وارتقت الأصوات فقال ضيف لابنه أما تشغلون خاطر الشيخ فقال: إذ دخل في الصلاة لم يشعر من ذلك ثم أدنى السراج من عينه فلم يشعر لحضوره مع غيبته مع الخلق"<sup>2</sup>، وكان لشدة زهده لا يقبل من أحد شيء ولا يأكل إلا ما يأتيه من بلده الأصلي، لبس خشن الصوف وقصر جانبيه حتى وصلت إلى ركبتيه<sup>3</sup>، وزهذهه هذا كان يجعل له نقد الآخرين حيث انتقاده قاضي الجماعة بالقلعة أبي عبد الله بن عصمة المفتى الذي مر عليه يوماً فلم يسلم عليه لأنشغال خاطره، فعظم عليه ذلك، فلما رجع ناداه محرقاً: يا يوسف، فجاءه ثم قال له: يا توزري، صفرت وجهك، ورفقت ساقيك وسرت تمرّ ولا تسلم.

فأعتذر له فلم يقبل عذرها وأغلظ له، فقال له أبو الفضل: غفر الله لك يا فقيه، يا أبا محمد، ثم أنصرف مغضباً عنه.<sup>4</sup>

لقد أشيع أنه كان مجاهد الدعوة حتى قيل نعوذ بالله من دعوة ابن النحوي<sup>5</sup> وهو مناصر لكتاب الإحياء للغزالي، حيث عارض إحراقه بشدة وكان يرى أن حلف الناس بالإيمان المغلظة على أن كتاب الإحياء ليس عندهم وليس ملزمة لهم<sup>6</sup>.

1- الطاهر بونابي: التصوف في الجزائر خلال القرنين 6 و 7 هـ / 12 و 13 م ، ص 117.

2- ابن مريم: البستان في ذكر الأولياء، ص 301.

3- التبكري: نيل الاتهاب بتطريز الديباج، ص 623، 624.

4- الطاهر بونابي: المرجع السابق، ص 211.

5- التبكري: المصدر السابق، ص 624، 625.

6- أبي زرع: الأنبياء المطروب، ص 41.

واستنسخ الأحياء في ثلاثين جزء<sup>1</sup> . و من صور انتصاره له، انه كان يبث كتبه أينما حل، وما أفتى فقهاء الأندلس كابن حمدين ومن شاعره من علماء المغرب بإحرق الأحياء للغزالى وأحرق في صحن مراكش وغيرها.<sup>2</sup>

ووصل كتاب أمير المسلمين علي بن يوسف بن تاشفين (500-537هـ) وفيه تحريف الناس بمعظل الإيمان، أن ليس عندهم كتاب الأحياء انتصر الشيخ للغزالى وأحيائه، وكتب إلى السلطان برأيه، وأفتقى<sup>3</sup> بعدم لزوم تلك الإيمان، ونسخ الأحياء ثلاثين جزءاً، يقوم كل يوم في رمضان بنسخ جزء منها وهو يقول:

(( وَدَدْتُ أَنِّي لَمْ أَنْظُرْ فِي عُمْرِي سِوَاهُ )) وهكذا كان موقفه من الأحياء نصراً كبيراً له ولبادئ الغزالى عامة.<sup>4</sup>

عاد أبو الفضل بعد أسفاره بالغرب إلى قلعة بني حماد، وأخذ نفسه فيها بالتقشف ولبس الصوف، وقصر جبنه حتى كانت لا تزيد عن ركبته.

ولما استقر به المقام بقلعة بني حماد أخذ في التدريس والإقراء، وأفاد أهلها كثيراً، وتخرج على يديه جماعة من أعلام القرن السادس في هذه الفترة التي استقر بها بالقلعة، فمنهم القاضي أبو عمران موسى الصنهاجى السابق الذكر، ومنهم أبو عبد الله محمد الرمامي الفقيه رئيس الإفتاء بفاس، ومنهم الفقيهان أبو بكر بن مخلوف بن خلف الله ومحمد ابن مخلوف بن خلف الله وغيرهم<sup>5</sup>.

لقد ضرب أبو الفضل المثل في تقواه وزهده، فكان شديد الخوف من الله، دائم الاستحضار لجلاله، كثير الورع، لا يقبل من أحد شيئاً إنما يأكل ما يأتيه من توزر، وقد كان لتشدده في تعبده وزهده يقول:

1- التبكري: المصدر السابق، ص 624.

2- راجح بونار : المرجع السابق، ص 186.

3- للإطلاع على نص السؤال الذي وجهه فقهاء تلمسان، و نص الفتوى كاملة ينظر الملحق رقم: 07، ص 371-373.

4- التبكري: المصدر السابق، ص 624.

5- عبد الغني حروز: المرجع السابق، ص 104، 105.

أَصْبَحْتُ فِي مَنْ لَهُمْ دِينٌ بِلَا أَدْبِ  
 وَمَنْ لَهُ أَدْبٌ عَارٍ مِّنَ الدِّينِ

أَصْبَحْتُ فِيهِمْ غَرِيبَ الشُّكْلِ مُنْفَرِدًا  
 كَبِيتٌ حَسَانٌ فِي دِيْوَانِ سَحْنُونَ

ويعني بيت حسان قوله:

وَهَانَ عَلَى سَرَاهَ بْنِ لَؤَيٍّ  
 حَرِيقٌ بِالْبُوَيْرَةِ مُسْطَرِ<sup>1</sup>

أجاد ابن النحوبي قرض الشعر كما أجاد علوم الدين والفقه والكلام وغيرها، وقد برع في نوع منه وقلده فيه من أتى بعده وهو شعر التوسلات والابتهالات. وأشهر القصائد التي وصلتنا عنه قصيدة حيمية دُعيت بالمنفرجة، من انفراج الأزمة، وقد نالت من معاصريه ومن أتى بعدهم عناية كبيرة، كما نالته قصيدة شيخه الشقراطسي التي دُعيت بالشقراطسية.

وعاش ابن النحوبي درساً متبعداً بقلعة بني حماد أكثر من ثلاط عشر سنة كانت عاملاً قوياً على ازدهار الدراسات الفقهية والكلامية على عهد الموحدين فيما بعد، وتوفي كما يقول أبو العباس النقاوي بالقلعة سنة 513هـ/1119م وقبره بها مشهور.<sup>2</sup>

و ينتهي أبي الفضل المعروف بابن النحوبي إلى الفكر الجديد الذي سينفتح على كل ما هو جديد ، و يرجع ذلك إلى وفائه لمبادئ الغزالى ، و سوف يثار له في المستقبل ، و ما يزال ضريحه يقام على القلعة التي خربت عن آخرها.<sup>3</sup>

و جاء في كتاب الفاسي: "... أنه دخل عليه يوماً تلميذه ابن الرمامة وهو في مكتبة بيته فوجد عنده أسفار جديدة التسفيير (الكتابة)، فسأله عنها، فقال له هي كتاب الإحياء للغزالى ولو اقتنيته قبل هذه الكتب لم أكتب كتاباً منها..." .<sup>4</sup>

هذا وقد كان ابن النحوبي في بلده بمنزلة أبي حامد الغزالى في العراق علماً وعملاً .<sup>5</sup>

1- رابح بونار: المرجع السابق، ص.ص 186، 187.

2- المرجع نفسه ، ص ص 187، 188.

3- جورج مارسيه: بلاد المغرب و علاقاتها بالشرق الإسلامي في العصور الوسطى 220.

4- أبي عبد الله محمد بن عبد الكريم الفاسي التميمي : المستفاد في مناقب العباد بمدينة فاس و ما يليها من البلاد، تحقيق محمد الشريف ، منشورات كلية الآداب و العلوم الإنسانية ، تطوان ، 2002م، ص 350.

5- عبد الحميد الخالدي: نبذة مختصرة لبعض علماء الجزائر في العهد الحمادي، مجلة الثقافة، العدد 112، وزارة الثقافة والاتصال، الجزائر، 1999م، ص ص 158-159.

## 4-2-2-الأشعرية بين السلطة والفتوى والمجتمع:

لم يمر موقف المرابطين الرسمي من الأشعرية دون إثارة تساؤلات واستفسارات عكست المناقشات التي كان المغرب الأقصى يعرفها، وأشركت هذه التساؤلات علماء الأندلس، بالخصوص فيما كان يجري، وفي هذا السياق تضمن كتاب مسائل ابن رشد سؤالاً معبراً وجهه أمير المسلمين علي بن يوسف<sup>1</sup> إلى قاضي الجماعة بقرطبة أبي الوليد بن رشد (ت 520هـ/1126م) يستفسره عن أئمة الأشعرية، وذكر منهم أبو الحسن الأشعري وأبي الأسفرايني والباقلاني وابن فورك والجويني وأبا الوليد الباقي، مستفسراً «أهم أئمة إرشاد وهداية، أم قادة حيرة وعمامية؟» وصور السؤال جانباً من حدة الحرب المعلنة ضد المذهب الأشعري وعلمائه بالغرب الأقصى بقوله «و ما تقول في قوم يسبونهم و يتقصصونهم، ويسبون كل من ينتمي إلى هذا المذهب الأشعري ويكرفونه ويتبأون منهم وينحرفون بالولاية عنهم، ويعتقدون أنهم على ظلالة وخائضين في جهالة»<sup>2</sup>. إن هذه الشهادة الدقيقة تكمل وتعزز بشكل قوي رواية عبد الواحد المراكشي المشار إليها. وتؤكد الإفاداتان معاً أن مسألة الأشعرية قد أصبحت لها تداعيات في أوساط العلماء والفقهاء وطلبة العلم، بحكم تطورها داخل الأوساط العلمية من جهة، وبحكم الاهتمام الذي خلقته دعائية ابن تومرت لها، ما يفسر المواقف المتصلبة التي قوبلت بها في بعض الأوساط.

كان تداول علم الكلام الأشعري يتم في أوساط علماء الأندلس بشكل طبيعي، مع وجود فئة من المتحفظين منه سواء من أهل الحديث أو من الظاهريين، أو حتى من بعض المالكيين، ولذلك لم يصبح مذهبها رسمياً كما كان شأن بالنسبة للمذهب المالكي. وفي هذا السياق نفهم موقف قاضي الجماعة أبي الوليد بن رشد الذي بالرغم من قربه من أمير المسلمين علي بن يوسف،

1- وردت هذه الفتوى في الكتاب مرتين؛ نسب السؤال في أولها إلى أمير المسلمين (ابن رشد، مسائل أبي الوليد ابن رشد، ج 1، ص 716-718)، بينما وردت في المرة الثانية مع اختلافات طفيفة جداً، وأدرجت تحت عنوان «وكتب إليه رضي الله عنه من مدينة فاس، يسأل عن الأشعرية، ومن انتحل طريقتهم، وسمى له فيه جماعة منهم» دون الإشارة إلى صاحب السؤال، ولا علاقة للفتوى بما قبلها، ينظر :مسائل أبو الوليد ابن رشد، ج 2، ص 836-838. للإطلاع على السؤال و الجواب معاً ينظر: الملحقين رقم: 08 و 09، ص 374-375.

2- ابن رشد: مسائل أبي الوليد ابن رشد، ج 2، ص 836-868.

واعتباره بمثابة المفتى الرسمي للدولة المرابطية<sup>1</sup> ، فإن جوابه على السؤال المذكور تميز ب الدفاع قوي عن أئمة الأشعرية الذين استفسر عنهم المسلمين في سؤاله، إلى حد أنه أفتى « بضرب كل من انتقص أحدا منهم حتى يتوب ». وهو بهذا يعلن موقفاً مخالفًا للموقف الرسمي الواقع تحت تأثير الفقهاء الرافضين للأشعرية بشكل مبدئي . ويجب أن نشير هنا إلى أن ابن رشد نفسه لم يكن أشعري، وكان معروفاً بوقف المتقد لطريقة الأشاعرة في الاستدلال، والتي كان يعتبرها فاسدة<sup>2</sup> ، وقد تلقى في ذلك بعض الردود من معاصريه في مسألة الاستواء التي كان يتبني بشأنها موقف أهل الحديث. ونلمس في موقفه إدانة لفقهاء المرابطين حينما صرّح بأن « العالم على الحقيقة هو العالم بالأصول والفروع، لا من عُيّ بحفظ الفروع ولم يتحقق بمعرفة الأصول »<sup>3</sup> .

إن موقف المرابطين من الأشعرية لم تمله خلفية نظرية محددة، ولكنه جاء في سياق التضامن مع النزعة المحافظة التي تميز بها بعض فقهاء ذلك العصر المنحازين للسلطة المرابطية، لهذا نجد أن النخبة الحاكمة نفسها كانت تشعر بالتباس وعدم وضوح بخصوص علاقة الأشعرية كمذهب كلامه بالمالكية كمذهب فقهي، ويتصحّح ذلك من خلال سؤال، لا يخلو من سذاجة، وجهه الأمير أبو إسحاق بن علي بن يوسف من مدينة إشبيلية إلى نفس قاضي الجماعة « سائلاً عن الأشعريين هل هم مالكيون أم لا؟ وهل ابن أبي زيد ونظراوه من فقهاء المغرب أشعريون أم لا؟ وهل أبو بكر الباقياني مالكي أم لا؟»<sup>4</sup> . يترجم هذا السؤال بجلاء الموقف الفكري الحائر للنخبة السياسية المرابطية في اتخاذ موقف من بعض الأئمة الذين يعتبرون في نفس الوقت من أئمة المذهب

1- كان ابن رشد بحكم توليه منصب قاضي الجماعة بقرطبة بمثابة المفتى الرسمي للدولة المرابطية، فكان أمراء المسلمين يستفتونه في النوازل والقضايا الفقهية و يستشرون في غيرها من القضايا السياسية، كما كانت الأسئلة ترد عليه من قضاة العدوة المغربية، ومن قاضي جماع مراكش أيضا، ينظر: محمد المغراوي: تطور المذهب الأشعري بالمغرب الأقصى إلى حدود العصر المرابطي، ص 142.

2- ابن رشد: مسائل أبي الوليد ابن رشد، ج.2، ص. 970-971.

3- المصدر نفسه، ج.2، ص 502-805.

4- المصدر نفسه، ج.2، ص 931.

الأشعري ومن أئمة المذهب المالكي، الشيء الذي يؤكد أن النقاش في هذه القضايا الأولية لم يكن قد تطور إلى الحد الذي يتجاوز فيه أسئلة بسيطة وحائرة مثل هذه.<sup>1</sup>

ظلت الأشعرية طوال العصر المرابطي مرتبطة بتدافعاً المدرستين الفقهيتين المشار إليهما، لذلك لم تتمكن من الخروج من نطاق بعض الدوائر العلمية، مما جعلها بعيدة عن أفهم العامة، بل وأفهم عموم فقهاء المرابطين، بما كانت تثيره من قضايا كلامية تعتمد التأويل والاستدلال العقلي المجرد. ورغم هذا الوجود المحدود لها، فإن الفقهاء الموالين للسلطة المرابطية كانوا جادين في استهدافها ومحاولة تصفيتها لأسباب لا تكشف المصادر عنها بنفس الوضوح الذي تكشف به موقفهم من إحراق كتاب إحياء علوم الدين للغزالى مثلاً. إن ما ذهبنا إليه من ربط بين الاثنين يسهم إلى حد ما في توضيح بعض جوانب هذه المعركة الفكرية التي كانت بالنسبة للمرابطين معارك خاسرة منذ البداية، بحيث بدت السلطة المرابطية وكأنها أرادت أن تقف في وجه تحول كان تياره حازفاً لـكل من يقف في وجه الأشعرية.

إن تاريخية التحول إلى الأشعرية كانت تفرضها سياقات فكرية وتطورات سياسية أثرت بعمق في البيئة الإسلامية مشرقاً ومغارباً. ورغم أن المرابطين كانوا ميالين إلى الوحدة الإسلامية، وقدموها في ذلك أنصع المواقف وأغلى التضحيات، إلا أنهم وقفوا في طريق الوحدة العقائدية التي كانت كفيلة بتوحيد أتباع المذاهب السنوية المختلفة تحت انتقام عقائدي واحد. لذلك نعتبر أن التعمق في دراسة هذه العناصر الفكرية سيساعد على فهم لغز سقوط الدولة المرابطية وهي في عز شبابها، ولا شك أن العامل الفكري كان له دوره في تفسير ذلك.<sup>2</sup> وفي صدد الحديث عن ابن رشد يذكر المغراوى: "وبالرغم من الحماس الذى أبداه ابن رشد في الدفاع عن أئمة الأشعرية، نقف في كتابه أيضاً على فتوى تناقض ما سبق، وتسير في جزء منها من نفس اتجاه الموقف الرسمى المرابطى، وتحل للحاكم الحق في التدخل لمنع العامة من قراءة الأشعرية، « فمن الحق الواجب على من ولاه الله أمر المسلمين أن ينهى العامة والمبتدئين عن قراء مذاهب المتكلمين من الأشعريين، وينهىهم من ذلك غاية المنع، مخافة أن تنبو أفهمهم عن فهمها فيفضلوا بقراءتها؛ ويلزمهم أن يقتصروا، فيما يلزم

1- محمد المغراوى: تطور المذهب الأشعري بالغرب الأقصى إلى حدود العصر المرابطي، ص 146، 147.

2- المرجع نفسه: ص 147.

اعتقاده، على الاستدلال الذي نطق به القرآن ونبي الله عليه عباده في حكم التنزيل، إذ هو بَيْنُ، واضح لائح، يدرك ببديهيته العقل بيسير تأمل في الحين. فبيادروا بعد إلى تعلم ما يلزمهم التفقه فيه من أحكام الوضوء والصلاحة والزكاة والصيام وسائر الشرائع والأحكام، ومعرفة الحال في المكاسب من الحرام<sup>1</sup>.

إن بقية الفتوى تبين أن ابن رشد قد جعل التحفظ السابق توطئة لتقديم موقف علمي رصين من الأشعرية، يشترط فيمن يريد أن يتعامل معها أن يتسلح بقدر من العلم، وأن يدرسها على عالم متمكن، وهذا موقف في غاية الوضوح: "أما من شدا في الطلب، وله حظ وافر من الفهم، فمن الحظ له أن يقرأها إذا وجد إماما فيها يفتح عليه منغلقها، لأنه يزداد بقراءتها والوقوف عليها بصيرة من اعتقاده، ويعرف بذلك فساد مذاهب أهل البدع، وأضمحلال شبههم، فيمكنه الرد عليهم ويحوز بذلك وجه الكمال في العلم، ويدخل به الصنف الذي عندهم النبي عليه السلام، بقوله: «يحمل هذا العلم من كل خلف عدوه، ينفون عنه تحريف الغالين، وانتحال المبطلين، وتأويل الجاهلين»<sup>2</sup>. تقع هذه الفتوى في الكتاب بعد فتوى أخرى تتناول تلثيم المرابطين، مما يدل على أن الاستفسار قد جاء من المرابطين أيضاً. لكن لا يمكن القول إن الجزء الأول من هذا الفتوى قد استند إليه المرابطون ك Kund شرعي في موقفهم؟

يمكن التمييز في موقف ابن رشد من المذهب الأشعري بين مستويين؛ مستوى الاحترام والتقدير لأئمته والدفاع عنهم، واعتبار الأشعري طريقة لمعرفة الله والدفاع عن العقيدة الإسلامية ضد أهل البدع، ومستوى الاعتراض على ادعاء بعض الأشاعرة أنها هي الطريق الوحيدة لتحصيل العقيدة الصحيحة. وبما أننا لا نستطيع التاريخ للموقفين معاً، فلا يمكننا أن نضعهما في سياق كرونولوجي محدد، ويظل تفسيرها مرتبطة ب موقف معروفة لعلماء آخرين مثل الإمام أبي حامد الغزالى الذي رغم أنه أشعري، فإنه ألف كتابه "إجماع العوام عن علم الكلام".<sup>3</sup>

1- محمد المغراوى: تطور المذهب الأشعري بال المغرب الأقصى إلى حدود العصر المرابطي، ص 148.

2- ابن رشد: مسائل أبي الوليد ابن رشد، ج. 2، ص. 860-861

3- محمد المغراوى: المراجع السابقة، ص 149.

و لا شك أن اتخاذ المرابطين ل موقفهم من فكر الغزالي ومن الأشعري قد أملته اعتبارات دينية وسياسية كان محركها هو رغبتهما في الحفاظ على الوحدة الدينية والمذهبية للمجتمع، وقد شاطرهم في ذلك عدد من العلماء خاصة بالأندلس من كانوا يشعرون بخشاشة المجتمع الأندلسي في مواجهة الضغط النصري، وحاجته إلى الحفاظ على وحدته المذهبية بأي ثمن. لكن ظروف التحول الفكري الذي كانت مختلف البيئات الإسلامية تعرفه كانت تسير في اتجاه معاكس للمواقف المتصلبة التي اتخذها المرابطون.

و يعلق خالد زهري على الباحثين - سواء المتخصصون منهم أو غير المتخصصين في هذه المرحلة - الذين أصدروا أحكاما فيما يتعلق بالفترة المرابطية حيث أن هناك إجماع منهم أو يكاد على أن فترة المرابطين فترة جمود فكري و كلامي و فقهي و فلسفياً، وأن هذا العصر أضر بكل العلوم، بفعل توجهه الأحادي نحو الفقه و فقه الفروع، وأن المرابطين احتكروا الميادين الفكرية، و كتموا أنفاس الناس، و منعوهم من التعبير عن كل تطلع للتحرر و التجديد، وأن فقههم كان متاحراً. و لست ادرى كيف يتم - عند إصدار مثل هذه الأحكام - تجاهل حقيقة ثابتة و هي أن هذه المرحلة، عانت بفقهاء من الطراز الرفيع و كانوا من أرباب الفقه الاستدلالي، لا الفقه الفروعي؟!

و لو لم يظهر في هذه المرحلة إلا أبو الوليد ابن رشد القرطبي (الجد) (ت 520هـ/1126م)، دون سواه لكتفانا دلالة على الواقع الفقهي، الذي وإن لم يخل من مظاهر للتقليد الفقهي الجامد، فإنه لم يخل أيضاً من مظاهر التجديد في الفقه المالكي، و يكفي الرجوع مثلاً: إلى كتابه "البيان و التحصيل و الشرح و التوجيه و التعليل في المسائل المستخرجة" للوقوف على المستوى الإبداعي المتميز و الرفيع للرجل.<sup>1</sup>

و يضيف أيضاً: أنه مما وقع فيه الباحثين من جراء الحكم المسبق، الاعتقاد بأن الازدهار الكلامي، يرتبط بالمذهب الأشعري، فحكموا بالجمود على أي مدرسة غير أشعرية، إذا كانت تنطلق من أسس كلامية مخالفة، و من هذا القبيل وصف علم الكلام في المرحلة المرابطية أيضاً بأنه كان من العلوم المهجورة. وال الصحيح أن يقال: إن علم الكلام الأشعري هو الذي كان من العلوم

1 - خالد زهري: مستويات الإبداع في علم الكلام الأشعري، ص 91، 92.

المهجورة، لا مطلق علم الكلام. و من قبيله أيضاً وصف موقف المرابطين من المذهب الأشعري بالجو المفعم بالعداء للكلام والمتكلمين، و هناك من قال: "و يأتي هذا الموقف المرابطي، منسجماً مع اختيارهم السلفية في العقيدة، التي تقبل النصوص على ظاهرها، و ترفض الخوض في تأويلها و اعتماد العقل للدلالة عليها". و الصحيح أن يقال: الجو المفعم بالعداء للأشعرية والأشعريين، إن مذهبها كلامياً آخر كان سائداً، و كان له نظاره المنافقون عنه، و هو مذهب أهل التسليم و التفويض، الذي لا يسعنا إلا ان نعتبره من أهم المذاهب الكلامية القوية، في تاريخ علم الكلام، و لهذا سموا لدى المؤرخين للفرق الإسلامية، بـ المتكلمين الصفاتية، و المتكلمين من السلف. و لو كان الأمر كما قررته الدعوى المذكورة، لما صح نعتهم بـ "بـ المتكلمين".<sup>1</sup>

#### 4-3- الأشعرية بين المرابطين وابن تومرت:

تمكن ابن تومرت في هذا الجو المشحون بالعداء الرسمي للأشعرية من استغلال الوضعية بذكاء ودهاء بالغين في دعاية منظمة ضد المرابطية كدولة وكتوجه فكري وعقدي، مستهدفاً نقض أسس توجّهها العقدي - المذهب المالكي<sup>2</sup>، وواصفاً إياها بالتحسيم والانحراف عن العقيدة الإسلامية الصحيح المتتصفه بتتنزيه الذات الإلهية عن أي شبه بالمخلوقات، وقد اشتطر في موقفه هذا إلى حد اتهام المرابطين بالتحسيم، بل والمحازفة بتكفيرهم، محاولاً بذلك استغلال مشاعر الكراهة لهم خاصة في الوسط المصمودي وتأجيجها، ومتحاوزاً في نفس الوقت تحفظ الأشاعرة أنفسهم في مسألة تكفير أهل القبلة<sup>3</sup>. ومن هنا يتضح أن ابن تومرت وظف الأشعرية في نقاشاته لأهداف سياسية بالدرجة الأولى وما يجب التأكيد عليه أنه رغم ندائيه بالأشعرية واستخدامها كورقة في حربه ضد المرابطين، فإنه لم يكن أشعرياً بالمعنى الحرفي، ويظهر ذلك جلياً في عقيدته التي سماها المرشدة، والتي لم يضمنها أي عنصر من عناصر التأويل الأشعري، وظل جوهراً ب المناسب الموقف السلفي بنفس القدر الذي يناسب الأشعرية خاصة في تناول الصفات الإلهية، يقول الباحث سالم يفوت:

1- خالد زهري: مستويات الإبداع في علم الكلام الأشعري، ص 93، 94.

2- للإطلاع على علاقة ابن تومرت بالمذهب المالكي ينظر: عبد الحق الطاهري: ابن تومرت و المذهب المالكي، دعوة الحق، وزارة الأوقاف و الشؤون الإسلامية، السنة الحادية والخمسون، العدد 391، الرباط، 2009، ص: 88-101.

3- محمد المغراوي: تطور المذهب الأشعري بالغرب الأقصى إلى حدود العصر المرابطي ، ص 149.

فجل الدارسين، القدامى و المحدثين، لا يتبعون إلى أن قوله - ابن تومرت - بالتنزيه، جاء لأغراض السجال و الرد على من اعتبرهم يوغلون في التشبيه و التجسيم، و هم في نظره: المرابطون<sup>1</sup>. وهذا ما جعل شيخ الإسلام ابن تيمية - يستبعد بعد قرنين - أن تكون هذه العقيدة الصافية من منظور أهل السنة، قد صدرت عن ابن تومرت الذي اعتبره مبتدعا. وما خالف فيه ابن تومرت أئمة الأشعرية أيضاً مسألة نشرها بين العامة، حيث تجاوز الموقف الواضح للإمام أبي حامد الغزالي الذي بلوره في كتابه إلحاد العوام المشار إليه، وهو نفس الموقف الذي أشير إليه من قبل عند أبي الوليد ابن رشد.<sup>2</sup>

لقد أُسْفِر اتصال ابن تومرت بالوسط السياسي والعلمي المرابطي عن سوء تفاهم أدى إلى تناقض وعداء، وفي الواقع يبدو أنه قد استعصى على المرابطين وبعض فقهائهم - بحكم تكوينهم - فهم أبعد ابن تومرت فيما كان يدعو إليه، واعتبروا موقفه تحدياً سياسياً مباشراً للدولة، بل إن الفقيه الأندلسي مالك ابن وهيب الذي كان على إمام واسع بعلم الكلام والفلسفة قد سار في نفس الاتجاه، ولم يتردد في تحريض أمير المسلمين علي بن يوسف على قتل ابن تومرت، وهذا الموقف بالذات يعكس حالة الأزمة الفكرية التي كانت مسيطرة على الفقهاء المتحالفين مع المرابطين، والمتمثلة في عدم استيعاب المتغيرات الثقافية، أو على الأقل عدم القدرة على التعاطي معها علمياً. كان من نتائج هذا التفاوت الفكري بين الطرفين أن سد باب الحوار بسرعة بينهما، وقد ساهمت طريقة ابن تومرت المستفزة والمعالية، والتي كانت في بعض الأحيان بعيدة عن الأسلوب العلمي الهدائى، ومتأثرة إلى حد كبير بأسلوبه في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، في الإسراع بالوصول إلى تلك النتيجة لكن تبين بجلاء من خلال مناظرة الفقهاء لابن تومرت استحالة التفاهم بين عقليتين، إحداها ذات نزعة نقدية عقلية استفزازية، تتحرك بوعي، ويقطة إزاء المشاكل والتطورات التي كان الاجتماع الإسلامي يعرفها ويمثلها ابن تومرت، والأخرى محافظة ذات نزعة

1- سالم يغوث: الأشعرية في المغرب، ص 64.

2- ابن تيمية: مجموع الفتاوى، ج 11، ص 486، 487؛ محمد المغراوي: تطور المذهب الأشعري بالمغرب الأقصى إلى حدود العصر المرابطي، ص 150.

فروعية مقلدة جسدها فقهاء المرابطين. ولم يكن هذا التناقض ليؤدي إلا إلى خلق صراع بدأ كلامياً ثم تحول إلى إعلان ثورة مسلحة.<sup>1</sup>

هذه الثورة أدت إلى فتنة بال المغرب الإسلامي، بسبب الأفكار التي جاء بها ابن تومرت، حسب الباحث خالد كبير علال الذي يرى: "... كان المغاربة على مذهب السلف في أصول الدين زمن دولة المرابطين (451-541هـ)، فلما ظهر محمد بن تومرت المغربي المصمودي الأشعري (ت 524هـ/1130م) دعوته ، كفر مخالفيه من المغاربة ، و اتهمهم بالتشبيه و التجسيم ، و استباح دماءهم و أموالهم ، و دخل في حروب طاحنة مع المرابطين ، و أدخل المغرب الإسلامي في فتنة دامية ، و فرض الأشعرية على الرعية ، و عندما توفي واصل أتباعه دعوته ، و ارتكبوا مجازر رهيبة في حق المرابطين عندما دخلوا مدينة مراكش سنة 541هـ/1147م ، و يُروى إنهم قتلوا منهم سبعين ألف شخص<sup>2</sup> . وقد وصف ابن القيم الجوزية ابن تومرت وأفعاله بأنه : (( رجل كذاب ظالم متغلب بالباطل ، قتل النفوس و أباح حريم المسلمين ، و سب ذراريهم ، و أخذ أموالهم ، و كان شرا على الملة من الحجاج بن يوسف بكثير ، و استباح قتل مخالفيه من العلماء ، و سمي أصحابه موحدين ، و هم جهنمية نُعَاه لصفات الله تعالى ))<sup>3</sup> .

وصفوة القول فإننا نخلص من كل ما سبق إلى أن الدولة المرابطين شاء لها مؤسسها والناظرون السياسيون لها أن تقوم على عقيدة الأشاعرة<sup>4</sup> ، لكن وجودها الفعلي قام على عقيدة أهل التسلیم والتتفويض التي كانت قد عرفت تجذراً في حل المغرب الإسلامي. وبذلك يتأجل موعد أهل المغرب الإسلامي مع هذه العقيدة رسمياً نظراً لقوة التدافع الذي أبداه مفكرو هذه العقيدة السابقة أما ممثلين جدد لهذه العقيدة الجديدة.

1- محمد المغراوي: تطور المذهب الأشعري بال المغرب الأقصى إلى حدود العصر المرابطي ، ص 150، 151.

2- خالد كبير علال: الأزمة العقائدية بين الأشاعرة و أهل الحديث، ص 25، 26.

3- المرجع نفسه: ص 26.

4- للمزيد حول هذه الفكرة بنظر: هشام العلوى القاسمي: الدولة المرابطية تطور سياسى بمرجعية مالكية و أشعرية و امتداداً تاريخياً تأهيلي، مجلة التاريخ العربي، جمعية المؤرخين المغاربة، العدد الرابع و الخمسون، المغرب، 2010، ص: 217-246.

## خلاصة:

من خلال تناولنا لفصل المذهب الأشعري زمن دولة المرابطين، فقد توصلنا للنتائج التالية:  
أولاً: أن مرحلة دخول المذهب الأشعري في المغرب الإسلامي استغرقت مدة طويلة ابتدأت بأوائل من كان له السبق في هذا المجال في أواخر القرن الرابع الهجري لتستمر إلى بداية القرن السادس.

ثانياً : عكس ممثلي الفكر الأشعري في هذه المرحلة في الغرب الإسلامي التأثير الواضح لمقدمي الأشاعرة وبخاصة تأثير أبي بكر الباقياني و أبو المعالي الجوهري، و أبي حامد الغزالي، فجعل أشاعرة هذه المنطق في هذه الفترة الذين سافروا إلى الشرق واحتلوا وتلقوا عنهم الأصليين، أو عن من كانت له صلة وطيدة معهم، فأفرز لنا ذلك جيلاً من الأشاعرة يتميز بما تميز به متقدمو الأشاعرة مضموناً ومنهجاً.

ثالثاً: أن كثير بعض الباحثين المعاصرین حينما تحدثوا عن ظهور المذهب الأشعري في الغرب الإسلامي ركزوا على منطقة دون أخرى، فجعلوا من تونس مثلاً المنطقة التي مثلت الشارة الأولى لانطلاق هذا المذهب وحضوره في كامل الغرب الإسلامي. ونحن من جهتنا لا ننكر الدور الذي قامت به هذه المنطقة وبخاصة القิروان في هذا المجال عندما كانت منبعاً ثقافياً فياضاً، وملتقى فكريًا احتضن مجموعة من المفكرين المطلعين نحو التغيير والإصلاح، وتجديد الفكر وتطوره، فكان منهم رجال قاموا بأدوار في نشر هذا المذهب بإفريقية، والمغرب، والأندلس. ولكن هذا لا يعني أن المغرب أو تونس وحدهما هي التي قامت بهذا الدور. و هناك من يجعل من المغرب الأقصى بمدنه فاس و مراكش و سبتة مرجعاً أساسياً في الحديث عن الفكر الأشعري و ممثليه و انتشاره و تطوره، و نحن نقول أن كل من: دراس بن إسماعيل ، و القابسي، و الظلموني، المرادي و أبو عمran الفاسي، و أبو الفضل النحوي، و الباجي ... وغيرهم كثير. كل هؤلاء هم تونسيون، مغاربة، و جزائريون، لكن بكلمة واحدة أصح هم مفكرون أنتجتهم تربة واحدة هي تربة المغرب الإسلامي. و في الأخير فإن ما يمكننا التأكيد عليه أكثر هو أن المذهب الأشعري عرف في هذه المرحلة بالغرب الإسلامي طابعاً فردياً. يمثله أفراداً عادوا من الشرق وقد احتلوا بممثلي هذا المذهب هناك، فيعملون على نشره بين أفراد آخرين تجمعهم بهم علاقات تعليمية وثقافية فلم يقووا على الظهور

بمظهر جماعي، فضل هذا المذهب إلى حين ظهور الدولة الموحدية. مذهب نخبة عاملة، تسعى من جانبها إلى نشره بين الناس؛ لكن مع قيام الدولة الموحدية سيعرف المذهب تغلغله وتفشيه الكبير، لأنه مثل بالنسبة لها الشعار الإيديولوجي، بحيث سيصبح المذهب الرسمي لهذه الدولة الجديدة، ولباقي الدول التي ستتعاقب الحكم في الغرب الإسلامي. فكيف صار هذا المذهب العقدي الجديد مذهبًا رسمياً للموحدين؟ وهل عرف في ذلك تطوراً؟

# الفصل الرابع:

## المذهب الأشعري زمن دولة الموحدين.

- 1- نشأة الدولة الموحدية.
- 2- أسس الدعوة الموحدية.
- 3- مكانة الفقهاء في العصر الموحدي.
- 4- الدولة الموحدية و المذهب الأشعري.
- 5- رجالات الأشعرية في العصر الموحدي.
  - 1- محمد ابن تومرت (ت 524هـ/1130م).
  - 2- أبو بكر ابن العربي (ت 543هـ/1148م).
  - 3- أبو الحسن بن حرزهم (ت 559هـ/1163م).
  - 4- أبو علي المسيلي (ت 580هـ/1184م).
  - 5- السالجي (ت 594هـ/1197م).
  - 6- الكتاني (ت 596هـ/1199م).
- خلاصة.

إذا كنا في الفصل السابق قد تعرضنا إلى مرحلة أولى من حياة المذهب الأشعري ببلاد المغرب الإسلامي، و التي اتسمت بالطابع الفردي نتيجة قوة الخصم المدعوم من قبل الدولة المرابطية، فإننا في هذا الفصل سنعالج مسار هذا المذهب بعد تصدع الكيان المرابطي، و من خلاله سنحاول معرفة ما إذا كان المذهب الأشعري ببلاد المغرب الإسلامي سيحافظ على نفس الوتيرة التي كان يسير عليها خلال العهد المرابطي أم أن الحظ سيبيتسم له مع قيام الدولة الموحدية؟ و سيعرف تطوراً؟

قد سبق و أن أشرنا إلى أن هناك من المؤرخين من ذهب إلى القول بأن أول ما عرف المغرب الإسلامي الفكر الأشعري كان على العهد الموحدي، مقصيا بذلك أي وجود له بالديار المغاربية قبل القرن السادس الهجري، إلا أن ما أثبتناه في الفصول السابقة يؤكّد العكس.

و مع ذلك فإن ما ذهب إليه أولئك المؤرخون يحمل بعض الدلالات، فهم بقولهم بذلك إنما تحدثوا عن مرحلة متقدمة من مراحل تواجد هذا المذهب ببلاد المغرب الإسلامي، و هي مرحلة ساهم فيها الموحدون بقسط كبير في بسط سلطان هذا المذهب بهذه البلاد بعد أن قوّضوا أركان الدولة المرابطية التي كانت تقف حجر عثرة أمام اتساع نطاق الفكر الأشعري ببلاد المغرب الإسلامي.

و بناء على ذلك فقد اتخذ السعي وراء ترسيم المذهب الأشعري بال المغرب الإسلامي طابعاً سياسياً، و قد تعددت أشكال المعارضة السياسية للمرابطين ومن بينها المعارضة النظرية ، وهي معارضة تزعّمها مجموعة من المفكرين كرسوا بجهوداتهم النظرية في ترسيخ هذه العقيدة الجديدة.

و قد اقتصرنا على ذكر أشهرهم، خاصة أولئك الذين وصلتنا أثارهم العقدية، و اشتهرت أعمالهم في زمنهم و في أزمان غير زمنهم، فمثّلوا بذلك سلطة معرفية كبيرة، و هم على التوالي: بن تومرت، و ابن العربي، و ابن حزّهم، و أبو علي المسيلي، و السلاجبي، و الكتاني و قبل التطرق لمختلف الأدوار التي قام بها هؤلاء كان علينا لزاماً أن نعرف في بداية الأمر بالدولة الموحدية.

**1- نشأة الدولة الموحدية:****1-1- أصل تسميتهم بالموحدين:**

تبني بن تومرت في دعوته مذهب المعتزلة في الأسماء والصفات، حيث نفى ما عساه أن يوهم بالتشبه والتتمثل لله سبحانه وتعالى، وكل ما من شأنه أن يشبه بأفعاله وأقواله حتى ولو كان ذلك في صفاتيه الموجودة في الكتاب والسنة، لهذا أطلق على أصحابه اسم الموحدين لأنهم في رأيه هم الذين يوحدون الله سبحانه وتعالى وتمييزا على أعدائه الجسميين المرابطين.

إضافة إلى أن هناك من يرجح تسمية الموحدين إلى أن قوام دعوة الموحدين هو الأمر المعروف والنهي عن المنكر، والقول بالتوحيد على طريقة الشيعة ومن تأويل المتشابه من آيات القرآن الكريم، والحديث النبوي الشريف، ومن أجل ذلك سمى أتباعه بالموحدين<sup>1</sup>. غير أن ابن القطان يرى أن أصل الموحدين عند بن تومرت هو تلك القبائل التي ناصرته أثناء دعوته، وهي من مصمودة وهي كالتالي: " هرغة، تينملل، حدمية ، جنفسية، هنتانة، وأهل هذه القبائل "<sup>2</sup> ويضيف المراكشي إلى القائمة السابقة " قبيلة كومية، هسکورة، صنهاجة، دكالة، جاحة، رجراجة، جزولة، لمطة " ، ولكن المراكشي لا ينص إن كانت هذه القبائل الموحدية في عهد بن تومرت، أم في عهد خلفائه، كقبيلة " كومية " التي التحقت بقبائل الموحدين وهي قبيلة عبد المؤمن بن علي.<sup>3</sup> ، ويرى ابن تيمية أن بن تومرت هو الذي سمى أصحابه بالموحدين.<sup>4</sup>

**1-2- بداية الدعوة الموحدية:**

قامت الدولة الموحدية على أساس إصلاحية دينية بقيادة الداعي محمد بن تومرت الذي يعتبر المؤسس الحقيقي لها<sup>5</sup> تلقى العلم بالحاضرة المغربية في البداية ومنها سبتة و مراكش التي

1- أحمد مختار العبادي: في تاريخ المغرب والأندلس، مؤسسة شباب الجامعة الإسكندرية، القاهرة، 2003، ص 111.

2- علي بن محمد الفاسي ابن القطان: نظم الجمان في أخبار الزمان، تحقيق: محمد علي مكي، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1990، ص 28.

3- عبد الواحد المراكشي: المعجب ،ص: 137

4- للمزيد حول هذه الفكرة ينظر: ابن تيمية: مجموع الفتاوى، ج 11، ص 485.

5- عز الدين عمر موسى: الموحدين في الغرب الإسلامي تنظيماتهم ونظمهم، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1991 م، ص: 35.

كانت تضاهي عاصمة العباسيين بغداد في التطور والازدهار<sup>1</sup> ، ثم انتقل إلى المشرق في طلب العلم وكانت البداية من قرطبة<sup>2</sup> حيث أخذ العلم عن أفاضل علمائها حيث أخذ فيها عن الفقيه أبي بكر الطروشي<sup>3</sup> وحضر مجلسه<sup>4</sup> ، كما أخذ عن جماعة من كبار العلماء و الفقهاء بالشرق كالإمام أبي حامد الغزالى الذى أثارت مسألة لقائه به شكوكا ، وأمر التقائه بحجه الإسلام لم يكن مؤكدا في مصنفات المؤرخين فقد انقسمت مواقفهم فمنهم من شك فيهم ، ومنهم من نفاه ، وهناك من أكد له<sup>5</sup> ، فالمراكشي و ابن خلدون كانا من المشككين فيه ، فال الأول يقول في كتابه ما يلي "وقيل أنه لقي أبي حامد الغزالى بالشام أيام ترددته<sup>6</sup> ، ومن الذين نفوه بحد ابن الأثير حيث يقول: الصحيح الله لم يجتمع به فحج من هناك وعاد إلى المغرب<sup>7</sup> . وهناك من يذهب إلى أبعد من ذلك بقولهم أن رحلته إلى المشرق لم تتجاوز الإسكندرية بمصر.

المشتبون لهذا اللقاء كانوا أيضا كثراً وذلك بناء على أدلة اعتمدوا عليها، ومنهم ابن القطان<sup>8</sup> وصاحب روض القرطاس إذ يقول : "لقي من العلماء الذين أخذ عنهم العلم الشيخ الإمام الأوحد بحامد الغزالى رضي الله عنه ورحمه لازمه لاقتباس العلم ثلاث سنين"<sup>9</sup> .

و بناء على تحليلات منطقه فإن هذا اللقاء بين بن تومرت والغزالى لم يتم لأن هذا الأخير بقي متنقلًا بين دمشق و القدس إلى غاية سنة ( 499 هـ / 1106 م)<sup>1</sup> ، و كان ببغداد ما بين

1- علي عبد الله علام : دعوة الموحدين بالمغرب ، ط 1 ، دار المعرفة ، الرباط ، المغرب 1964 ، ص : 122.

2- قرطبة تقع على نهر ببلاد الأندرس فقام فيها الأمويون فيما سبق، أنظر محمد بن عبد المنعم الحميري ، الروض المعطار ، ص : 406

3- هو محمد بن الوليد بن محمد بن خلف بن سليمان بن أبي الريحان الفهري الطروشي ، ويكتفى بذكره ويعرف باسم أبي رندقة ، رحل إلى المشرق للحج ودخل بغداد و البصرة ، اشتهر بالورع و الزهد و التواضع و كان إماما عالما ، و هو صاحب كتاب سراج الملوك ، توفي بالإسكندرية سنة 520 هـ/1126 م، ينظر : المقري: نفح الطيب ، ج 2، ص: 212.

4- مجهول: الحل الموشية، ص : 104 .

5- ابن القطان:نظم الجمان، ص: 117.

6- عبد الواحد المراكشي: المعجب، ص: 178.

7- ابن الأثير: الكامل، ج 8 ، ص : 233 .

8- ابن القطان: نظم الجمان، ص : 18 .

9- ابن أبي زرع: الأنليس المطربي، ص : 120 .

(488-484هـ/1091-1095م) ، و بعدها حل بنيسابور سنة (505هـ/1111م) ، فمتي كان لقاء الغزالى ومحمد بن تومرت ؟<sup>2</sup> ، وهذا يُقْرَأ أن الأرجح هو عدم التقاء المهدى بالغزالى.

و تذهب بعض الروايات إلى أنَّ هذا اللقاء قد تم و تذكر تفاصيله حيث أنَّ الغزالى سُأله عن كيفية استقبال أهل المغرب ، والأندلس لكتاب الأحياء الذي ألفه وذلك بعد أن علم أنه من المغرب ، فاستحيا بن تومرت أن يجيئه فألحَّ عليه فأجراه به بأنَّ المرابطين أحرقوه ، فدعا الغزالى عليهم بقوله: (اللهم مزق ملوكهم كما مزقتموه، واذهب دولتهم كما أحرقوه)<sup>3</sup> وأشار الغزالى إلى أنَّ ذلك سيكون على يد رجل مغربي<sup>4</sup>.

عاد بن تومرت إلى بلاد المغرب متشبعاً بأفكار الغزالى و بعض الأفكار الشيعية<sup>5</sup> و طرد من الإسكندرية أثناء رحلة عودته إلى المغرب لتذمر الناس من دعوته القائمة على الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر ، وتبني أفكارها الكثير من أهله وتأثروا بها .

و في طريق العودة نزل بالإسكندرية بعض الوقت ، و في تلك المدة بدأ في ممارسة دعوته القاضية بالأمر بالمعروف و النهي عن المنكر ، فاشتكتى الناس منه وهذا ما دفع واليها إلى طرده . ومنها خرج في سفينة متوجهة إلى المغرب سنة (510هـ/1116م) ، فنزل أولاً بطرابلس<sup>6</sup> ، بعدها اتجه إلى المهدية التي كان واليا عليها يحيى بن تميم المعز الصنهاجى .

1-أبو حامد الغزالى : المتنقذ من الضلال ، ص: 19 .

2- الطاهر المعومري : الغزالى و علماء المغرب ، الدار التونسية للنشر ، تونس ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر ، 1990 م ، ص: 28 - 29 .

3- Andrée Julien : Histoire de L'Afrique du Nord ، P 441

4- ابن القطان: نظم الجمان، ص: 132

5-Charle Andrée Julien : op.cit, P 441.

6- أبو بكر بن علي الصنهاجى البىذق: أخبار المهدى بن تومرت وبداية دولة الموحدين ، دار المنصور للطباعة و الوراقه ، الرباط ، 1971 م ، ص: 97 .

و بعد توجهه إلى المهدية<sup>1</sup> أخرجه صاحبها يحيى بن تميم بن المعز الصنهاجي لنفس السبب الذي طرد من أجله من الإسكندرية و بجاية. أين استخدم العنف و القوة في النهي عن المنكر ضرب الناس بالعصي لرؤياه يوم العيد مختلطين نساء و رجالا ، وهذا ما أثار الناس ضده فخرج إلى ملالة وبني له بها مسجدا حيث قصده طلبه فيه لحضور مجلسه ، و هناك التقى بعد المؤمن بن علي<sup>2</sup> الذي كان متوجها إلى المشرق رفقة عمه لطلب العلم<sup>3</sup> .

و خرجا معا متوجهين إلى المغرب الأقصى وكان معهما الونشريسي صاحب المهدى<sup>4</sup> ، وفي طريقهما طريقهما نزلا بتلمسان بمسجد العabad.

وفي مدة إقامته بها تمكن من كسب ثقة الأهالي وحهم<sup>5</sup> ، ومنها اتجه إلى فاس<sup>6</sup> ، حيث لقن العلم لطلبتها، وهي الأخرى طرد منها للأسباب ذاتها دوما و بعد هذه المرحلة من الحواضر المغربية يعود بن تومرت إلى مسقط رأسه بإيجيليز. وفيها أعلن المهدى عدائه للمرابطين وحث الناس على محاربتهم وإبراز مناطق ضلالهم<sup>7</sup> وعمل على التحرير ضد المرابطين ودعا إلى قتالهم ومحاربتهم، كما اهتم في هذه المرحلة بالتمهيد لمهدويته بالاستعانة بالأحاديث النبوية التي تخدمه، ولما تمكن له عدد من الأتباع أعلن عن مهدويته وقت مبايعته بالمهدوية سنة (518 هـ/1124 م)، واتخذ من

1- المهدية تقع بساحل إفريقية وبينها وبين القิروان ستون ميلا، وكانت قاعدة إفريقية، أنظر الحميري، الروض المعطار، ص: 561-562.

2- البيدق: المصدر السابق، ص: 32، 33.

3- صالح بن قرية: عبد المؤمن بن علي مؤسس دولة الموحدين، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1991م، ص: 9، 10.

4- البيدق: المصدر السابق، ص: 39.

5- عبد الواحد المراكشي: المعجب، ص: 181.

6- فاس تقع ببلاد المغرب، يشقها نهر آبير يقسم المدينة إلى عدوتين، القرويين والأندلس، بينها وبين سجلمامسة مرحلة، أنظر: محمد الشريف الإدريسي: القارة الإفريقية وجزيرة الأندلس، مقتبس من كتاب نزهة المشتاق، تحقيق، إسماعيل العربي، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1983م، ص: 131.

7- المهدى بن تومرت: أعز ما بطلب، تحقيق: عمار طالبي، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، الجزائر، 1985م، ص: 25.

تینملل مقاما له ولأتباعه<sup>١</sup>، وانتقل بدعوته إلى مرحلة العنف والقوة والصراع مع المرابطين<sup>٢</sup>، وببداية هجومه العسكري على المرابطين كانت بتوجيهه لحملة عسكرية بقيادة عبد المؤمن بن علي إلى مراكش، حيث التقى الجيشان في معركة البحيرة سنة (٥٢٤ هـ/١١٣٠ م) التي انحزم فيها الموحدين وتوفي المهدى في السنة نفسها<sup>٣</sup>، وقد أخفى خبر وفاته قرابة الستين يوماً بعد المؤمن قبلهما بيعة خاصة من أهل العشرة وفي سنة (٥٢٦ هـ/١١٣٢ م) أخذت له البيعة العامة.

عند تولي عبد المؤمن أمر الموحدين عمل جاهداً على تنظيم شؤونهم وتوحيد صفوفهم وبقي بتنملل إلى سنة (٥٢٨ هـ/١١٣٤ م) وبعدها سار واستولى على الجبال المجاورة له وبهذا بدأ مسيرته في السيطرة على الحواضر المغربية وتأسيس دولة متaramية للأطراف.

### ٣-١ توسيعات عبد المؤمن بن علي:

بدأ عبد المؤمن توسيعاته على حساب الأراضي المجاورة له بالغرب وبعدها عمل على ضم المغاربة الأوسط والأدنى وحتى الأندلس؛ حيث قام بالتوجه إلى تادلا<sup>٤</sup> سنة (٥٢٦ هـ/١١٣١ م) وسيطر على درعة<sup>٥</sup>، ودخل الموحدون تارودنت<sup>٦</sup> وإيجلي سنة (٥٢٩ هـ/١١٣٤ م)، ثم توجه ناحية تلمسان فأطاعته غماره ، وبعدها بستين توفي علي بن يوسف بن تاشفين المرابطي<sup>٧</sup>

١- محمد أحمد أبو الفضل: شرق الأندلس في العصر الإسلامي (٥١٥ هـ/٦٨٦ م) دراسة في التاريخ السياسي والحضاري، دار المعرفة الجامعية، القاهرة، ١٩٩٦ م، ص ١٢٢.

٢- بن قرية: عبد المؤمن بن علي، ص ١٨.

٣- عبد العزيز سالم: المغرب الكبير، ج ٢، ص ٧٨٠.

٤- تادلا تقع ببلاد المغرب، وهي مدينة قديمة حصنها منيع بناها المرابطون، أنظر أحمد الحميري: الروض المختار، ص: ١٢٧.

٥- درعة تقع بالغرب وتبعد عن سحلماسة بثلاث مراحل، أنظر الحميري: المصدر نفسه، ص: ٢٣٥-٢٣٦.

٦- تقع بالسوس وأهلها يتبعون المذهب المالكي، أنظر: الإدريسي: نزهة المشتاق، ص: ١٣١.

٧- عبد الواحد المراكشي: المعجب، ص: ١٠٢.

وخلفه ابنه تاشفين، وفي تلك الفترة حصل خلاف بين متوترة ومسوفة المرابطتين فتغيرت الأوضاع إذ انضمت مسوفة إلى الموحدين<sup>1</sup> وحاصر بوهران، واستطاع الموحدون إخضاع تلمسان و وهران سنة (539هـ / 1144م)<sup>2</sup>.

ثم حاصر عبد المؤمن مدينة فاس سنة (540هـ / 1145م)، وأرسل جيشاً لمحاصرة مكناة فاستولوا على فاس، ثم وجّه جيشاً إلى برغواطة فدخلها وفي سنة (541هـ / 1146م) ثم حاصرت مراكش إلى أن سقطت في أيديهم<sup>3</sup>. بمساعدة الجنود النصارى حيث توجه الموحدون إلى مراكش معقل المرابطين وتموقعوا بجبل جليز<sup>4</sup> ثم نزلت كل قبيلة في موضعها وإرتفع الموحدون على السور ودخلوا المدينة عنوة من باب ايلان وقتلوا ما أدركوا من المرابطين ثم تحصن الأمير إسحاق مع أعيان المرابطين في القصبة حتى أدركهم المرابطون فعفوا عن سير بن ينتيان لقوله خيراً في المهدى و وجدوا الأمير إسحاق قد إختبئ في أحد الغرف فسيق إلى عبد المؤمن الذي أشفع عليه لصغر سنّه (16 سنة) لكن أشياخ الموحدين عزموا على قتلّه وكان لهم ذلك ، ليتمّلّك الموحدون مراكش عاصمة المرابطين.<sup>5</sup> أما صاحب الحلل الموشية فقد ذكر أن الموحدين لما حاصروا مراكش وضعوا كمائن ثم تظاهروا بالإنهزام فهجم عليهم المرابطون فثارت الكمائن وهجموا على المرابطين وقتلوا لهم ثم طال الحصار على البعض الآخر حتى فييت مخازنهم ووصل بهم الحد إلى أكل لحم دواهم ومات منهم جوعاً ما يقارب 120 ألف وبذلك فتح الموحدون مدينة مراكش.<sup>6</sup>

1- بن قربة: عبد المؤمن بن علي، ص: 29.

2- ابن أبي زرع: الأنبياء المطرب، ص: 118-119.

3- ابن عذاري المراكشي: البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب (قسم الموحدين)، تحقيق محمد إبراهيم الكتاني و آخرون، مطبعة التجاج الجديدة، الدار البيضاء، 1985، ص: 24-27.

4- ذكر صاحب الحلل الموشية أن الموحدين بنوا بهذا الجبل الصغير مسجداً وصومعة طويلة. مطلة على مراكش مراقبتها. مجهول: الحلل الموشية ، ص 137.

5- ابن عذاري: المصدر السابق، ج 5، ص 27، 28. ينظر أيضاً:

RACHID BOUROUIBA: abd al-mu'min (flambeau des almohades) , 2 édition , sned ,alger, 1982 , p 34

6- مجهول: الحلل الموشية ، ص 137-138. وقد نقل لنا صاحب الحلل الموشية اشتداد الجموع على المرابطين من أهل مراكش في الصفحة 138 بقوله: " ولما طال عليهم الحصار و اشتدت أحوالهم، هلكوا جوعاً حتى أكلوا الجيف وأكل

وكان فتح الموحدين مراكش سنة (1147هـ/541م)<sup>1</sup> ضربة قاسمة للمرابطين الذين فنيت دولتهم ، وقد ذكرت بعض كتب التاريخ أن الموحدين لما أحضروا الأمير إسحاق ومعه مجموعة من أعيان المرابطين فقرر الموحدون إعدامهم<sup>2</sup> فأخذ الأمير إسحاق يبكي هلعاً ويرتعد خوفاً ويدعوا عبد المؤمن فقام إليه الأمير سير بن الحاج وبرق في وجهه وقال تبكي على أبيك وأملأ إصبر صبر الرجال و تم إعدامهم ، أما البيدق فأخبرنا أن الأمير إسحاق كان يقول لأمير المؤمنين عبد المؤمن "... يا أمير المؤمنين مالي في الرأي شيء ، فيقول له طلحة أصمت عنا. هل رأيت ملك يتضرع لملك مثله، وضررت عنق إسحاق..."<sup>3</sup>

وبعد إستيلاء الموحدين على مراكش وفدت جميع القبائل من المصامدة بأسرها وإستوثق أمر المغرب لعبد المؤمن بن علي ولم يبق له منازع.<sup>4</sup>

=أهل السجن بعضهم بعضاً وعدمت الحيوانات كلها والخنطة بأسرها واحتبرت المخازن فلم يوجد بها شيء وعجزت عساكر المتنزئين حينئذ عن الدفاع والإمتناع".

1- البيدق: المصدر السابق ، ص 65 ؛ ابن عذاري: المصدر السابق، ج 5، ص 28 ؛ مجھول : الحلل الموشية، ص 138 ؛ عبد الواحد المراكشي: المصدر السابق ، ص 143؛ ابن أبي زرع: المصدر السابق، ص 190؛ أبو عبد الله محمد بن ابراهيم الزركشي: تاريخ الدولتين الموحدية و الحفصية، تحقيق: محمد ماضرور، ط 1، المكتبة العتيقة، تونس، 1966م، ص 08؛ ابن حليدون : المصدر السابق ، ج 6، ص 310 ؛ ابن الأثير : المصدر السابق، ج 9، ص 205؛ السلاوي: المرجع السابق، ج 2، ص 98 ؛ يوسف أشباح: المرجع السابق، ج 1، ص 231 ؛ عبد الله عنان: دولة الإسلام في الأندلس ، ج 1، ص 263 ، ينظر أيضا:

ALFRED BEL: documents récents sur l'histoire des almohades , revue africaine , 1930 , alger , volume 71 , p :

2- ابن الأثير : المصدر السابق، ج 9، ص 205 ؛ مجھول : الحلل الموشية، ص 139؛ يوسف أشباح: المرجع السابق، ج 1، ص 231.

3- البيدق: المصدر السابق ، ص 65.

4- ابن أبي زرع: المصدر السابق، ص 189.

وذلك سنة (541هـ / 1146م)<sup>1</sup> دخلوا أغمات و طنجة، وبسقوط مراكش انتهى مُلك المرابطين، وفي هذه السنة قُتل آخر أمراء المرابطين إسحاق بن علي، وبموته بسط عبد المؤمن سلطانه على مملكة المرابطين بيد أن توسعات عبد المؤمن بن علي تعرضت إلى جملة من الاضطرابات كقيام ثورة ابن هود الماسي الذي ادعى المهداوية وذلك سنة (542هـ / 1147م)، حيث استطاع عبد المؤمن القضاء عليها<sup>2</sup>.

وبعدها تم إخضاع سجلماسة و مكناسة، كما دخلوا مليلية سنة (544هـ / 1149م) و سبتة<sup>3</sup>، ثم أتى دور الجزائر التي دخلوها صلحاً وفتحت لهم أبواب بجاية فدخلوها<sup>4</sup>، وتولت بونة و قسنطينة<sup>5</sup>، وفي سنة (554هـ / 1159م) توجه الجيش الموحدية إلى المهدية<sup>6</sup> بعد أن خضعت لهم تونس. و بقي محاصراً للمهدية التي استعصت عليه في البداية، و في تلك الفترة، دخل سوسة، و قفصة، و القيروان، و قابس، و تمكن من دخول المهدية سنة (555هـ / 1060م)، فطلب النصارى الذين كانوا بها الصلح من عبد المؤمن بن علي، و أن يمكنهم من الخروج بأمان، و بدخول عبد المؤمن بن علي هذه المدينة ملك المغرب بأقسامه الثلاثة و انطوت تحت لواء الموحدين. و تعتبر هذه السنة في تاريخ المغرب السنة التي تحققت فيها وحدته السياسية و خضع خليفة واحد في مراكش.<sup>7</sup>

1- ابن عذاري المراكشي: البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، ج 5، ص: 28.

2- ابن أبي زرع: الأنبياء المطرب، ص: 20.

3- مجهول: الحلل الملوشية، ص: 148-149.

4- ابن أبي زرع: المصدر السابق، ص: 121-122.

5- المادي روجي إدريس: الدولة الصنهاجية ، ج 2، ص: 428.

6- عبد العزيز بن عبد الله: تاريخ المغرب(العصر القسم والعصر الوسيط)، مكتبة السلام، الدار البيضاء ، ب.ت، ص: 117.

7- عبد العزيز عبد الله: المراجع السابق، ص 118؛ محمد بن عبد السلام ابن عبود: تاريخ المغرب، ط 3، دار الكتاب، الدار البيضاء، 1961، ص 201.

## 2- أسس الدعوة الموحدية:

لاحظنا سابقاً أن بن تومرت أعلن عداءه وحربيه - جهاده - على المرابطين حرباً لا هوادة فيها ولا رحمة<sup>1</sup>، فاتهمهم بفساد العقيدة ووصفهم بالجسمة، ومن ثم فهم كفار، وما قاله: "باب في وجوب جهادهم - المرابطين - على التجسيم والكفر وإنكار الحق<sup>2</sup>، وحرض أتباعه على محاربة المرابطين ووصف المقتول منهم بالشهيد بينما وصف من قتل من المرابطين فهو في النار"<sup>3</sup>. لكن هذه المزاعم باطلة لا أساس لها من الصحة، فقد فندتها كبار العلماء كشيخ الإسلام ابن تيمية بقوله: "... واستحل - بن تومرت - دماء ألوف مؤلفة من أهل المغرب المالكيّة الذين كانوا من أهل الكتاب والسنّة على مذهب مالك و أهل المدينة، يقرؤون القرآن والحديث كالصحيحين والموطأ وغير ذلك والفقه على مذهب أهل المدينة، فزعم أنهم مجسمة ولم يكونوا من أهل هذه المقالة ولا يعرف عن أحد من أصحاب مالك إظهار القول بالتشبيه والتجمسيم"<sup>4</sup>.

و قال الإمام الذهبي: "إن أهل المغرب ما كانوا يدينون إلا بتنزيل الله عز وجل ووصفه بما يجب له مع ترك الخوض فيما تقصّر العقول عن فهمه، فكفرهم بن تومرت لجهلهم العرض والجوهر، وقال: إن من لم يعرف ذلك لم يعرف الخالق من المخلوق<sup>5</sup>، وقال ابن كثير في أبي بكر بن عمر: "وكان وكان يسير في الناس سيرة حنة مع صحة اعتقاده ودينه"<sup>6</sup>.

كما اتهم علماء المرابطين وأمرائهم على الفساد والظلم، وادعى أن علماء المرابطين أدلة طيعة في يد الأمراء حيث قال : "باب في معرفة أتباعهم الذين أعادوهم في ظلمهم وصدقوهم على كذبهم منهم المتلبسون يعني الماكرين الذين يضلّونهم بغير علم ويتوسلون بفتياهم إلى أباطيلهم

1- أفرد بل: المرجع السابق، ص 260.

2- ابن تومرت: أعز ما يطلب، ص: 249.

3- المصدر نفسه: ص: 3.

4- ابن تيمية : مجموع الفتاوى، ج 11، ص: 478.

5- الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج 19، ص: 478.

6- إسماعيل بن كثير: البداية والنهاية، ج 12، ص: 134.

وأهوائهم كلما سألوهم عن شيء أفتواهم على ما وافق أهوائهم وأغراضهم فضلوا وأضلوا<sup>1</sup>. غير أن الذي يؤكده الباحثون أن الكثير من فقهاء المرابطين كانوا أهل استقامة وزهد وورع وتقوى، وأن الدولة المرابطية ظلت تراعي الكفاءة في المناصب الحيوية وخاصة في مجال القضاء، فكان لا يتولى القضاء إلا من ثبتت جدارته ونزاهته وتمتع بحظ وافر من العلم<sup>2</sup>، ويواصل بن تومرت حملته الشرسة على المرابطين فاتهم نسائهم بالتشبه بالرجال في عدم تغطية الوجه، إذ يقول: " وهؤلاء المسمون الكفار يتشبه نسائهم بالرجال بالكشف عن وجوههم بلا تلشم ولا تنقب والتتشبه بهم حرام"<sup>3</sup>.

كما قام بن تومرت المؤسس الأول لدولة الموحدين بإحلال التوحيد الكلامي القائم على التأويل محل توحيد السلف القائم على التسليم بظاهر الآيات القرآنية، حيث أخذ يدرس التوحيد الكلامي جهراً بعد أن كان يذيعه بين تلاميذه سراً في بداية ظهوره، مما ساهم في بروز التيار العقلاني، والفكر الذي يعتمد على العقل المجرد؛ وكان بن تومرت المؤسس الروحي للدولة الموحدية قد وضع مذهبًا توحيدياً كلامياً وليس مذهبًا فقهياً، وهاجم علماء المالكية لوقفهم

حجر عثرة في سبيل مذهبة التوحيد الكلامي<sup>4</sup>، يقول ابن خلدون: " وجاء المهدي على إثرهم - المرابطين - داعياً إلى الحق آخذنا بمذاهب الأشعري، ناعياً على أهل المغرب عدوهم عنها إلى تقليد السلف في ترك التأويل لظواهر الشريعة ، وما يقول ذلك إلى التجسيم كما هو معروف في مذهب الأشعرية"<sup>5</sup> و يقول أيضاً عن بن تومرت: " لقي أئمة الأشعرية بالشرق وأخذ عنهم واستحسن طريقتهم وذهب إلى رأيهم في تأويل المتشابه بعد أن كان أهل المغرب بمعزل عن إتباعهم في التأويل فطعن على أهل المغرب في ذلك وحملهم على القول بالتأويل والأخذ بمذاهب الأشعرية في كافة العقائد وأعلن إمامتهم ووجوب تقليدهم"<sup>6</sup>. كما يذكر ذلك

1- ابن تومرت: أعز ما يطلب، ص: 246,247.

2- دندش: الأندلس في نهاية المرابطين ، ص: 144.

3- ابن تومرت: أعز ما يطلب، ص: 247.

4- عبد الله علام: الدولة الموحدية في عهد عبد المؤمن بن علي، دار المعارف، مصر، 1971، ص: 307-308.

5- ابن خلدون: المقدمة، ص: 230؛ الذهي، سير أعلام النبلاء، ج 19، ص: 548.

6- ابن خلدون: المقدمة، ص: 226.

المقرizi إذ يقول: " وبعد وفاته — بن تومرت — خلفه عبد المؤمن بن علي وتغلب على المغرب وصارت دولة الموحدين تستبيح دماء من خالف عقيدة بن تومرت، فكان هذا هو سبب انتشار واشتهر مذهب الأشعري"<sup>1</sup>.

يمكن القول أن بن تومرت قد حمل لواء الدعوة إلى العقيدة الأشعرية ومكّنها بالقوة حتى فرضها مشرياً عقدياً وحدياً تسانده دولة بكمالها بعد أن كانت مخصوصة في أفراد من العلماء فاستحلوا دماء أهل السنة وقتلوا منهم حلق كثير وفرضوا العقيدة الأشعرية بالسيف<sup>2</sup>.

و لقد سار الخلفاء الموحدون على المبادئ التي رسّمها وخطط لها بن تومرت، وتبناوا أفكاره الكلامية، ودافعوا عنها وأفزوا فيها المؤلفات، فجمع عبد المؤمن آثاره العلمية سواء في التوحيد أو الفقه في كتاب سماه "أعز ما يطلب".

حيث لم يشجع عبد المؤمن المذهب المالكي وأظهر تعظيمه للمذهب الظاهري كبديل للمذهب المالكي<sup>3</sup> مستغلاً كثرة الخلافات في المذهب كذرية لمحاولة القضاء عليه، وبالتالي القضاء على علماء المالكية الذين يجلّهم عامة الشعب، فأمر بحرق كتب الفروع ورد الناس إلى قراءة الحديث وكتب ذلك إلى جميع طلبة المغرب والعدوة<sup>4</sup>، واستمر هذا الأمر في زمن يعقوب المنصور الذي تشدد في تنفيذ خطة بن تومرت فأحرق كتب المذهب المالكي وعرضها بالصحاح العشرة والمنتخب الذي اختاره منها.

و في هذا الصدد يقول عبد الواحد المراكشي: " وفي أيامه انقطع علم الفروع وخافه الفقهاء وأمر بإحراق كتب المذهب بعد أن جردت من القرآن وحديث رسول الله، ففعل ذلك فأحرق جملة منها في سائر البلاد كمدونة سحنون وكتاب بن يونس ونواذر أبي زيد وختصره وكتاب

1- المقرizi: الموعظ والاعتبار ، ج2، ص: 358.

2- المصدر نفسه، ج2، ص: 358؛ ابن أبي زرع: الأنيس المطرب، ص: 186.

3- عبد الله عنان: عصر المرابطين والموحدين في المغرب والأندلس، ج2، ص: 240.

4- ابن أبي زرع: الأنيس المطرب، ص: 195.

التهذيب للبرادعي وواضحة ابن حبيب وما جانس هذه الكتب ونحوها ولقد شهدت منها وأنا يومئذ بمدينة فاس يؤتى بها بالأحمال فتوضع و يطلق فيها النار... وأمر جماعة من كان عنده من العلماء الحدثين بجمع أحاديث من المصنفات العشرة في الصلاة وما يتعلق بها على نحو الأحاديث التي جمعها بن تومرت في الطهارة، فأجابوه إلى ذلك وجمعوا ما أمرهم بجمعه فكان يعليه بنفسه على الناس ويأخذهم بحفظه وانتشر هذا المجموع في جميع المغرب، وحفظه الناس من العوام والخواص، وكان يجعل من يحفظه الجعل السني من الكسي والأموال، وكان قصده في الجملة هو مذهب مالك وإزالته من المغرب مرة واحدة وحمل الناس على الظاهر من القرآن والحديث وهذا المقصود بعينه كان مقصود أبيه وجده إلا أنه لم يظهره وأظهره يعقوب...<sup>1</sup>.

إلا أن علماء المالكية استمروا يمارسون نشاطهم في عهد الخليفة عبد المؤمن<sup>2</sup> وابنه الخليفة يوسف بن عبد المؤمن<sup>3</sup> كمحمد بن سعيد الأنباري الذي تابع تدريس كتب المالكية حتى أمر المنصور بسجنه في سبتة<sup>4</sup> ومحمد بن خلف التجيبي (ت 593هـ) وأبو الحسن بن زرقيون كما توفي أبو بكر الحياني من جراء التعذيب لإصراره على التدريس بمذهب الإمام مالك<sup>5</sup>. كما شجع المحدثون علماً كثيرة لم تكن رائحة في العصر السابق كالفلسفة والتصوف<sup>6</sup>، وكان تشجيعهم تشجيعاً مادياً ومعنوياً وأدبياً.

تفننوا فيه ما شاءت لهم أريحيتهم ونباهتهم، فكانت للفلسفة في أيام يوسف نهضة كبيرة، ويوسف نفسه كان على رأس المشغلين بها المحبين لها. تعلم الفلسفة فجمع كثيراً

1- عبد الواحد المراكشي: المعجب، ص: 278، 279.

2- التوبي: نهاية الأرب في فنون الأدب، ج 22، ص: 240.

3- ابن الأثير: الكامل، ج 9، ص: 92.

4- محمد الرشيد ملين: عصر المنصور المويدي، مطبعة الشمال الإفريقي، الرباط، المغرب، (د.ت)، ص: 245.

5- المرجع نفسه، ص: 245.

6- بعد التصوف من العلوم الشرعية الحادثة في الملة (أي التي دخلت على الإسلام بعد عهد النبوة والصحابة)، وبدأ هذا العلم الاعتكاف والانقطاع لعبادة الله تعالى، والابتعاد عن الدنيا وزخرفها ونبذ هوى النفس والانفراد في خلوة للعبادة وكان هذا حال عامة السلف الصالح، فتركوا متع الدنيا والإقبال عليها في القرن الثاني هجري وما بعده، احتضن المقبولون على العبادة باسم الصوفية والمتصوفة، ينظر ابن خلدون: المقدمة، ص 868.

من أجزائها، وجمع إليه علمائها وفي مقدمتهم بن طفيل الذي أحبه، وهو الذي نبهه إلى أبي الوليد محمد بن أحمد بن رشد.. وبفضل هذا الاهتمام من يوسف ترجم ابن رشد ما ترجم من كتب أرسطو الطبيعية، وله شروح ثلاثة: أكبر وأوسط، وأصغر، أما شروحه الصغرى فتوجد بالعربية في "مجلد" باسم كتاب "جواجم كتب أرسطاليس"<sup>1</sup>، ولقد تولى بن رشد (520-595هـ/1126-1198م) مؤلفات الفيلسوف أرسطو بالدراسة العميقه والمقارنة الدقيقة، وشرحها بطريقة علمية مبنية على التحليل الدقيق والنقد السليم، وهو في هذا يوجز حيناً ويُطِّلب حيناً آخر، وكان ابن رشد على جانب هذا فقيهاً وطبيباً تولى قضاء مدينة "إشبيلية" سنة (565هـ/1169م)، وفي سنة (578هـ/1182م) كان طبيباً للحليفة المودي يوسف بن عبد المؤمن (558هـ/1162-580هـ/1184).

إن الاعتناء بالفلسفة لم يكن مطراً أيام الموحدين، و موقف يعقوب المنصور (558-595هـ/1184-1199م) منها معروفاً إذ رغم مقاومته لها في البداية لم يلبث أن رجع عنها وشجعها، وكان يتكلم في مواضيعها مع بن طفيل (ت 571هـ/1175م)، ولقد حاول كل من بن طفيل وبن رشد التوفيق بين الفلسفة والدين، والدفاع عنها فخحطت بذلك خطوات إلى الإمام، وذاع صيتها في العالم الإسلامي والنصراني على السواء؛ ومن أشهر فلاسفة ومتصوفة العصر المودي الذي أنجبته الأندلس محي الدين ابن عربي (560-638هـ) اشتهر بالتصوف والزهد، وكان مهصلاً لفنون العلم والأدب، والتقدم الذي لا يُسبق، وقد كان في جعبته الكثير من المصنفات القيمة في الفلسفة والتصوف، منها كتابه الذايع الصيت "الفتوحات المكية" يشهد بطول باعه في التصوف.

1- محمد المتوني: العلوم والآداب والفنون على عهد الموحدين، ط2، مطبوعات دار المغرب للتأليف والترجمة، المغرب، 1977م، ص: 97، 99؛ عبد الله عنان: دولة الإسلام في الأندلس، ج2، ص: 646.

### 3- مكانة الفقهاء في العصر الموحدي:

إن طبقة الفقهاء والعلماء كان لها دوماً المكانة المميزة في المجتمع عند العامة والخاصة لكن إذا كانت أفكارهم لا تتعارض مع أفكار الخليفة السلطان، ولهذا عملت دولة الموحدين منذ البداية على تفادي ضغط الفقهاء أما غير الموالين فقد عوملوا بقسوة حتى أنهم خرجوا من البلاد خوفاً من بطش السلاطين وظلمهم<sup>1</sup>.

ولعل أهم ما ميز المرحلة الموحدية هو تصدر الدولة للحياة الدينية بواسطة خلفائها الذين يرد ذكرهم في الرسائل الرسمية باسم الخلفاء الراشدين، فقد زاول الخلفاء نفوذاً فعلياً يجمع بين السلطة والسياسة والإشراف على الحياة الدينية، بينما لعب الفقهاء دوراً تابعاً بدون أي طموح يذكرنا بأقرانهم خلال العهد المرابطي، لكن مما لا شك فيه أن جمهور الفقهاء قد استفادوا من موقعهم داخل جهاز الدولة وحصلوا على امتيازات مماثلة في المدaiya ووصلات الخلفاء إضافة إلى مرتباتهم، وفي هذا المعنى يمكن التأكيد أنه بالرغم من اختلاف الأساليب التي تتحكم فيها الظروف التاريخية في الغالب فإن مسألة الاعتناء بالأطر الفقهية تتشابه، فكان الخلفاء الموحدون يسعون رعايتهم على العلماء والفقهاء فالخليفة عبد المؤمن كان يقدر العلماء ويترهم منازلهم اللائقة بهم<sup>2</sup>، وكان يؤثرهم على غيرهم يقول المراكشي: "وكان عبد المؤمن مؤثراً لأهل العلم محبًا لهم محسناً إليهم يستدعهم من البلاد إلى السكون عنده والجوار بحضوره"<sup>3</sup> وعلى نفس النهج سار الخليفة يوسف بن عبد المؤمن في تكريم العلماء والفقهاء والعناية بهم وكان حريصاً على مجالستهم ومحادثتهم<sup>4</sup> وكان مهتماً بجلب العلماء والفقهاء إلى عاصمته والاستفادة منهم، يقول المراكشي: "ويبحث - يوسف بن عبد المؤمن - عن العلماء وخاصة أهل علم النظر إلى أن اجتمع له منهم ما لم يجتمع ملوك قبله - ربما يقصد ملوك المغرب -"<sup>5</sup> فلما زار الأندلس سنة (580 هـ/1184 م) وقصد أشبيلية

1- علي أحمد: الأندلسيون والمغاربة في بلاد الشام من نهاية القرن الخامس حتى نهاية القرن التاسع، دار طالس للدراسات والترجمة والنشر، دمشق، 1989م، ص: 88.

2- مجھول: الحال الموسية، ص: 113؛ عبد الله عنان، عصر المرابطين و الموحدين، ج2، ص402.

3- عبد الواحد المراكشي: المعجب، ص: 200.

4- ابن أبي زرع: الأنبياء المطرب، ج2، ص: 181-186.

5- عبد الواحد المراكشي: المصدر السابق، ص: 239.

وخرج الناس لاستقباله ورؤيته، فما إن أبصر الخليفة العالم بن الجد حتى ترجل عن فرسه وأقبل عليه وتعانقا<sup>١</sup>، ونفس المنزلة تمعن بها الفقهاء في عصر المنصور المودي حيث كان يكرمهم ويشهد جنائزهم<sup>٢</sup>، يقول ابن أبي زرع: " وكان محبـا - المنصور - للعلماء وقضـائهم صادرا عن رأـيـهم... يـشـهـدـ جـنـائـزـ الـعـلـمـاءـ وـالـفـقـهـاءـ وـيـزـورـهـمـ وـيـتـبرـكـ بـهـمـ... وـأـكـرمـ الـفـقـهـاءـ وـرـاعـيـ الـعـلـمـاءـ وـالـفـضـلـاءـ"<sup>٣</sup> ، وكان يستدعى العلماء إلى حاضرته كما فعل مع محمد بن أحمد بن محمد الخمي وهو أحد علماء تلمسان حيث نال منزلة كريمة لديه وعند أبنائه من بعده<sup>٤</sup> ، وهذا القاضي عياض قال في حب المنصور الآيات التالية:

فؤاد بضياء العلم المنشرح	◆	ووجهه بحمل العلم موسوم
وكفه بطنه بالخير منهم	◆	وظهرها لعهد الله ملشوم
العلم قيمته والحلم شيمته	◆	طابت أرمته والنفس والخيم

وهو ما يدل على حب المنصور للعلم وأهله وكرمه معهم وقد نال الفقهاء في عهد الموحدين العطايا والمدايا، فكان الخليفة عبد المؤمن يجري المرتبات والأرزاق على طلبة الحضر شهرياً من بيت المال، فالفقيقه أحمد بن عبد الرحمن المعروف بابن أبي الصقر كان إذا وفد على الخليفة عبد المؤمن يصله في المرة الواحدة خمسمائة دينار<sup>٥</sup> ، وقد أشار ابن صاحب الصلاة إلى المبات والعطايا التي نالها هو وغيره من العلماء حين التقى بال الخليفة يوسف ابن عبد المؤمن سنة (566هـ/1170م).<sup>٦</sup>

١- ابن عذاري: البيان المغرب، ج 4، ص: 60.

٢- ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج 9، ص: 165.

٣- ابن أبي زرع: الأنبياء المطروب، ص: 156.

٤- أبو زكريا يحيى بن محمد ابن خلدون: بغية الرواد في ذكر الملوك من بنى عبد الواد، تحقيق عبد الحميد حاجيات، ج 1، المكتبة الوطنية، الجزائر 1400هـ/1980م، ص: 27.

٥- لسان الدين ابن الخطيب: أعمال الأعلام فيما قبل الاحتلال من ملوك الإسلام، تحقيق، ليفي بروفيسال، ط 2، دار المكتشف، بيروت، لبنان، 1956م، ص: 232.

٦- عبد الملك بن محمد ابن صاحب الصلاة: تاريخ المن بالإمامية على المستضعفين بأن جعلهم الله أئمة وجعلهم الوارثين، تحقيق، عبد المادي التازري، ط 1، دار الأندلس للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، 1964م، ص: 428-430.

فهذا عبد المؤمن بن علي اقطع أرضا لأبي النجم هلال بن يوسف ليعيش من حراثتها وأجلز المبة والعطاء لسعيد بن محمد بن خليد اللخمي (ت 567هـ / 1171م) حتى صار من أغنى الناس وشغل رتبة عليا في الدولة نال بها دنيا عريضة<sup>1</sup>، وأحمد بن ابراهيم بن عبد الملك مطرق التيمي من أمرية أعطى عطاء عظيماً<sup>2</sup> (ت 627هـ / 1229م) كما أعطى الناصر مبلغاً قدره ألف ديناً لعلي بن محمد بن خروف الخضوري النحوي مكافأة له على كتابه شرح كتاب سبوية<sup>3</sup>، وأجرى المنصور الموحدي الأرزاق والأموال من بيت المال على العلماء والفقهاء<sup>4</sup> وتحول حال الكثير منهم من الفقر والضنك إلى اليسر والرخاء كما حصل لأبي القاسم السهيلي (ت 581هـ / 1185م) بمراكب الذي نال دنيا عريضة بعد اتصاله بالخلفاء<sup>5</sup> ، وأحمد بن عتيق ابن الحسن (ت 601هـ / 1204م) الذي نال هو بدوره دنيا عريضة بخدمة السلطان<sup>6</sup> وأبو بكر بن خلف الأنباري الفقيه المتوفى بفاس سنة (599هـ / 1202م) ، والذي جمع أموالاً جليلة نتيجة اتصاله بولاة الأمر بمراكب<sup>7</sup> ، وغير هؤلاء نالوا من المكانة والواجهة نتيجة اهتمام الخلفاء والأمراء لهم.

#### 4- الدولة الموحدية و المذهب الأشعري:

##### 4-1- جذور الأشعرية بالمغرب الأقصى:

لقد كان المغرب الأقصى مختلف عن إفريقية والأندلس فيما يخص طبيعة طرح المسألة العقائدية، فإذا كانت إفريقية قد عرفت الاعتزال والتшиع، فإن المغرب الأقصى لم يعرف هذين

1- أبي عبد الله محمد بن عبد الملك المراكشي: الذيل و التكميلة، تحقيق إحسان عباس، السفر الخامس، القسم الأول، دار الثقافة ، بيروت ،لبنان، (ب.ت)،ص304.

2- ابن الأبار: التكميلة، ج 1، ص: 168.

3- جلال الدين السيوطي: طبقات الحفاظ، ط 1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1983، ص: 492.

4- ابن أبي زرع: الأنبياء المطروب، ص: 157.

5- ابن دحية: المطروب في أشعار أهل المغرب، تحقيق إبراهيم الأبياري، القاهرة، 1954، ص: 208 - 212.

6- ابن الأبار: التكميلة ،ج 1، ص: 171.

7- المصدر نفسه ،ج 1 ، ص: 261 - 262

المذهبين إلا في حدود ضيقه جداً، فقد أشارت بعض المصادر إلى وجود فئة الواصليّة<sup>١</sup> أتباع واصل بن عطاء في القرن الثاني في قبيلة أوربة، لكنها اندثرت في ظروف غامضة<sup>٢</sup>. أما فرقه الشيعة البحلية التي وجدت بنواحي تارودانت بالسوس الأقصى، فرغم استمرارها إلى العصر المرابطي، فإن تأثيرها ظل ضعيفاً بسبب محاصرة مالكية السوس لها<sup>٣</sup>. وبالنسبة للنحل الأخرى مثل النحلة البرغواطية<sup>٤</sup> ونحلة حاميم الغماري مثلاً، فإن فقهاء المغرب آنذاك لم يكونوا يرون جدوئي في استخدام الحجج العقلية لمواجهتها، بسبب عقائدها التلفيقية الغربية، لذلك فضلوا عزّلها ومواجهتها بالتبعية والجهاد<sup>٥</sup>، حتى تمكنوا من القضاء عليها. واعتباراً لهذه الخصوصيات فإن المغرب الأقصى لم يعرف سحاليات عقدية بنفس المستوى الذي كانت عليه إفريقياً. ومع هذا فإن الأشعرية عرفت بالمغرب الأقصى لكن على نطاق محدود جداً منذ أواخر القرن الرابع الهجري/العاشر الميلادي، فخلال هذا القرن رحل إلى المشرق عالم فاسي واتصل هناك بائمة الأشعرية، وهو أبو ميمونة دراس بن إسماعيل الجراوي (ت 357هـ/968م) الذي تنسب له رسالة في الدفاع عن الأشعرية<sup>٦</sup> وفي بداية القرن الخامس كتب عالم إفريقي هو أبو الطيب الصفاقي نزيل أغمات عقيدة أشعرية سماها "العقيدة السننية البرهانية"<sup>٧</sup>، للشيخ إسحاق بن إسماعيل أمغار حوالي سنة 412هـ/1020م). وعبر هذه المسالك المختلفة بدأت مؤثرات المذهب الأشعري تصل إلى المغرب الأقصى، ولكن الاهتمام به لم يكن قد تخطى في هذه المراحل دوائر العلماء المتخصصين. وما

١-البكري: المغرب في ذكر بلاد إفريقيا والمغرب، ص. 137.

.118- المصدر نفسه: ص.

3- محمد المغراوي: تطور المذهب الأشعري بال المغرب الأقصى إلى حدود العصر المرابطي، ص 138.

4- استمرت الديانة البرغواطية بالغرب حوالي 4 قرون، لكنها لم تستطع أن تتجاوز مجالها الجغرافي بإقليم تامسنا، يظر: علي فليح عبد الله الصميدعي: أهل الذمة في المغرب الأقصى من الفتح حتى نهاية دولة الموحدين، ط 1، دار غيادة للنشر والتوزيع، الأردن، 2014م، ص-171-177.

5- محمد المغراوي: تطور المذهب الأشعري بال المغرب الأقصى إلى حدود العصر المرابطي، ص 138.

6- روجي إدريس: الدولة الصنهاجية، ج.2، ص.333.

7- محمد المغراوي: تطور المذهب الأشعري بالغرب الأقصى إلى حدود العصر المرابطي، ص 138، 139.

يجدر التنبيه إليه أن هؤلاء العلماء أنفسهم لم يشعروا آنذاك بضرورة نشر الأشعرية على نطاق واسع، التزاماً منهم بموافق كبار علماء أهل السنة الذين كانوا يرون أن علم الكلام لا ينبغي أن يشغله العامة لقصور أفهامهم عن إدراك مناهجه وطرق أهله في الاستدلال، وربما أيضاً لأنعدام الأسباب الداعية إلى إذاعته في البيئة المغربية، فظل انتشاره محدوداً إلى حدود عصر المرابطين. ونعتقد أن هذه الأسباب هي التي كانت وراء ذيوعه بال المغرب الأقصى بوتيرة أبطأ نسبياً من باقي بلاد الغرب الإسلامي. لكن ما يثير بعض التساؤلات هو لماذا لم يتأثر أغلب الفقهاء المغاربة الذين كانوا يتربدون على علماء القิروان بأشعارتهم وتأثروا بثقافتهم الفقهية فقط، خاصة تلاميذ أبي عمران الفاسي؟

يرتبط طرح المسألة العقدية بسياق ديني له خصوصياته في المغرب الأقصى، ومن الضروري أن نذكر في هذا الصدد بدور رياط نفيس وجهود تلميذ الإمام أبي محمد بن أبي زيد القريواني، فقد ظلت منطقة نفيس والسوس الأقصى تحفظان بذكرى الفاتح عقبة بن نافع الفهري رضي الله عنه، حيث تأسست في المناطق التي مر منها خاصة أغمات ونفيس وماة مساجد تحولت إلى رياطات، ونضحت بأدوار حيوية في نشر الإسلام بجبل درن وجبال جزولة والصحراء. وقد ذكر أبو صالح الأيلاني في كتاب القبلة أخباراً في غاية الأهمية عن الدور الذي كانت المنطقة تتضطلع به في نشر الإسلام بين سكان النواحي المحيطة بها في القرن الرابع الهجري /العاشر الميلادي، وأيضاً الوظيفة الجهادية التي قام بها مجموعة من الفقهاء من تلاميذ الإمام ابن أبي زيد القريواني في شكل جماعي منظم بتوجيهه مباشر منه حيث اندفعوا لمحاربة النحلة البرغواطية، وقد قام رياط نفيس بدور نشيط في تبعية قبائل المصامدة ورکراكة لمحاربتها. ووقف هذا الرباط في وجه توغلها جنوباً، وكانت حملات القبائل بقيادة الفقهاء تنطلق منه لقتال البرغواطيين، وذكر أسماء عدد من الفقهاء الذين استشهدوا في هذه المعارك<sup>1</sup>.

وقد توجهت هذه الحركة التاريخية بتأسيس مدرسة "دار المرابطين" التي أنشأها الفقيه وجاج بن زلو اللقطي (ت 445هـ/1053م) الذي ينتمي إلى نفس التيار من الفقهاء، خاصة وأنه اتصل أيضاً بمدرسة الفقه في القิروان مباشرة بتعلميه للشيخ أبي عمران الفاسي، وكان من خريجي دار

1- محمد المغراوي: تطور المذهب الأشعري بال المغرب الأقصى إلى حدود العصر المرابطي، ص 139، 140.

المرابطين تلميذه الإمام عبد الله بن ياسين الجزوئي (ت 451 هـ / 1059 م)، وأبو عبد الله الجرجاجي من أهل تالفت من بلد رجراحة (ت. قبل 486 هـ / 1093 م). فكان من الطبيعي إذن، في غضون هذا الصراع المتسم بالمواجهة المستمرة، أن تهمش الانشغالات النظرية والجدل الكلامي، وأن تعطي الأهمية الأولى للجهاد ونشر الإسلام.

#### 4-2- دخول المذهب الأشعري للمغرب الأقصى:

ارتبط المذهب الأشعري بالمغرب منذ عصر الموحدين ارتباطاً كاملاً بالمذهب المالكي<sup>1</sup> ، بعد أن عانى استقراره من بعض الصعوبات في عصر المرابطين، ابتداءً من عهد أمير المسلمين علي بن يوسف (537-500 هـ / 1107 - 1142 م) الذي عرف قضيتين فكريتين أثارتاً موقفاً متناقضة، وقامت حولهما معارك تجاوزت الإطار الفكري الحضري، وهما التصوف والأشعرية. وإذا كانت معركة المرابطين ضد التصوف قد انطلقت على إثر دخول كتاب إحياء علوم الدين للإمام أبي حامد الغزالي (ت 505 هـ / 1111 م) إلى الأندلس، واعتراض الفقيه ابن حمدين قاضي الجماعة بقرطبة وبعض فقهائها على بعض ما ورد فيه<sup>2</sup> ، فإن محاربتهم للأشعرية لا تحدد المصادر سبباً مباشراً لها . لكن من المعروف أنها انطلقت من قصر الإمارة بمراكبش بتحريض من الفقهاء الذين كانوا يشكلون بطانة أمير المسلمين، ولم تربطها المصادر أيضاً بفتوى فقيه معين كما في حالة إحراق الإحياء.

إن مسألة دخول المذهب الأشعري إلى المغرب الأقصى لا تزال في حاجة إلى بحث وتدقيق، فبعض المصادر ربطت دخوله بأبي بكر المرادي الحضرمي (ت 489 هـ / 1096 م)<sup>3</sup> ، وأخرى عزت ذلك إلى محمد المهدي بن تومرت المصمودي (ت 524 هـ / 1130 م) . في حين أن الأشعرية كانت موجودة بالمغرب قبل القرن 6 هـ / 12 م.

1- محمد المغراوي: تطور المذهب الأشعري بالمغرب الأقصى إلى حدود العصر المرابطي ، ص 133.

2- ينظر عن إحراق الإحياء : محمد المغراوي: فتوى لأبي الفضل بن النحوبي حول إحياء علوم الدين للغزالي، ص-ص: 116-128.

3- ابن الزيات التادلي: التشوف إلى رجال التصوف، ص. 106.

فالصلات العلمية بين المغرب والشرق الإسلامي لم تقطع عبر القرون السابقة كلها، بالرغم من جميع الظروف والتحولات السياسية التي كانت الجهتان معاً تعرفانها. ومع استمرار الاتصال كانت مضامين ومصادر ومؤثرات الثقافة الإسلامية المشرقية تنتقل إلى بلاد المغرب والأندلس، وكان منها طبعاً المذهب الأشعري الذي جعلته التحولات الفكرية والسياسية في القرنين الرابع والخامس يتتجاوز وضعيه كمذهب كلامي، ويتحول إلى قضية ذات أبعاد ثقافية وسياسية ومحورية في مذاهب أهل السنة، وخاصة في علاقتها بكل من التشيع والاعتزال.

الأشعري من تشجيع أئمة المذاهب السنية في المشرق، وفي المقام الأول المالكية ثم الشافعية، وعملوا على نشره على نطاق واسع، معتبرين إياه انتصاراً لعقائد أهل السنة وتحاوزاً لمرحلة العجز في الدفاع عن عقيدتهم أمام سجلات المعتزلة وحججهم، بحيث "كان ذلك سبباً لانتهاظ أهل السنة بالأدلة العقلية على هذه العقائد (أي الاعتزال) دفعاً في صدور هذه البدع<sup>1</sup> ضمن هذا السياق الفكري إذن تبني أئمة المذاهب السنية وفقهاً لها الأشعرية، باستثناء علماء المذهب الحنبلي الذين ظلوا في معظمهم متسبحين بحرفية النصوص الاعتقادية في القرآن والسنة ومعرضين عن تأويلها، الشيء الذي سيؤثر على انتشار المذهب الحنبلي فيما بعد.

## 5- رجالات الأشعرية في العصر المودي:

**5-1- المهدى بن تومرت (ت 524 هـ / 1130 م):**

**5-1-1- حياته:**

اختلف المؤرخون في تحديد السنة التي ولد فيها "محمد بن عبد الله بن تومرت" الملقب "بهذى" الموسّد، وهو الرجل الذي أسس دولة الموسّد التي قامت على أنقاض دولة المرابطين، فالبعض يجعلها سنة 469 هـ / 1076 م أو 473 هـ / 1080 م، وبعض الآخر يجعلها سنة 485 هـ<sup>2</sup>، في حين ذكر الزركشي "أن ميلاده صادف سنة 491 هـ / 1097 م".<sup>3</sup>

1- ابن خلدون: المقدمة، ص 588

2- ألفرد بل: المرجع السابق، ص 251؛ يحيى هويدى: محمد بن تومرت و توفيقه بين الحكمة و الشريعة، مجلة الأصالة، العدد 12، مطبعة البعث، قسنطينة، 1973، ص: 223.

3- الزركشي: تاريخ الدولتين الموسّدية و الحفصية، ص: 4.

فقد ذكر "ابن الأثير" أن "بن تومرت" عندما توفي عام 524 هـ/1130 م كان عمره يترواح ما بين 51 عاماً إلى 55 عاماً، الأمر الذي يجعلنا نحدد السنة التي ولد فيها إما عام 469 هـ/1076 م أو عام 473 هـ/1080<sup>1</sup>، و ذكر "القططي" في "أخبار العلماء بأخبار الحكماء" أن "بن تومرت" ترك الإسكندرية بعد رحلته إلى المشرق عام 511 هـ/1117 م و كان عمره حينذاك ثمانية عشر عاماً، وهذا يقودنا إلى أن نتخذ من سنة 493 هـ/1099 م السنة التي ولد فيها "بن تومرت"<sup>2</sup>، لكن هذا التاريخ يتعارض مع ما ذكره "ابن الأثير"، و لهذا فقد آثر الكثير من المؤرخين عدم التعرض إطلاقاً للسنة التي ولد فيها "بن تومرت" و اكتفوا بتحديد السنة التي أسس فيها دولة الموحدين وهي سنة 515 هـ/1121 م.<sup>3</sup>

بالإضافة إلى هذا فقد اختلف المؤرخون كذلك في تحديد نسب "بن تومرت"، فبعضهم قال عربي و ينتهي نسبه إلى الرسول صلى الله عليه وسلم<sup>4</sup> و البعض الآخر يجعل نسبه بربريا صرفاً<sup>5</sup>، و هناك من جعل نسبه هجينًا بين البربر و العرب<sup>6</sup>، و مهما يكن من الأمر فالشائع هو أن اسمه "أبو عبد الله محمد بن عبد الله الهرغبي" الشهير "المهدي بن تومرت"<sup>7</sup>، ولد في قبيلة مصمودية صغيرة تسمى أرغان أو هرغان التي عربت إلى هرغة، و يذهب بعض المؤرخين إلى أن اسمه لم يكن محمد بل اتخذه هو فيما بعد<sup>8</sup>، أما لقبه "تومرت" فهو اسم جدته و أنه نسب إليها فقيل "محمد بن تومرت"<sup>9</sup>، و يلقب كذلك بأمغار و معناه العالم أو الفقيه، و قد

1- ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج 10، ص: 578.

2- يحيى هويدى: محمد بن تومرت ،ص: 224.

3- عبد الواحد المراكشي: المعجب، ص: 162.

4- ابن القطان: نظم الجمان لترتيب ما سلف من أخبار الزمان، ص: 87؛ أفرد بل: المرجع السابق، ص: 250 و ما بعدها

5- ليفي بروفنسال: الإسلام في المغرب و الأندلس، ترجمة: محمد عبد العزيز سالم، محمد صالح الدين حلمي، مؤسسة الشباب الجامعية، الإسكندرية، 1990 م، ص: 264 - 265.

6- ابن خلدون: العبر، ج 6، ص: 266.

7- ابن أبي زرع: الأنبياء المطرب بروض القرطاس، ص: 217، و يقول ابن أبي زرع في رواية له بأن ابن تومرت من قبيلة جنفيسة المصمودية .

8- حسين مؤنس: تاريخ المغرب و حضارته، ج 2، ص: 63.

9- ليفي بروفنسال: المرجع السابق، ص: 405.

لُقب أيضاً بأسافوا و معناه السراج، و يقال أن هذا اللقب أطلق عليه في شبابه بسبب إيقاده السراج في المساجد للقراءة على نورها في الليل طلباً للعلم.<sup>1</sup>

و درس "بن تومرت" أول الأمر في بلده ثم في مراكش<sup>2</sup>. و لما بلغ سن الشباب حاز في نفسه الارتحال إلى المشرق لطلب العلم، فبدأت رحلته بجوازه على الأندلس سنة 501 هـ/1107 م، فأخذ العلم بقرطبة و منها رحل إلى المشرق عن طريق البحر، فحلَّ بالإسكندرية ثم توجه إلى الحجاز و أدى فريضة الحج، و بعدها رحل إلى بغداد ثم عاد إلى بلاد المغرب في سنة 510 هـ/1116 م.<sup>3</sup>

و قد أخذ بن تومرت" في رحلته تلك عن مجموعة من العلماء من بينهم "أبي بكر الطرطوشى"<sup>4</sup>، و "أبي بكر الشاشي"<sup>5</sup> الذي درس عليه أصول الفقه و أصول الدين، و سمع الحديث على "المبارك بن عبد الجبار"<sup>6</sup> و غيرهم.<sup>7</sup>

و تذكر بعض الروايات أن "بن تومرت" لقي "أبا حامد الغزالى" و درس عليه في بغداد، و قيل بل لقيه بالشام أيام تزهده<sup>8</sup>، و هناك شك كبير يقوم حول هذا اللقاء، "فالمراكشي" يقول في "المعجب": «وقيل انه لقي "أبا حامد الغزالى" بالشام أيام تزهده فالله أعلم»<sup>9</sup>، و "ابن خلدون"

1- أحمد محمود صبحي: المرجع السابق، ج 2، ص: 220.

2- ابن خلدون: العبر، ج 6، ص: 266.

3- البيدق: أخبار المهدى بن تومرت، ص: 29؛ ألفرد بل: المرجع السابق، ص 252 و ما بعدها.

4- أبو بكر محمد بن الوليد الفهري الطرطوشى المعروف بابن أبي زنقة، ولد في طرطوشة في الأندلس سنة 451 هـ رحل إلى المشرق سنة 476 هـ ودرس ببغداد و البصرة و دمشق و القاهرة، ثم استقر بالإسكندرية إلى أن توفي سنة 525 هـ، أهم ما ترك كتاب سراج الملوك، انظر ترجمته: المقرى: المصدر سابق، ج 2، ص: 290.

5- ابن القطان: المصدر السابق، ص: 72؛ ابن أبي زرع، المصدر السابق، ص: 219؛ محمد بن أبي القاسم الرعيني ابن أبي دينار: المؤنس في أخبار إفريقية وتونس، تحقيق: محمد شمام، ط 2، المكتبة العتيقة، تونس، 1967 م، ص: 107.

6- أبو الحسين المبارك بن عبد الجبار الطيورى البغدادى، محدث، كثير الكتب، توفي سنة 500 هـ، انظر ترجمته: ابن العماد الحنبلي: المصدر السابق، ج 3، ص: 412.

7- عبد الواحد المراكشي: المعجب، المصدر السابق، ص: 126 - 127.

8- ابن خلدون: العبر، ج 6، ص: 266.

9- عبد الواحد المراكشي: المعجب، المصدر السابق، ص: 127.

يقول في "العبر": «و لقي فيها زعموا "أبا حامد الغزالى"»<sup>1</sup>، مما يشعر بأنه يشك في هذا اللقاء، و "ابن خلkan" في "وفيات الأعيان" يؤكّد أنّهما التقى بالعراق و ليس في الشام كما ذهب إلى ذلك "المراكشي" فيقول: «رحل إلى المشرق في شبيته طالباً للعلم، فانتهى إلى العراق و اجتمع بأبي حامد الغزالى"....»<sup>2</sup>، و يعود صاحب "المعجب" و يؤكّد أنّ هذا اللقاء قد تم على النحو التالي: «كان "بن تومرت" حاضراً بجلس "الغزالى" في الشام و روى له ما فعل أمير المسلمين بكتبه التي وصلت إلى المغرب، من إحراقها و إفسادها - و "بن تومرت" حاضراً في ذلك المجلس - فقال "الغزالى" حين بلغه ذلك ليذهب عن قليل ملكه و ليقتلن ولده، و ما أحسب المتولى لذلك إلا حاضراً بجلسنا»<sup>3</sup>، و في ذلك تورد الرواية الموحدية رمزاً إن لم يكن واقعاً أن يكون الإمام "الغزالى" قد أجاز تلميذه "محمد بن تومرت" الفقيه "السوسي" قبل سنة 505 هـ/1111 م في الثار لذلك العمل المحمجي الذي قامت به دولة المرابطين ضد مشروع تحديد الإسلام الذي كان يُعدّه الإمام، فكانت تلك الإجازة بمثابة المحرّك لقيام "بن تومرت" بحركة التوحيد والدعوة للمذهب الجديد.<sup>4</sup>

و بالرغم من هذا فإنّ "جولد تسهير" يلغّي فكرة اللقاء الشخصي بين "بن تومرت" و "الغزالى"، و ينتهي من بحثه إلى هذه النتيجة: « علينا أن نلغّي من تاريخ حياة "بن تومرت" واقعة لقائه مع "الغزالى"»<sup>5</sup> و ذلك لأنّ رحلة "الغزالى" التي زعموا أنّ "بن تومرت" قابله أثناءها، وهي الرحلة المعروفة التي اعتزل فيها الناس و سلك سبيل التصوف و استمر عشر سنوات إبتداءً من عام 488 هـ/1095 م حتى عام 499 هـ/1105 م، رحل فيها عن بغداد عام 488 هـ/1095 م و زار أثناءها بيت المقدس و مكة و مصر لا تتفق في تواريخها مع رحلة "بن تومرت" إلى المشرق، و هذه الرحلة التي بدأت عام 501 هـ/1107 م، و يتساءل "جولد تسهير" كيف يكون اللقاء قد تم في

1- ابن خلدون: العبر، المصدر السابق، ج 6، ص: 267.

2- ابن خلkan: المصدر سابق، ج 4، ص: 139.

3- عبد الواحد المراكشي: المعجب، المصدر السابق، ص: 127.

4- سعد زغلول عبد الحميد: تاريخ المغرب العربي، ج 4، ص: 421.

5-Goldziher. M.hamed Ibn Toumert et la théologie de l'Islam dans le nord de l'Afrique au xde siècle. pierre fontana , Alger ,1930 , p 12.

بغداد أو في دمشق و "الغزالى" كان قد ترك بغداد عام 488 هـ/1095 م و ترك دمشق عام 490 هـ/1097<sup>1</sup>.

و أيا ما يكون من الأمر، فالمهم أن "بن تومرت" قد تأثر بتعاليم "الغزالى" في الكلام على الخصوص، متبنياً لكتير من أراء الأشاعرة مستحسناً طريقتهم في الإنصرار للعقائد الدينية بالحجج العقلية و في تأويل المشاھات، وأنه برحلته هذه إستكمل مرحلة طلب العلم<sup>2</sup>، حيث يصفه "ابن خلدون" بأنه عاد من المشرق بحراً متذفقاً من العلم و شهاباً و إرياً من الدين<sup>3</sup>، و صار على درجة عالية في علم الكلام و العلوم الشرعية، فقد رأى عن كثب أقطاب الفكرية من الظاهرية و الأشاعرة و المعتزلة و الشيعة، و حضر مناقشاتهم و ندواتهم، و بذلك تبلورت آراؤه و أفكاره<sup>4</sup>.

و مع رحلة العودة تبدأ المرحلة الثانية من حياة "بن تومرت"، وهي مرحلة الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر، ففي الإسكندرية اندفع في تنفيذ أوامر الله بصد المنكرات، و من تونس حتى المغرب الأقصى واصل دعوته الإصلاحية دون كلل، إذ ما وطأت قدماه أرض تونس حتى سار في الأسواق يحطم آلات اللهو و يهاجم محلات الخمر و يتعرض للنساء السافرات في الطرقات، و يعلم الطلبة، و يجادل السلطات من مدينة لأخرى عبر قسنطينة و بجاية و ملاحة و تلمسان و فاس و مكناسة و مراكش و أغمات حتى بلدة تتميل.<sup>5</sup>

و في عام 515 هـ/1121 م تقريراً تبدأ مرحلة جديدة من حياة "بن تومرت" بين عشيرته، مرحلة الدعوة الدينية و السياسية، أما الجانب الديني فيتمثل في تعليمه البربر أصول دينهم، داعياً إلى مبايعته بالإمامية مدعياً أنه "المهدي" و ملزماً أتباعه بطاعته، مضيفاً على شخصيته العصمة.<sup>6</sup> و

1- يحيى هويدى: المرجع السابق، ص 226.

2- أحمد محمود صبحي: المرجع السابق، ج 2، ص 221.

3- ابن خلدون: العبر، ج 6، ص 267.

4- علي محمد الصلاي: دولة الموحدين، دار البيارق، عمان، 1998م، ص 14.

5- عبد الواحد المراكشي: المعجب، ص: 127؛ ألفرد بل: المرجع السابق، ص 250.

<sup>1</sup> و يشير المؤرخون إلى أنه أخذ فكرة المهدية عن الشيعة، و لكن تصورات الإمامة و المهدية و العصمة لم تكن لديه عن عقيدة كما هو حال الشيعة، و إنما لدّواع سياسية.<sup>2</sup>

أما الجانب السياسي فيتمثل في ندبه أتباعه لجهاد المرابطين راميا إياهم بالتجسيم، و هو في سبيل ذلك أقام تنظيمًا دقيقا اقتدى فيه بتنظيم الدعوة للرسول في المدينة مقتفيًا أثره، و بذلك أحکم ولاء الناس له ثم دعاهم (حسب نظره)، إلى قتال المارقين عن الدين المحسنة الكافرين، و يعني بهم المرابطين.<sup>3</sup>

و استمر الوضع كذلك إلى أن وافته المنية سنة 524 هـ/1130 م<sup>4</sup>، و هو وإن كان قد مات قبل قيام الدولة التي كان يصبوا إلى إقامتها إلا أن دعوته قد انتشرت، فلم تنقضى على وفاته أكثر من سبعة عشر عاما حتى كانت جيوش خليفته "عبد المؤمن بن علي"<sup>5</sup> قد دخلت مراكش عاصمة المرابطين لتقوم على أنقاذهما دولة الموحدين<sup>6</sup>.

نظرا إلى أن "بن تومرت" كان رجلا طغى عليه الماجس السياسي، و حركة هدفها القضاء على دولة المرابطين و إقامة دولة جديدة مكانها، تحيّم عليه أن يسلك أكثر من سبيل و يتّخذ أكثر من طريق لإقناع الناس بدعاوه و بمشروعه السياسي الجديد، و لذا نراه يوظف غير ما مذهب عقدي، فهو يردد أفكار أشعريّة في علم الاعتقاد و أحياناً معتزّلة و أخرى شيعية في قوله بعصمة

1- ألفرد بل: المرجع السابق، ص 265 و ما بعدها؛ أحمد محمود صبحي: المرجع السابق، ج 2، ص: 222.

2- عبد الواحد المراكشي: المعجب، ص: 132. (يقول المراكشي أنه كان ييطن شيئاً من التشيع غير أنه لم يظهر منه إلى العامة شيء).

3- ألفرد بل: المرجع السابق، ص 260 و ما بعدها؛ أحمد محمود صبحي: المرجع السابق، ج 2، ص: 223.

4- ابن القطان: المصدر السابق، ص: 123؛ يذكر ابن خلدون أنه توفي سنة 522 هـ انظر: ابن خلدون: العبر، ج 6، ص: 270.

5- عبد المؤمن بن علي بن مخلوف بن علي بن نصر بن علي بن عامر الزناتي، يويع بيعة خاصة لكم وفاته المهدى، و ارتضاه العشرة أصحابه لثناء المهدى عليه وتقديمه للصلوة، ثم كانت بعد ذلك البيعة العامة، انظر ترجمته: ابن الخطيب: المصدر السابق، ج 3، ص: 142.

6- أحمد محمود صبحي: المرجع السابق: ج 2، ص: 223.

الإمام، و أخرى ظاهرية، و هذا يطرح بالفعل إشكالا في عملية تصنيف فكره بالتحديد و<sup>1</sup> التأكيد.

و أيا كان الأمر فإن الذي يهمنا من فكر "بن تومرت" ، ما مارسه من كبير التأثير في ترسيم الفكر الأشعري بالمغرب الإسلامي.

- فما هو الدور الذي لعبه "بن تومرت" في نشر المذهب الأشعري بالمغرب؟

### 5-1-2- دوره في نشر المذهب الأشعري ببلاد المغرب:

تلح المصادر على أن "المهدي بن تومرت" كان أول من عرّف أهل المغرب الإسلامي بالمذهب الأشعري، و ما ذلك إلا لعظم الدور الذي قام به هذا الرجل في نشر هذا المذهب بهذه البلاد.<sup>2</sup> و كذلك المراجع و الدراسات تؤكد على أن "بن تومرت" هو المدخل الحقيقى للأشعرية إلى بلاد المغرب بصفتها مذهبًا اعتقاديا متکاملا لا بصفتها مواقف مقتطعة من سياقاتها الفكرية. وهذا ما جعل المقرىزى يقول إن بن تومرت هو الذي أدخل الأشعرية إلى بلاد المغرب. فرأيه الذي عرضناه سابقا ليس رأيا خاطئا كما يظن بعض الباحثين<sup>3</sup>، وذلك إذا نظرنا إلى الأشعرية بصفتها فكرا لا مواقف ثابتة مشتتة.<sup>4</sup>

لما رجع هذا الرجل من رحلته إلى المشرق ،فُقدّر له أن يكون الانتشار الأوسع للأشعرية بالمغرب على يده، و أن يكون لتعاليمه الدور الحاسم في انتشار كافة أهل المغرب لهذه العقيدة إلى هذا اليوم. و قد توفرت جملة من الأسباب الأساسية أتاحت لهذا الانتشار أن يكون على يدي "بن تومرت" ، نذكر منها بالأخص:

1- حسين إبراهيم حسن: التاريخ الإسلامي (السياسي و الدينى و الثقافى و الاجتماعى)، ج 4، ص ص: 467-468؛ محمد معتصم: ابن تومرت مساره النفسي و الفكرى، ضمن كتاب المغرب في العصر الوسيط، تنسيق محمد المغراوى، ط 1، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، المغرب، 1999، ص: 133-150.

2- المقرىزى: المواعظ و الاعتبار، ج 2، ص 358؛ ابن خلدون: العبر ، ج 6، ص 267.

3- المنصوري: المرجع السابق، ص 16؛ نجم الدين المحتناتي: تطور موقف علماء المالكية بإفريقية من الخوض في المسائل الكلامية و تبنيهم للعقيدة الأشعرية، ص-301-299.

4- المنصوري: المرجع السابق، ص 16.

**الأول:** التمهيد للأشعرية الذي سبق "بن تومرت" متمثلاً كما بینا في اطلاع كثیر من أهل المغرب على هذا المذهب، مما أنشأ في النفوس استعداداً لقبلها، خاصة وأنها في حقيقتها ليست إلا تطويراً لمذهب السلف في الاعتقاد أضيق إليه العنصر العقلي في الاحتجاج و التأويل، فلما كانت الأذهان عامرة بالأصل قبلت هذا التطوير بما سبق لها من العهد به طيلة ما يقارب <sup>1</sup> القرنين.

**الثاني:** ما توفر "للمرادي" و خلفائه من سلطة سياسية استعملت في نشر أراء "المرادي"، و من بينها آراؤه الأشعرية، و لا شك أن السلطة السياسية توفر لها من وسائل النشر المادية و المعنية ما يساعد على تبليغ هذه العقيدة في أسرع وقت و أوسع رقعة حتى كان لها الظهور و <sup>2</sup> الرسوخ.

و قبل أن نشرح مظاهر الدور الذي قام به "المرادي" في نشر الأشعرية نلاحظ ملاحظة مهمة تتعلق بطبيعة هذا الدور، و ذلك أن "المرادي" كما أشرنا إليه سابقاً لم يكن أشعرياً بالمعنى المقصود، بل كان فقط آخذاً بجملة غالبة من أراءها يكن يتبنى الأشعرية على نحو ما كان يتبعها أعلامها، بل كان فحسب آخذاً بجملة غالبة من أراءها متبعاً لمنهجها، مخالفًا لها في جملة أخرى، بل ناقداً لها في بعض مسائلها تصريحًا أو تلميحة<sup>3</sup>، و لذلك فإن دعوة "المرادي" إلى الأشعرية لم تكن دعوة لها. كمذهب مستقل، و إنما هي دعوة تضمنتها دعوته إلى مذهبه المتكامل في العقيدة، فكانت بالقصد الثاني لا بالقصد الأول، و دعوة <sup>4</sup> جزء من كل.

1- عبد المجيد النجاشي: المرادي بن تومرت، ص: 441.

2- عبد الواحد المراكشي: وثائق المرابطين و الموحدين، تحقيق: حسين مؤنس، ط 1، مكتبة الثقافة الدينية، بورسعيد، 1997م، ص: 206.

3- من المسائل التي خالف فيها ابن تومرت الأشاعرة و انتقدتهم عليها عدالة قياس الغائب على الشاهد، و قد صنفها ابن تومرت ضمن الأقىسة الفاسدة، كما أنه ابدى نشازه و خروجه عن ما تعارف عليه الأشاعرة في الإقرار باستقلالية الصفات عن الذات الإلهية، و يتضح رفض ابن تومرت قياس الغائب على الشاهد في مسألة أسماء الله الحسنى التي يسمى الله بها نفسه في كتبه. انظر: المرادي بن تومرت: أعز ما يطلب، ص: 221.

4- عبد المجيد النجاشي: المرادي بن تومرت، ص: 441.

و لم يكن "ابن خلدون" متحريا الدقة حينما قال في هذا الصدد: «طعن "المهدي" على أهل المغرب في ذلك "التنك عن التأويل" و حملهم على القول بالتأويل و الأخذ بمذاهب الأشعرية في كافة العقائد، و أعلن بإمامتهم و وجوب تقليلهم<sup>1</sup>، فالمهدي لم يأخذ الناس بكافة الآراء الأشعرية، و إنما بتلك التي اتبسها من الأشاعرة فحسب، كما أنها لا نعثر في مؤلفات "المهدي" و أقواله و لا في آثار خلفائه على إعلان بإماماة الأشعرية ، و لا دعوة إليها باستقلال، و لا أخذ بتقليلها، بل كانت الدعوة إليها ضمنية في الدعوة إلى أرائه.<sup>2</sup>

لقد حاول بن تومرت تغيير وضع معرفي كامل اتسم بالجمود والتثبت بعلم الفروع وسم الفترة الم الرابطية، وتوجيه الاهتمام نحو علمي الأصول: أصول الدين وأصول الفقه معا. فتم تبديعه بتديعا وصل مرحلة التكفير الموجب لإباحة الدم<sup>3</sup>. يقول ابن خلدون مفسرا ذلك" إن فقهاء المالكية قد ملئوا حسدا وحفيظة منه لما كان ينتحل مذهب الأشعرية في تأويل المشابه وينكر عليهم جمودهم على مذهب السلف في إمارته كما جاء ويرى أن الجمhour لفونه تحسينا ويدرك إلى تكفيتهم بذلك".<sup>4</sup>

و كان "الراكشي" أكثر دقة في وصف طبيعة الدور الذي قام به "المهدي" حينما قال «و كان جل ما يدعوه إليه علم الاعتقاد على طريق الأشعرية»<sup>5</sup>، فالعبارة تفيد أنه لم يدع إلى الأشعرية باستقلال، و إنما دعا على طريقتها إلى جملة من الآراء كان جلها موافقا لأراء الأشاعرة، كما كان "المقريزي" دقيقا في تصوير هذا المعنى أيضا، حيث قال: «..... توجه أبو عبد الله" أحد رجالات المغرب إلى العراق، و أخذ عن "أبي حامد الغزالي" مذهب الأشعري، فلما عاد إلى بلاد المغرب و قام في المصامدة يفهمهم و يعلمهم، وضع لهم عقيدة لقفها عنه عامتهم... فكان هذا السبب في اشتهر مذهب الأشعري و انتشاره في المغرب». <sup>6</sup>

1- ابن خلدون: العبر: ج 6: ص 266 - 267؛ و المقدمة، ص: 406.

2- آدم ميتز: المرجع السابق، ص: 365.

3- المنصوري: المرجع السابق، ص 16.

4- ابن خلدون: المصدر السابق، ج 6، ص 302.

5- عبد الواحد المراكشي: المعجب، المصدر السابق، ص: 130.

6- المقريزي: الموعظ و الاعتبار، ج 2، ص: 358.

لقد كان انتشار الأشعرية بالغرب نتيجة لما بذله "المهدي" و خلفاؤه من بعده من جهد ضمن خطتهم التربوية المادفة إلى الإقناع بالرأي التي رسماها "المهدي" ، و جعلها أساسا يجري عليه الناس تصورا لهم العقدية و يعوضون به ما كان سائدا من تصورات قد يخالطها أحيانا شيء من التشبيه و التحسيم، و قد كان هذا العمل منهم ركنا أساسيا من أركان الدعوة الموحدية المادفة إلى التغيير الشامل في الفكر و السياسة و الاجتماع.<sup>1</sup>

و حتى تكون دعوة "بن تومرت" أوضح في النفوس و في التاريخ عمد إلى تأليف رسائل في الأصول و في الفقه و في السياسة، و كان من بين ما ألف لهم في العقائد كتاب "التوحيد"<sup>2</sup> و "المرشدة".<sup>3</sup>

و كان المهدي يقوم بنفسه بتدريس و شرح ما كتبه من مؤلفات و يلقن للناس فحواه، و قد قال "ابن خلدون" في هذا المعنى: «نزل "المهدي" على قومه و ذلك سنة 515 هـ/1121 م و بنى رابطة للعبادة، فاجتمعوا إليه الطلبة و القبائل يعلمهم "المرشدة" و "التوحيد" باللسان البربرى».<sup>4</sup>

و ذكر "ابن القطان" بشيء من التفصيل المسائل التي كان يدرسها "المهدي" و الأساليب التي كان يتبعها لإنفاذ أفكاره، وضمان نجاعة تعليمه.<sup>5</sup>

و لما تولى "عبد المؤمن" الحكم اعتنى بمؤلفات "المهدي" و أصدر مرسوما يأمر فيه عامة الناس بأن يشتغلوا بقراءة مؤلفات "المهدي" في العقيدة، و ضبط لهم في ذلك أقدارا معينة ، و تراتيب خاصة يتبعونها، و ما يلفت الانتباه في هذا المرسوم ما جاء فيه من أنه «يلزم العامة و من في الديار بقراءة العقيدة التي أولاها "أعلم أرشدنا الله و إياك" و حفظها و تفهمها»<sup>6</sup>، فهذه العقيدة

1- عبد المجيد النجار:المهدي بن تومرت،ص: 442.

2- ابن القطان: المصدر السابق، ص: 129.

3- ابن خلدون: العبر، ج 6، ص: 267؛ محمد المنوي: عقيدة المرشدة للمهدي ابن تومرت، مجلة البحث العلمي، جامعة محمد الخامس ، السنة الثالثة، العدد التاسع ، 1966، ص 175-185.

4- المصدر نفسه: ج 6، ص: 269؛ أفرد بل: المراجع السابق، ص 264 و ما بعدها.

5- ابن القطان: المصدر السابق، ص ص: 167 - 169؛ ينظر النص الكامل "للمرشدة"، الملحق رقم 11، ص 377.

6- البيدق: أخبار المهدي بن تومرت، ص ص: 139 - 140.

العقيدة ذات صبغة أشعرية خالصة، خالية من كل قول في الإمامة و ما يتعلق بها، و إلزام العامة بحفظها و تفهمها، سيكون له دور كبير في انتشار الأشعرية في عامة الناس انتشاراً واسعاً.<sup>1</sup>

و تكونت بهذه المؤلفات مدرسة مغربية في أصول الدين ذات صبغة أشعرية، و نشط التدريس لهذا العلم، و التأليف فيه، بعدما كان مهجوراً مقبحاً معدوداً من البدع، مأموماً في عهد المرابطين بتجافيه، مشدداً على من وقع الشك في الميل إليه.<sup>2</sup>

ولئن كانت مؤلفات "المهدي" عموماً هي العامل في انتشار المذهب الأشعري بال المغرب لما كان من العناية بها و إفشاءها بين الناس كما بيناه، فإنَّ واحداً من تلك المؤلفات هو الذي كان له الدور الأكبر في إشاعة الأشعرية بين أهل المغرب، و كان له الأثر البليغ في تحويل التصور العقدي المغربي من تصور سلفي إلى تصور يقوم على التأويل، و يعني بهذا المؤلف عقيدة "المرشدة" ، فقد شاع ذكرها بين الناس عامتهم و علمائهم، و جرت بها الألسنة حفظاً و شرحاً و لذلك فإننا نعتبر انتشار هذه العقيدة و تأثيرها المظاهر المهم من مظاهر الأثر الأشعري "الابن تومرت" بالمغرب، باعتبار أنها مؤلفة على الطريقة الأشعرية خالية من الآراء التي خالف فيها "المهدي" هذه الطريقة.<sup>3</sup>

و عقيدة "المرشدة" هي رسالة وجيبة لا تتجاوز الصفحتين<sup>4</sup> ، و سميت كذلك لأن افتتاحها كان بعبارة "اعلم أرشدنا الله و إياك ..." فصار هذا الافتتاح علماً عليها، و قد حررت هذه العقيدة تحرياً بليغاً، و عرضت فيها المسائل المتعلقة بالإيمان بالله تعالى ذاتاً و صفات دون التعرض لشيء من السمعيات، أو شيء مما يتعلق بالإمامية.<sup>5</sup>

على الرغم من صغر حجم عقيدة "المرشدة" فقد بقيت مصدرًا أشعرياً يتولاه الشارحون و المعلقون بالتحليل و التفصيل مدة زمنية طويلة، و من بين أهم هذه الشروح نذكر:

1- عبد المجيد النجار: المرجع السابق، ص: 444.

2- المراكشي: المعجب، ص: 130.

3- عبد الله كتون: عقيدة المرشدة للمهدي بن تومرت، ضمن كتاب: جولات في الفكر الإسلامي، مطبعة الشويخ ديسيريس، طوان، المغرب، 1400هـ/1980م، ص: 96؛ عبد المجيد النجار: المهدي بن تومرت، ص: 447.

4- يوسف أحناة: تطور المذهب الأشعري، ص: 92.

5- عبد المجيد النجار: المهدي بن تومرت، ص: 448.

- 1- شرح "أبي زكريا يحيى بن أبي حفص عمر التنسي" و عنوانه "الأنوار المبينة المؤيدة لمعانٍ عقد عقيدة المرشدة".
- 2- شرح "أبي عبد الله محمد بن أبي العباس بن إسماعيل الأموي" المعروف "بابن النقاش" و عنوانه "الدرة المفردة في شرح عقيدة المرشدة".
- 3- شرح "محمد بن إبراهيم بن عباد التلمساني" (ت 792 هـ/1390 م) و عنوانه "الدرة المشيدة في شرح عقيدة المرشدة".
- 4- شرح أبي محمد بن يوسف الخراط على مرشدة بن تومرت، و ضاع هذا الشرح حين دخل النصارى إلى طرابلس عام 756 هـ/1355 م.
- 5- شرح أبي عبد الله محمد بن يحيى الشيباني الطرابلسي على مرشدة بن تومرت.
- 6- شرح أبي زكريا يحيى بن أبي حفص عمر، عنوانه "الأنوار المبينة المؤيدة لمعانٍ عقد عقيدة المرشدة"
- 7- شرح فقرة من المرشدة لأبي عثمان سعيد بن عبد المنعم الحاجي.
- 8- شرح محمد بن أبي بكر بن علي بن موسى الكابري (سوداني) اهتم بمرشدة بن تومرت، و ضمنها كتابه "بستان الفوائد" و جعلها في صدارته و هناك من اعتنى بالمرشدة و نظمها تسهيلا للحفظ و التداول.<sup>1</sup>

و هكذا فقد كان لهذا النهج الذي نهجه "بن تومرت" في تعليم العامة المبادئ الأشعرية، أن أثر إيجابياً على منحى المذهب الأشعري بالغرب الإسلامي، إذ ساهم في شيوعه و اشتهره، بل إنه أصبح مذهبًا رسميًا للبلاد، و في المقابل تم الابتعاد و الاستغناء عن مذهب أهل التسلیم و التفويض.

و بعد أن استعرضنا مجهودات "بن تومرت" في تكريس المذهب الأشعري ببلاد المغرب الإسلامي علينا أن نشير إلى نقطة لها من الأهمية بما كان في هذا الصدد، ألا وهي تلم النقلة

1- عبد الله كنون، عقيدة المهدى ابن تومرت، ص 98، 99؛ عبد الحميد النجار: المهدى ابن تومرت، ص 449 و ما بعدها؛ يوسف أحنانة: تطور المذهب الأشعري، ص 92-93. علال البختي: السلاجى و مذهبته الأشعرية، ص 199، 200؛ عبد الحميد معلومي: المراجع السابق، ص 69.

النوعية التي عرفها المذهب الأشعري ببلاد المشرق مع نهاية القرن الخامس الهجري، فبعدما كان علماء الأشاعرة يسيرون بمحاذاة طريقة أهل السلف مع اختلاف في بعض الخصائص، أصبحوا في مرحلة متأخرة ترجمتها "أبو حامد الغزالي" يسيرون بمحاذاة الفلسفة والمنطق، و كانوا يخاطبون من بين طائفة الفلاسفة في الطبيعيات والإلهيات مستعملين في خطاباتهم المقدمات الفلسفية والمنطقية الأرسطي<sup>1</sup>، ففي هذه المرحلة عرف الفكر الأشعري كما عبر عن ذلك "محمد عابد الجابري".<sup>2</sup>

و لما كان "بن تومرت" قد هاجر إلى المشرق، فقد اقتبس من ذلك التطور ما يفيده في دعم أفكاره التي حملتها ثنايا بعض الكتب التي وضعها، كذلك الكتاب الذي افتتحه بعبارة «أعز ما يطلب و أفضل ما يكتسب، و أنفس ما يُدخل، و أحسن ما يعمل، العلم الذي جعله الله سبب الهدى إلى كل خير»، و صار هذا المفتتح لقبا عليه<sup>3</sup> و كتاب "أعز ما يطلب" هو عبارة عن مجموعة من كتب و رسائل في الأصول، و الفقه، و التوحيد، و الحديث و السياسة و الجهاد<sup>4</sup>

و إلى هنا يمكن أن نتساءل فنقول: ما هي إذن أهم الآراء التي وردت في مؤلفات بن تومرت؟ " " ؟ الواقع أن كل ما ورد في المرشدة" و كتابه "أعز ما يطلب" يحمل طابعاً أشعرياً لا غبار عليه، لكن ما ينبغي الوقوف عنده هو بعض آرائه الكلامية مختصرة:

#### آراؤه في عقيدة "المرشدة":

- وحدانية الله: يثبت بن تومرت وحدانية الله، و يتجلّى ذلك في قوله: "... اعلم أرشدنا الله وإياك أنه وجب على كل مكلف أن يعلم أن الله عز وجل واحد في ملكه...".<sup>5</sup>

1- علي سامي النشار: مناهج البحث عند مفكري الإسلام واكتشاف المنهج العلمي في العالم الإسلامي، ط 3، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1984م، ص 90.

2- محمد عابد الجابري: بنية العقل العربي، ص 503

3- ابن خلدون: العبر، ج 6، ص 267.

4- ابن تومرت: أعز ما يطلب، ص 8، 7.

5- ابن تومرت: عقيدة "المرشدة"، أعز ما يطلب، ص 226.

**- خالقيته المطلقة:** يرى بن تومرت أن الله هو خالق كل شيء، و يتظاهر ذلك من خلال قوله: "... خلق العالم بأسره، العلوى والسفلى، والعرش والكرسي، والسماءات والأرض، وما فيهما وما بينهما..."

**- خضوع الخالق له:** كما يرى أن جميع الخالق خاضعة له خضوعاً تاماً، و يتحلى ذلك في قوله: "... جميع الخالق مقهورون بقدراته، لا تتحرك ذر إلا بإذنه..."

**- أزلية وجوده:** يثبت بن تومرت صفة القدم وأزلية وجود الله عز وجل فيقول: "... موجود قبل الخلق، ليس له قبل ولا بعد..."

**- تنزيهه عن المكان والزمان:** و يتحلى ذلك من خلال قوله: "... ولا فوق ولا تحت، ولا يمتد ولا شمال، ولا أمام ولا خلف، ولا كل ولا بعض، لا ينحصر في الذهن، ولا يتمثل في العين، لا يتصور في الوهم، ولا يتکيف في العقل، لا تلتحقه الأوهام، والأفكار ..."، و قوله: "... لا يتقييد بالزمان، ولا ينحصر بالمكان..."

**- تنزيهه عن الشبيه والمثيل:** و يتظاهر ذلك من خلال قوله: "... ليس كمثله شيء وهو السميع البصير ، ليس معه مدبر في الخلق، ولا له شريك في الملك..."

**- قيوميته:** و يظهر لنا ذلك من خلال قوله: "... حي قيوم، لا تأخذه سنة ولا نوم..."

**- علمه المحيط بكل شيء:** و يثبت بن تومرت صفة العلم لله عز وجل بقوله: "... عالم الغيب والشهادة، لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء، و يعلم ما في البر والبحر، وما تسقط من ورق إلا يعلمهها ولا حبة في ظلمات الأرض ولا رطب، ولا يابس إلا في كتاب مبين، أحاط بكل شيء علماً، وأحصى كل شيء عدداً..."

**- القدرة:** كما يؤكد و يثبت صفة القدرة للباري عز وجل في عقيدته المرشدة فيقول: "... قادر على ما يشاء..."

**- إرادة الله:** كما يرى بن تومرت أن الله مرید لكل شيء بإرادته الإلهية فيقول: "... فعال لما

<sup>1</sup> ي يريد...

1 - ابن تومرت: عقيدة "المرشدة"، أعز ما يطلب، ص 226.

- استغناه الله: يرى بن تومرت أن الله عز وجل غني عن عباده، و يتجلى ذلك في قوله: "... له الملك والغناء..."<sup>1</sup>

- عزة الله: كما يثبت بن تومرت من خلال عقيدته صفة العزة للباري عز وجل فيقول: "... وله العزة والبقاء..."

- بقاء الله: وكذلك يثبت صفة البقاء لله عز وجل فيقول : "البقاء وله الحكم والقضاء ..."

- المشيئة المطلقة: و يتجلى ذلك في قوله: "...لا يسأل عما يفعل وهم يسألون، لا يقال متى كان؟ ولا أين كان؟ ولا كيف كان؟ كان ولا مكان، كون المكان، ودبر الزمان..."

- العدل و الفضل: و يرى بن تومرت ان الله عادل في كل شيء، وأنه له الفضل الكبير علينا، و يتجلى ذلك في قوله: "... لا دافع لما قضى، ولا مانع لما أعطى، لا يرجو ثوابا، ولا يخاف عقابا، ليس عليه حق، ولا عليه حكم.... فكل نعمة منه فضل، وكل نعمة منه عدل..."

- السمع و البصر: يثبت بن تومرت صفاتي السمع و البصر للباري عز وجل فيقول: "... ليس كمثله شيء وهو السميع البصير..."<sup>2</sup>

و تحدى الإشارة إلى أن "مرشدة" بن تومرت كانت خالية من مسألة "الإمامية"، هذا ما أقره النجاشي أثناء حديثه عن المرشدة و ظروف كتابتها من طرف بن تومرت فيقول: "... و نرجح أن تكون - المرشدة - من مؤلفاته الأولى حين نزوله ببلده إثر رحلته إلى المشرق، فجاءت خالية من القول في الإمامية التي يبدوا أن آراؤه فيها لم تتضح لديه بعد، و لم يصعد بها إلا حينما انتقل إلى تينملل..."<sup>3</sup>.

و لقد تصدى شيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام ابن تيمية (ت 728هـ/1327م) للمرشدة بالنقد و التجريح و هو صاحب الفتوى التالية: " سئل شيخ الإسلام وناصر السنة فريد الوقت وبحر العلوم بقية المحتهدين وحجۃ المتأخرین تاج العارفين وقدوة المحققين رحلة الطالبين ونخبة الراسخين إمام الزاهدين ومنال المحتهدين الإمام الحجة النوراني والعالم

1- ابن تومرت: عقيدة "المرشدة"، أعز ما يطلب، ص 226.

2- المصدر نفسه، ص 226.

3- عبد المجيد النجاشي: المهدى ابن تومرت، ص 449، 450.

المجتهد الرباني تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام ابن تيمية الحراني أadam الله علو قدره في الدارين وجعله يتسم ذرورة الكمال مسرور القلب قرير العين عن المرشدة "كيف كان أصلها وتأليفها؟ وهل تحوز قراءتها أم لا؟ فأجاب - رحمه الله تعالى - قائلاً : الحمد لله رب العالمين أصل هذه : أنه وضعها أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن تومرت الذي تلقب بالمهدى وكان قد ظهر في المغرب في أوائل المائة الخامسة من نحو مائة سنة وكان قد دخل إلى بلاد العراق وتعلم طرفاً من العلم وكان فيه طرف من الزهد والعبادة."<sup>1</sup>

و بعد أن تكلم شيخ الإسلام على المراحل التي مر بها بن تومرت في طلب العلم وعودته للمغرب و بشه أفكاره التي لا تتماشى مع الإسلام منها: نبش القبور و إدعائه تكليم الموتى يقول ابن تيمية: "... فإذا اعتقد أولئك البربر أن الموتى يكلمونه ويشهادون له بذلك عظم اعتقادهم فيه وطاعتهم لأمره... ثم إن أولئك المقبورين يهدم عليهم القبور ليموتونا ولا يظهرون أمره وأعتقد أن دماء أولئك مباحة بدون هذا وأنه يجوز له إظهار هذا الباطل ليقوم أولئك الجهال بنصره و اتباعه"، و زعمه أن النبي ﷺ علمه و في هذا الصدد يقول ابن تيمية: "... إنه ذكر لهم أن النبي صلى الله عليه وسلم علمه ذلك فصاروا يحسنون الظن بذلك الشخص وأنه كان لهم يوم يسمونه يوم الفرقان فرق فيه بين أهل الجنة وأهل النار بزعمه فصار كل من علموا أنه من أوليائهم جعلوه من أهل الجنة وعصموا دمه ومن علموا أنه من أعدائهم جعلوه من أهل النار فاستحلوا دمه..."<sup>2</sup>

كما قام بن تومرت بمحاربة أهل السنة و رماهم بصفات مشينة من أجل تحسين الدين و الوصول إلى مبتغاه السياسي حتى ولو كان على حساب دماء و أموال المسلمين و هنا يقول ابن تيمية: "... واستحل دماء ألف مؤلفة من أهل المغرب المالكية الذين كانوا من أهل الكتاب والسنة على مذهب مالك وأهل المدينة يقرؤون القرآن والحديث : كالصحيحين والموطأ وغير ذلك والفقه على مذهب أهل المدينة فزعم أنهم مشبهة مجسدة ولم يكونوا من أهل هذه المقالة ولا يعرف عن أحد من أصحاب مالك إظهار القول بالتشبيه والتجسيم واستحل أيضاً أموالهم وغير ذلك من

1- ابن تيمية: مجموع الفتاوى، ج 11، ص 477.

2- المصدر نفسه، ج 11، ص 478.

المحرمات بهذا التأويل ونحوه من جنس ما كانت تستحله الجهمية المعطلة - كالفلسفه والمعتزلة  
<sup>1</sup> وسائر نفاة الصفات..

و بعد أن تكلم شيخ الإسلام عن المعتزلة و خلق القرآن و مخنة العلماء في أواخر خلافة المؤمنون و أخيه المعتصم، و الواثق حتى زاحت هذه الحنة في عهد المتوكل<sup>2</sup>، ثم عاد للكلام عن صاحب المرشدة و بدأ بتوجيه المأخذ التي وجهها لابن تومرت و دعوته قائلاً: "... وصاحب " المرشدة " كانت هذه عقيدته كما قد صرحت بذلك في كتاب له كبير شرح فيه مذهبها في ذلك ذكر فيه أن الله تعالى وجود مطلق كما يقول ذلك ابن سينا وابن سبعين وأمثالهم... ولهذا لم يذكر في " مرشدته " الاعتقاد الذي يذكره أئمة العلم والدين من أهل السنة والجماعة أهل الحديث والفقه والتصوف والكلام وغيرهم من أتباع الأئمة الأربعه وغيرهم كما يذكره أئمة الحنفية والمالكية والشافعية والحنبلية وأهل الكلام : من الكلائية و الأشعرية و الكرامية وغيرهم ومشايخ التصوف والزهد وعلماء أهل الحديث فإن هؤلاء كلهم متفقون على أن الله تعالى حي عالم بعلم قادر بقدرة." و يظهر من قول الشيخ أن المرشدة حالياً من الاعتقاد المترعرع عليه لدى الأئمة و علماء الكلام و غيرهم من الفرق الدينية.

كما يظهر من قول الشيخ أن بن تومرت أسند الصفات السلبية إلى الله سبحانه في صيغ النفي في قوله: " ليس كذا، ليس كذا...." ليصف الله انطلاقاً من ذلك، بأنه موجود مطلق، تأييداً للتوحيد الذي سمى به أصحابه بالموحدين و هم مذهب الفلسفه و بعض علماء الكلام كالمعتزلة، في حين أن الأئمه من أهل السنة و الجماعة كلهم اتفقوا على أن الله حي عالم بعلم، و قادر بقدرة و متكلم بكلام.<sup>3</sup>

ثم يعود الشيخ ابن تيمية في فتواه للحديث عن صاحب المرشدة ليقول: "... لم يذكر فيها شيئاً من الإثبات الذي عليه طوائف أهل السنة والجماعة ولا ذكر فيها الإيمان برسالة النبي صلى الله عليه وسلم ولا باليوم الآخر وما أخبر به النبي صلى الله عليه وسلم من أمر الجنة والنار والبعث

1- ابن تيمية: مجموع الفتاوى، ج 11، ص 479.

2- المصدر نفسه، ج 11، ص 479-484.

3- المصدر نفسه، ج 11، ص 485.

والحساب وفتنة القبر والخوض وشفاعة النبي صلى الله عليه وسلم في أهل الكبائر فإن هذه الأصول كلها متفق عليها بين أهل السنة والجماعة ومن عادات علمائهم أنهم يذكرون ذلك في العقائد المختصرة بل اقتصر فيها على ما يوافق أصله وهو القول بأن الله وجود مطلق وهو قول المتكلفة والجهمية والشيعة ونحوهم من اتفقت طوائف أهل السنة والجماعة أهل المذاهب الأربع وغيرهم على إبطال قوله وتضليله.<sup>1</sup>

والملاحظ من قول الشيخ خلو عقيدة المرشدة من الإيمان بما جاء به الرسول ﷺ من رسالة وليس فيها الإيمان باليوم الآخر، ولا بما أخبر به الرسول الكريم من أمربعث وحساب والجنة والنار والخوض وفتنة القبر، وشفاعة النبي ﷺ، وهي أمور اتفق عليها العلماء وآمن بها المسلمون. ويقول أيضاً: "... فذكر فيها ما تقوله نفاة الصفات ولم يذكر فيها صفة واحدة لله تعالى ثبوته وزعم في أولها أنه قد وجب على كل مكلف أن يعلم ذلك وقد اتفقت الأنتمة على أن الواجب على المسلمين ما أوجبه الله ورسوله وليس لأحد أن يوجب على المسلمين ما لم يوجبه الله ورسوله والكلام الذي ذكره بعضه قد ذكره الله ورسوله فيجب التصديق به وبعضه لم يذكره الله ولا رسوله ولا أحد من السلف والأئمة فلا يجب على الناس أن يقولوا ما لم يوجب الله قوله عليهم وقد يقول الرجل كلمة تكون حقاً لكن لا يجب على كل الناس أن يقولوها وليس له أن يوجب على الناس أن يقولوها فكيف إذا كانت الكلمة تتضمن باطلاً؟"<sup>2</sup>

و بعد ذلك يورد الشيخ ابن تيمية كلام بن تومرت في القدرة فيقول: "... وقال أيضاً في قدرة الله تعالى: إنه قادر على ما يشاء وهذا يوافق قول الفلاسفة وعلى الأصواتي وغيره من المتكلمين الذين يقولون: إنه لا يقدر على غير ما فعل، ومذهب المسلمين أن الله على كل شيء قادر سواء شاءه أو لم يشاء".<sup>3</sup>

و يقول شيخ الإسلام في نهاية فتواه: " وقد شرحتنا ما ذكره فيها كلمة كلام وبينما ما فيها من صواب وخطأ لفظ محمل في كتاب آخر فالعالم الذي يعلم حقائق ما فيها ويعرف ما جاء به

1- ابن تيمية: مجموع الفتاوى، ج 11، ص 486، 487.

2- المصدر نفسه، ج 11، ص 487.

3- المصدر نفسه، ج 11، ص 488، 489.

الكتاب والسنة لا يضره ذلك فإنه يعطي كل ذي حق حقه ولا حاجة لأحد من المسلمين إلى تعلمها وقراءتها ولا يجوز لأحد أن يعدل عما جاء في الكتاب والسنة واتفق عليه سلف الأمة وأئمتها إلى ما أحدثه بعض الناس مما قد يتضمن خلاف ذلك أو يوقع الناس في خلاف ذلك وليس لأحد أن يضع للناس عقيدة ولا عبادة من عنده : بل عليه أن يتبع ولا يبتعد ويقتدي ولا يبتديء فإن الله سبحانه بعث محمداً صلى الله عليه وسلم بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله وكفى بالله شهيداً... والنبي صلى الله عليه وسلم علم المسلمين ما يحتاجون إليه في دينهم فياخذ المسلمون جميع دينهم من الاعتقادات والعبادات وغير ذلك من كتاب الله وسنة رسوله وما اتفق عليه سلف الأمة وأئمتها وليس ذلك مخالفًا للعقل الصريح فإن ما خالف العقل الصريح فهو باطل وليس في الكتاب والسنة والإجماع باطل ولكن فيه ألفاظ قد لا يفهمها بعض الناس أو يفهمون منها معنى باطلاً فالآفة منهم لا من الكتاب والسنة<sup>1</sup>

و هنا نجد الشيخ ابن تيمية يخلص في نهاية كلامه عن المرشدة و مأخذها إلى أنه لا حاجة لأحد من المسلمين إلى قراءتها و تعلمها، و لا يجوز لأحد من المسلمين أن يعدد عما جاء به القرآن الكريم و السنة النبوية الشريفة، و ما اتفق عليه السلف الصالح إلى ما أحدثه بعض الناس مما قد يتضمن خلال ذلك، و ليس لأحد مهما كان علمه أن يبدع للناس عقيدة و لا عبادة بل عليه أن يتبع ولا يبتعد.

#### آراؤه في كتابه "أعز ما يطلب":

- وحدانية الله:

يثبت بن تومرت وحدانية الله عز وجل فيقول: "...لا إله إلا الذي دلت عليه الموجودات، وشهدت عليه المخلوقات، بأنه جل و علا وجب له الوجود على الإطلاق، من غير تقييد و لا تخصيص... ليس معه شيء غيره، و لا موجود سواه...انفرد بالوحدانية و الملك و الألوهية...لا شريك له."<sup>2</sup>، و يستدل على وحدانية الله بقوله: "... و الغيرية على ضربين غيرية مستقلة، و

1- ابن تيمية: مجموع الفتاوى، ج 11، ص 489، 490.

2- ابن تومرت: المصدر السابق، ص 225.

غيرة غير مستقلة، و هذا الحصر مبين في مسألة نفي الشريك عن الباري سبحانه...<sup>1</sup> إذن هنا نرى أن بن تومرت يستدل بدليل "الغيرة" في إثبات وحدانية الله عز وجل.

#### - وجود الله:

يثبت بن تومرت صفة وجود الله في فصل "بضرورة العقل يعلم وجود الباري سبحانه" فيقول: "...أخبر تعالى أن فاطر السموات والأرض ليس في وجوده شك، و انتفى عنه الشك، وجب كونه معلوما، فثبت بهذا أن الباري سبحانه يعلم بضرورة العقل.."<sup>2</sup>، و يقول في موضع آخر: "... بأنه جل و علا وجب له الوجود على الإطلاق..."<sup>3</sup>

و يقدم بن تومرت الدليل العقلي على الدليل النقلي في الاستدلال على وجود الله فيقول: "...و الضرورة ما لا يتطرق إليه شك، و لا يمكن العاقل دفعه. و هذه الضرورة على ثلاثة أقسام: واجب، و جائز، و مستحيل، فالواجب ما لا بد من كونه، كافتقار الفعل للفاعل، و الجائز ما يمكن أن يكون، و يمكن أن لا يكون، كنزول المطر، و المستحيل ما لا يمكن كونه، كالجمع بين الصدرين، و هذه الضرورة مستقلة في نفوس العقلاة بأجمعهم، استقر في نفوسهم أن الفعل لابد له من فاعل، و أن الفاعل ليس في وجوده شك، و لذلك نبه الله تبارك و تعالى في كتابه فقال: ﴿أَفِي اللَّهِ شَكٌ فَاطِرُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾<sup>4</sup>

#### - تنزيه الله عن الشريك:

يدرك بن تومرت ذلك في فصل "إذا علم وجوده على الإطلاق علم أنه ليس معه غيره في ملكه" فيقول: "...إذ لو كان معه غيره لوجب تقيده بحدود المحدثات..." ، و يواصل بن تومرت في طريقة استدلاله على تقديم العقل على الشرع و ذلك حين بدأ في التدليل على هذه المسألة فيقول: "...لوجوب كون الغير المستقل منفصلا، و الخالق سبحانه ليس بمتصل و لا منفصل، و لو اتصف بالاتصال و الانفصال لوجب كونه مخلوقا، و كون الخالق مخلوقا مستحيل، لاستحالة

1- ابن تومرت: أعز ما يطلب ،ص163

2- المصدر نفسه،ص214

3- المصدر نفسه،ص225

4- سورة: إبراهيم، الآية:13

انقلاب الحقائق، فعلم بهذا انه إله واحد ليس معه ثان في ملکه كما قال تعالى: ﴿ لَا تَتَّخِذُوا إِلَهَيْنِ إِنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَإِيَّاهٍ فَإِنْهُمْ بُشَّارٌ ۚ ۲﴾ .<sup>1</sup>

#### - مسألة الصفات:

يثبت بن تومرت مجموعة الصفات للذات الإلهية فيقول: "... لوجوب كون الخالق حيا عالما قادر مريد سمعا بصيرا متكلما، من غير توهם تكيف..."<sup>3</sup> إذن نلاحظ من هذا القول أن بن تومرت أثبتت الصفات التي يتفق عليها مجموع الأشاعرة وهي: العلم، و القدرة، و الإرادة، و السمع و البصر و التكلم.

كما يثبت بن تومرت صفتى القدم و العزة لله عز وجل فيقول: "... لاستحالة انقلاب الحقائق، لو انقلب الواجب جائز و الجائز مستحيلا لبطلت المعلومات، فعلم بهذا وجوب دوامه، لم يزل و لا يزال عالما بجميع الحدثات على ما هي عليه من صفاتها، و تفاصيل أجناسها، و ترتيب أوقاتها، و نهاية أعدادها قبل وجود أعيانها، قدرها العليم في أزليته ظهرت بحكمته على وفق تقديره."<sup>4</sup>

#### - مسألة المشيئة المطلقة:

يخصص بن تومرت فصلا في كتابه أعز ما يطلب يتكلم فيه بصرامة عن مسألة المشيئة فهو يثبت لله القدرة على فعل ما يدخل تحت مقدوراته فيقول: "... و جميع المخلوقات صادرة عن قضائه و قدره، أظهرها الباري سبحانه كما قدرها في أزليته... إنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون...".<sup>5</sup>

1- سورة: النحل، الآية: 51.

2- ابن تومرت: أعز ما يطلب ،ص 218.

3- المصدر نفسه،ص 218.

4- المصدر نفسه،ص 218.

5- المصدر نفسه،ص 220، 219.

**- مسألة العدل و الإحسان:** بين بن تومرت انفراد الله عز وجل بصفتي العدل و الإحسان بقوله: "... يهدى و يضل، و يعز، و يذل،... لا يتصرف بالظلم و العداوة، إلا من عليه الحجر و الحكم، إذا تعدى حدود المالك....لا يرجوا ثوابا و لا يخاف عقابا."<sup>1</sup>

### - مرتكب الكبيرة:

يتفق بن تومرت مع ما تطرق إليه الأشاعرة حول "مرتكب الكبيرة"، حيث كان حكمهم عليه موافقاً ل موقفهم من العصاة، فأعلن بن تومرت: "...يُعذب من يشاء و يرحم من يشاء..."<sup>2</sup> بهذا القول عبر بن تومرت عن موقف المذهب الذي يرى أن مرتكب الكبيرة لا يقطع بعقابه بل هو في المشيئة ، إن شاء تجاوز أخطائه و أدخله الجنة.

### - مسألة رؤية الله:

يرى بن تومرت وجوب التصديق بما ورد في الشرع من هذه المسألة، أي أنه يثبت الرؤية لله عز وجل فيقول: "...يرى من غير تشبيه و لا تكييف، لا تدركه الأ بصار و هو يدرك الأ بصار..."<sup>3</sup> و هنا نلاحظ أن بن تومرت اكتفى في إثبات الرؤية لله على الدليل العقلي فقط.

### - مسألة النبوات:

يورد بن تومرت فصلاً في كتابه هذا عن "إثبات الرسالة و المعجزات" ، و الذي يثبت من خلاله أن النبوة حائزة فيقول: "... و بالضرورة يعلم صدق الرسول لظهور الآيات..."<sup>4</sup> و هذا يعني أن النبوة و الرسالة عند بن تومرت و غيره من الأشاعرة حائزة.

و هنا نجد أنه يشترط في صدق الرسول شرطاً؛ هو الإتيان بالمعجزة التي يضع لها بن تومرت شروطاً لا تتحقق و لا يصدق الرسول إلا إذا توافرت و يتجلّى ذلك في قوله: "...لظهور الآيات الخارقة للعادة على وفق دعوه ... كإنفلاق البحر، و انقلاب العصى حية، إحياء الموتى، و

1- ابن تومرت: أعز ما يطلب ،ص 220

2- المصدر نفسه،ص 220

3- المصدر نفسه،ص 221، 222

4- المصدر نفسه،ص 222

انشقاق القمر... و الموافقة بين المعجزة و الدعوى المحسوسة... فلما عجزوا عن الإتيان بما أتى به.<sup>1</sup>

و هنا نستنتج أن الشروط التي وضعها بن تومرت لتحقق المعجزة تمثل في:

1- أن تكون فعلاً لله.

2- أن تكون خارقة للعادة.

3- أن تقع بعد تحدي (وفق دعوه).

4- أن تؤدي إلى عجز المعارضين و المتحدين ( فلما عجزوا عن الإتيان بما أتى به)

أما موقفه من الرسول ﷺ فنجد بن تومرت يحث على ضرورة الإيمان به و تصديق من حلال قوله: "...علم بالضرورة صدقه، أرسله الله إلى الناس كافة بشيراً و نذيراً و داعياً إلى الله بإذنه و سراجاً منيراً، بعثه بالرفق و الرحمة، و خصصه بالعلم و الخشية، و شرفه بالحلم و الحكمة، و هداه إلى الأخلاق الحسنة فبلغ الرسالة و بين الشريعة."<sup>2</sup>

#### - الإمامة:

إن أول شيء يجب الإشارة إليه أن بن تومرت يعتبر الإمامة من الجائزات العقلية و هذا من حلال تخصيصه ببابا عن الإمامة، و يتجلّى هذا بوضوح في قوله: "... و هو وجوب اعتقاد الإمامة للكافية".<sup>3</sup> و يرى بن تومرت أن الإمامة أمر أساسى و مهم لحياة الناس فيقول: "... و هي ركن من أركان الدين، و عمدة من عمد الشريعة، و لا يصح قيام الحق في الدنيا إلا بوجوب اعتقاد الإمامة".<sup>4</sup> و يضع بن تومرت شرطين أساسيين لكي يتم أمر الإمامة فيقول: "... وجوب اعتقاد الإمامة على الكافية... لا بد أن يكون الإمام معصوماً من الفتنة".<sup>5</sup><sup>6</sup>

1- ابن تومرت: أعز ما يطلب ،ص 222.

2- المصدر نفسه،ص 222، 223.

3- المصدر نفسه،ص 229.

4- المصدر نفسه ،ص 229

5- أن يكون الإمام معصوماً من: الباطل و الجور و البدع و الكذب و العمل بالجهل.

6- المصدر نفسه،ص 229

من خلال قوله يمكن أن نستنتج أن بن تومرت قد رکز على الشرط إذن هذه هي الشروط التي يعتقد بن تومرت أنها من مستلزمات منصب الإمامة:

1- الإمامة للكاففة (إبطال شرط القرشية).

2- شرط العصمة للإمام (من: الباطل و الجور و البدع و الكذب و العمل بالجهل.)

و خلص في النهاية، إلى أنه على الرغم من أن أراء "بن تومرت" كانت متعددة المشارب ، إذ لم يكن يوماً أشعرياً خالصاً، إلا أن خلفاءه اعتبروه كذلك، و أرغموا الناس على حفظ مرشدته و فهم مضامينها، باعتبارها مدخلاً سهلاً للمذهب الأشعري.<sup>1</sup>

و قد أدت هذه السياسة في نشر مؤلفات "المهدي" و إشاعتها إلى أن أخذت طريقها بين عامة الناس، و جرت بها دروس العلماء و شروحهم في مختلف الأفاق المغربية، كما ساعدت في بروز عدد من المفكرين حملوا راية المذهب الأشعري عالياً، من أبرزهم القاضي: "أبو بكر بن العربي".

- فكيف خدمت هذه الشخصية المذهب الأشعري ببلاد المغرب الإسلامي؟

5-2- ابن العربي (ت 543 هـ/1148 م):

1-2- حياته:

هو محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الله بن أحمد بن العربي المعافري، ولد في اشبيلية بالأندلس عام 468هـ/1075م في بيت علم و جاه<sup>2</sup>، تلقى ثقافته الأولى على يد أبيه و حاله. زار في شبابه مصر و العراق و بيت المقدس و دمشق و الحجاز و هناك تلقى العلم على أهلها حتى برع في علوم السنة و تراجم الرواية و أصول الدين و أصول الفقه.<sup>3</sup>

و قد أخذ "ابن العربي" في رحلته عن جملة من العلماء، نذكر منهم "أبو بكر الطرطoshi"<sup>5</sup>،

1- عبد الواحد المراكشي: وثائق المرابطين و الموحدين، ص 218.

2- ابن بشكوال: المصدر السابق: ج 2، ص: 590.

3- المقري: نفح الطيب، ج 2، ص: 233.

4- جاسم محمد القاسمي: تاريخ الحضارة العربية الإسلامية في الأندلس، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، 2000م، ص: 94.

5- ينظر: رسالة أبي بكر محمد بن الوليد الطرطoshi المالكي (520 هـ) إلى ابن المظفر، الملحق رقم: 10، ص: 376.

و "أبو الحسن الطيوري"، و "أبو بكر الشاشي".<sup>1</sup> و في بغداد لقي حجّة الإسلام "أبا حامد الغزالى"، فلازمه مدة و درس عليه بعض كتبه، و ذكر هو نفسه ذلك إذ قال: «قرأت عليه جملة من كتبه و سمعت كتابه الذى سماه "بالإحياء لعلوم الدين"».<sup>2</sup> و لقد كان ابن العربي من أهل التفنن في مختلف العلوم مع براعته في الفقه والحديث، ثاقب الذهن حافظ البديهة، حريصاً على نشر العلم وآدابه، وكان فصيحاً حافظاً أدبياً وشاعراً، كثير الملح خفيف المجلس، وقد حكى ابن الربيير في صلته: أن القاضي ابن العربي في مقامه بإشبيلية كان ملتزماً للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، حتى أصيب من جراء ذلك بنهاية كتبه وماله، فاحتمل ذلك وأحسن الصبر<sup>3</sup> ، وقد تولى أبو بكر قضاء إشبيلية في رجب من سنة 528 هـ/1133 م فنفع الله به لصرامته في الحق ونفوذ أحكامه، وكانت له على الظالمين والباغين غلظة.

و تشير بعض المصادر إلى أن "ابن العربي" إجتمع "بابن تومرت" في بغداد<sup>4</sup> ، و في الحقيقة أن ذلك الأمر لم يكن لكون "ابن العربي" رجع من المشرق قبل رحلة "بن تومرت" بسنوات<sup>5</sup> ، فمع سنة 492 هـ/1098 م بدأت رحلة العودة "لابن العربي" ، و لما وصل إلى إشبيلية قصده طلاب العلم من كل جهة، و بلغ ذروة مكانته في العلم و التدريس أيام حكم المرابطين، و كان من بين العلماء الذين أخذوا و درسوا على "ابن العربي" القاضي "عياض اليحصبي" و ابنه القاضي "محمد بن عياض" و المؤرخ "ابن بشكوال" صاحب كتاب "الصلة" ، و "أبو العباس أحمد بن أبي الوليد ابن

1- المقري: *فتح الطيب*: ج 2، ص: 234.

2- أبو بكر محمد بن عبد الله ابن العربي: *العواصم من القواصم*، تحقيق: عمارة طالبي (نشره بعنوان آراء ابن العربي الكلامية)، ج 1، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، (ب- ت)، ص: 19.

7- المقري: *أزهار الرياض في أخبار عياض*، ضبطه و حققه و علق عليه: مصطفى السقا و آخرون، ج 3، مطبعة لجنة التأليف و الترجمة و النشر، القاهرة، 1361 هـ/1942 م، ص: 64.

4- المقري: *فتح الطيب*، ج 2، ص: 233.

5- مجهول: *الحلل الموسية*، ص: 148.

رشد" والد الفيلسوف "ابن رشد" و غيرهم<sup>1</sup>، و بقي يدرس قرابة 40 عاما، مما أهله لتولي منصب القضاء مع سنة 528 هـ/1133 م<sup>2</sup>.

وقد ترجم القاضي عياض لابن العربي في مشيخته الغنية بقوله: "...واحتاز ببلدنا سبعة فكتبت عنه فوائد وناولني كتاب المؤتلف والمختلف للدارقطني، وحدثني بكتاب الإكمال للأمير بن نصر بن ماكولة... وأجازني في جميع رواياته<sup>3</sup>.

و في السنوات الأخيرة من حياته انقرضت دولة المرابطين ،لتقوم على أعقابها دولة "عبد المؤمن بن علي"، و بحلول سنة 542 هـ/1147 م، توجه "ابن العربي" إلى مراكش مع وفد من اшибيلية لمبايعة "عبد المؤمن بن علي" خليفة على دولة الموحدين، و فيها تعرض الفقيه أبو بكر بن العربي" لسخط الخليفة"عبد المؤمن بن علي" لأنّه لم يقرر صراحة و على ملأ من الأشهاد أن "محمد بن تومرت" درس على "أبي حامد الغزالي" ،و أن هذا الأخير تنبأ له بالمهديّة، وبعد رحلة العودة "لابن العربي" أدركته المنية ودفن يوم 07 ربيع الأول 543 هـ/1148 م بفاس<sup>4</sup>، و هناك من المؤرخين من يظن أن سبب وفاته يعود إلى السخط الذي تعرض له<sup>5</sup>.

و قد ترك ابن العربي إرثا من التأليف والتصانيف ففي التفسير ألف كتابه "أنوار الفجر" الذي قال عنه في كتابه "القبس" أنه ألفه في العشرين سنة ويقع في ثمانين ألف ورقة في ثمانين مجلدا تفرقت بأيدي الناس<sup>6</sup> كما ألف كتابه "أحكام القرآن" و"القانون في تفسير القرآن" وكتاب "الناسخ والمنسوخ" أما في الحديث فألف كتابه "عارضة الأحوذى" الذي شرح فيه جامع الترمذى شرعا رائعا وكتاب "القبس على موطن الإمام مالك بن أنس" وكتاب "المسالك في شرح الموطأ" وكتاب المسلاسلات وكتاب "أسماء الله الحسنى" أما في الفقه وأصوله فله كتاب "المحصول"

1- يحيى هويدري، المرجع السابق، ص: 214.

2- ابن خلكان: المصدر السابق، ج 3، ص: 424.

3- القاضي عياض: الغنية، ص: 34.

4- مجهول: الحلل الملوشية، ص: 148.

5- حسين مؤنس: تاريخ المغرب وحضارته ، ج 2، ص: 192 .

6- المقري: أزهار الرياض، ج 3، ص: 88.

وكتاب الخلافات وكتاب "الكافى بأن لا دليل على النافى" وله غير ذلك كثير من المصنفات منها "السباعيات" و"شرح غريب الرسالة" و"الإنصاف" و"العواصم و القواصم" وغيرها.<sup>1</sup>

### 5-2-2- دوره في نشر المذهب الأشعري بلاد المغرب:

يعد "ابن العربي" من طراز العلماء الذين قال عنهم الإمام "الغزالى" أئمماً كانوا يقصدون بعلمهم وجه الله لا وجه الدنيا<sup>2</sup>، أما عن علاقته بالفکر الأشعري بالغرب الإسلامي، فإن أقل ما يمكن قوله في حق هذا الرجل هو أنه شَكَّل إحدى الدعامات التي قام عليها المذهب ببلاد المغرب، فقد لعب دوراً بالغاً في نشر الفكر الأشعري بهذه البلاد، و يمكن إبراز أهميته في أمرين:<sup>3</sup>

**الأمر الأول** : في كونه نقل مجموعة من أممـات كتب الأشاعرة بالشرق إلى المغرب الإسلامي، مما سمح للمغاربة بالإقتراب من الفكر الأشعري في مضمونه الأصلية و في مصادره الأولى، و بتداوـها فيما بينهم نقلاً، و دراسة، و تلقـياً، و بهذا كانت هذه العملية ناجحة لتهيئة الجو أمام توسيع رقعة انتشار العقيدة الأشعرية ببلاد المغرب الإسلامي، و تكريـسها و تثبيـتها و إعطائـها السنـد المرجعي الكـفـيل بـتطـويرـها أكثر.<sup>4</sup>

و من الكـتب التي حملـها "ابن العربي" إلى الأندلس نذكر "مدارك العقول" ، "البرهان في أصول الفقه" ، "العقيدة النظامية" ، "غياث الأمـم" لإمام الحرمين "الجويني" ، و أحضر من تأليف "الغزالـي" كتاب "محكـ النظر" ، كتاب "تكـافتـ الفلـاسـفة" ، كتاب "الـإـقـتصـادـ فـيـ الـاعـتـقادـ" ، و كتاب "إـحـيـاءـ عـلـومـ الـدـيـنـ" ، و أحـضرـ معـهـ أـيـضاـ كتاب "الـجـامـعـانـ الـخـفـيـ وـ الـجـلـيـ" "لـأـبـيـ إـسـحـاقـ إـسـفـراـيـنـيـ" ، "إـختـصـارـ تـفـسـيرـ الطـبـرـيـ" ، "تـفـسـيرـ الـقـرـآنـ" "لـلـقـشـيرـيـ".<sup>5</sup>

**الأمر الثاني** : فيتمثل في كونه وضع عدداً من التصانيف و الرسائل التي نطقـت بالجانب العقدي الأـشـعـريـ، منـ أـهـمـهـاـ "الأـمـدـ الأـقـصـىـ بـأـسـمـاءـ اللهـ الـحـسـنـىـ وـ صـفـاتـهـ الـعـلـىـ" ، "رسـالـةـ الـغـرـةـ فـيـ الرـدـ عـلـىـ".

1- المقري: أزهار الرياض، ج 3، ص: 94.

2- يحيى هويدري: المرجع السابق، ص: 214.

3- يوسف أحـنانـةـ: تـطـورـ المـذـهـبـ الـأـشـعـريـ فـيـ الـغـربـ إـسـلـامـيـ، ص: 52.

4- يوسف أحـنانـةـ: تـطـورـ المـذـهـبـ الـأـشـعـريـ فـيـ الـغـربـ إـسـلـامـيـ ، ص: 52.

5- ابن العربي: المصدر السابق، ج 2، ص: 52.

ابن حزم" ، "الوصول إلى معرفة الأصول" ، "العواصم من القواصم" ، "الدواهي و النواهي" ..، "قانون التأويل" ، "نزعة الخاطر و تحفة الخواطر" ، كتاب "المسقط في شرح المتوسط" ، كتاب "المتوسط في معرفة صحة الإعتقاد و الرد على من خالف السنة من ذوي البدع و الإلحاد".<sup>1</sup>

إن هذا الثبت الذي قدمناه عن مؤلفات "ابن العربي" العقدية يضم كتبًا مفقودة، و أخرى مخطوطة، و أخرى مطبوعة، لكنها جميعاً تتحرك داخل مناخ الفكر الأشعري و تتكلم باسمه، و هي تشهد على الدور المهم و الكبير الذي لعبه "ابن العربي" في هذه الفترة، التي كانت تقتضي من المدافعين الأوائل عن الفكر الأشعري أن يسهموا إسهامات كبيرة في التأليف على هذا المذهب، و الدفاع عنه في الكتب و الرسائل، و هذا ما يتجلّى واضحاً في أعمال هذه الشخصية.<sup>2</sup>

و مما تجدر الإشارة إليه أن شهرة "ابن العربي" لم تكن في علم الكلام و إنما كانت في غيره، إذ نبغ في الفقه و علوم القرآن، و الحديث و ألف فيهم التأليف التي أعلنت من شأنه و تناقلها العلماء من بعده.<sup>3</sup>

و الواقع أن شخصية "ابن العربي" في إطار الفكر الأشعري، هي شخصية متبحر فذ، مطلع له نظرياته المتميزة، و آراءه الخاصة، و يبدوا ذلك جلياً من خلال مؤلفاته التي سبق و أن أشرنا إليها من قبل، خاصة كتابه "العواصم من القواصم" الذي توفر بين أيدينا، حيث تظهر فيه شخصيته الفكرية بشكل واضح من حيث إبداء آرائه و إبراز مواقفه الخاصة و تفرده ببعض الدقائق، و ما يزيد من تميّز "ابن العربي" في كتاباته العقدية في هذه الفترة هو كثرة مصادره.

و على الرغم من أن الكثير من عاصروا "ابن العربي" من أمثال "أبو الحسن بن حزهم" من أعقبوا عصره شهدوا له بإمامته في هذا المذهب، و اعترفوا له بقيمته العلمية و دوره الكبير في تشييد دعائم هذا المذهب و الدفاع عنه.

و هنا نتسائل كيف ساهم أبو الحسن بن حزهم في خدمة المذهب الأشعري ببلاد المغرب؟

1- المقري: نفح الطيب، ج 2، ص: 242.

2- يوسف أحناة: تطور المذهب الأشعري، ص: 103 .

3- ابن شكوال: المصدر السابق، ج 2، ص: 591.

### ٥-٣- أبو الحسن بن حزهم (ت ٩٥٥هـ/١١٦٣م)<sup>١</sup>:

هو علي ابن إسماعيل بن محمد بن عبد الله بن حزهم، بن زياد، بن يوسف، بن سومران، بن حفص، بن الحسن، بن محمد بن عبد الله، بن عمر، بن عثمان بن عفان صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم<sup>٢</sup>، من أهل مدينة فاس بها ولد و نشأ و توفي، أخذ عن عدة شيوخ من أشهرهم أبو بكر بن العربي (ت ١٤٨هـ/١١٤٣م)، و أبو بكر ابن مالك، و أبو عبد الله بن الخطاط، كما أخذ عن أبيه إسماعيل<sup>٣</sup>، و عن ابن النحوبي، لكنه اختص بعمه أبي محمد صالح ابن حزهم<sup>٤</sup> و عليه كان أكبر اعتماده. و معلوم أن صالحًا هذا كان قد رحل إلى المشرق و درس على أبي حامد الغزالى (ت ٥٠٥هـ/١١١١م) قبل رجوعه إلى فاس، فإليه يرجع الفضل في إقبال ابن حزهم على العلوم الصوفية و الكلامية حتى صار من أفقه لأهل بلده و أعلمهم و أزدهم. يقول عنه التبكتي: "... كان فاسيا عالماً فقيهاً محدثاً حافظاً مدرساً، زاهداً في الدنيا سالكاً في طريق القوم، من أهل التحقيق مشاركاً في علوم الشريعة لكنه أميل لعلوم الباطن، أحكم كتاب إحياء الغزالى و ضبط مسائله فكان يستحسن و يثني عليه..."<sup>٥</sup>

و قال عنه ابن القاضى: "... كان رحمة الله معظمًا للعلم مو فيه حقه، منقبضاً عن أبناء الدنيا، و كان فقيهاً عارفاً بالمسائل و الفقه و الحديث و معرفة التفسير و التصريف، و كان يتكلم على رعاية المحاسبي، و كان ورعاً عارفاً بالكلام مع الورع و الزهد في الدنيا و التخشى في الملبس..."<sup>٦</sup>

١- ينظر ترجمته: ابن الزيات: التشوف إلى رجال التصوف، ص ١٦٨؛ ابن الأحرار: بيوتات فاس، ص ٦٦؛ ابن مخلوف: شجرة النور الزكية، ص ١٦٢، ١٦٣؛ ابن قنفود القسطنطيني: أنس الفقير و عز المغير، ص -١٤- ١٢؛ التبكتي: نيل الابتهاج بتطریز الدیباچ، ص ٣٠٩؛ ابن القاضى: جنوة الاقتباس، ج ٢، ص ٤٦٤- ٤٦٦.

٢- ابن مخلوف: شجرة النور الزكية، ص ١٦٢؛ ابن القاضى: المصدر السابق، ج ٢، ص ٤٦٤.

٣- ابن الزيات: التشوف، ص ٩٤، ٩٥؛ علال البختي: عثمان السلاجى و مذهبته الأشعرية، ص ١٢٢.

٤- ينظر ترجمته: ابن الزيات، التشوف، ص ٩٤.

٥- التبكتي: نيل الابتهاج بتطریز الدیباچ، ص ٣٠٩، ٣١٠.

٦- ابن القاضى: المصدر السابق، ج ٢، ص ٤٦٤.

و قد تمنع أبو الحسن بمكانة ارتقى خلالها الدرجات الرفيعة عند الحكام المرابطين، إلا أنه خالفهم و سلك طريق مخالفًا لهم، إلا و هو طريق التصوف، فانكب على قراءة إحياء علوم الدين، للغزالى، و كتب المحاسبين و كتب مكى بن أبي طالب و غيرها.<sup>1</sup>

و قد أثر أبو الحسن على الفكر الشرعى و الصوفى في المغرب أيمًا تأثير، و استطاع أن يؤسس مدرسة صوفية مغربية تخرج منها علماء و زهاد بارزون من أمثال أبي الحسن بن خيار، و أبي محمد التادلى، و أبي إسحاق المعروف بابن المرأة ، و أبي الصرح أىوب الفهري، و أبي يعزى يلنور، و أبي مدين الغوث و غيرهم.<sup>2</sup>

و قد سلك ابن حزهم في منهجه الصوفى طريق "أهل الملامتية" و لم يكن يعرف ذلك الطريق بالغرب، فكان أهل البلد ينكرون عليه بعض أحواله و لكن لصدقه كانت القلوب مائلة إليه.<sup>3</sup>  
يقول ابن الزيات عنه: "... كان من كبار الفقهاء و كان زاهدا في الدنيا سالكا سبيلاً للتصوف، ذا كرامات و فراسات. و كان والده من كبار الصالحين و كذلك أخوه..."<sup>4</sup>

و قد كان أبو عمرو عثمان ابن عبد الله السلاجى الأصولي أحد الأعلام الذين أخذوا عن هذا الفقيه الصوفى الكبير و تأثروا به تأثراً واضحًا في سيرتهم و في كل مناحي حياتهم، فبالإضافة إلى التأثير الصوفى الذى تركه فيه، كان لأبي الحسن الفضل الأول في تعليم أبي عمرو مبادئ العقيدة الأشعرية، فلا زلتنا نذكر أن السلاجى لما تلقف كتاب "الإرشاد" و جاء يستشيره في دراسته شجعه أبو الحسن على ذلك، بل و أخذ ييسط له معانيه في حدود ما وصلت إليه معارفه في ذلك العلم، و هكذا قعد السلاجى يدرس "الإرشاد" على ابن حزهم رغم أن هذا الأخير "كان يفتر في موضع منه". و بذلك يكون ابن حزهم من درس له علم الكلام بالإضافة إلى التصوف و الفقه.<sup>5</sup>

1- ابن الزيات: التشوف، ص 170؛ علال البحتى: عثمان السلاجى، ص 101.

2- ابن مخلوف: شجرة النور الزكية، ص 163.

3- علال البحتى: عثمان السلاجى، ص 122، 123.

4- ابن فنقذ: أنس الفقير، ص 12.

5- ابن الزيات: التشوف، ص 199؛ علال البحتى: عثمان السلاجى، ص 123.

لكن دوره العقدي تقلص بعد هذه الفترة ليفسح المجال أمام متبحر آخر لنشر المذهب الأشعري.  
ألا و هو "أبو علي الميسيلي".

- فكيف خدمت هذه الشخصية المذهب الأشعري بلاد المغرب الإسلامي؟

#### 5-4- أبو علي الميسيلي (ت 1185هـ/580م):

هو حسن بن علي بن محمد الميسيلي أبو علي، يعود أصله إلى مدينة المسيلة، رحل إلى مدينة بجاية و توفي بها سنة (1185هـ/580م)، كان فقيها مالكيا، حافظاً و متكلماً، و هو من أصحاب الولي الزاهد الشيخ أبي مدين التلمساني، تولى القضاء ببجاية إلى أن دخلها بنو غانية بقيادة علي بن غانية الميروقي سنة 1185هـ/580م، و احتلوها و أكرهوه على مبايعتهم فرفض و اعتزل القضاء، و اهتم بالتدريس في مساجدها و نشر العلم و التأليف إلى أن مات سنة 1185هـ/580م و دفن بمقدمة باب أمسيون<sup>1</sup>، ذكره الغبريني في كتابه فقال: "جمع بين العلم و العمل و الورع، و بين علمي الظاهر و الباطن، له المصنفات الحسنة و القصص العجيبة المستحسنة"، و قد ترك مؤلفات كثيرة ذكرها الغبريني و علق عليها منها : التذكرة في أصول الدين، النبراس في الرد على منكر القياس، و التفكير فيما تشتمل عليه السور و الآيات من المبادئ و الغايات، و هو كتاب اتبع فيه منهج أبي حامد الغزالي في كتابه الإحياء في طريق عرض القضايا و تحليلها حتى لقب بأبي حامد الصغير، و قد قال فيه الغبريني : "... و كلامه فيه أحسن من كلام أبي حامد و أسلم، و دل كلامه فيه على إحاطته بعلم المعقول و المنقول، و علم الظاهر و الباطن، و من تأمل كلامه أدرك ذلك بالعلم اليقين، و لم يفتقر فيه إلى تبيين و هو كثير الوجود بين أيدي الناس، و كثرة وجود الكتاب دليل على اعتماد الناس به و إشارتهم له".<sup>2</sup>

1- ابن فهد القسني: أنس الفقير، ص34؛ الغبريني: عنوان الدراسة فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية، ص34، 35؛ عادل نويهض: معجم أعلام الجزائر من صدر الإسلام حتى العصر الحاضر، ط2، مؤسسة نويهض الثقافية للتأليف و الترجمة و النشر، بيروت ، لبنان، 1980هـ/1400م، ص299.

2- الغبريني: عنوان الدراسة، ص33، 34؛ ابن فهد القسني: أنس الفقير، ص34؛ بن الذيب و آخرون: الحواضر و المراكز الثقافية في الجزائر في العصر الوسيط، ص. 96.

وكان أبو علي حسن من أهل النسخ و الدين، حيث كان يأتي إلى الجامع الأعظم في الثالث الأخير من الليل للتهجد.

و يذكر الغرينبي : "أن الفقيه أبا علي المسميلي، عرض له في ولايته مرض اقتضى أن يستنيب من ينوب عنه في الأحكام الشرعية، فاستناب حفيده، وكان له نبل فتحاكمت عنده يوماً إمرأتان ادعت إحداهما على الأخرى إنها أعارتها حلباً وإنها لم تعدد إليها وأحابتها الأخرى بالإإنكار فشدد على المنكرة وأوهما حتى اعترفت ، و أعادت الحلبي ... و كان من سيرته إذا انفصل عن مجلس الحكم يدخل بجلده أبي علي، و يعرض عليه ما يليق عرضه من المسائل، فدخل عليه فرحاً ، و عرض عليه هذه المسألة فاشتد نكير الفقيه رحمه الله و جعل يعتب نفسه و قال له : إنما قال النبي صلى الله عليه و سلم "البينة على المدعى و اليمين على من أنكر".<sup>1</sup>

غير أن دوره في علم الكلام الأشعري كان محدوداً، بالمقارنة مع من ستكون له اليد الطولى في النهوض بالمذهب الأشعري ببلاد المغرب الإسلامي، ألا و هو "السلاجى".

- فكيف خدمت هذه الشخصية المذهب الأشعري ببلاد المغرب الإسلامي؟

## 5-5- السلاجى (ت 594هـ/1197م):

### 1-5-5- حياته:

هو الشيخ المتكلم النظار أبو عمرو عثمان بن عبد الله السلاجى الأصوصى ولد سنة (521هـ/1125م)<sup>2</sup>، ينسب إلى بيت عرف بالثروة و الفقه، أصله من العرب القيسيين، أما تسميته بالسلاجى فهي نسبة إلى جبل سليلجو، الذي كان يتربى إليه من فاس<sup>3</sup> - و ينتمي

1- الغرينبي : المصدر السابق ، ص 37.

2- الكتاني : سلوة الأنفاس، ج 2، ص 242؛ ابن الزيات: التشوف إلى رجال التصوف، ص 198؛ ابن مخلوف: شجرة النور الركبة، ص 163؛ ابن القاضي: جذوة الاقتباس، ج 2، ص 458؛ العباس بن ابراهيم السملالي: الإعلام بمن حل مراكش وأغمات من الأعلام، راجعه عبد الوهاب منصور، ج 9، ط 2، المطبعة الملكية، الرباط، 1413هـ/1993م، ص 06؛ عبد الله كون: النبوغ المغربي، ج 1، ص 149؛ جمال علال البختي: عثمان السلاجى و مذهبته الأشعرية، ص 81. 89. 90.

3- الكتاني : سلورة الأنفاس، ج 2، ص 242؛ ابن القاضي: جذوة الاقتباس، ج 2، ص 458؛ ابن الأحمر: المصدر السابق، ص 45؛ السملالي: الإعلام بمن حل مراكش، ج 9، ص 06؛ أما كون و البختي فينقلان عن المديوني: " و سليلجو اسم بلد من

السلاجلي إلى قبيلة مسراتة التي هي فخذ من قبيلة مدionate، و لذلك يقال له أحيانا المسراطي<sup>1</sup> هذه الأخيرة التي استوطنها بعد نزوحه من مراكش.<sup>2</sup> طلبا للتحصيل العلمي و بحثا عن وسيلة يعيش منها، و لماذا لا تكون عن طريق العلم و التحصيل، باعتبار أن الفقهاء كانوا أصحاب امتياز في المجتمع؟<sup>3</sup>

ولكن ييدوا أنه رغم انتقاله لمدينة فاس إلا أن أحواله المعيشية لم تتحسن، بل ظل يعاني الفاقة، وأصبح بعض زملائه يستضيفونه عندهم و يساعدونه.<sup>4</sup>

و قد تلقى السلاجلي تكوينه الأول بمنطقته سليلجو، و لا شك أنه حفظ القرآن الكريم قبل انتقاله إلى مدينة فاس، و التي عندما وصلها قصد المساجد الصغيرة بقصد دراسة العلوم التي يعتبرها المغاربة ضرورية لمن أراد أن يواصل دراسته في المستوى الأعلى، فتمكن من القرآن الكريم و أتقن قواعد اللغة العربية، كما حفظ مجموعة من المتون العلمية التي تسمح له بالارتقاء إلى الصف الأعلى، و بهذا التحق بجامع القرويين.<sup>5</sup>

و يشير كنون إلى عصر السلاجلي الذي كان مواتيا لظهوراته و جهوده العلمية لنشر المذهب الأشعري فيقول: "... و كان المغرب في أيام طلبه لا يزال يعتقد مذهب السلف في العقيدة، و صادف ظهور الموحدين و دعوتهم إلى المذهب الأشعري فتكبد المشاق في طلب هذا العلم. ثم جاهد جهاد الأبطال في سبيل نشره و تعميمه بين الناس و من ثم قيل إنه هو الذي أنقذ أهل

=بلاد مدionate في قبلة فاس و عملها و على مسيرة يوم و نصف منها" و على هذا يكون أصل أبي عمرو جبل أو بلدة سليلجو و هو منطقة تابعة لمدionate، النبوغ المغربي، ج 1، ص 149؛ عثمان السلاجلي و مذهبته الأشعرية، ص 82.

1- الكتاني: سلوة الأنفاس، ج 2، ص 242؛ ابن القاضي: جذوة الاقتباس، ج 2، ص 458؛ جمال علال البختي: عثمان السلاجلي و مذهبته الأشعرية، ص 82.

2- الكتاني: سلوة الأنفاس، ج 2، ص 241؛ ابن الزيات: المصدر السابق، ص 198؛ ابن القاضي: جذوة الاقتباس، ج 2، ص 458.

3- جمال علال البختي: عثمان السلاجلي و مذهبته الأشعرية، ص 91.

4- الكتاني: سلوة الأنفاس، ج 2، ص 242؛ ابن الزيات: المصدر السابق، ص 198؛ ابن القاضي: جذوة الاقتباس، ج 2، ص 458.

5- السمايلي: الإعلام بن حل مراكش، ج 9، ص 06؛ جمال علال البختي: عثمان السلاجلي و مذهبته الأشعرية، ص 94.

فاس من التجسيم؛ أي من اتباع مذهب السلف الذي كان الموحدون يسمون أتباعه مجسمين، نكارة بآعذائهم المرابطين الذين كانوا على هذا المذهب...<sup>1</sup>

فدرس الفقه فقرأ مختصر ابن أبي زيد الفقيهي (الرسالة) على يد أبي عبد الله محمد بن عيسى التادلي<sup>2</sup>. كان له الفضل في صرف أبي عمرو السلاجبي عن العقيدة السلفية إلى دراسة الفكر الأشعري، يقول السلاجبي: "... كنت أقرأ مختصر ابن أبي زيد على يد أبي عبد الله محمد بن عيسى التادلي رحمه الله، فسلمت عليه ذات يوم فلم يرد علي السلام، فسألته عن موجب ذلك فقال: إنك لا تقصد وجه الله تعالى بعلمك، فلذلك لا يرد عليك السلام، و ينبغي أن تحجر. فانصرفت مهموما..."<sup>3</sup> و من هنا أخذ السلاجبي الفقه و بعض أمور العقيدة من أستاذه الأول.

كما قرأ موطأ مالك و حفظه و أتقنه على يد أبي الحسن بن خليفة (ت 560هـ/1146م)<sup>4</sup> وبذلك يكون السلاجبي قد اغترف من ثقافة عصره بالقدر الكافي ، الذي أهله لأن يصبح عالماً بارزاً بين أقرانه، عالماً أن ثقافة السلاجبي في عصر المرابطين كانت ثقافة فقهية. مفروضة من طرف السلطات الرسمية بإملاء من الفقهاء و بواسطتهم.<sup>5</sup>

و قد أقبل على دراسة الحديث من أجل الإمام بقواعد السنة و المعرفة بالمصطلحات الحدبية حتى يسهل عليه الفهم و التعامل مع روایات الموطأ ، و هنا يذكر علال البختي نقاً عن أبو الحسن بن مؤمن (ت 598هـ/1201م)<sup>6</sup> قوله: "...أن السلاجبي درس سنن الترمذى... و أنه

1- عبد الله كنون: النبوغ المغربي، ج 1، ص 149.

2- الفقيه الفاسي محمد بن عيسى التادلي، من كبار علماء الدولة المراطبية، و من أكبر شيوخ جامع القرويين، ينظر ترجمته: ابن الآبار: التكملة، ج 1، ص 530؛ جمال علال البختي: عثمان السلاجبي و مذهبته الأشعرية، ص 127-129.

3- ابن الزيات: التشوف إلى رجلا التصوف، ص 198؛ عبد الله كنون: النبوغ المغربي، ج 1، ص 149؛ جمال علال البختي: عثمان السلاجبي و مذهبته الأشعرية، ص 128.

4- أحد علماء الأندلس و قضاهما، يعرف بابن الموصلي، و كان من أهل العلم و النباهة، ولـي القضاء على اشبيلية بعد أبي بكر بن العربي؛ ينظر ترجمته: جمال علال البختي: عثمان السلاجبي و مذهبته الأشعرية، ص 134، 135.

5- جمال علال البختي: عثمان السلاجبي و مذهبته الأشعرية، ص 95، 96.

6- هو علي بن عتيق بن عيسى بن عبد الله بن عيسى بن محمد بن مؤمن الانصاري الخزرجي من ذرية سعد بن عبادة بن الصامت يكنى بـ أبا الحسن، ولد سنة (523هـ/1129م)، من أهل قرطبة، اعتمد بالرواية و قيد و كتب

التقى الحدث الشيخ الفاضل أبا مروان بن مسرة فسأله الرواية عنه فأذن له و ناوله " كتاب البخاري" و كتاب " السنة لأبي داود" و كتاب " أدب الكتاب" و أحرازه بجميع مروياته... كما ذكر أن أبا عمرو سمع كتاب الترمذى من الشيخ الإمام أبي عبد الله محمد بن جعفر...<sup>1</sup>  
و من هنا نعرف أن السلاجى قد ألم ألماما شاملا بكتب الحديث من صحيح البخاري إلى سنن الترمذى ، وصولا إلى سنن أبي داود و كتاب الموطأ.

كما أخذ التصوف على يد أستاذه أبو الحسن بن حزهم ( ت 559هـ / 1163م) و بلغ فيه أعلى المقامات و الدرجات حتى عده ابن الزيات و غيره من كبار صوفية المغرب في القرن السادس المجري، رغم أن هذا العلم كان محظورا و معارضا من طرف السلطة المرابطية و رجالها، الذين قاموا بمصادرة كتب المتصوفة في بعض الفترات و بإحراق بعضها كما فعلوا مع كتاب " الإحياء".<sup>2</sup>  
إلى جانب ذلك أقبل على دراسة أصول الفقه، ذلك العلم الذي كان يعد في عصره من العلوم الغريبة المحظوظ دراستها.<sup>3</sup> و يرجع سبب ذلك إلى أن الفقهاء رأوا أن هذا العلم يرتكز على الاستدلالات الفكرية و النظرية، و يرتبط بالمصادر و الأصول التي تبني عليها عملية الاجتهاد ، فحاربوه لأنه يخالف ميلهم الفقهية الجامدة، و لأنه يفضح و يكشف هشاشة منهجهم الفقهي ، و يعرى أسلوبهم المتحجر و يبرز عيوبه.<sup>4</sup>

فدرس كتاب "التقريب" على يد أستاذه أبي الحسن علي بن أحمد اللخمي المعروف بابن الإشبيلي (ت 567هـ / 1171م)<sup>5</sup>، و في هذا الصدد يقول ابن الزيات: " أنه - السلاجى - لقي أبا الحسن

=لشيخه- الذين تجاوزوا 150 شيخا- في كتابه" بغية الراغب و منه الطالب" و له نظم جيد و تأليف في الطب و الأصول، ينظر: ابن مخلوف: شجرة النور الزكية،ص 161؛ علال البختي: عثمان السلاجى،ص-ص:159-161.

1- علال البختي: عثمان السلاجى،ص 96-98.

2- ابن الزيات: المصدر السابق، ص 198؛ السماطى: الإعلام من حل مراكش، ج 9، ص 06؛ عبد الله كتون: النبوغ المغربي، ج 1، ص 149؛ جمال علال البختي: عثمان السلاجى و مذهبته الأشعرية، ص 100، 101.

3- السماطى: الإعلام من حل مراكش، ج 9، ص 06؛ جمال علال البختي: عثمان السلاجى و مذهبته الأشعرية، ص 102.

4- ابن الزيات: المصدر السابق، ص 198؛ السماطى: الإعلام من حل مراكش، ج 9، ص 06؛ جمال علال البختي: عثمان السلاجى و مذهبته الأشعرية، ص 102.

5- هو الفقيه و الخطيب و الأصولي علي بن محمد بن خليل أبو الحسن و عرف بابن الإشبيلي، من علماء حاشية السلاطين الموحدين بمراكش، و اعتلى هذه المكانة نظراً لتمكنه من الفكر الأشعري - مذهب الموحدين العقدي - فقد قدم على بقية

علي بن أحمد الْخَمِي المعروف بابن الإشبيلي و كان له بصر و خبرة بكتاب الإرشاد. فلازمه مدة يسيرة حصل له فيها فهم الإرشاد و فتح عليه كل ما انغلق عليه معانيه.<sup>1</sup>، و ينقل لنا البختي عن ابن مؤمن تلميذ السلاجji ما نصه:"....ما رحل أبو عمرو إلى مراكش لازم الفقيه الإمام أبا الحسن علي بن الإشبيلي و انتفع به، و فتح على يده أصول الدين، و أصول الفقه، و مسائل الاتفاق و الاختلاف، و في مسائل القلوب على طريقة المحسبي، حتى بلغ في ذلك المتهى و لحق درجة المجتهدين و النظار المفتين و اناهز عن رتبة المستفتين"<sup>2</sup>، هذا و يعزي كون إتقان السلاجji لعلم العقائد لأستاذه الأشبيلي. هذا الإتقان الذي سيتمكنه من التأليف في هذا العلم<sup>3</sup>

إن تحول السلاجji إلى علم الكلام الأشعري كان بتشجيع من شيخ التجديد في عصره، أو هم أبو الحسن بن حرزهم (ت595هـ/1163م) الصوفي الكبير، و الذي عرفنا عنه عدائه الشديد للمدرسة الفكرية المرابطية توجا و منهاجا، و ثانיהם أبو عبد الله بن الرمامـة (478-567هـ/1085-1171م)<sup>4</sup>، حيث يذكر لسان السلاجji بداية توجهه لهذا العلم بحادثة وقعت يوردها ابن الزيات فيقول: "...فليقيـت فـتـي مـن أـصـحـابـيـ. فـبـتـعـنـدـهـ وـكـانـفـتـيـ بـطـالـاـ وـأـبـوـهـ (أـخـوهـ) مـنـ طـلـبـةـ الـعـلـمـ. فـجـعـلـتـ اـنـظـرـ فـيـ كـتـبـهـ . فـوـقـعـ بـيـدـيـ مـنـ عـلـمـ الـاعـتـقـادـ التـقـرـيبـ وـالـإـرـشـادـ. فأـعـجـبـهـ وـقـالـ لـيـ صـاحـبـهـماـ: هـذـاـ إـرـشـادـ هـوـ الـمـدـخـلـ إـلـىـ هـذـاـ الـعـلـمـ. ثـمـ حـمـلـتـهـ إـلـىـ ابنـ حـرـزـهـمـ وـابـنـ الرـمـامـةـ وـاسـتـشـرـهـمـاـ فـيـ قـرـاءـتـهـ فـاسـتـحـسـنـاهـ وـأـشـارـاـ عـلـيـ بـالـنـظـرـ فـيـهـ. فـقـلـتـ لـابـنـ حـرـزـهـمـ: أـتـأـذـنـ

=العلماء و قريه الخليفة عبد المؤمن بن علي، و كان أول عهده به سنة (1156هـ/541م) عندما أهدى له كتابه "المعراج"، ينظر: ابن صاحب الصلاة: المن بالإمامـة، ص160، 161؛ البختي: عثمان السلاجji و مذهبـيـهـ الأـشـعـرـيـةـ، ص124، 125.

1- ابن الزيات: المصدر السابق، ص200؛ السملالي: الإعلام بن حل مراكش، ج9، ص06؛ البختي: عثمان السلاجji و مذهبـيـهـ الأـشـعـرـيـةـ، ص102، 126.

2- البختي: عثمان السلاجji و مذهبـيـهـ الأـشـعـرـيـةـ، ص126.

3- عبد الله كون: النبوغ المغربي، ج1، ص150.

4- محمد بن جعفر بن أحمد بن محمد القيسي من كبار علماء فاس، و أصله من قلعة بن حماد، ألف كتاب "تسهيل المطلب في تحصيل المذهب" ، وكتاب "التبين في شرح التلقين" واختصر كتاب الإحياء لأبي حامد الغزالـيـ، و كان من الفقهاء البارعين. ينظر: الفاسي التميمي: المصدر السابق: ص502؛ عبد الله كون: المرجع السابق، ص150؛ البختي: عثمان السلاجji و مذهبـيـهـ الأـشـعـرـيـةـ، ص129، 130.

لي في قراءته عليك؟ فقال لي: لا أجيده. فإنه قنعت مني بتعليم ما أعلمه فنظره. فأخذته عليه-<sup>1</sup>  
فكان يصرني في موضع منه-<sup>2</sup>.

و هذا يدل على قلة بضاعته في هذا العلم، و مع ذلك فقد بذل مجهودا في تدريسه لתלמידه  
السلامجي<sup>2</sup> ، عارضا له أهم قضياته و تفصيلاته.

و يورد ابن الزيات حادثة في هذا الشأن وقعت للسلامجي بعد أن نظر في كتاب الإرشاد حتى  
استظهره حفظا، فيقول: "... ثم نمت يوما في المسجد الجامع فرأيت في النوم شخصين قصدا إلى.  
دفع أحدهما يده إلى صدره. فانفتح و أخذ الآخر يصب الملح فيه و هو يلتزم إلى أن التحم  
الشق كله. فانتبهت من نومي و أنا أجد الألم في صدره. فقمت إلى مهدي<sup>3</sup> الخطيب بالجامع  
فقصصت عليه الرؤيا. فقال لي: ما هو اعلم الذي تنظر فيه الآن؟ فقلت له: انظر من علم  
الاعتقاد في كتاب الإرشاد. فقال لي ألمه. فإنه سيفتح لك فيه".<sup>4</sup>

و من هنا نستنتج أن السلامجي قد أخذ عن شيوخه أهم ما كان يبحث عنه، و هو تفاصيل  
المذهب الأشعري الذي دفعه فضوله العلمي إلى الإيمان به و اعتنافه. حتى صار من أكبر شيوخ  
الفقه، و من كبار علماء وقته و متصوفة مرحلته. و قد رفع بعض المؤرخين درجته في علم الكلام  
بالمغرب الإسلامي إلى درجة "أبي المعالي الجويني" في المشرق<sup>5</sup>، و لقبه ابن الزيات بـ: "إمام أهل  
المغرب في علم الإعتقداد" و ذلك لسبعين:

**الأول:** لإطلاعه الواسع على كتب علماء و منظري المذهب، بما فيه كتاب "الإرشاد" لـ"جويني"<sup>6</sup>  
لـ"جويني"<sup>6</sup>، حتى قال عنه السملالي أن السلامجي: "... رتبته كرتبة أبي المعالي في العلم، و هو منقذ  
أهل فاس من التجسيم...".<sup>7</sup>

1- ابن الزيات: التشوف، ص 198، 199.

2- البختي: عثمان السلامجي و مذهبته الأشعرية، ص 112.

3- المهدى بن عيسى خطيب القرويين إلى أن عزله الموحدون سنة 540هـ، ينظر: ابن الزيات: المصدر السابق، ص 199.

4- ابن الزيات: المصدر السابق، ص 199؛ علال البختي: عثمان السلامجي، ص 112.

8- ابن الأحمر: بيوتات فاس الكبيرة، ص 45.

6- ابن الزيات: المصدر السابق، ص 198.

7- السملالي: الإعلام بمن حل مراكش، ج 9، ص 06.

الثاني: لدوره الكبير في نشر المذهب الأشعري بال المغرب، حتى قيل أنه «هو الذي أنقذ أهل فاس من التجسيم، و عنه نشأ في المغرب علم أصول الدين»<sup>1</sup>، و ما قيل فيه ذلك إلا لأنه أسهم إسهاماً كبيراً في تكريس المذهب الأشعري ببلاد المغرب الإسلامي في وقت كانت فيه العامة على مذهب أهل التسليم والتفويض، مما جعلهم عرضة للقذف بتهمة التشبيه والتجسيم، و أصروا بهم صفة الحشووية لابتعادهم عن التأويل العقلي.<sup>2</sup>

و قد أحدث المجهود الذي قام به "السلاجji" في هذا المضمار قطيعة واضحة مع المذهب العقدي الذي كان سائداً من قبل، و ذلك بإحلال مذهب عقدي جديد محله صار علاماً على الدولة الموحدية الجديدة.<sup>3</sup>

أما عن مؤلفات هذا الرجل فإن الخزانات العامة والخاصة لم تحتفظ لنا بكتب السلاجji، و لم تنشر لنا المصادر و كتب التراجم عن إمكانية وجود انتاج فكري و علمي، إلا ما أورده الباحثون و نسبوه إليه مثل: "العقيدة البرهانية"<sup>4</sup>، و بعض الأشعار<sup>5</sup> منها ما ذكرها ابن الزيات و هي:

﴿ وَ لَا شاقِنِي مِنْهُ إِلَى الْمَنَهُ الْعَذْبُ ﴾	"إِذَا الْعِلْمُ لَمْ تَغْشِيْ غَرَائِبَهُ قَلِّيْ
﴿ وَ لَا أَرْضِيْ مَقَامِيْ مِنْ رَبِّيْ ﴾	وَ لَا أَنَا مِنْ جَاوزَ الدَّرْبَ نَاهِضًا
﴿ عَلَى النَّاسِ أَتَلُوْهَا فَحَسِّيْ إِذَا حَسِّيْ ﴾	وَ لَا كَانَ حَظِيْ مِنْهُ إِلَّا حَكَايَةً
﴿ وَ مَا سَلَمَهَا سَلْمِيْ وَ لَا حَرَبَهَا حَرَبِيْ ﴾	أَلِيْسَ عَجِيْبًا أَنْ نَفْسِيْ حَقِيقَتِيْ
﴿ وَ مَا يَنْقُصِنِيْ لَوْمِيْ عَلَيْهَا وَ لَا عَتِّيْ ﴾	تَمَرَّ بِنَا الْأَيَّامُ تَحْتَ لَجَاجَةً
﴿ لَطَائِفَ تَسْتَوِيْ فَتَنِيْ بِمَا تَنِيْ ﴾	أَيَا ذَاتَ نَفْسِيْ فَأَرْفَقِيْ بِيْ فَإِنَّهَا
﴿ يَمْرُ عَلَيْهَا مَقْتَنِيْ أَثْرَ الرَّكَبِ ﴾	هِيَ الْعَرْوَةُ الْوَثْقَى هِيَ السَّنَةُ الَّتِيْ
﴿ فَمُثْلِكَ مِنْ قَدْ حَلَّ فِي الْمَنْزِلِ الرَّحْبِ ﴾	وَ لَا تَرْضَ بِالْحَاظِ الْخَمِيسِ سَفَاهَةً
﴿ عَلَى غَرْبَةٍ وَ اسْتَوْطَنُوا حَضْرَةَ الْقَربِ ﴾	تَحَافُوا عَنِ الدَّارِ الَّتِيْ أَصْبَحُوا بِهَا

1- ابن الأحمر: المصدر السابق، ص 45.

2- إبراهيم التهامي: المرجع السابق، ص 270.

3- عبد الله علي علام: الدولة الموحدية بال المغرب، ص 305.

4- للإطلاع على النص الكامل "للعقيدة البرهانية" بنظر: الملحق رقم 12، ص 378-382.

5- علال البختي: عثمان السلاجji، ص 183.

و إن كان لا ينجيك إلا ركوبها ﴿ فمَاذَا التَّجَافِيْ عَنْ مُحَاوِرَةِ الرَّبِّ ١﴾

و منذ بداية المسيرة العلمية لهذا الرجل أراد رجال الدولة الجديدة - الموحدية - تقريره و إلحاقه بخاشيتهم فعزف عن ذلك، و انقطع إلى بث العلم، ملخصا النية في ذلك لله عز وجل.<sup>2</sup>

## 5-2- دوره في نشر المذهب الأشعري ببلاد المغرب:

يرى أحناة أنه على الرغم من عطاءات هذا الرجل و دوره الكبير في ترسیخ المذهب الأشعري بالغرب الإسلامي، إلا أن النصوص التاريخية لضبنية علينا بالإشارات و التلميحات إلى الأصول و المصادر التي اعتمدها السلاججي في هذا المذهب،<sup>3</sup> بينما يبرز لنا علال البختي بعضًا من مصادر هذه العقيدة فيقول: .. ذكر ابن رشيد السبتي (ت 1321هـ/721م) أن العقيدة البرهانية المشهورة بالسلاطية... (هي) على صغر جرمها مختصر الإرشاد...، و قد تكررت هذه المقوله عند غيره في مناسبات كثيرة<sup>4</sup> ، حتى لقد شاع أن البرهانية عمل مركز هدف به السلاججي تلخيص مسائل كتاب الإرشاد للإمام الجويني (ت 1085هـ/478م) و اختزال آرائه في قضايا العقيدة الأشعرية<sup>5</sup> . و التي جعلته إمام أهل المغرب في العقيدة الأشعرية، و كل ما بقي من مؤلفاته عقیدته الصغيرة الموسومة بـ "عقيدة البرهانية في علم الألوهية" و الشهيرة بالبرهانية أو السلاججية، و قد سلك فيها صاحبها طريقة الإمام "الجويني" في كتابه الإرشاد".<sup>6</sup>

1- التشوف إلى رجال التصوف، ص 200، 201.

2- عبد الله كون: النبوغ المغربي، ج 1، ص 149.

3- يوسف أحناة: تطور المذهب الأشعري، ص 112.

4- منهم عبد الرحمن بدوي الذي يقول: "... و له - يقصد كتاب الإرشاد - مختصر بعنوان "العقيدة السلاججية" كتبه أبو عمرو عثمان السلاججي..." ، مذاهب الإسلاميين (المعتزلة، الأشاعرة، الإمامية، القرامطة، النصيرية)، دار العلم للملايين، بيروت، 1997، ص 692.

5- علال البختي: عثمان السلاججي، ص 189.

6- يوسف أحناة: تطور المذهب الأشعري، ص 113.

و يذكر "ابن الأحمر" و "السملاي" بأنه وضع عقيدته هذه لامرأة أندلسية تدعى خيرونة<sup>1</sup> ت 594هـ/1197م<sup>2</sup> حتى يسهل عليها تناول و حفظ معتقدات الأشاعرة<sup>3</sup>، و هذا ما يؤكد أنه كنون و علال البختي و ذلك بإرجاع تأليف عثمان السلاجلي للعقيدة البرهانية إلى تلميذه النجيبة المرأة الصالحة خيرونة ، فمن أجلها قام السلاجلي بوضع عقيدته، و نزولاً عند رغبتها بادر إلى ذلك، و ينقل لنا نصاً عن ابن مؤمن ما مفاده: "... كان بمدينة فاس امرأة تسمى خيرونة وكانت من الصالحات القانتات الزاهدات العاقلات المؤمنات، و كانت تعظم (أبا عمرو) و توقره و تلزم مجلسه، فرغبت إليه أن يكتب لها في لوحها شيئاً تقرأه على ما يلزمها من العقيدة، فكان يكتب لها في لوحها فصلاً متى كلفته ذلك، وكانت تحفظه فإذا حفظته و محته كتب لها ثانياً، فكان ذلك دأجاً حتى كملت لها عقيدة و كتبتها و كتبت عنها و لقبت بـ البرهانية...".<sup>4</sup>

غير أنه و مهما كانت دواعي التأليف فالذي يهمنا من هذه العقيدة هو الدور الذي نحيضت به في ترسيم المذهب الأشعري بال المغرب الإسلامي.

على الرغم من غنى بلاد المغرب خلال هذه الفترة بكتب العقائد الأشعرية، إلا أن العقيدة البرهانية كانت تحتل من بين هذه العقائد مكانة سامية، فتلك الكتب و الرسائل العقدية لم تنهض بمثل ذلك الدور، و لم نقم بمثل تلك المهمة التي قامت بها عقيدة السلاجلي في ترسيخها للمذهب الأشعري بال المغرب الإسلامي.<sup>4</sup>

و يشيد البختي بدور العقيدة البرهانية" فيقول: "إن هذه العقيدة المختصرة فعلت في الفكر العقدي المغربي ما لم تفعله المؤلفات الضخمة، و أثرت فيه بما لم تؤثره الكتب المطولة، فقد كان لحجمها الصغير و دقة عباراتها، دور فعال في إقبال المغاربة عليها بكل أصنافهم و فئاتهم و أعمارهم، فالتفوا حولها و قاموا بحفظها و تعلمها و شرحها كل حسب طاقته و إمكاناته.

1- الزاهدة خيرونة أو خدونة من بين النساء المتميزات لهذا العصر و اللائي كان لهن دور بارز في الترويج لعلم الكلام الأشعري بالمغرب و فاس ، و هي من النساء الأندلسيات اللاتي دخلن المغرب و اتصلت بأعلامه و توفيت به. و تعتبر من كبار الزاهدات العابدات. ينظر: علال البختي: عثمان السلاجلي، ص 170.

2- ابن الأحمر: المصدر السابق، ص 45؛ السملاي: الإعلام من حل مراكش، ج 9، ص 06.

3- عبد الله كنون: النبوغ المغربي، ج 1، ص 150؛ علال البختي: عثمان السلاجلي، ص 171.

4- يوسف أحناة: تطور المذهب الأشعري، ص 115.

و لئن كان الاعتقاد لدى الكثير من الباحثين بأن مؤلفات "المهدي" بن تومرت العقدية كانت العامل الأساس في انتشار الفكر الأشعري بالغرب، فإن العقيدة البرهانية مؤلفها السلاجji لا تقل عنها تأثيراً في تحقيق ذلك الانتشار. بل ربما كان دورها في ذلك أكبر وأوضح".<sup>1</sup>

إذن فعقيدة "بن تومرت" "المرشدة" بذاتها لم يتأت لها أن تصاهي بامتياز عقيدة السلاجji هذه، و ما ذلك إلا لأن البرهانية تتميز بشمولها لمجموع ما تدور عليه عقيدة الأشاعرة، في حين لا تتطرق "المرشدة" لكثير مما يجب اعتقاده في هذا المذهب<sup>2</sup>

لقد عكست عقيدة "البرهانية" بالفعل العقيدة الأشعرية الرسمية للبلاد، و لعل شمولها لمجموع ما ينبغي إعتقاده، و اختصارها، و سهولة تناولها هي من بين الدواعي الحقيقة التي جعلت الشراح يتولونها بالشرح المتوسط، و الطويل، و يعتنون بها الاعتناء الكبير و المهم<sup>3</sup> منهم أبي عبد الله الكتاني (ت 596هـ/1199م)<sup>4</sup> الذي كان له السبق التاريخي في شرح "العقيدة البرهانية" و تظاهر أهمية هذا الشرح و قيمته العلمية في كونه أقرب الشرح عهداً بفترة السلاجji.<sup>5</sup> و منهم أيضاً الرعيني (ت 598هـ/1201م)<sup>6</sup>، الذي أثبت البختي شرحه للعقيدة البرهانية من خلال رسالة الأحوال لعبد الله الهبطي (ت 936هـ/1556م) الذي يقول فيها: (( قال الإمام الرعيني أيضاً رضي الله عنه - في شرح "البرهانية": ... و قد اختلف الناس في الأحوال فذهب أكثر الناس في الأحوال فذهب أكثر الأشعرية و بعض المعتزلة إلى نفيها و ذهب أكثر المعتزلة و جماعة من أهل

1- علال البختي: عثمان السلاجji، ص 184، 185.

2- انظر: السلاجji: البرهانية، ضمن كتاب: تطور المذهب الأشعري في المغرب الإسلامي ليوسف أحناة، ص: 247

252؛ جمال علال البختي: عثمان السلاجji و مذهبته الأشعرية، ص-ص: 559-565.

3- يوسف أحناة: تطور المذهب الأشعري، ص: 112.

4- أبو عبد الله محمد بن علي بن عبد الكريم الفندلاوي و يعرف بابن الكتاني، كان من أكبر أئمة فاس و المغرب علماً وورعاً، ينظر: ابن الزيات: التشوف، ص 335؛ ابن مخلوف: شجرة التور الزكية، ص 164، عبد الله كنون: النبوغ المغربي، ج 1، ص 150؛ علال البختي: عثمان السلاجji و مذهبته الأشعرية، ص 162.

5- علال البختي: عثمان السلاجji و مذهبته الأشعرية، ص 208-212.

6- هو محمد بن عبد الرحمن الرعيني السرقسطي، كان فقيهاً متتحققاً بعلم الكلام متقدماً فيه بیناظر عليه في الإرشاد لأبي المعالي و غيره، تولى القضاء بالقرب من مدينة فاس، ينظر: ابن الأبار: التكميلة، ج 1، ص 275.

السنة إلى ثبوتها كأبي المعالي و غيره... )<sup>1</sup>، و من شراحها أيضاً أبو عبد الله بن الزق (كان حياً سنة 612هـ/1215م)<sup>2</sup>، و منهم أبو بكر بن الخفاف (ت: ق7هـ/1313م)<sup>3</sup> الذي ألف شرحين مهمين ، الاول شرح كتاب الإرشاد سماه "اقطاف الأزهار و استخراج نتائج الأفكار لتحصيل البغية و المراد من شرح كتاب الإرشاد" ، و الثاني شرح "للعقيدة البرهانية" لم يضع له عنواناً.<sup>4</sup> و منهم "أبو الحسن بن علي عبد الرحمن اليفري المكتناسي" (ت 734هـ/1334م)<sup>5</sup>، صاحب الشرح الكبير على البرهانية و المسماي "المباحث العقلية في شرح معانى العقيدة البرهانية"<sup>6</sup>، و من تولّوا تدريسها و شرحها نذكر أيضاً "أبا سعيد بن محمد العقباني" (ت 811هـ/1408م).<sup>7</sup>

1- علال البختي: عثمان السلاجلي و مذهبته الأشعرية، ص 212-214.

2- هو محمد بن عبد الله بن حسن الزرهوني الفاسي الأصل أبو القاسم، كان مبرزاً في النحو ذكياً متيقظاً، دارساً لعلوم الأوائل متقدماً في علم الكلام والأصول، ينظر: علال البختي: عثمان السلاجلي و مذهبته الأشعرية، ص 214.

3- هو أبو بكر محمد بن أحمد بن عبد الله بن أحمد الأنصاري الاندلسي، عرف بالتدريس في مدينة تازة لإلى أن توفي. ينظر: علال البختي: عثمان السلاجلي و مذهبته الأشعرية، ص 215.

4- علال البختي: عثمان السلاجلي و مذهبته الأشعرية، ص 214-220.

5- هو علي بن عبد الرحمن بن قيم اليفري المكتناسي الشهير بالطنجي أبو الحسن، الفقيه الحافظ الإمام العالم الفرضي، أخذ عن أبي الحسن الزرويلي ، و أخذ عنه الإمام السطي و غيره، و يعد من كبار الأعلام، ترك لنا بعض التأليف منها: تقدير على المدونة. ينظر: التبكري: نيل الابتهاج، ص 325؛ ابن مخلوف: شجرة النور الركية، ص 218؛ علال البختي: عثمان السلاجلي و مذهبته الأشعرية، ص 225.

6- يوسف أحناة: تطور المذهب الأشعري، ص 113؛ للوقوف على مصادر و منهجه و قيمة هذا الشرح ينظر: علال البختي: عثمان السلاجلي و مذهبته الأشعرية، ص 226-233.

7- هو أبو عثمان بن محمد بن عبد العقبي التلمساني التجيبي نسبة لعقبان إحدى قرى الاندلس و هو تحفيي النسب، ولد بتلمسان سنة 720هـ/1320م، أخذ عن الآبلي و السطي و غيرهما، تولى التدريس و القضاء ببجاية و تلمسان و سلا و مراكش، و يعتبر من كبار الفقهاء المتنورين، حتى قبل عنه رئيس العلماء و العقلاة، له عدة تأليف: شرح الحوفة في الفرائض، و شرح المفيدة للخونجي في المنطق، و شرح التلخيص لابن البناء، و شرح سورة الأنعام و الفتح، و قصيدة ابن ياسين في الجبر و المقابلة، و شرح البردة، و شرح ابن الحاجب الأصلي، كما ألف كتاباً في أصول الدين، و شرح البرهانية. ينظر: التبكري: نيل الابتهاج، ص 189، 190؛ ابن مريم: البستان، ص 106، 107؛ ابن مخلوف: شجرة النور الركية، ص 250؛ علال البختي: عثمان السلاجلي، ص 237، 238؛ عبد الحميد حاجيات: الحياة الفكرية بتلمسان في عهد بنى زيان، مجلة الأصالة، مطبعة البعث، قسطنطينة، العدد 26، 1975م، ص 145.

و منهم أيضاً "عبد الرحمن بن سليمان السعدي" (ت 882 هـ / 1477 م)<sup>1</sup>. الذي شرح العقيدة البرهانية في تأليف "سماه" تقييد البيان لمعاني مسائل عقيدة البرهان<sup>2</sup>. وقد واصل الشراح<sup>3</sup> الاهتمام بهذه العقيدة حتى بعد وفاة السلاجقي، وهذا ما يزيد من أهميتها في نشر العقيدة الأشعرية.<sup>4</sup>

و إلى هنا يمكن أن نتساءل فنقول: ما هي إذن أهم الآراء التي وردت في هذه المنظومة "العقيدة البرهانية"؟ الواقع أن كل ما ورد في العقيدة "البرهانية" يحمل طابعاً أشعرياً لا غبار عليه، لكن ما ينبغي الوقوف عنده هو ما يلي:

#### - مسألة حدوث العالم:

يقسم السلاجقي العالم الموجود الذي يحصر الموجودات في الجواهر والأعراض، و هو تقسيم أراد به السلاجقي إقامة أرضية لبناء مجموعة من الاستدلالات العقلية المتسلسلة، و التي يصل بها إلى إثبات وجود البارئ و صفاتاته.<sup>5</sup>

و يعرف السلاجقي "الجوهر"<sup>6</sup> بأنه التحيز و في موضع آخر يقول: "الجوهر حقيقته التحيز، و التحيز يجوز عليه الاختصاص ببعض الجهات الحاذيات" ، و في موضع آخر يقول: "الجوهر هو القابل للأعراض" ، و يقول أيضاً: "الجوهر يجوز عليه التأليف و التركيب"<sup>7</sup>

1- هو عبد الرحمن بن سليمان أكram أو الكرامي أو الكرامي السعدي، و يعتبر أسرة الكراميين أسرة عريقة يرتفع نسبها إلى ابن العربي المعافري، و أول ما ألف في علم الكلام شرح البرهانية، و هذا ما جعل أهل السوس ينكرون على دراستها حتى كان هذا العلم في مرتبة ثانية من العلوم التي اهتموا بها، ينظر: علال البختي: عثمان السلاجقي، ص 239، 241.

2- للوقوف على مصادر هذا الشرح و قيمته ينظر: علال البختي: عثمان السلاجقي، ص 241-243.

3- منهم : الجزولي (ت.ق. 10/16هـ)، و المديوني و الغري، و شارح مجھول، و الجدميوي، و المبطي (ت 963هـ)، و التبکي (ت 1036هـ). ينظر: علال البختي: عثمان السلاجقي، ص 243-253.

4- يوسف أحناة: تطور المذهب الأشعري، ص 113-114.

5- علال البختي: عثمان السلاجقي و مذهبته الأشعرية، ص 270.

6- الجوهر "هو الذي يقبل من كل جنس من أجناس الأعراض عرضاً واحداً لأنَّه متى كان كذلك كان جوهراً، و من خرج عن ذلك خرج عن أن يكون جوهراً". الباقياني: التمهيد، ص 17.

7- السلاجقي: البرهانية، الملحق رقم 12، ص 378-382.

و بحذا التعريف يكون السلاجلي قد وافق مجموع الأشاعرة، و بصفة خاصة قد وافق ملهمه الإمام الجويني في تعريفه للجوهر بأنه المتجيز.<sup>1</sup>

كما يعترف السلاجلي بانقسام الأجسام و يؤكّد أنها تنتهي في انقسامها فيقول: "...و الدليل على ثبوت الجوهر تناهي الأجسام في انقسامه. فذلك هو الجوهر، لأنّ القسمة هي الافتراق. والشيء الواحد لا يفارق نفسه. فكلّ ما تألف معه فهو على حكمه. وبه تفضل الأجسام بعضها بعضاً، في الكبر والصغر، كالذرة والفيل. لأنّ ما لا يتناهى لا يفضل ما لا يتناهى وأيضاً فإنّ ما لا يتناهى يستحيل دخوله في الوجود..."<sup>2</sup> و بحذا يكون السلاجلي من أنصار النظرية الأشعرية التي تقول "الجزء لا يتجزأ"<sup>3</sup>

و بحذا يكون السلاجلي قد أثبتت نظرية "الجوهر الفرد"، كما نجده يثبت هذه النظرية بقوله: "... وبه تفضل الأجسام بعضها بعضاً، في الكبر والصغر، كالذرة والفيل..."<sup>4</sup> و بحذا القول يكون السلاجلي قد رد على المعتزلة - لاسيما مذهبهم النظمي - و كذلك على مذاهب الفلاسفة الذين يعتبرون الجسم المحسوس واحد في نفسه، و لكنه مع ذلك يقبل الانقسامات اللامتناهية.<sup>5</sup>

و كذلك الذين يرون "...أن لا جزء إلا و له جزء، و لا بعض إلا و له بعض، و لا نصف إلا و له نصف، و أن الجزء جائز تجزئته أبداً و لا غاية له من باب التجزؤ..."<sup>6</sup> أما الأعراض<sup>7</sup> فيعرفها السلاجلي بقوله: "...العرض هو المعنى القائم بالجوهر..."<sup>8</sup>

1- جمال علال البختي: عثمان السلاجلي و مذهبيه الأشعرية، ص 273.

2- السلاجلي: البرهانية، الملحق رقم 12، ص 378-382.

3- جمال علال البختي: عثمان السلاجلي و مذهبيه الأشعرية، ص 275.

4- السلاجلي: البرهانية، الملحق رقم 12، ص 378-382.

5- جمال علال البختي: عثمان السلاجلي و مذهبيه الأشعرية، ص 281.

6- أحمد محمود صبحي: المرجع السابق، ج 1، ص 236.

7- الأعراض" هي التي لا يصح بقاوتها، و هي التي تعرض في الجوهر و الأجسام، و تبطل في حال ثاني حال وجودها".  
الباقلاني: التمهيد، ص 18.

8- السلاجلي: البرهانية، الملحق رقم 12، ص 378-382.

و هنا نجد أن السلاجبي قد اختار في تعريفه هذا موقعة مجتمع الأشاعرة في تعريفه للعرض خصوصاً الباقلاني و الجوني.<sup>1</sup> وقد ذهب السلاجبي إلى تأكيد ثبوت الأعراض فقال: "... والدليل على ثبوت الأعراض تناوب الأحكام الجائزة الطارئة، وتعاقبها على محالها إذ لو كانت واجبة لها لاستحال تبدلها، ولتساوت الجوادر فيها. فاختصاص كل جوهر بحكم يجوز على مثاله دليل على معنى يخصّصه، ويتعين قيامه به. إذ لو لم يقم به لما كان بإيجاب الحكم له أولى من إيجابه لغيره..."<sup>2</sup> وقد أخذ السلاجبي في سبيل البرهنة على هذه المسألة عند الأشاعرة الطريق الأول؛ أي مشتبه بالأحوال بحيث نجد يضع مجموعة من القواعد و الضوابط دونها لا يصح الاستدلال على ثبوت الأعراض إلا بعد الاعتراف بها و هي:

- 1- أن الجائز لا يثبت بدلًا من جائز آخر إلا بمرجع.
- 2- أن العدم لا يكون مرجحاً ولا مختصراً.
- 3- أن صفة النفس لا تتبدل.
- 4- أن ما صح على أحد المثلين صح على مثله.
- 5- أن الباقي لا يفعل.
- 6- أن الفاعل لا بد له من فعل لأجله يسمى فاعلاً.

7- أن الصفة إذا قامت بمحل توجد حكمًا لما قامت به لا لغيره.<sup>3</sup>

ويشير السلاجبي لهذه القواعد بقوله: "... لو كانت واجبة لها لاستحال تبدلها، ولتساوت الجوادر فيها. فاختصاص كل جوهر بحكم يجوز على مثاله دليل على معنى يخصّصه، ويتعين قيامه به. إذ لو لم يقم به لما كان بإيجاب الحكم له أولى من إيجابه لغيره..."<sup>4</sup> و يثبت السلاجبي الأعراض بقوله: "... والدليل على حدوث الأعراض طريانها على محالها. و يثبت السلاجبي الأعراض بقوله: "... والدليل على حدوث الأعراض طريانها على محالها. وانتفاءها بعد وجودها دليل على حدوثها. إذ لو ثبت قدمها لاستحال عدمها."<sup>5</sup>

1- جمال علال البختي: عثمان السلاجبي و مذهبته الأشعرية، ص 285.

2- السلاجبي: البرهانية، الملحق رقم 12، ص 378-382.

3- جمال علال البختي: عثمان السلاجبي و مذهبته الأشعرية، ص 287.

4- السلاجبي: البرهانية، ص الملحق رقم 12، ص 378-382.

5- المصدر نفسه، الملحق رقم 12، ص 378-382.

و هنا يكون السلاجلي قد اعترض على من يقول أن الأعراض لم تحدث، و لكنها كامنة في المثل<sup>1</sup> الذي لم توجب له حكما، و هذا الاعتراف يسمى عند المتكلمين بـ "نظريّة الكمون والظهور". و كذلك اعترض على من قال: لم تنكرن على القائل بأنه لم يطرأ الشيء عن عدم سابق، بل الطارئ متنقل إلى المثل الذي شوهد فيه ضرورة من مثل آخر، و الذي انعدم و انتقل إلى مثل آخر.<sup>2</sup>

و من أجل استكمال البرهنة على حدوث العالم يقول السلاجلي: "...و الدليل على حدوث الجواهر، أن الجواهر لا تعرى عن الاجتماع والافتراق، والحركة والسكنون حوادث. وما لا يعرى عن الحوادث لا يسبقها. كان حادثاً مثلها.." <sup>3</sup>، و يقول أيضاً: "...إنما حخص الاستدلال بقبيل الأكوان دون سائر الأعراض، و إنما كانت الأعراض كلها مساوية للأكوان من جهة أن كل عرض حادث كالأنكوان، و أن كل جوهر لا يخلوا عن واحد من قبيل الأعراض كونا. كان العرض أو غيره، و لكن العلم بملازمة الجوهر للأكوان من بين سائر الأعراض تدرك بالضرورة."<sup>4</sup> من خلال عرض الأقوال السابقة يكون السلاجلي قد انتهى من إثبات حدوث الجواهر والأعراض، و به يكون قد تم له تأكيد حدوث العالم بكليته - حسب المنهج الأشعري العام - لأن العالم في نهاية المطاف إن هو إلا "جوهر و أعراض" و على هذا يكون إثبات حدوث العالم عندهم قد مر بأصول و محطات ضرورية.<sup>5</sup>

#### - مسألة وجود الله:

يرى علال البختي أن التأكيد على حدث الجواهر والأعراض و من خلدهما على حدث العالم من قبل السلاجلي في عقيدته البرهانية ليس هو المقصود؛ و إنما هو وسيلة أراد السلاجلي التمسك

1- جمال علال البختي: عثمان السلاجلي و مذهبيه الأشعرية، ص. 287.

2- الإيجي: المواقف، ص 100؛ جمال علال البختي: عثمان السلاجلي و مذهبيه الأشعرية، ص 294.

3- السلاجلي: البرهانية، الملحق رقم 12، ص 378-382.

4- المصدر نفسه، الملحق رقم 12، ص 378-382.

5- جمال علال البختي: عثمان السلاجلي و مذهبيه الأشعرية، ص 302.

بها من أجل توظيفها والاستدلال بنتائجها عندما يقع الحديث عن المدف الأسمى و هو إثبات وجود الخالق - سبحانه و تعالى<sup>1</sup>.

و في هذا الصدد يذكر السلاجي في برهانيه: "... و الدليل على ثبوت الصانع. أن العالم جائز<sup>2</sup> وجوده، وجائز عدمه. ولا عدمه بأولى من وجوده. فلما اختص بالوجود بدلاً عن العدم المجوز، افتقر إلى مختص. وهو الفاعل المختار."<sup>3</sup> و هنا نلاحظ أن السلاجي اختار مسلك الإمكان (الممكן) أو كما سماه هو " بالجائز" للاستدلال على وجود الله.

و هنا يمكن القول أن السلاجي كان خلصاً لفكرة الغزالي و لشيخه الجويني في هذه المسألة، و كذلك اعتمد نفس مسلكهما - مسلك الإمكان - و استعمل نفس دليل الغزالي عندما أثار " قاعدة الجائز" ، و استدل بها على العالم كله - بينما بقية الأشاعرة يستدلون على الأمور الجزئية - و هذا ما يوضحه بجلاء قوله: "... إن العالم جائز وجوده و جائز عدمه...".<sup>4</sup>

#### - مسألة الصفات:

لقد أثبت السلاجي الصفات في عقيدته " البرهانية" ، و تعرض للحديث عنها من خلال الفصول التي خصصها لصفاتها الأربع<sup>5</sup> و هي: القدم، و القيام بالنفس، و المخالفة للحوادث، و الوحدانية.

ففي صفة القدم و التي تحدث عنها في الفصل السادس : "... و الدليل على قدم الصانع، أنه لو كان حادثاً، لا يفتقر إلى محدثٍ أحدهما. وكذلك القول في محدثه. وذلك يؤدي إلى التسلسل. والتسلسل يؤدي إلى نفيينا. ونفيينا مع وجودنا محال. وما أفضى إلى محال فهو محال. فوجب أن يكون قدرياً."<sup>6</sup> و من هنا نستنتج من كلامه أنه يثبت صفة القدم للخالق - سبحانه و تعالى -

1- جمال علال البختي: عثمان السلاجي و مذهبته الأشعرية، ص 307.

2- السلاجي: البرهانية، الملحق رقم 12، ص 378-382.

3- المصدر نفسه، 12، ص 378-382 ؛ جمال علال البختي: المرجع السابق، ص 313.

4- الصفة الخامسة نفسية و هي البقاء، لم يشر لها صراحة السلاجي في برهانيه و دمجها مع صفة القدم.

5- السلاجي: البرهانية، الملحق رقم 12، ص 378-382.

أما صفة القيام بالنفس فقد أكده على ثبوت هذه الصفة بقوله: "... والدليل على أنه تعالى قائم بنفسه، وجوب اتصافه بأنه حي، عالم، قادر. والصفة لا تتصف بالأحكام التي توجبها المعاني. فلما وجب اتصافه تعالى بها حتماً، وجب أن يكون قائماً بنفسه."<sup>1</sup>

و نستنتج من كلامه أنه يثبت ما أثبته غيره من الأشاعرة من أن القائم بالنفس هو الموصوف وليس صفة، أجل لقد اعتبر السلاجبي أن ما يدل على قيامه - سبحانه و تعالى - بنفسه و استغنائه عن محل هو تعالى قابل للوصف بالحياة و القدرة و غيرها من صفات المعاني.<sup>2</sup>

أما صفة مخالفة الحوادث فنجد السلاجبي يقول في استدلاله في هذه الصفة: "... والدليل على أنه تعالى مخالف للحوادث، هو أن المثلين كل موجودين متساوين في جميع صفات النفس. و الرب تعالى مقدس عن سمات الجواهر والأعراض. فوجب أن يكون مخالفًا لها."<sup>3</sup>

أما صفة الوحدانية فنجد له يستدل كعادته بالدليل العقلي و يدعمه لأول مرة بالاعتماد على الدليل الشرعي، و ذلك من خلال قوله: "و الدليل على وحدانيته تعالى، أنا لو قدرنا إلين، وقدرنا من أحدهما إرادة حركة جسم في محل واحد. في وقت واحد، ومن الثاني إرادة تسكينه في تلك الحال بعينها، لم يخل من ثلاثة أحوال: إما أن تنفذ إرادتهما جمیعاً. أو لا تنفذ إرادتهما جمیعاً. أو تنفذ إرادة أحدهما دون الثاني. ومحال أن تنفذ إرادتهما جمیعاً، لاستحالة اجتماع الضدين، ومحال ألا تنفذ إرادتهما جمیعاً لاستحالة عرو محل عن الشيء ونقضه، ومحال أن تنفذ إرادة أحدهما دون الثاني، إذ في ذلك تعجيز من لم تنفذ إرادته. والعجز ينافي الإلهية، لأن العجز لا يكون إلا عرضاً، وقيام العرض بالقدیم محال. وما أفضى إلى المحال كان محالاً. وكذلك القول في الاتفاق لأن اتفاقهما مشروط بجواز عدمهما؛ وما ثبت قدمه استحال عدمه.

1- السلاجبي: البرهانية، الملحق رقم 12، ص 378-382.

2- محال علال البختي: عثمان السلاجبي و مذهبته الأشعرية، ص 347.

3- السلاجبي: البرهانية، الملحق رقم 12، ص 378-382.

فخرج من ذلك أن الفعل ينافي الإلإثنانية في وصف الألوهية، كما قال تعالى: ﴿ لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلهٌ إِلَّا اللَّهُ لَكَسَدَنَا ﴾<sup>1</sup> وقال: ﴿ ذُلِّكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ لَا إِلَهٌ إِلَّا هُوَ ﴾<sup>2</sup> وقال: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾<sup>3</sup>

و يدعى هذا الدليل عند المتكلمين بدليل "التمانع"- فقالوا يمتنع وجود موجودين كل واحد منهما واجب لذاته- الذي ذاع ذكره و اشتهر الاستدلال به عند كل الفرق الكلامية من القديمة إلى الحديثة.<sup>5</sup>

أما الصفات المعنوية فيذكرها و يثبتها السلاجji منها صفة العلم الذي يقول عنها: "...و الدليل على أنه تعالى عالم، قادر، استحالة صدور الفعل الرصين، الحكم، المتين، المتقن من غير عالم ولا قادر. و ثبوت لطائف الصنع، وما تتصف به السماوات، والأرضون، وما بينهما من الانتظام والإتقان دليل على أنه تعالى عالم قادر." و كذلك يرى السلاجji أن القدرة الثابتة له: "... استحالة صدور الفعل الرصين، الحكم، المتين، المتقن من غير عالم ولا قادر. و ثبوت لطائف الصنع، وما تتصف به السماوات، والأرضون، وما بينهما من الانتظام والإتقان دليل على أنه تعالى عالم قادر".<sup>6</sup>

كما يثبت صفة الإرادة لله -عز وجل- فيقول: "... ثم اختصاص الأفعال بأوقاتها، وخصائص صفاتها بدلًا عن نتائجها الجائزة عليها دليل على أنه تعالى مريد." ، و صفة الحياة فيقول: " و ثبوت هذه الصفات دليل على أنه تعالى حي لاستحالة ثبوت المشروط مع انتفاء شرطه."<sup>7</sup> و مقصود

1- سورة: الأنبياء، الآية: 22.

2- سورة : غافر، الآية: 62.

3- سورة: الشورى، الآية: 09.

4- السلاجji : البرهانية، الملحق رقم 12، ص 378-382.

5- الإيجي : المواقف، ص 278.

6- السلاجji : البرهانية، الملحق رقم 12، ص 378-382.

7- المصدر نفسه، الملحق رقم 12، ص 378-382.

كلامه أن ثبوت الصفات السابقة دليل على حياته - سبحانه و تعالى - فلما صح ثبوتها أنه تعالى حي، وهذا قياس على الشاهد، إذ يشترط في العالم القادر المريد أن يكون متصفًا بالحياة.<sup>1</sup>

كما يثبت السلاجلي صفتَيِ السمع و البصر لله - سبحانه و تعالى - فيقول: "... ثم الحي يجوز أن يكون سمعاً، بصيراً أو مَؤْوِفاً وكذلك القول في الكلام والإدراك، إذ كل قابل لنقيضين، لا واسطة بينهما يستحيل أن يعرى عندهما. فلما استحالَت النَّقائض على البارئ تعالى قطعاً، وجب أن يكون سمعاً بصيراً..."<sup>2</sup>، كما يثبت السلاجلي صفة الكلام الله عز وجل، و يظهر أنه استدل في إثبات هذه الصفات أيضًا بطرقته في إثبات السمع و البصر، ألا و هي طريقة "نفي النَّقْص" أو "الآفة" عنه سبحانه و تعالى، فالسلاجلي يرى أنه تعالى حي، و الحي يصح وصفه بالكلام أو بضده و هو الخرس، و بما أن الخرس نَقْصٌ فيستحيل على البارئ أن يتُصَفَ به، فتعين اتصافه بالكلام ضرورة لأن القابل للشيء لا يخلو عنه أو عن ضده.<sup>3</sup> إذ يقول: "... وكذلك القول في الكلام والإدراك، إذ كل قابل لنقيضين، لا واسطة بينهما يستحيل أن يعرى عندهما. فلما استحالَت النَّقائض على البارئ تعالى قطعاً، وجب أن يكون سمعاً بصيراً متكلماً".<sup>4</sup>

و قد أثبت السلاجلي صفة الإدراك، بينما نفى أكثر المتكلمين هذا الحكم ضمن الصفات المعنية و اكتفوا بالأحكام السبعة السابقة، معتبرين أن الإدراك يندرج ضمن العلم بينما ذهب الجويني و السلاجلي و غيرهما إلى إثبات هذا الحكم.<sup>5</sup>

و في هذا الصدد يقول السلاجلي: "... وكذلك القول في الإدراك، إذ كل قابل لنقيضين، لا واسطة بينهما يستحيل أن يعرى عندهما. فلما استحالَت النَّقائض على البارئ تعالى قطعاً، وجب أن يكون سمعاً بصيراً متكلماً مدركاً".<sup>6</sup>

1- جمال علال البختي: عثمان السلاجلي و مذهبته الأشعرية، ص 382.

2- السلاجلي: البرهانية، الملحق رقم 12، ص 378-382.

3- جمال علال البختي: عثمان السلاجلي و مذهبته الأشعرية، ص 391.

4- السلاجلي: البرهانية، الملحق رقم 12، ص 378-382.

5- جمال علال البختي: عثمان السلاجلي و مذهبته الأشعرية، ص 392.

6- السلاجلي: البرهانية، الملحق رقم 12، ص 378-382.

أما القسم الثالث من لصفات فيطلق عليها السلاجبي اسم الصفات الأزلية (صفات المعاني) والتي يثبتها بقوله: "... والدليل على ثبوت الصفات الأزلية العلة والحقيقة، فمهما ثبت حكم معلل بعلة، وجب طردها شاهداً وغائباً. إذ لو حاز ثبوته من غير علة لوجوبه، لجاز ثبوت العلة من غير حكمها لوجوبها. وقد تقرر في الشاهد أن كون العالم عالماً معللاً بالعلم، وكذلك القول في الحقيقة؛ فمهما ثبتت حقيقة في محقق، وجب طردها شاهداً وغائباً. وقد تقرر في الشاهد أن حقيقة العالم من قام به العلم. إذ لو لم يقم به، لما كان بإيجاب الحكم له أولى من إيجابه لغيره. وكذلك القول في جميع الصفات."<sup>1</sup> و ييدوا جلياً أن السلاجبي سلك الطريقة الخامسة في لإثبات صفات المعاني و التي تقوم على الجمع بين الشاهد و الغائب أو قياس الغائب على الشاهد عن طريق جامعي "العلة" و "الحقيقة".<sup>2</sup>

ثم قال السلاجبي: "وكذلك القول في جميع الصفات."<sup>3</sup> يعني به أن سائر الصفات من قدرة و إرادة و حياة و سمع و بصر و كلام و إدراك يصح إثباتها بطريق العلة و الحقيقة.<sup>4</sup> و قد أثبت السلاجبي في برهاناته قدم الصفات الأزلية إذ يقول: "... فخرج من ذلك أن البارئ سبحانه حي بحياة قديم، عالم بعلم قديم، قادر بقدرة قديمة، مريد بإرادة قديمة، سميع بسمع قديم، بصير ببصر قديم، متكلم بكلام قديم، مدرك بإدراك قديم. إذ الموصوف بالقدم لا يتصرف بما يدل على حدوثه..."<sup>5</sup>

#### - رؤية الله:

يرى السلاجبي في المسألة: "... والدليل على جواز رؤيته تعالى أن الإدراك شاهداً يتعلق بالمخالفات لا يؤول اختلافها إلى وجودها، وإنما يؤول إلى أحوالها. والإدراك لا يتعلق بالأحوال، إذ

1- السلاجبي: البرهانية، الملحق رقم 12، ص 378-382.

2- جمال علال البختي: عثمان السلاجبي و مذهبته الأشعرية، ص 403.

3- السلاجبي: البرهانية، الملحق رقم 12، ص 378-382.

4- جمال علال البختي: عثمان السلاجبي و مذهبته الأشعرية، ص 408.

5- السلاجبي: البرهانية، الملحق رقم 12، ص 378-382.

كل ما يرى ويميز عن غيره في حكم الإدراك فهو ذات على الحقيقة، والأحوال ليست بذوات. فإذا رئي موجود لزم تجويز رؤية كل موجود...<sup>1</sup>

و بالمقارنة نجد أن بن تومرت رغم إثباته للرؤبة الآخرية إذ يقول: "... و ما ورد من الشرع في الرؤبة يجب التصديق به... من غير تشبيه و لا تكليف. لا تدركه الأ بصار بمعنى النهاية و الإحاطة و الاتصال و الانفصال لاستحالة اتصافه بحدوث المحدثات."<sup>2</sup>

و هنا نلاحظ إعراض "المهدي" عن إثبات جواز الرؤبة بالأدلة العقلية و إهماله التعرض لمصحح الرؤبة (الوجود) الذي اعتمد عليه الأشاعرة مما يدل على انه خالفهم في هذا الأصل. و أكثر من هذا فإن المرشدة لم يرد فيها صراحة إثبات الرؤبة و اكتفى بن تومرت فيها بالقول بأن الله " لا يتصف في الذهن و لا يتمثل في العين و لا يتصور في الوهم و لا يتکيف في العقل، لا تلحقه الأوهام و الأفكار ليس كمثله شيء و هو السميع البصير".<sup>3</sup>

#### - الفعل الإنساني و العدل الإلهي:

إن كل ما ذكره السلاجلي بخصوص كل من الفعل الإنساني و العدل الإلهي قليل في برهانيه إذا ما قورن مع بقية مواقفه و آرائه الأخرى، و ما ورد يمكن أن نقف عليه كالتالي:

منها قوله: "... ومن الجائزات خلق الأعمال؛ فلا يجب على الله تعالى فعل، ولا يتحتم عليه ثواب ولا عقاب. فالثواب منه فضل. والعقاب منه عدل. يخص من يشاء بما يشاء ﴿لَا يُسَأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُون﴾<sup>4</sup>"

و استكمالاً للقضايا التي تناولها السلاجلي في هذا الفصل نضيف قوله: "... و أن جملة أحكام التكليف وقضايا التحليل والتحرير، والتحسين والتقييم، متلقاة منه عليه السلام، لا مجال للعقول فيها...".<sup>5</sup>

1- السلاجلي: البرهانية، الملحق رقم 12، ص 378-382.

2- ابن تومرت: أعز ما يطلب، ص 221.

3- ابن تومرت: (المرشدة) أعز ما يطلب، ص 226.

4- سورة : الأنبياء، الآية: 23.

5- السلاجلي: البرهانية، الملحق رقم 12، ص 378-382.

6- المصدر نفسه، الملحق رقم 12، ص 378-382.

هذه إذن كل مواقف السلاجبي في موضوع الفعل الإنساني و العدل الإلهي، و رغم وجازتها، فإننا حاولنا أن نستخلص منها كمجمل أراء السلاجبي المتعلقة بالمسائل التالية:

- قضية الفعل الإنساني و أن الله خالق الأعمال تتجلى في قوله: "و من الجائزات حلق الأعمال".

- قضية تأثير القدرة على الحادثة- بما أن الله هو خالق الأفعال- فلا شك أن القدرة الحادثة عند السلاجبي لا تأثير لها عنده.

- قضية الإرادة الإنسانية تتجلى في قوله: "يخص من يشاء بما شاء".

- مسألة العدل الإلهي في قوله: " و لا يتحتم عليه ثواب و لا عقاب".

- مسألة الصلاح و الأصلح في قوله: " لا يجب على الله فعل"

- موضوع الحسن و القبح العقليين أو الشرعيين تتجلى في قوله: "أن جملة أحكام التكليف وقضايا التحليل والتحريم، والتحسين والتقييم، متلقاة منه عليه السلام".

و على العموم يمكن أن نعطي عدة ملاحظات من خلال مواقف السلاجبي في قضية الحرية الإنسانية و عدالة التكليف كانت تميل إلى إعلان "مبدأ الثواب و العقاب" بفضلـه - سبحانه و تعالى - و عـدله.<sup>1</sup>

#### - موقفه من النبوة و السمعيات:

يقصد بالأمور السمعية عند المتكلمين تلك الأمور التي يتوقف عليها السمع كالنبوات، أو تلك التي ترتبط بالسمع كالمعتقد. و أسباب السعادة من الإيمان و الطاعة و الكفر و المعصية و غيرها، و النبوة هي الإخبار عن الله - سبحانه و تعالى - بواسطة الشيء المؤيد بالمعجزة المشتبة صدقـه.<sup>2</sup> و في هذا الصدد يقول السلاجـي: "... و من الجائزات انبعث الرسل و تأييـدهم بالمعجزـات...".<sup>3</sup>

1- السلاجـي: البرهانية، الملحق رقم 12، ص 378-382؛ علالـ البختـي: عثمانـ السلاجـي و مذهبـيـهـ الأـشـعـرـيـةـ، ص 467.

2- علالـ البختـي: عثمانـ السلاجـي و مذهبـيـهـ الأـشـعـرـيـةـ، ص 471.

3- السلاجـي: البرهانية، الملحق رقم 12، ص 378-382.

و هذا يعني أن النبوة و الرسالة<sup>1</sup> عند السلاجبي و غيره من الأشاعرة جائزة. أما رأيه في المعجزة<sup>2</sup> فإن السلاجبي يضع لها شروطا لا تتحقق و لا يصدق الرسول إلا إذا توافرت و يتجلى ذلك في قوله: "... ولها شرائط؛ منها أن تكون فعلا لله خارقة للعادة، وأن يقع بها التحدي، وأن تكون موافقة للدعوى، وأن يعجز المتحدون من المعارضة والإتيان بمثلها..."<sup>3</sup>

و هنا نستنتج أن الشروط التي وضعها السلاجبي لتحقق المعجزة تمثل في:

1- أن تكون فعلا لله.

2- أن تكون غير معتادة و لا معهودة.

3- أن تقع بعد تحدي.

4- أن تقع مثلما اتفق عليه في التحدي.

5- أن تؤدي إلى عجز المعارضين و المتحدين.

و رغم أن السلاجبي و المتكلمين يشترطون هذا لصحة المعجزة إلا أن تتحققه عند بعض الناس - غير الأنبياء - لا يعني أن ما جاءوا به يعتبر دليلا على أنهم رسول من عند الله، لأن المعجزة لا تدخل على الرسالة إلا إذا كانت دعوى الرسالة مقارنة لها. فالخوارق للعادات تظهر مثلا للسحر و الكهان و الكذابين و الأولياء ، و ستظهر للدجال... غير أن معجزة الرسول تختلف عن أعمال خوارق وغير الرسول من حيث إنه يستحيل المضاهاة و التقليد في حقها، و يعجز من يجاهدها عن دفع التحدي لأنها فعل معجز.<sup>4</sup>

و يضرب لنا السلاجبي مثلا عن المعجزات عند نبينا محمد ﷺ فيقول: "... وقد تحدى سيد الأولين والآخرين محمد صل الله عليه وسلم بضروب من المعجزات، منها القرآن العظيم، وانشقاق

1- الرسالة : هي قول الله لمن اصطفاه من عباده: أرسلتك و بعثتك فبلغ عني و نحوه من الألفاظ، و لا يشترط في من يبعثه الله أي شرط و لا استعداد، بل الله يختص برحمته من يشاء من عباده، و هو اعلم حيث يجعل رسالته. ينظر الإيجي: المواقف، ص 337

2- المعجزة: هي ظهور أمر مخالف للعادة في دار التكليف لإظهار صدق ذي نبوة من الأنبياء أو ذي كرامة من الأولياء مع نكول من يتحدى عن المعارضة، و هي نوعين نوع وجودي، و نوع منعي. علال البختي: المرجع السابق، ص 476.

3- السلاجبي: البرهانية، الملحق رقم 12، ص 378-382.

4- بنسعيد العلوى: الخطاب الأشعري، ص 137.

القمر، ونطق العجماء، وتکثیر القليل، ونبع الماء من بين أصابعه عليه السلام، وأنباءه عن الغيوب التي لا يتوصل إليها إلا بالوحى، فظهرت موافقة لدعواه، وامتنعت المعارضة من الخالق أجمعين وكل ذلك معلوم ضرورة..." و نلاحظ من خلال هذا القول أن السلاجى أثبت نبوة محمد ﷺ بل الأكثر من ذلك فقد اعتبره خير المخلوقات و سيد الأولين و الآخرين.

كما خصص السلاجى في فصل النبوات محورا كاماً متعلق بعصمة الأنبياء، فقد اعتبر أن "... ومن أحكام الأنبياء عليهم السلام وجوب العصمة لما ينافي مدلول المعجزات عقلا، وعن ما سواها من الكبائر إجماعا..."

أما موقفه و رأيه من حقيقة الإيمان فقد عبر عنه السلاجى بقوله: "... وأن الإيمان هو التصديق. فمن صدق الله بقلبه فهو مؤمن."<sup>1</sup>

و يقول أيضا: " فلا يجب على الله تعالى فعل، ولا يتحتم عليه ثواب و لا عقاب. فالثواب منه فضل. والعقاب منه عدل. يخص من يشاء بما يشاء ﴿ لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ ﴾"<sup>2</sup> كما نجد موقف السلاجى يتفق مع ما تطرق الأشاعرة له حول "مرتكب الكبيرة"، حيث كان حكمهم عليه مواقعاً لموقفهم من العصاة، فأعلن السلاجى: "... ومن مات وقد فارق كبيرة ولم يوفق إلى التوب، فأمره الله تعالى، إن شاء عفا عنه، أو شفع فيه شفيعا، أو عاقبه مدة وأدخله الجنة."<sup>3</sup> بهذا القول عبر السلاجى عن موقف المذهب الذي يرى أن مرتكب الكبيرة لا يقطع بعقابه - كما يزعم الخوارج الذين قالوا انه يخالد في النار - و لا يحكم بأن الله سيغفو عنه - كما يدعى المرجئة - بل هو في المشيئة ، إن شاء تجاوز أخطائه و أدخله الجنة.<sup>4</sup>

أما عن موضوع التوبة فإن السلاجى يرى حقيقتها في "... الندم. لأجل ما فات من رعاية حقوق الله تعالى".<sup>5</sup>

1- السلاجى: البرهانية، الملحق رقم 12، ص 378-382.

2- سورة : الأنبياء، الآية: 23.

3- السلاجى: البرهانية، الملحق رقم 12، ص 378-382.

4- علال البختي: عثمان السلاجى و مذهبته الأشعرية، ص 500.

5- السلاجى: البرهانية، الملحق رقم 12، ص 378-382.

و معنى كلامه أن التوبة هي شعور الفرد بأنه أذنب، ثم عزم على استدراك ما فاته من الواجبات، و الرجوع عن المعاصي و المخالفات إلى الطاعات و الميراث.<sup>1</sup>

و بخصوص حكم التوبة يرى السلاجبي أن "... فمما اجتمعت عليه الأمة وجوب التوبة عند مفارقة الذنب. وهي على الفور، لا تجوز الفسحة فيها".

إذن التوبة عنده واجبة و فورية و لا يجوز التأخير فيها، و يضيف السلاجبي أن التوبة إذا توفرات شروطها قبلت من الله عز وجل: "... فإذا توفرت عليه شرائطها فقد وعد قبولاها".

أما موقفه من بقية السمعيات فتجد السلاجبي يقول: "... فوجب الإيمان بما جاء به صلى الله عليه وسلم من الحشر، والنشر، وعذاب القبر، وسؤال منكر ونكير، والصراط، والميزان، والمحوض، والشفاعة وأنباء الآخرة جملة وتفصيلا".<sup>2</sup>

هذه هي الأمور التي أخبر و أوصى بها الرسول ﷺ و التي ذكرها السلاجبي في برهانيه من مجموعات العقول لا إحالة في العقل لإمكان وقوعها، و بما أنها وردت بها قواطع الشرع المنقول فلذلك يلزم عدم الشك في حصولها.<sup>3</sup>

إذن هذه هي أهم مواقف و آراء السلاجبي في الأمور السمعية، و التي أثبتت فيها كل ما أخبر عنه الشرع، و الجدير بالذكر أن الأدلة السمعية عند السلاجبي تحصر في الكتاب و السنة و الإجماع، و قد اعتبر الإيمان بهذه المصادر من أركان العقيدة، إذ بها تثبت الشريعة و العقيدة و يتجلّى هذا من خلال قوله: "... و أن أصول الأحكام: الكتاب، السنة، والإجماع وما اجتمعت عليه الأمة وعلماء الأم فهو حق لا يجوز العدول عنه. و مشاقيتهم فسق و ضلال".<sup>4</sup>

**- الإمامة:** إن أول شيء يجب الإشارة إليه أن السلاجبي يعتبر الإمامة من الجائزات العقلية و هذا من خلال تصنيفه لها في باب "الجازات"، كما يظهر في البرهانية و يتجلّى هذا بوضوح في قوله: "و من الجائزات عقد الإمامة"<sup>5</sup>

1- علال البختي: عثمان السلاجبي و مذهبته الأشعرية، ص 502.

2- السلاجبي: البرهانية، الملحق رقم 12، ص 378-382.

3- علال البختي: المرجع السابق، ص 505.

4- السلاجبي: البرهانية، الملحق رقم 12، ص 378-382.

5- المصدر نفسه، الملحق رقم 12، ص 378-382.

و يرى السلاجلي أن الإمامة تتعقد بالطرق السنوية التي أجمع عليها أصحابه من الأشاعرة و هي: طريق الاختيار ، و طريق النص ، غير أن طريق النص عنده ليس طريقا إجباريا و لا طريقا واحدا لإثباتها كما عند الشيعة و لهذا يؤكد أن الإمامة : "... و ليس من شرطها أن يكون منصوصا عليه بل تثبت نصا واجتهاها. فهذا ما اجتمعت عليه الصحابة رضي الله عنهم أجمعين".

من خلال قوله يمكن أن نستنتج أن السلاجلي قد ركز على الشرط الثاني للإمامية و هو الاجتهاد - الاختيار - لأنه لم يثبت عن النبي ﷺ . و في هذا الصدد يقول عن شروط الإمامة: "... ولها شرائط: منها أن يكون الإمام قرشيا، مجتهدا مفتيا، وأن يكون ذا كفاية وبحدة عند نزول الدواهي والملمات. و ليس من شرطها أن يكون منصوصا عليه بل تثبت نصا واجتهاها. فهذا ما اجتمعت عليه الصحابة رضي الله عنهم أجمعين.<sup>1</sup>"

إذن هذه هي الشروط التي يعتقد السلاجلي أنها من مستلزمات منصب الإمامة:

1- الاجتهاد و الإفتاء.

2- الكفاية و النجدة.

3- القرشية.

4- إبطال شرط العصمة للإمام.

- موقفه من الصحابة:

أما عن موقفه من موضوع المفاضلة بين الصحابة فإننا نجد لا يتفق مع مرجعيات الفكر الأشعري، و قد أكتفى في هذه القضية بتأكيد موقف أبي الحسن الأشعري معلنا أن "... و أفضل الناس بعد نبيهم أبو بكر، ثم عمر ثم تعارضت الظنون في عثمان وعلى رضي الله عنهم. فهم الخلفاء الراشدون المهديون حشرنا الله في زمرتهم".<sup>2</sup>

ما سبق يتبيّن أن آراء السلاجلي الكلامية التي عكستها عقیدته البرهانية؛ آراء أشعرية واضحة اتسمت بالدقة المنهجية، و بالتركيز على أسس و أصول القضايا التي تبني عليها المواقف الكلامية.

1- السلاجلي: البرهانية، الملحق رقم 12، ص 378-382؛ علال البختي: السلاجلي و مذهبيه الأشعرية، ص 520.

2- المصدر نفسه، الملحق رقم 12، ص 378-382.

أما عن تأثير العقيدة "البرهانية" على الفكر الأشعري ببلاد المغرب الإسلامي فيمكن إيجازه فيما يلي:

- من الأدوار المهمة التي لعبتها العقيدة البرهانية في نشر الفكر الأشعري بالغرب الإسلامي؛ علاوة على البساطة والشمولية التي اتسمت بها مما سهل على العامة الإطلاع عليها، هو جلب كتاب أشاعرة المشرق لشرحها، إذ أن رغبة بعض العلماء في شرح هذه العقيدة دفعتهم إلى الإطلاع على تفاصيل المذهب الأشعري و دقائق الأمور فيه، و زيادة الوقوف على نصوص أصحابها، مما حداهم للاجتهاد في جلب كتب علم الكلام من المشرق و جعلها متداولة أكثر ببلاد المغرب الإسلامي.

1

- ساعدت وجاهة و احتزال البرهانية و كذا اتفاقها مع الاتجاه العقدي الرسمي للمغاربة، بالغ الأثر في سرعة انتشارها في الأوساط الخاصة و العامة بالغرب. مما وجه لها الاعتناء بها خلال الفترة الموحدية و حتى في الفترة التي تلتها.<sup>2</sup>

- و ما يدل أيضا على أهمية عقيدة "السلاجي" ودورها في ترسيم المذهب الأشعري بالغرب الإسلامي هيمنتها على المجال التعليمي لأمور العقائد بهذه البلاد؛ ذلك أنها ظلت تدرس في المدارس و الجوامع، و تمارس هيمنتها الكبيرة باعتبارها تعكس العقيدة الرسمية للبلاد إلى غاية القرن التاسع الهجري/ الخامس عشر الميلادي، حيث سيتم الاستعاضة عنها بعقائد الإمام السنوسي" (ت 895هـ/1490م)<sup>3</sup>.

1- يوسف أحناة: تطور المذهب الأشعري ، ص: 114

2- علال البختي: السلاجي و مذهبته الأشعرية، ص 197

3- هو أبو عبد الله محمد بن يوسف بن عمر بن شعيب السنوسي الحسني، نسبة إلى القبيلة المعروفة بالغرب الأقصى، يصعد نسبه إلى (نسل الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهما)، محدث و مفسر و هو من كبار علماء تلمسان و زهادها، له عدة تأليف: عقيدة أهل التوحيد و تسمى العقيدة الصغرى، و العقيدة الوسطى، و شرح صغرى الصغرى، و شرح صحيح البخاري، و غيرها. للمزيد ينظر: ابن مریم: البستان، ص 237-239؛ نویهض: معجم أعلام الجزائر، ص 180، 181.

- وجدت العقيدة "البرهانية" قبولاً من طرف المغاربة، بالمقارنة مع "مرشدة" بن تومرت التي ضمن لها الانتشار بفضل رعاية السلطان.<sup>1</sup>

- كما جاءت العقيدة البرهانية كاملة مستوفية كل الأمور التي تخص عقيدة الفرد المغربي من حق الله و صفاته و رسالته و الأخبار الغيبية المرتبطة بالرسالة، كما يستطيع من خلالها الخروج بموقف واضح حول موضوع الإمامة، على عكس مرشدة بن تومرت التي كانت ناقصة في عدة جوانب و اقتصرت على إعطاء تصور عام لأركان العقيدة الإسلامية، فلم يتعرض بن تومرت إلى موضوع الإلهيات و النبوات و الإنسانيات، بسبب أن تأليفها كان بداية مشوار بن تومرت الدعوية، فلم تكن آراؤه قد استوت بعد.<sup>2</sup> كما أن تأليفها طغت عليه نوايا سياسية، و هنا نستنتج أن انتشار البرهانية كان نابعاً من رغبة علمية للمغاربة بعيداً عن تأثير أي هيئات أو سلطات حاكمة.<sup>3</sup>

- لاقت العقيدة "البرهانية" اهتمام الشرّاح بحيث وضعت لها العديد من الشرح تحاوزت 13 شرحاً - تمت الإشارة لها سابقاً - كما أن فترات الاهتمام بهذا المصنف العقدي امتد من عصر المؤلف 6/12هـ إلى القرنين 11-12هـ/17-18م، مما يؤكد أن تأثير البرهانية على فكر المغاربة كان كبيراً، بل امتد هذا التأثير خارج بلاد المغرب الأقصى ليشمل الاهتمام بها بلاد المغرب الأوسط والأدنى ثم الأندلس بل إلى أعمق السودان<sup>4</sup> و آسيا<sup>5</sup>، على العكس من ذلك نجد أن مرشدة بن تومرت فإن شروحها لم يتجاوز 08 شروح جلها كانت سطحية موجزة، و شراحها نحو بشرحهم مناحي روحانية حاد بها عن الغرض العقدي الموضوعة له، و هذا ما يؤكده النجاري بقوله: "لا يفوتنا أن نلاحظ من خلال ما تقدم من مظاهر العناية بالمرشدة، أن انتشارها و العناية بها شرحاً و تدريساً في المغرب كان أكثر بروزاً في الأوساط الصوفية".<sup>6</sup> و هذا ما جعل المرشدة غير

1- علال البختي: السلاطجي و مذهبته الأشعرية، ص. 197.

2- النجاري: المهدى ابن تومرت، ص 450.

3- علال البختي: السلاطجي و مذهبته الأشعرية، ص. 201.

4- المرجع نفسه ، ص 202.

5- عبد الرحمن بدوي: مذاهب الإسلاميين، ص 692.

6- النجاري: المهدى ابن تومرت، ص 463.

قادرة عن تلبية حاجات المغاربة العقدية و لم تكفهم مشقة الرجوع إلى المؤلفات العقدية الأخرى لاستكمال قناعاتهم و اعتقاداتهم في الأمور الكلامية.<sup>1</sup>

- إن عقيدة البرهانية هي خلاصة لما تناقله السلف و وصل إلى الخلف في أمور الاعتقاد إلى عصر السلاججي، و قد حاول صاحبها أن يعطي لها مشروعية دينية من خلال قوله: " .. فهذه عقيدة أهل السنة تلقاها الخلف عن السلف لا يسع أحد جهلها. أعناننا الله على القيام بها والرعاية بحقوقها، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم..."<sup>2</sup> يعني أن عقيدته هاته هي التي كان عليها السلف الصالح من الصحابة و التابعين.

و بهذا صارت العقيدة " البرهانية" المصدر الأساسي الذي ينهل منه طلبة العلم و الباحثون في علم الكلام الأشعري، ووقفت عليه الأوقاف و الأحباس و اعتنى الناس بها عناية بالغة.

و نظرا لأن "السلاججي" كان واعيا كل الوعي بالدور المنوط بعقيدته البرهانية في القضاء على رواسب فكر أهل التسلیم و التفويض الذي كان سائدا من قبل و في نشر المذهب الجديد، فقد صرح بأمله في أن تنتشر هذه العقيدة بين أهل المغرب الإسلامي، و دعا الله أن يعينه على تثبيتها و إستمراريتها و رعايتها.<sup>3</sup>

و بهذا يكون السلاججي قد أسس مدرسة كلامية أشعرية صرفة بال المغرب أخلصت للمذهب الأشعري أيها إخلاص، و استطاعت أن تصبح منارة لهذا المذهب و لأهل السنة في بلاد المغرب.

و صفوة القول فإن شخصية "السلاججي" مثلت حلقة من حلقات إسهامات مفكري الأشاعرة الذين لهم السبق في ترسيم المذهب الأشعري و نشره في أوساط المغرب الإسلامي.

1- علال البحتى: المرجع السابق، ص 201.

2- السلاججي: البرهانية، الملحق رقم 12، ص 378-382.

3- يوسف أحناة: تطور المذهب الأشعري ، ص: 252

توفي في جمادى الثانية من سنة 564هـ<sup>1</sup>. وقيل 1174هـ/574م<sup>2</sup>، وقيل سنة 594هـ/1197م<sup>3</sup> ليترك المجال لأحد تلاميذه من أجل إكمال مسيرة نشر الفكر الأشعري ببلاد المغرب إلا و هو الإمام الكتاني.

- فكيف خدمت هذه الشخصية المذهب الأشعري ببلاد المغرب الإسلامي؟

#### 5- أبو عبد الله بن الكتاني (ت 596هـ/1199م):

هو العلامة المتكلم، الأصولي الأديب، أبو عبد الله محمد بن عبد الكريم الفنداوي الفاسي، المعروف بابن الكتاني من أهل مدينة فاس.<sup>4</sup> كان من أكبر أئمة فاس و المغرب علماً وورعاً و زهداً و عبادة.<sup>5</sup>

قال عنه ابن الزيات: "... من أهل فاس و به مات... و صلی عليه الفقيه أبو يحيى أبو بكر بن خلف الأنصاري المعروف بالمواق، و كان الكتاني آخر أئمة المغرب ..."<sup>6</sup>

و قال عنه ابن مخلوف: "...أبو عبد الله محمد بن علي بن عبد الكريم المعروف بالكتاني الفاسي الفقيه الفاضل آخر أئمة المغرب..."<sup>7</sup>، وكان إماماً في علم الكلام وأصول الفقه، مدرساً لذلك حياته كلها، و كان له حظ من الأدب، و له رجز في أصول الفقه.<sup>8</sup> كما عرف بالزهد في الدنيا و

1- ابن الزيات: التشوف إلى رجال التصوف، ص 198؛ ابن أبي زرع: الأنبياء المطرب، ص 266؛ ابن مخلوف: شجرة النور

الركبة، ص 16؛ ابن القاضي: جذوة الاقتباس، ج 2، ص 458؛ السملالي: الإعلام بن حل مراكش، ج 9، ص 06.

2- الكتاني: سلوة الأنفاس، ج 2، ص 242، 243؛ عبد الله كتون: النبوغ المغربي، ج 1، ص 150، نقلًا عن ابن مؤمن تلميذ السلاجلي في كتابه "البغية" قام البختي بترجيح هذا التاريخ لعدة اعتبارات. للمزيد ينظر: علال البختي: السلاجلي و مذهبته الأشعرية، ص 176-179.

3- ابن الأحمر: بيوتات فاس الكبيرة، ص 45.

4- ابن الزيات: التشوف إلى رجال التصوف، ص 335؛ ابن مخلوف: شجرة النور الركبة، ص 164، ابن القاضي: جذوة الاقتباس، ج 1، ص 220؛ عبد الله كتون: النبوغ المغربي، ج 1، ص 150.

5- علال البختي: عثمان السلاجلي و مذهبته الأشعرية، ص 162.

6- ابن الزيات: المصدر السابق، ص 335.

7- ابن مخلوف: المصدر السابق، ص 164.

8- عبد الله كتون: النبوغ المغربي، ج 1، ص 150؛ علال البختي: عثمان السلاجلي و مذهبته الأشعرية، ص 162.

الإعراض عنها و عن أهلها و ذلك على سنن أهل العلم و الدين، و له في ذلك شعر نقله ابن الزيات يقول فيه:

غنيت بنيل الحق عن كل كسب ﴿ فما بعد نيل الحق للنفس مطعم  
و يكسبني علمي بقدر سكينة ﴾ و تنزو بي الأوراح طورا و تجتمع  
قبضت عناني عن مخالطة الورى ﴿ و قلت: سبيل الصبر أولى و أنجح  
و لكن ضرورات المعيشة ريمى ﴾ تغير في وجه المراد و تقدح.<sup>1</sup>

و يقول عنه ابن القاضي: "... كان من أئمة المغرب في العلم مقدما في فنون العلم زاهدا في الدنيا مقبلًا على الآخرة، لزم العبادة و الصوم...<sup>2</sup>"

تنقل بين فاس و القiroان و الأندلس، بسبب أحداث وقعت له هناك، فأرسل السلطان في طلبه، و درس على يد عبد الله بن ييقى و على أبي عمرو السلاجى، أخذ عنه علم الكلام و أصول الفقه.<sup>3</sup> و في هذا الصدد يقول ابن الزيات: "... و كان الكتانى آخر أئمة المغرب فيما أخذه من أبي عمرو (السلاجى) من علوم الاعتقاد...<sup>4</sup>"

و قد أخذ عنه و سمع منه زمرة و خبطة من العلماء الكبار، كانوا منارات للعلم بعده في سائر أرجاء المغرب الكبير، منهم: أبو الحجاج يوسف بن عبد الصمد(ت 614هـ/1217م) قرأ عليه علم الكلام و أصول الفقه و صحبه إلى أن مات، و منهم أيضاً أبو الحسن بن العطار(ت 640هـ/1242م) الذي كان من أكبر أصحابه متقدماً في معرفة علم الكلام و الاعتقادات، و منهم أحمد بن خلف الشريسي (ت 641هـ/1243م)<sup>5</sup> الذي كان بارعاً في علم الكلام.<sup>6</sup>

1- ابن الزيات: المصدر السابق، ص 335-337.

2- ابن القاضي: جذوة الاقتباس، ج 1، ص 220.

3- علال البختي: عثمان السلاجى و مذهبته الأشعرية، ص 162.

4- ابن الزيات: التشوف إلى رجال التصوف، ص 335.

5- ينظر ترجمته: السملالي: الإعلام من حل مراكش و أغمات من الأعلام، ج 2، ص-ص: 143-146.

6- علال البختي: المرجع السابق، ص 163.

و منهم أبو عبد الله محمد الناميسي الذي كانت له مشاركة متميزة في علم الكلام، و أبو عبد الحسن الشاري السبتي (ت 1251هـ/649م) الذي يقول: "أخذت عنه - يقصد الكتاني - جملة وافرة من إرشاد أبي المعالي و تلخيصه - يقصد البرهانية - تفهمها، و سمعت عليه رجزه".<sup>1</sup>

و قد تأثر ابن الكتاني بشيخه السلاجلي في تخصصه الأشعري و حتى في سلوكه الصوفي فهو القائل:

و ما أبقى المهوى و الشوق مني ﴿ سوى نفس تردد في خيال  
خفيت من المنية أن تراني ﴾ كأن الروح مني في محل<sup>2</sup>

لقد اعتلي ابن الكتاني منزلة رفيعة عند أساتذته و علماء عصره، و هذا بسبب قدراته العلمية و سيطرته على المذهب الأشعري في العقيدة - مذهب الدولة الرسمي - و كان هذا سبباً أيضاً في خلافته لأبي عمرو عثمان السلاجلي - بعد وفاته - على كرسى العقيدة و الأصول في القرويين، فقام أهل فاس و الواقفين عليها من مختلف أنحاء بلاد المغرب و الأندلس مبادئ و تفاصيل الفكر الأشعري، انطلاقاً من "العقيدة البرهانية" السلاجلية، و من كتاب الإرشاد - المرجع الأساسي للسلاجلي و تلامذته في العقيدة.<sup>3</sup>

هذا و قد خلف تأليف علمية منها: تلخيص "العقيدة البرهانية"، و له أيضاً كتاب تفسير الأكياں و الأوزان نقل عنه بعض شراح الرسالة.<sup>4</sup> كما ألف رجزاً في أصول الفقه.<sup>5</sup>

توفي في ذي الحجة سنة 596هـ و قيل 597هـ ، و دفن خراج باب الجيسة ، و نظراً لمكانته العلمية شهد جنازته أبو دبوس الموحدي أمير الوقت<sup>6</sup>

1- عبد الله كنون: النبوغ المغربي، ج 1، ص 150؛ علال البختي: المرجع السابق، ص 164.

2- ابن القاضي: المصدر السابق، ج 1، ص 220؛ علال البختي: عثمان السلاجلي و مذهبته الأشعرية، ص 162.

3- علال البختي: المرجع السابق، ص 163.

4- كنون: المرجع السابق، ص 150.

5- علال البختي: المرجع السابق، ص 164.

6- ابن مخلوف: شجرة النور الركبة، ص 164؛ ابن القاضي: جذوة الاقتباس، ص 220؛ عبد الله كنون: النبوغ المغربي، ج 1، ص 150؛ علال البختي: المرجع السابق، ص 164.

و على الرغم من أننا لم نتمكن من الوقوف عند جميع من أسهموا في هذه الفترة، و من كان لهم كذلك ذائع الصيت، و كبير الشهرة في هذا الميدان من أمثال : "أبي الحسن علي بن محمد بن خليل الأشبيلي" (ت 567 هـ/1171 م)، فقد تحدث عنه ابن صاحب الصلاة قائلا فيه أنه كان عالما فاضلا يتكلم في المجلس العالي مسترسلا بالذاكرة متمهلا على حسن أدب في المناظرة، فإذا خرج منه تذاكر مع طلبة الحضر بما وعى من الخليفة من علم "المهدي"، و بين لهم ما ناله من العلم النبوى.<sup>1</sup>

و منهم أيضا "أبو العباس أحمد بن عبد الرحمن بن الصفير الأنباري" (ت 559 هـ/1164 م) الذي نظمه "عبد المؤمن" بين طلبة الموحدين، فتلقى مبادئهم و برع في عقيدتهم و علمها للناس، فولاه "عبد المؤمن" قضاء غرناطة، ثم قضاء أشبيلية.<sup>2</sup>

و من طبقة الإمام الكتاني برباعي أشعرى آخر هو محمد بن عبد الرحمن الرعيني السرقسطي يلقب بالركن و يكفى أبي عبد الله (ت 598 هـ/1201 م)، قال عنه ابن الأبار: "كان فقيها متحققاً بعلم الكلام، متقدماً فيه يناظر في الإرشاد لأبي المعالي و غيره... و ولي قضايا معدن عوام بمقرية من مدينة فاس"<sup>3</sup>، و هو أحد شراح البرهانية – كما ذكرنا سابقاً – و هذا يدل على رسوخ قدمه و تجدده في علم الكلام الأشعري بالمغرب.<sup>4</sup>

و من قرناء ابن الكتاني أيضاً بحد علم آخر من كبار أعمال الأشاعرة، و هو علي بن عتيق بن مؤمن الأنباري الخزرجي (ت 598 هـ أو 600 هـ/1202 م أو 1203 م)، من أهل قرطبة و نزل بآخرة بمدينة فاس، و قد تعمق في العلم على يد أبي عمرو السلاجلي، حيث ذكر انه قرأ عليه علم التوحيد، و علم الحديث و الفقه، و شيئاً من علم التفسير، إلا أنه اختص به في علم الكلام و

1- ابن صاحب الصلاة: المتن بالإمامية، ص: 160.

2- لسان الدين ابن الخطيب: الإحاطة في أخبار غرناطة، تحقيق: محمد عبد الله عنان، ج 1 ، ط 2 ، مكتبة الخناجي، القاهرة، 1973 م، ص: 67.

3- ابن الأبار: التكميلة لكتاب الصلة، ج 1، ص 275؛ علال البختي: عثمان السلاجلي و مذهبته الأشعرية، ص 212.

4- ابن خمير السطي: مقدمات علم المرشد إلى علم العقائد، تقديم و تحقيق جمال علال البختي، ط 1، مطبعة الخليج العربي، تطوان، 1425 هـ-2004 م، ص 27؛ علال البختي: عثمان السلاجلي و مذهبته الأشعرية، ص 213.

خصوصاً من كتاب علم الإرشاد. وبفضله مواهبه و عقله الراجح صارت له المكانة السامية في الفكر الأشعري.<sup>1</sup>

و من أشعاري هذه الفترة أيضاً عبد الجليل بن موسى الأننصاري الأوسي القصري(ت 608هـ/1211م)، و كان فقيها صوفيا متكلماً<sup>2</sup>. قال عنه التبكتي: "كان متقدماً في علم الكلام، مشاركاً في العربية و غيرها متصوناً، له تأليف منها: "كتاب تفسير القرآن"، و "شعب الإيمان"، و "كتاب المسائل والأجوبة"."<sup>3</sup>

و منهم أيضاً أبو الحسن بن خروف الحضرمي الإشبيلي(ت 609هـ/1212م)، الذي أقرأ بالأندلس و المغرب، و مناهم انجازاته العلمية ردوده على أبي المعالي الجوني في كتابه الإرشاد و على أبي محمد بن حزم في بعض مقالاته.<sup>4</sup>

و من الأشاعرة الكبار في القرن السابع الهجري أيضاً نجد أبو الحسن علي بن الأننصاري الخزرجي الفاسي الإشبيلي ابن الحصار(ت 610هـ/1213م)، كان محدثاً و فقيها عارفاً بالأصول و الكلام متحققاً به. و له مؤلفات مفيدة أهمها: مقالة الإيمان و الإسلام، و عقيدة سماها تلقين الوليد و خاتمة السعيد.<sup>5</sup>

و منهم أيضاً محمد بن عبد الله بن حسن الزرهوني الفاسي الأصل أبو عبد الله الزق (كان حيا سنة 612هـ/1215م)، أخذ بفاس عن جماعة من الأندلسيين أشهرهم أبو الوليد بن رشد الصغير، و أبو محمد بن الخراط، و قد أبدع في علم الكلام و الفلسفة، و له تأليف مهم "شرح العقيدة البرهانية" للسلامي، و له تعليقات مفيدة عليها.<sup>6</sup>

و هناك أشعري آخر سطع نجمه ببلاد المغرب و الأندلس هو أبو الحاج يوسف بن عبد الصمد بن نوي(ت 614هـ/1217م) من أهل مدينة فاس ولد سنة: 554هـ/1159م، أخذ عن

1- ابن خمير: المصدر السابق، ص 27.

2- المصدر نفسه، ص 28.

3- التبكتي: نيل الابتهاج بتطريز الديباج، ص 278.

4- ابن خمير: المصدر السابق، ص 28.

5- ابن الأبار: التكملة، ج 2، ص 686؛ التبكتي: نيل الابتهاج، ص 316؛ ابن القاضي: جذوة الاقتباس، ج 2، ص 470.

6- ابن خمير: المصدر السابق، ص 29؛ علال البختي: عثمان السلامي و مذهبته الأشعرية، ص 214.

جماعة من الشيوخ منهم القاضي ابن مضاء، كما أجازه ابن بشكوال و عبد الحق الأزدي وغيرهما، و تلقى علم الكلام والأصول على يد السلاجبي و صحبه إلى أن مات.<sup>1</sup> تولى التدريس في فاس و مراكش و إشبيلية، و أقرأ بها كثيراً علمائهما،<sup>2</sup> و قد وصفه ابن الأبار بقوله كان : "...إماماً في علم الكلام والأصول، مثقفاً به، متقدماً في الحفظ والذكاء، مع المشاركة في الفنون...".<sup>3</sup>

و منهم الشيخ الفقيه، الفاضل المحقق، الأصولي، المتقن المجيد "أبو علي عمر بن ملك المرساوي" (كان حياً في القرن 7 الهجري/13 الميلادي) الذي قال فيه "الغبريني" أنه كان أعلم وقته بعلم الكلام، و كان محققاً له محصلان معانيه كلها أو جزئها، و كان أحافظ الناس بدقةائق تفاصيله، و كان طريقه في ذلك على طريق الأقدمين مثل "الجويني" و "أبي بكر الطيب الباقلاني".<sup>4</sup>

و منهم أيضاً يحيى بن عبد الرحمن الأشعري، القرطبي أبو عامر (ت 640هـ/1242م)، ولد بقرطبة سنة 563هـ/1167م، و قد سمع من آباءه أبا الحسين و ابن بشكوال و أجازه أبو بكر بن الجد و أبو عبد الله بن زرقون، و كان إماماً في علم الكلام وأصول الفقه ماهراً في المعقولات و نظره عليه في شامل أبي المعالي و إرشاده و غيرهما، و له تأليف جليلة في ذلك، و أقرأ صحيح البخاري تفهمها، ولي قضاء بلدته إلى أن تملكه الروم سنة 663هـ/1265م، كما تولى قضاء غرناطة ثم صرف، توفي بمالقة بفالج.<sup>5</sup>

ونحن وإن لم نذكرهم كلهم فلا يعني أننا نحط من شأنهم أو نقلل من أهميتهم و دورهم في تمثيل الفكر الأشعري و الدفاع عنه، و إنما جاءوا في فترة كان فيها المذهب قد أخذ طريقه إلى الانتشار و الزيوع، و مذهب أهل التسلیم و التفویض إلى الانحطاط و الزوال، و ذلك بفضل

1- ابن الأبار: التكميلة، ج 2، ص 740؛ ابن خمير: المصدر السابق، ص 29؛ التبكتي: نيل الابتهاج، ص 626؛ ابن القاضي: حذوة الاقتباس، ج 2، ص 550؛ علال البختي: المرجع السابق، ص 166.

2- ابن خمير: المصدر السابق، ص 29؛ المرجع السابق، ص 167.

3- ابن الأبار: التكميلة، ج 2، ص 740.

4- الغبريني: عنوان الدرية، ص 226.

5- التبكتي: نيل الابتهاج بتطریز الدییاج، ص 631، 632.

الإسهامات البليغة التي قام بها كل من: "بن تومرت" و "ابن العربي" و "ابن حزهم" و "أبو علي المسيسي" ، و "السلالجي" و "ابن الكتاني" و غيرهم كثير.

ها نحن نخرج من إطلالتنا على أعلام كبار و على فترة مهمة من تاريخ المذهب الأشعري في المغرب الإسلامي و على إسهامات هؤلاء الأعلام في مجال العقائد، و التي كانت تهدف إلى نفس الهدف و ترمي إلى ذات الغاية.

و قبل أن نأتي على ختام هذا الفصل علينا أن نشير إلى أنه بمجرد ما تغلغل هذا المذهب، و توسيع دائرة نفوذه و ترسيمه في المغرب الإسلامي، و أصبح المذهب الرسمي للدولة، حتى بدا و كان هناك مجالين معرفيين، مجالاً خاصاً بالثقافة العامة المنظمة، و فيه تنتظم الثقافة العقدية انتظاماً يتلقاه المتعلمون داخل حقل تعليمي مضبوط و منظم، و مجالاً خاصاً بالثقافة العفوية، و يشكل الثقافة التلقائية المتداولة في الكلام الشفوي و الدارج في كلام الناس، و التي تتضمن بطريقة غير واعية أقوالاً و عبارات ذات حمولات لا أشعرية.

غير أنه يجب أن نشير أيضاً أنه لا يمكن أن نعتبر الآراء المتأخرة عن الأشعرى مسلمات يمكن عبرها تقييم موقف الأشعرى نظراً إلى اختلاف الدوافع التي أسهمت في بلوغها والغايات التي كتبت من أجلها. فقول ابن خلدون مثلاً بأن الأشعرية انتصار للعقائد السلفية والذبّ عنها بالحجج العقلية ، لا ينطبق على الأشعرية في مختلف مراحلها. إذ يفصل بين ابن خلدون والأشعرى أكثر من أربع مائة سنة. وهي فترة كفيلة بتغيير "الأدوار الحضارية". فليس المنتهي إلى الأشعرية في القرن الرابع الهجري هو نفسه من حيث خصائصه المنتهي إليها في القرن السابع الهجري و لا الناظر إليها أيضاً.<sup>1</sup> و في هذا الصدد يقول ابن خلدون: "إن الذين جاءوا بعد أبي بكر الباقلاني الذي هو تلميذ أبي الحسن الأشعري كالغزالى وابن الخطيب والبيضاوى و الجرجانى خلطوا مع العقيدة الأشعرية الفلسفية وعلم الكلام لتناسب الرد على خصوم العقائد الإيمانية من الفلاسفة والمبدعة، ثم توغل جماعة من المتأخرین بعدهم في مخالطة كتب الفلسفة حتى التبس عليهم شأن الموضوع في العلمين، فحسبوه واحد من اشتباہ المسائل فيهما".<sup>2</sup>

1- المirok المنصوري: الأشعرية في بلاد المغرب، ص 03.

2- ابن خلدون: المقدمة، ص 837.

كما ينقل لنا جيلاني عبد المغيث قول الحسن بن أحمد العبادي المشتوكى المالكى - حفظه الله - في كتابه "الملك المصلح سيدى محمد بن عبد الله العلوي" : " وهذا النص يمكن لنا أن نعرف أن الانحراف تسرب إلى العقيدة الأشعرية من هذا الخلط الذى وقع فيه المتأخرون من أنصار أبي الحسن الأشعري عن حسن نية، ويمكن لنا أن نعین القرن الخامس كتاريخ لبداية هذا الخلط الذى استمر منذ ذلك الحين، حتى جر على العقيدة الإسلامية صعوبة جافة، وأصبحت نستلزم معرفتها التي عهدها في العصور الأولى بسيطة سهلة، تقديم الفلسفة والمنطق، وعلم الكلام، ليتسنى بذلك معرفة طرق الجدل الذي وضعت في قاليه، وليت الذين خلطوا تلك العلوم بالعقيدة الإسلامية سلكوا سبيلاً وسطاء، فمن آنس نفسه القدرة على ممارسة الجدال والنقاش ضد الفلاسفة الملحدين والمبتدعة، درس العقيدة ممزوجة بتلك العلوم الضرورية للتمرس على الجدال والمناقشة، ومن أراد العقيدة الإسلامية كما هي خالصة من الشوائب فتكفيه دراسة العقيدة وحدها بدون تلك العلوم.<sup>1</sup>

و بحديثنا هذا نكون قد وصلنا إلى ختام هذا الفصل و الذي عَبَرَ عن الذي عَبَرَ عن مرحلة من مراحل سيرورة المذهب الأشعري بالمغرب الإسلامي، مرحلة شهد فيها هذا المذهب ترسيمه و تغلغله بشكل واسع، فحق لها أن تمثل و بجدارة قمة المرمى بالنسبة لمسار المذهب الأشعري ببلاد المغرب الإسلامي.

---

1- عبد المغيث جيلاني: المدرسة الأشعرية بالمغرب و الأندلس أعلامها و جهودها، ص 35.

## خلاصة:

من خلال تناولنا لفصل المذهب الأشعري زمن دولة الموحدين، فقد توصلنا للنتائج التالية:

**أولاً:** شهد المذهب الأشعري زمن دولة الموحدين مرحلة ترسيمه و انتشاره و تغلغله ببلاد المغرب الإسلامي" ، و ما ذلك إلا لكون هذا المذهب كان مذهبًا رسميًا للدولة و تلقى دعمًا سياسيا و علميا و كان تحت لواء السلطان، كما ارتبط بمحاربة دولة المرابطين و محاربة عقيدتهم الرسمية عقيدة أهل التسلیم و التفویض، فقد اختلطت العقيدة الأشعرية بإيديولوجية الموحدين اختلاطا ليس بوسع أحد أن ينكره.

**ثانياً:** عرفت فترة الموحدين ظهور علماء برعوا في علم الكلام الأشعري، من أمثال: بن تومرت، و ابن العربي، و ابن حزهم، و أبو علي المسيلي، و السلاجبي و الكتاني و غيرهم كثير، فكانوا مثلين بحق للفكر الأشعري ببلاد المغرب، تأثروا و أثروا في الفكر المغربي من جميع النواحي بمؤلفاتهم التي بقيت تدرس و تحفظ و تشرح إلى قرون حتى وإن سقطت الدولة الموحدية.

**ثالثاً:** كان للفكر الأشعري المغربي ثوابت خاصة تميزه؛ و هذا ما لاحظناه من خلال أن ممثلي الأشعرية بال المغرب مثل السلاجبي و بن تومرت الذي عبر عن مسائل الأشاعرة بمناصب جديدة تختلف عن مواقف أساتذتهم و أعمدة الفكر الأشعري بالشرق الإسلامي ( مثلاً اتفق معهم في: القدرة الإلهية و الفعل الإنساني، و العقاب و الشواب و الرؤية، بينما يختلف معهم في: بعض الصفات في علاقتها بالذات الإلهية، و التكليف بما لا يطاق، و الإيمان ) و من هنا نستنتج أن الفكر الأشعري المغربي لم يظل رهين المدرسة الأشعرية في المشرق الإسلامي.

**رابعاً:** و الجدير بالذكر أن الآراء المتأخرة عن الأشعري ليست مسلمات يمكن عبرها تقييم مواقف الأشعري التي صدرت عنه خلال القرنين الثالث و الرابع الهجريين، فليس المنتهي إلى الأشعرية في القرن الرابع الهجري هو نفسه من حيث خصائصه المنتهي إليها في القرن السابع الهجري، و هذا لا ينطبق على الأشعرية في مختلف مراحلها، إذ لاحظنا أن الأشعرية تعرضت للانحراف مع مطلع القرن السادس الهجري من خلال تبني الآراء العقدية- التأويل، و العصمة، و المهدوية و غيرها- و التي صدرت عن بن تومرت و من جاء بعده.

# الخاتمة

و في نهاية هذه الدراسة و التي حاولنا من خلالها معالجة المذهب الأشعري في بلاد المغرب الإسلامي خلال القرنين: (5-11هـ/13-17م)، و بعد اطلاعنا على المصادر و المراجع و الدراسات المتخصصة، استطعنا الوصول إلى النتائج التالية:

أولاً: شهدت بلاد المغرب تنوعاً مذهبياً خلال القرنين الثاني والثالث الهجريين، فعرفت التربة المغاربية ولوح وتسرب مختلف الفرق والمذاهب العقدية من فكر خارجي، واعتزال، وإرجاء وتشيع، غير أنه لم يكتب لها البقاء فزالت واندثرت بزوال دعاتها، ولم يبق لها أي أثر.

ثانياً: كان من الطبيعي أن تنتقل المذاهب الفقهية من المشرق إلى المغرب الإسلامي، حيث أن المغرب الإسلامي قد دخلته المذاهب المختلفة مثل المالكية و الظاهرية و الشافعية و الحنفية و الحنبلية و الشيعية و غيرها كثير ، ذلك تحت تأثير الرحلات التجارية و العلمية في إطار التواصل الحضاري و الثقافي و الروحي بين المشرق و المغرب، وقد ساهم في انتشارها طلبة العلم المغاربة و المغاربة الذين وفدوا على هذه البلاد، غير أن الوضع المذهبي ببلاد المغرب قد أخذ شكله النهائي بسيطرة شبه كاملة للمذهب المالكي، و ذلك منذ نهاية القرن الثالث الهجري/التاسع الميلادي، حيث أخذ المذهب المالكي يسود المغرب و الأندلس حتى أصبحت له السيادة الكاملة خلال القرنين الرابع و الخامس الهجريين لاسيما على عهد الزبيدين و المرابطين.

ثالثاً: فرضت الاتجاهات الفكرية التي ظهرت في القرنين الثاني و الثالث المجريين تحدياً عقدياً على أهل السنة مشرقاً و مغرياً، حيث نشطت في الساحة الفكرية آراء و أفكار الفرق المبتدعة، التي تأثر بعضها بالفلسفة اليونانية و غيرها. و شكل ذلك خطراً كبيراً على العقيدة الإسلامية، مما حدا بعلماء المذاهب السنية إلى الدفاع بكتابات و مناظرات، و كان من بينهم الإمام أبو الحسن الأشعري (ت 324هـ/935م) الذي ترسّ بمناهج المعتزلة العقلية، و كان أحد أئمتها، و كان ذاتاً إماماً واسع بعناصر قوتها و ضعفها، فاقتصر منهاجاً عقدياً جمع فيه بين الاستدلال بالكتاب و السنة و بين الاستدلال العقلي، أي قواعد علم الكلام.

رابعاً: عرف أهل المغرب المذهب الأشعري في فترة مبكرة، ربما و صاحب المذهب على قيد الحياة، و الغالب بعدها بقليل إذا اعتبرنا أن أول من حمل العقيدة الأشعرية إلى بلاد المغرب، هو "أبو ميمونة درّاس بن إسماعيل الفاسي" (ت 357 هـ/967 م)، و خلال هذه الفترة كان هذا الفكر مقتضاً على عدد محدود من الأفراد، ليتم اعتناق الطريقة الأشعرية في التصور العقدي مع منتصف القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي - أي تقريراً مع بداية العصر المرابطي -. وقد كانت للعوامل الدينية و العلمية، و حتى التاريخية و السياسية، الأثر الحاسم في انتشار و تغلغل هذا المذهب في بلاد المغرب.

خامساً: تمكن المذهب الأشعري ببلاد المغرب من الانتشار ابتداءً من منتصف القرن الرابع الهجري و ذلك بفضل جهود علماء الأشاعرة في نشر عقيدتهم، سواءً من علماء المشرق مثل: الإمام الباقياني، و الإمام الجويني، و الإمام الغزالي الذين سخروا لذلك عدداً من الدعاة الذين تفرقوا في العالم الإسلامي مشرقاً و مغرباً، ووصل بعضهم إلى المغرب الإسلامي. من أمثال عبد الله الأذري و أبو طاهر البغدادي و القلانسي و القابسي و غيرهم كثير، و هنا يبرز تأثير شخصية هؤلاء العلماء الأشاعرة على طلبتهم و تلاميذهم من أهل المغرب.

سادساً: لاحظنا أن المذهب العقدي و الفقهي الذي كان سائداً و رسمياً في زمن المرابطين ، هو مذهب الإمام مالك (أهل التسلیم و التفویض) الذي كان له أقطاب يدافعون عنه – الفقهاء على وجه الخصوص - و مثليون يبسطون مبادئه و محتوياته؛ و لكن على الرغم من ذلك فقد عرفت هذه الفترة تمثيلاً قليلاً لأفكار الأشاعرة، حيث انحصر علم الكلام الأشعري و أصبح له ممثلين قلائل، بالمقابل بُرِزَ علم الكلام السني و ازدهر الفقه الاستدلالي و من أعلام هذا التوجه ابن رشد الجد (ت 520 هـ/1126 م)، كما شهدت هذه الفترة سيطرة كاملة للفقهاء على جميع مناحي الحياة ، و أصدروا قرارات خطيرة على المستوى الديني - حادثة إحراق كتاب إحياء علوم الدين للإمام الغزالى - التي انعكست نتائجها على المستوى السياسي؛ حيث استغل ابن تومرت هذه الحادثة و انطلق من خلالها و من خلال اقتصار أفكار هؤلاء الفقهاء على فروع الفقه المالكي ليحارب السلطة المرابطية.

سابعاً: شهد المذهب الأشعري زمن دولة الموحدين مرحلة ترسيمه و انتشاره و تغلغله ببلاد المغرب الإسلامي" ، و ما ذلك إلا لكون هذا المذهب كان مذهباً رسمياً للدولة و تلقى دعماً سياسياً و علمياً و كان تحت لواء السلطان، كما ارتبط بمحاربة دولة المرابطين و محاربة عقيدتهم الرسمية عقيدة أهل التسلیم و التفویض، فقد اختلطت العقيدة الأشعرية بإيديولوجية الموحدین اختلاطاً ليس بوع أحد أن ينکرها. و لا شك أن الإصلاح الديني، الذي حاول الموحدون تطبيقه بالغرب قد ترك آثاراً هامة في الحياة الدينية بالغرب الإسلامي، إذ أصبح المذهب الأشعري مذهب العامة و الخاصة، و بهذا خرجت العلوم الدينية من طور منابذة الرأي و العقل و انتقلت إلى طور عقائدي أكثر توازناً و اعتدالاً.

ثامناً: كما تكونت لدينا صورة واضحة عن مسار هذا المذهب، و التي ارتئينا أن نجسدها في أطوار الحضور الأشعري، ذلك بالاعتماد على المعالم التي ميزت كل طور، و بالاعتماد على المنهج الإحصائي الوصفي، حيث حاولنا تحديد نسبة مئوية لكل طور حسب نسبة انتشار هذا المذهب و تغلغله.

و مع ذلك فإن هذه المحاولة، لم تكن عبثاً، و إنما مبنية على أساس المعطيات التاريخية الواردة في المصادر و المراجع حول هذا الموضوع، و التي عملنا على استنطاقها قدر الإمكان علّنا نخرج منها بنسبة تعكس لنا مدى ما بلغه هذا المذهب خلال فترة زمنية تحددها معالم تاريخية تحكمت في سيرورة الفكر الأشعري بالغرب الإسلامي.

إنّ أول معلم اعتمدنا عليه هو تاريخ دخول المذهب الأشعري إلى بلاد المغرب الإسلامي، أما المعلم الثاني هو تاريخ دخول ابن تومرت بلاد المغرب بعد رحلته إلى المشرق، و بين هذين المعلمين تحدد لنا الطور الأول لهذا المذهب، و هو طور لم يرق فيه الوجود الأشعري إلى مستوى تكوين مدرسة أشعرية مغاربية، و كل ما هناك تمثيلات فردية ليس إلا، و هذا ما جعلنا نحدد نسبة انتشار هذا المذهب في هذا الطور مابين (20-30%) فلو كانت النسبة أقل من هذه لكان دخول هذا الفكر حدثاً عابراً غير ذي بال، و لو كان كذلك فكيف نفسر تلك المخاوف المتزايدة للدولة المرابطية من هذا المذهب ، و المتمثلة في تقديم طلب لابن رشد (ت 520هـ/1126م) للإفتاء في كيفية التعامل معهم، و كذا

إقدام الأمير المرابطي على بن يوسف (500 - 537هـ / 1106-1142م) على حرق كتب الغزالى خاصة ما نطق منها بالفکر الأشعري . و إذا كان هناك احتمال يقول بارتفاع النسبة أكثر من ذلك نقول : أنّ الأمور التي لا خلاف فيها هو أنّ الدولة المرابطية ظلت متمسكة بعقيدة أهل التسلیم و التفویض إلى آخر أيامها، و كل هذا يعني أنّ النسبة الأكبر من المغاربة كانوا يتبعون العقيدة التي تتبناها الدولة، و ربّ قائل : "الناس على دین ملوكهم".

أما المعلم الثالث يتمثل في سقوط دولة المرابطين، و المعلم الرابع قيام دولة الموحدین و بينهما انحصر الطور الثاني لهذا المذهب و هو طور ترسیمه و تغلغله، ففيه شهد المذهب الأشعري انتشاراً واسعاً و تغللاً كبيراً، بعد أن اتخذته الدولة الموحدية مذهبها رسمياً لها فكانت نسبة انتشاره في نظرنا تقارب (70%)، و لما لا تبلغ هذه النسبة إذا كانت المادة التاريخية تؤكد أنّ الخلفاء الموحدین استعنوا في نشر هذا المذهب بقوة السيف، و لهذا أقبل عليه المغاربة بشكل مكثف طوعاً أو كرها، و مما يدعم ذلك الانتشار الواسع هو خلو الساحة الفكرية المغاربية من الاتجاهات المعارضة لهذا المذهب و إن وجدت فإنها كانت تلوذ إلى الصمت و السکينة.

تاسعاً: كان للفکر الأشعري المغربي ثوابت خاصة تمیزه؛ و هذا ما لاحظناه من خلال أن ممثلی الأشعرية بال المغرب مثل السلاجی و بن تومرت الذي عبر عن مسائل الأشاعرة بمواقف جديدة تختلف عن موافق أساتذته و أعمدة الفکر الأشعري بالشرق الإسلامي ( مثلاً اتفق معهم في: القدرة الإلهية و الفعل الإنساني، و العقاب و الثواب و الرؤية، بينما ينحده يختلف معهم في: بعض الصفات في علاقتها بالذات الإلهية، و التکلیف بما لا يطاق، و الإيمان ) و من هنا نستنتج أن الفکر الأشعري المغربي لم يظل رهین المدرسة الأشعرية في المشرق الإسلامي.

عاشرًا: و الجدير بالذكر أن الآراء المتأخرة عن الأشعري ليست مسلمات يمكن عبرها تقييم مواقف الأشعری التي صدرت عنه خلال القرنين الثالث و الرابع الهجريين، فليس المنتهي إلى الأشعرية في القرن الرابع الهجري هو نفسه من حيث خصائصه المنتهي إليها في القرن السابع الهجري، و هذا لا ينطبق على الأشعرية في مختلف مراحلها، إذ لاحظنا أن الأشعرية تعرضت

للانحراف مع مطلع القرن السادس الهجري من خلال تبني الآراء العقدية - التأويل، و العصمة، و المهدوية و غيرها - و التي صدرت عن بن تومرت و من جاء بعده.

من كل ما سبق تأكد لدينا أن المذهب الأشعري بالمغرب الإسلامي عرف حضورا قويا و قفزة نوعية سواء من حيث مضامينه و ثوابته أو منهجه .

و في الأخير، نقول أن هذه الدراسة التي تقدمنا بها، ما هي إلا خطوة أولى في بداية البحث، ما أحوجنا لدراسات مستقبلية تكملها، و تسلط الضوء على الجوانب التي لم نخط بها.

و الله من وراء القصد و هو المستعان و عليه التكلالن.

و صلی اللهم على نبینا محمد صلی الله عليه وسلم و على آله و صحبه أجمعین.

# الملاحق

**المحلق رقم (01): خريطة انتشار المذاهب و الفرق في بلاد المغرب خلال القرنين (3-4هـ/9-10م<sup>1</sup>**



١- من إنجاز الطالب بالاعتماد على المصادر و المراجع السابقة.

الملحق رقم (02): جدول يمثل أهم المؤلفات في الرد على البدع والفرق المنحرفة خلال القرنين (3-4هـ)

عناوين المؤلفات	المؤلفين	الفترة الزمنية
<ul style="list-style-type: none"> <li>- "الحجۃ علی القدریۃ".</li> <li>- "الرد علی اهل البدع"</li> <li>- "رسالۃ فی آداب المناظرة"</li> <li>- "الرد علی الفکریۃ"</li> <li>- "الرد علی الشافعی و اهل العراق"</li> <li>- "الإیمان والرد علی اهل الشرک"</li> <li>- "الإمامۃ"</li> <li>- "تحريم المسکر"</li> <li>- "الإباحۃ"</li> <li>- "الأشربة"</li> </ul>	<ul style="list-style-type: none"> <li>- محمد بن سحنون</li> <li>(256هـ/870م)</li> </ul>	<p>القرن الثالث للهجرة</p>
<ul style="list-style-type: none"> <li>- "ألف رسالۃ فی الإیمان"</li> </ul>	<ul style="list-style-type: none"> <li>- عبد الله بن غافق</li> <li>(275هـ/888م).</li> </ul>	
<ul style="list-style-type: none"> <li>- "الرد علی الشکوکیۃ"</li> <li>- "الرد علی المرجحۃ"</li> <li>- "النظر إلی الله"</li> </ul>	<ul style="list-style-type: none"> <li>- يحيی بن عمر الکنایی</li> <li>(281هـ/894م)</li> </ul>	
<ul style="list-style-type: none"> <li>- "ألف كتاب الرد علی الشکوکیۃ"</li> </ul>	<ul style="list-style-type: none"> <li>- أبو عبد الله علی بن البھلی</li> </ul>	
<ul style="list-style-type: none"> <li>- "المعرفة والیقین"</li> <li>- "کشف التلبیس"</li> <li>- "الرد علی القدریۃ"</li> <li>- "مناقضة رسالۃ البغدادی المعتزی"</li> <li>- "الإقتداء بأهل السنۃ"</li> <li>- "رسالۃ النہی عن الجدل"</li> <li>- "الإستظهار فی الرد علی الفکریۃ"</li> <li>- "تفسیر أوقات الصلوات"</li> </ul>	<ul style="list-style-type: none"> <li>- ابن أبي زید القیروانی</li> <li>(286هـ/899م)</li> </ul>	

<ul style="list-style-type: none"> <li>- "فضل قيام رمضان"</li> <li>- "الذب عند مذهب مالك"</li> </ul>		
<ul style="list-style-type: none"> <li>- ألف كتاب "نسب الشيعة"</li> </ul>	- أبو جعفر المعافري (301هـ/913م)	
<ul style="list-style-type: none"> <li>- ألف كتاب "الإمامية"</li> </ul>	- أبو إسحاق القلansi (302هـ/913م)	
<ul style="list-style-type: none"> <li>- ألف كتاب في خلق القرآن.</li> <li>- "الاستواء"</li> <li>- "المقالات"</li> </ul>	- ابن الحداد (302هـ/914م)	
<ul style="list-style-type: none"> <li>- ألف كتاب "تحديد الإيمان من شرائع الإسلام"</li> </ul>	- عبد الرحمن القصري (322هـ/934م)	القرن الرابع
<ul style="list-style-type: none"> <li>- ألف كتاب "المواقف ومعرفة النجوم والأزمان"</li> </ul>	- عبد الله بن أبي مسورو التحيبي ابن الحاج (346هـ/957م)	للهجرة
<ul style="list-style-type: none"> <li>- ألف كتاب في الرد على الشيعة</li> <li>- عصمة النبيين</li> <li>- "إثبات الحجة في بيان العصمة"</li> </ul>	- ابن اللباد (333هـ/1012م)	
ألف كتاب "المنقذ في شبه التأويل"	- أبو الحسن القابسي (403هـ/1012م)	
ألف كتاب تخدم المعتقد الشعبي: <ul style="list-style-type: none"> <li>- "دعائم الإسلام في ذكر الحلال والحرام</li> <li>- "والقضايا والأحكام"</li> <li>- "الهمة في آداب الأئمة"</li> <li>- "كتاب الطهارة"</li> <li>- "كتاب كيفية الصلاة"</li> <li>- "كتاب الإقتصار"</li> <li>- "الإمامية لمولانا على بن أبي طالب"</li> </ul>	- القاضي نعمان (363هـ/974م)	

1- من انجازات الطالب بالاعتماد على مجموعة من المصادر و المراجع السابقة.

## الملحق رقم (03)<sup>1</sup>

# رسالة أبي عبيدة مسلم بن أبي كريمة إلى شيخ الاباضية بالمغرب

بسم الله الرحمن الرحيم (1). صلى الله على سيدنا محمد النبي  
الامي وعلى آله وصحبه وسلم تسليما.

أتاني كتابكم تذكرون فيه ما من الله به عليكم من جمع كلمتكم وأختلف  
أمركم في كثرة من بحضرتكم من أهل الخلاف لكم . ولعمري ما اكثرتم وان  
كثروا بأكثر من كان قبلهم على من كان قبلكم من سلفكم ، فاقتدوا بهم  
يهون عليكم كثرتهم على اخلاقكم . نسأل الله العون والتوفيق في جميع  
اموركم ، وان يكفنا واياكم بأسهم ، وان يجعل لنا ولكم ولجميع المسلمين  
الدائرة عليهم ويشفى صدور قوم مؤمنين ويذهب غيظ قلوبهم . فلعمري لقد  
اسرني ما انتهيت اليه من امركم ، وان كان ذلك لم يخف علينا ، غير انا لم  
نزن الذي كتبتم به الى . والله يستعلم لكم الخير كله بعونه وتوفيقه .

اتانا كتابكم بمسائل ، فمنها ما رأيت ان أجيبكم فيها ، ومنها ما رأيت

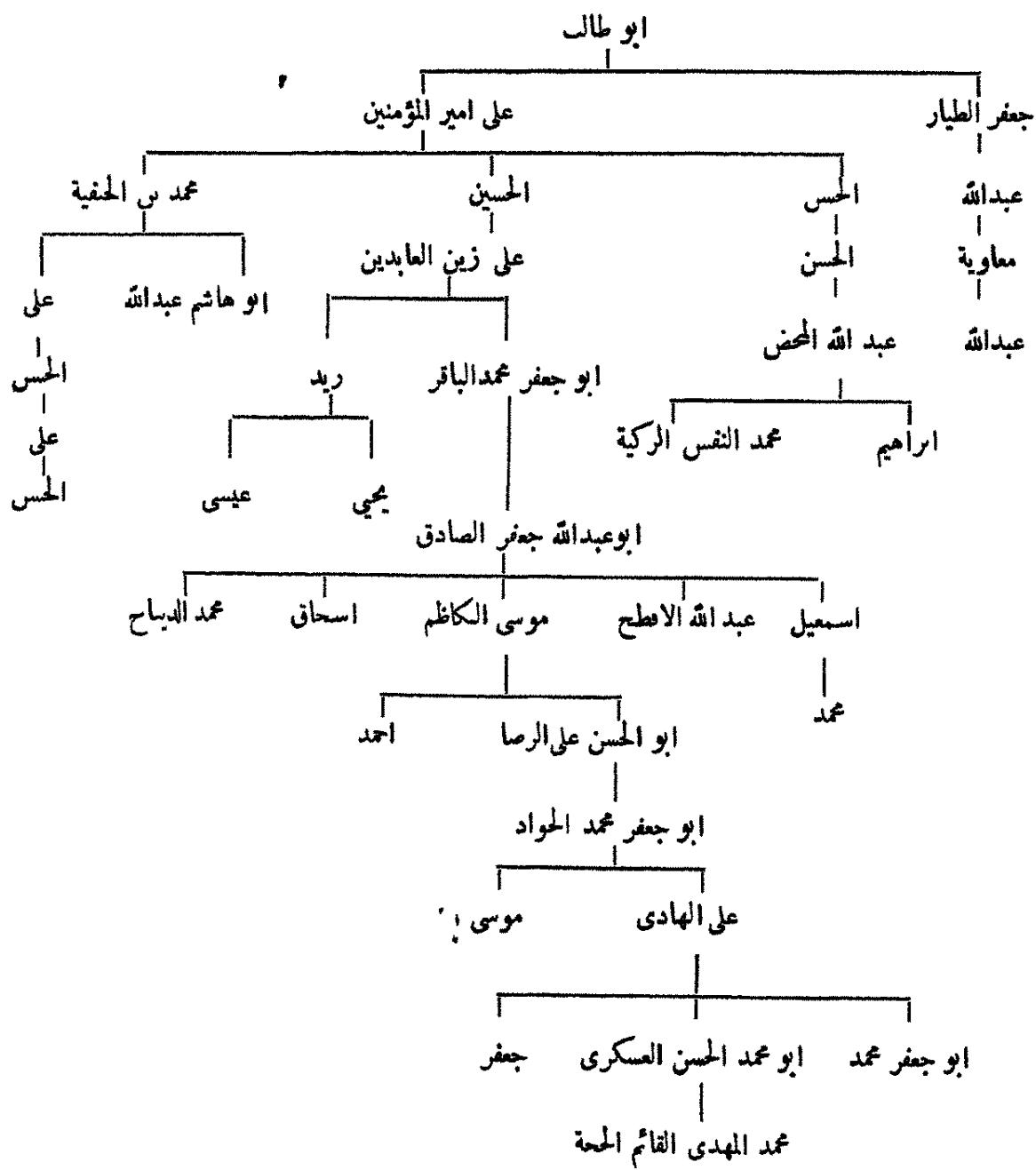
الا نجيبكم فيها من غير هوان ولا تقصير الا الذي رأيته أصلح لجماعتكم  
وأقوم لشأنكم وارفق لضعيفكم واعطف في الذي أجيبكم فيه ، فما كان  
من صواب فمن الله ، وما كان من خطأ في رواية او خبر او غير ذلك  
فمن نفسي .

استغفر الله من جميع ما ليس هو له رضي ..  
ذكرتم في كتابكم العشر وكيف جمعه ، واعلموا رحمة الله أنه (1) ..  
الخ .

1- محمود إسماعيل عبد الرزاق: الخواج في بلاد المغرب حتى منتصف القرن الرابع المجري، ص: 311، 312.

الملحق رقم(04):<sup>1</sup>  
شجرة نسب آل أبي طالب.

**شجرة نسب آل أبي طالب**



1- التوحيتي: فرق الشيعة، ص 115.

## الملحق رقم (05) :

### شرح قول المعتزلة في التوحيد و غيره.

"أجمعـتـ المـعـتـزـلـةـ عـلـىـ أـنـ اللهـ وـاحـدـ لـيـسـ كـمـثـلـهـ شـيـءـ وـ هوـ السـمـيعـ الـبـصـيرـ، وـ لـيـسـ بـجـسـمـ، وـ لـاـ بـشـبـحـ، وـ لـاـ جـثـةـ، وـ لـاـ صـورـةـ، وـ لـاـ لـحـمـ، وـ لـاـ دـمـ، وـ لـاـ شـخـصـ، وـ لـاـ جـوـهـرـ وـ لـاـ عـرـضـ، وـ لـاـ بـذـىـ لـوـنـ وـ لـاـ طـعـمـ وـ لـاـ رـائـحةـ وـ لـاـ مـجـسـةـ، وـ لـاـ بـذـىـ حـرـارـةـ وـ لـاـ بـرـودـةـ وـ لـاـ رـطـوبـةـ وـ لـاـ بـيـوـسـةـ، وـ لـاـ طـولـ وـ لـاـ عـرـضـ وـ لـاـ عـقـمـ، وـ لـاـ اـجـتـمـاعـ وـ لـاـ اـفـتـرـاقـ، وـ لـاـ يـتـحـركـ وـ لـاـ بـسـكـنـ، وـ لـاـ يـتـبـعـضـ، وـ لـيـسـ بـذـىـ أـبـعـاضـ وـ أـجـزـاءـ، وـ جـوـارـ وـ أـعـضـاءـ، وـ لـيـسـ بـذـىـ جـهـاتـ، وـ لـاـ بـذـىـ يـمـينـ وـ شـمـالـ وـ أـمـامـ وـ خـلـفـ وـ فـوـقـ وـ تـحـتـ، وـ لـاـ يـحـيـطـ بـهـ مـكـانـ، وـ لـاـ يـجـريـ عـلـىـ زـمـانـ، وـ لـاـ تـحـوزـ عـلـىـ الـمـاسـةـ وـ لـاـ العـزـلـةـ وـ لـاـ الـحـلـولـ فـيـ الـأـمـاـكـنـ، وـ لـاـ يـوـصـفـ بـشـيـءـ مـنـ صـفـاتـ الـخـلـقـ الدـالـلـةـ عـلـىـ حـدـوـثـهـمـ، وـ لـاـ يـوـصـفـ بـأـنـهـ مـتـنـاهـ، وـ لـاـ يـوـصـفـ بـمـسـاحـةـ وـ لـاـ ذـهـابـ فـيـ الـجـهـاتـ، وـ لـيـسـ بـمـحـدـودـ، وـ لـاـ وـالـدـ وـ لـاـ مـوـلـودـ، وـ لـاـ تـحـيـطـ بـهـ الـأـقـدارـ، وـ لـاـ تـحـيـجـهـ الـأـسـタـرـ، وـ لـاـ تـدـرـكـهـ الـحـوـاسـ، وـ لـاـ يـقـاسـ بـالـنـاسـ، وـ لـاـ يـشـبـهـ الـخـلـقـ بـوـجـهـ مـنـ الـوـجـوهـ، وـ لـاـ تـحـرـيـ عـلـىـ الـآـفـاتـ، وـ لـاـ تـحـلـ بـهـ الـعـاهـاتـ، وـ كـلـ مـاـ خـطـرـ بـالـبـالـ وـ تـصـورـ بـالـوـهـمـ فـغـيـرـ مـشـبـهـ لـهـ، لـمـ يـزـلـ أـوـلـاـ سـابـقاـ مـتـقـدـمـاـ لـلـمـحـدـثـاتـ، مـوـجـودـاـ قـبـلـ الـمـخـلـوقـاتـ، وـ لـمـ يـزـلـ عـالـمـاـ قـادـرـاـ حـيـاـ، وـ لـاـ يـزـالـ كـذـلـكـ، لـاـ تـرـاهـ الـعـيـونـ، وـ لـاـ تـدـرـكـهـ الـأـبـصـارـ، وـ لـاـ تـحـيـطـ بـهـ الـأـوـهـامـ، وـ لـاـ يـسـمـعـ بـالـأـسـمـاعـ، شـيـءـ لـاـ كـالـأـشـيـاءـ، عـالـمـ قـادـرـ حـتـىـ لـاـ كـالـعـلـمـاءـ الـقـادـرـينـ الـأـحـيـاءـ، وـ أـنـهـ الـقـدـيمـ وـحـدـهـ، وـ لـاـ قـلـسـمـ غـيـرـهـ، وـ لـاـ إـلـهـ سـواـهـ، وـ لـاـ شـرـيكـ لـهـ فـيـ مـلـكـهـ، وـ لـاـ وـزـيرـ لـهـ فـيـ سـلـطـانـهـ، وـ لـاـ مـعـينـ عـلـىـ إـنـشـاءـ مـاـ نـشـأـ وـ خـلـقـ مـاـ خـلـقـ، لـمـ يـخـلـقـ الـخـلـقـ عـلـىـ مـثـالـ سـبـقـ، وـ لـيـسـ خـلـقـ شـيـءـ بـأـهـوـنـ عـلـىـ خـلـقـ شـيـءـ آـخـرـ وـ لـاـ بـأـصـعـبـ عـلـىـ مـنـهـ، لـاـ يـجـوزـ عـلـىـ اـجـتـارـ الـمـنـافـعـ وـ لـاـ تـلـحـقـهـ الـمـضـارـ، وـ لـاـ يـنـالـهـ السـرـورـ وـ الـلـذـاتـ، وـ لـاـ يـصـلـ إـلـيـهـ الـأـذـىـ وـ الـآـلـامـ، لـيـسـ بـذـىـ غـاـيـةـ فـيـتـنـامـيـ، وـ لـاـ يـجـوزـ عـلـىـهـ الـفـنـاءـ، وـ لـاـ يـلـحـقـهـ الـعـجـزـ وـ الـنـقـصـ، تـقـدـسـ عـنـ مـلـامـسـةـ النـسـاءـ، وـ عـنـ اـتـخـاذـ الصـاحـبةـ وـ الـأـبـنـاءـ.

فـهـذـهـ جـمـلـةـ قـوـلـهـمـ فـيـ التـوـحـيدـ، وـ قـدـ شـارـكـهـمـ فـيـ هـذـهـ الـجـمـلـةـ الـخـوارـجـ وـ طـوـافـهـ مـنـ الـمـرجـئـةـ وـ طـوـافـهـ مـنـ الشـيـعـةـ، وـ إـنـ كـانـواـ لـلـجـمـلـةـ الـتـيـ يـظـهـرـوـنـهاـ نـاقـضـيـنـ، وـ لـهـ تـارـكـيـنـ.<sup>1</sup>

1- الأشعري: مقالات الإسلاميين، ص: 216، 217.

## الملحق رقم (06):

### باب ما تنطق به الألسنة و تعتقد الأفئدة من واجب أمور الديانات.

يقول أبو محمد عبد الله بن أبي زيد القيرواني " (310-386 هـ / 996 م) :

" من ذلك الإيمان بالقلب والنطق باللسان: أن الله إله واحد لا إله غيره، ولا شبيه له، ولا نظير له، ولا والد له، ولا صاحبة له، ولا شريك له. ليس لأولئك ابتداء ولا لآخرتهم انقضاء، لا يبلغ كنه صفتة الواصفين، ولا يحيط بحيط بأمره المفكرون، يعتبر المفكرون بأياته، ولا يتذكرون في مائة ذاته، ولا يحيطون بشيء من علمه إلا بما شاء وسع كرسيه السموات والأرض لا يؤوده حفظهما وهو العلي العظيم؛ العالم، الخبير، المدبر، القدير، السميع، البصير، العلي، الكبير، وأنه فوق عرشه الجيد بذاته، وهو في كل مكان بعلمه، خلق الإنسان ويعلم ما توسوس به نفسه، وهو أقرب إليه من جبل الوريد، وما تسقط من ورقة إلا يعلمها، ولا حبة في ظلمات الأرض ولا رطب ولا يابس إلا في كتاب مبين على العرش استوى، وعلى الملك احتوى، وله الأسماء الحسن والصفات العلي لم ينزل بجميع صفاته وأسمائه، تعالى أن تكون صفاتة مخلوقة وأسماؤه محدثة، كلام موسى بكلامه الذي هو صفة ذاته لا خلق من خلقه، وتحلى للجبل فصار دكا من جلاله، وأن القرآن كلام الله، ليس بخليق فيبيده، ولا صفة لمخلوق فينفذ. والإيمان بالقدر خيره وشره، حلوه ومره، وكل ذلك قد قدره الله ربنا ومقادير الأمور بيده ومصدرها عن قضائه، علم كل شيء قبل كونه فجرى على قدره، لا يكون من عباده قول ولا عمل إلا قضاه وسبقه علمه به. ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير. يصل من يشاء فيخذله بعدله ويهدى من يشاء فيوقفه بفضله، فكل ميسر بتيسيره إلى ما سبق من علمه وقدره من شقي أو سعيد، تعالى أن يكون لأحد عنه غنى، أو يكون خالق لشيء إلا هو رب العباد ورب أعمالهم، والمقدر لحركاتهم وأجالهم، الباعث الرسل إليهم لإقامة الحجة عليهم.

ثم ختم الرسالة و النذارة و النبوة بـ محمد نبيه ﷺ ، فجعله آخر المسلمين بشيراً ونذيراً وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً. وأنزل عليه كتابه الحكيم، وشرح به دينه القويم، وهدى به الصراط المستقيم، وأن الساعة آتية لا ريب فيها، وأن الله يبعث من يموت كما بدأهم يعودون، وأن الله سبحانه ضاعف لعباده المؤمنين الحسنات، وصفح لهم بالتوبة عن كبائر السيئات، وغفر لهم الصغار باجتناب الكبائر، وجعل من لم يتبع من الكبائر صائراً إلى مشيئته. إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك ملن يشاء. ومن عاقبه بناره أخرجه منها بإيمانه فأدخله به جنته، ومن يعمل مثقال ذرة خيراً يره. ويخرج منها بشفاعة

النبي ﷺ من شفع له من أهل الكبائر من أمته، وأن الله سبحانه وتعالى قد خلق الجنة فأعدوها دار خلود لأوليائه، وأكرمهم فيها بالنظر إلى وجهه الكريم، وهي التي أهبط منها آدم نبيه وخليفة إلى أرضه بما سبق في سابق علمه، وخلق النار فأعدوها دار خلود لمن كفر به، وألحد في آياته وكتبه ورسله وجعلهم محظوظين عن رؤيته، وأن الله تبارك وتعالى يحيي يوم القيمة والملك صفا صفا لعرض الأمم وحسابها وعقوبتها وثوابها، وتوضع الموازين لوزن أعمال العباد، فمن ثقلت موازينه فأولئك هم المفلحون، ويؤتون صفاتهم بأعمالهم، فمن أُوتى كتابه بيمينه فسوف يحاسب حساباً يسيراً، ومن أُوتى كتابه وراء ظهره فأولئك يصلون سعيراً، وأن الصراط حق يجوزه العباد بقدر أعمالهم، فناجون متفاوتون في سرعة النجاة عليه من نار جهنم، وقوم أوبقتهم فيها أعمالهم.

والإيمان بحوض الرسول ﷺ ترده أمته لا يظلمأ من شرب منه ويزداد عنه من بدأ وغيره. وأن الإيمان قول باللسان وإخلاص بالقلب وعمل بالجوارح، يزيد بزيادة الأعمال وينقص بنقصها فيكون فيها النقص وبها الزيادة، ولا يكمل قول الإيمان إلا بالعمل، ولا قول وعمل إلا بنية، ولا قول وعمل ونية إلا بموافقة السنة، وأنه لا يكفر أحد بذنب من أهل القبلة، وأن الشهداء أحياه عند ربهم يرزقون، وأرواح أهل السعادة باقية ناعم إلى يوم يبعثون، وأرواح أهل الشقاوة معذبة إلى يوم الدين، وأن المؤمنين يفتنون في قبورهم ويسألون.

يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا والآخرة. وأن على العباد حفظة يكتبون أعمالهم ولا يسقط شيء من ذلك عن علم ربهم، وأن ملك الموت يقبض الأرواح بإذن ربها. وأن خير القرون القرن الذين رأوا رسول الله ﷺ وأمنوا به، ثم الذين يلوخهم، ثم الذين يلوخهم، وأفضل الصحابة الخلفاء الراشدون المهديون: أبو بكر، ثم عمر، ثم عثمان، ثم علي رضي الله عنهم أجمعين، وأن لا يذكر أحد من صحابة الرسول إلا بأحسن ذكر والإمساك عما شجر بينهم، وأنهم أحق الناس أن يتلمس لهم أحسن المخارج ويظن بهم أحسن المذاهب. والطاعة لأئمة المسلمين من ولادة أمورهم وعلمائهم وإتباع السلف الصالحة واقتفاء آثارهم والاستغفار لهم، وترك المراء والجدال في الدين، وترك كل ما أحدثه المحدثون. وصلى الله على سيدنا محمد نبيه، وعلى آله وأزواجه وذراته وسلم تسليماً كثيراً<sup>1</sup>

## الملاحق رقم 07:

1- الرسالة في فقه الإمام مالك، ضبطه وصححه الشيخ عبد الوراث محمد علي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، (ب.ت)، ص- 10-7.

## فتوى لأبي الفضل بن النحوي (ت 135هـ) حول إحياء علوم الدين للغزالى.

(نص رسالة فقهاء تلمسان)

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد ومولانا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً  
كتب فقهاء تلمسان عن حضرتهم إلى الفقيه الإمام أبي زكريا القلعي قلعة سرموا إلى اليحفشى المتكلم  
المقيم بالإسكندرية سنين، وإلى من بها من متكلمي الفقهاء بما هذا نسخته:  
ما يقول الفقهاء السادة وفقهم الله لطاعته وعصمهم من معصيته في كتاب الفقيه حامد الغزالى  
المسمى بإحياء علوم الدين، هل النظر فيه جائز، وهل وضعه على مذهب أهل السنة، وغير خالف  
لفقهاء الأمة الذين تقدموه، فقد طعن فيه في بلاد المغرب رؤمى بالزندقة لما ظهر لهم في كتابه، وقد  
أحرق هذا الكتاب في بعض بلاد المغرب، ونحن متوقفون عن ذلك في بعضها لما نرجو من جواب  
الفقهاء لمعرفتهم بالرجل وعلومه ومعاني ألفاظه وما كان عليه، فيبينوا لنا جميع ذلك مأجورين إذ أنتم  
أعرف بالرجل وبكتابه مما نرجو إن شاء الله تعالى.

### جواب أبي الفضل ابن النحوي

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً  
و للفقير الإمام الفاضل الزكي أبي الفضل ابن النحوي رحمه الله مخاطباً لأهل تلمسان في مثل محاوب  
الزناتي:

جمع الله قلوبكم على التقوى حتى تقوى، ورفع مثواكم عن الدنيا التي هي أدنى إلى الأخرى التي هي  
أخرى، وعقد ألوية مساعدكم بالقيام في دينه، وجعل أوعية قلوبكم مجلوبة بيقينه، وصهر ألسنتكم التي  
تلهمون بها من سيوفه الماضية، وأمكنتكم التي تحملونها من حضونه المانع الواقعية، حتى لا تركنوا لمخايل  
الباطل العارضة في جهاد الجهل على ظلام الظلم {فلا تهنوا وتدعوا إلى السلم وأنتم الأعلون والله  
معكم، ولن يترككم أعمالكم} {ولينصرن الله من ينصره، إن الله قوي عزيز} {إن يمسسُكم قرْحٌ فقد مَسَّ  
القوم قرْحٌ مثله، وتلك الأمثال نُذَاوِلُها بين الناس، ولعلم الله الذين آمنوا ويتحذَّلُ منكم شهيداً، والله لا  
يحب الظالمين}، {وسيعلمُ الذين ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَرِبٍ لَّهُ يُنَقِّبُونَ}.

وما جرى به القضاء في كتاب إحياء علوم [الدين] فقد سبق به العلم في أول التكوين، و (ذلك تقدير العزيز العليم) و [تدبير] القوي الحكيم. ونسأل الله تعالى تدارك العصاة الخاطئين بتبوية ثحيبي منهم ما أماته الذنوب، وترد إليهم عازب الرأي حتى تقر بصوابه القلوب. ولهذا الأمر ما بعده، والله لا يخلف وعده. والقوم قد زلت بهم القدم، وسيحيط بهم الندم {أَفَرَأَيْتَ إِنْ مُتَعَنِّهِمْ سِنِينْ ثُمَّ جَاءَهُمْ مَا كَانُوا يُوعَدُونَ}، {وَلَوْ تَرَى إِذْ فَزَعُوا فَلَا فُوتَ وَأَخْدُوا مِنْ مَكَانٍ قَرِيبٍ}، {وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ كَمَا فَعَلَ بِأَشْيَاعِهِمْ مِنْ قَبْلِ إِنْهُمْ كَانُوا فِي شَكٍ مُرِيبٍ}، وحزب الله هم الغالبون، وحزب الشيطان هم الخاسرون.

فيما إخواني الذين رأيت بعين الخيرة جيل نياتهم وكريم طوباتهم، كانوا قادة الخلق، وأحيوا عادة الحق، وأضروا بصارمه وجه مراغمه، (ولا ترتدوا على أدباركم فتنقلبوا خاسرين) (بل الله مولاكم وهو خير الناصرين)، وإنه لقول فصل وما هو بال Hazel).

وقد بلغني ثبوتكم على دينكم، ومضاواكم على يقينكم، وتلك شنشنة أعرفها من أخزم، ومنقبة من الزمان الأقدم. والله يثبت على الحق أقدامكم، وينهض على عدوكم إقدامكم. ومتى استولت العامة عمها ولم تزعها الخاصة بعدها انتشرت ظلم الباطل وغياباته في آفاق البلاد، وتعددت خدع الشيطان وغواياته إلى أوهام العباد، ففتحت على المستضاء [به] أن يطلع على جهاتها ما يتجلى لها الغاشي.

ولقد حضرتني من النصرة، ولزمتني بالغيبة والحضررة، ما نحوت إليه حاما، واستوليت عليه صاعدا. وأبو حامد الغزالي على الجملة والتفصيل، صاحب نقطة التحصيل ونكتة التوصيل. محمود المقال والفعال، ممدوح الجواب والسؤال. ومعروف المقدار في سائر الأقدار. قد أخذت تصانيفه بنواصي العباد، ووطنت دواوينه صيادي البلاد، فتابع التسليم لها، وتعاضد الإقرار بها. فبأي مبالغة تقع بمثابة العوام، وثغرة الهوام، الذين لم يصحبوا فريقه، ولم يسلكوا طريقه، ولم يتقيبا في بلاده، ولا قاربوه في مراده ومراده، ولا قاموا إليه بسلطان، ولا نهضوا نحوه ببرهان. وقد وقعت على أحواهم الماجمة، فما رأيت بهجة تروق، ولا سمعت لهجة تفوق. وإنما هو انتحاء وانتحال، ومحال في محال. ومسألة واحدة من مسائلهم لم يجدوا إليها دليلا، ولم يأخذوا نحوها سبيلا، ولم يأتوا إليها من باها، ولا نطوا بها سببا من أسبابها. بل لا تسمع

إلا تشنينا مهولاً، وتبشينا مصولاً، وأنفاساً مختلفاً، وأقوالاً متكلفة لا يخفى تلفيقها من جهات، ولا تأليفها عن تردیدات. لا فارس مشيغ يرفع رأيه، ولا مارس مليح يظهر آيه.

وكم من عائب قوله صحيحاً  وآفته من الفهم السقيم

فليت شعري بماذا يهنوون، وإلى ماذا يهتدون، وأفهمهم قاصرة، وأذهانهم حاصرة. نسأل الله رجعتهم  
وتوبة عليهم، وفتحوا مبينا فيهم ونصرًا عزيزاً عليهم.

ولا حول ولا قوة إلا بالله. وسلام عليكم ورحمة الله.<sup>1</sup>"

1- محمد المغراوي: فتوى لأبي الفضل بن النحوى حول إحياء علوم الدين للغزالى، ص-ص: 125-128.

## الملحق رقم (08):

### سؤال أمير المسلمين يوسف بن تاشفين حول الأشعرية و جواب الإمام أبو الوليد ابن رشد عليه:

"سؤال أمير المسلمين، (رضي الله عنه) للقاضي أبي الوليد بن رشد، (رضي الله عنه) ما يقول الفقيه، القاضي الأجل، الأوحد، أبو الوليد - وصل الله توفيقه و تسديده، و نهج إلى كل صالحة طريقة - في الشيخ أبي الحسن الأشعري، و أبي اسحق الاسفرايني، و أبي بكر الباقلاني، ( و أبي بكر ابن فورك، و أبي المعالي) و أبي الوليد الباجي و نظرائهم من يتحل علم الكلام، و يتكلم في أصول الديانات و يصف الرد على أهل الأهواء، أهم أئمة رشاد و هداية، أم هم قادة حيرة و عمایة؟ و ما تقول في قوم يسبوهم ، و ينتقصونهم، و يسبون كل من ينتمي إلى علم الأشعرية، و يكفرونهم و يتبرؤون منهم، و ينحرفون بالولاية عنهم، و يعتقدون أنهم على ضلاله و خائضون في جهالة، ماذا يقال لهم، و يصنع بهم، و يعتقد فيهم، أيترون على أهواهم، أم يكف من غلوائهم، و هل ذلك جرحة في أديانهم، ( و دخل في أيمانهم)، أم لا؟. بين لنا مقدار الأئمة المذكورين، و محلهم من الدين، و أوضح ( لنا) حال المتقصص لهم، و المنحرف عنهم، و حال المتولي لهم، و المحب فيهم، بجملة، مفضلا و مأجورا، إن شاء الله تعالى.

#### الأشعرية هم العلماء على الحقيقة.

فأحابه ابن رشد، رحمه الله: تصفحت، عصمنا الله، و اياك، سؤالك هذا، ووقفت عليه.

و هؤلاء الذين سميت من العلماء أئمة خير، و من يجب الاقتداء بهم، لأنهم قاموا بنصر الشريعة، و أبطلوا شبه أهل الزيف و الضلال، و أوضحاوا المشكلات، و يبنوا ما يجب أن يدان به ( من ) المعتقدات، فهم، بمعرفتهم بأصول الديانات، العلماء على الحقيقة، لعلهم بالله عز وجل، و ما يجب له، و ما يجوز عليه، و ما ينفي عنه، اذ لا تعلم الفروع الا بعد معرفة الأصول.

فمن الواجب أن يعترف بفضائلهم، و يقر لهم بسوابقهم، فهم الذين عنى رسول الله صلى الله عليه وسلم، ( و الله أعلم ) بقوله: " يحمل هذا العلم من كل خلف عدو له، ينفون عنه تحريف الغالين، و انتحال المبطلين، و تأويل الجاهلين "، فلا يعتقد أنهم على ضلاله إلا غبي جاهل، أو مبتدع زاغ، عن الحق مائل، و لا يسبهم، اليهم حلاف ما هم عليه الا فاسق، و قد قال الله عز وجل : (( والذين يؤذون المؤمنين و المؤمنات بغير ما أكتسبوا فقد احتملوا بعثانا و اثما مبينا )) - الأحزاب -58-

فيجب أن يصر الجاهم منهم، و يؤدب الفاسق، و يستتاب المبتدع، الزاغ عن الحق، اذا كان مستهلا بدعته، فان تاب و الا ضرب أبدا، حتى يتوب، كما فعل عمر بن الخطاب رضي الله عنه، بصبيغ المتهم في اعتقاده، من ضرره اياه حتى قال: " يا أمير المؤمنين ان كنت ( تزيد ) دوائي فقد بلغت مني موضع الداء، و ان كنت تزيد قتلي فأجهز علي فخلی سبileه .

و الله أسأله العصمة و التوفيق، برحمته، قاله محمد بن رشد.<sup>1</sup>

### الملحق رقم(09):

سؤال الأمير أبي إسحاق بن علي بن يوسف وجواب ابن رشد عليه:

« وكتب إليه الأمير أبو إسحاق بن أمير المسلمين من مدينة إشبيلية سائلا عن أئمة الأشعريين، هل هم مالكيون أم لا؟ وهل ابن أبي زيد ونظراوه من فقهاء المغرب أشعريون أم لا؟ وهل أبو بكر الباقياني مالكي أم لا؟

الجواب: لا تختلف مذاهب أهل السنة في أصول الديانات، وما يجب أن يعتقد في الصفات ويتأنى عليه ما جاء في القرآن والسنن والآثار من المشكلات، فلا يخرج أئمة الأشعرية بتكلمهم في الأصول واحتصاصهم بالمعرفة بما عن مذاهب الفقهاء في الأحكام الشرعيات التي تحب معرفتها فيها تعبد الله به عباده من العبادات، وإن اختلفوا في كثير منها فتبينت في ذلك مذاهبهم، لأنها كلها على اختلافها مبنية على أصول الديانات التي يختص بمعرفتها أئمة الأشعرية ومن عني بها بعدهم. فلا يعتقد في ابن أبي زيد وغيره من نظرائه أنه جاهم بها، وكفى من الدليل على معرفته بها ما ذكره في صدر رسالته مما يجب اعتقاده في الدين.

وأما أبو بكر الباقياني فهو عارف بأصول الديانات وأصول الفقه على مذهب مالك بن أنس رحمه الله وسائر المذاهب، ولا أقف هل ترجع عنده مذهب مالك على سائر المذاهب لمعرفته بوجود الترجيح أو اعتقاده أنه أصح المذاهب من غير علم فمال إليه، والعالم على الحقيق هو العالم بالأصول والفروع، لا من عني بحفظ الفروع ولم يتحقق بمعرفة الأصول، وبالله التوفيق »<sup>2</sup>

1- أبو الوليد بن رشد الجد : مسائل أبو الوليد ابن رشد، ج 1، ص - ص: 716-718.

2- ابن رشد: مسائل أبي الوليد بن رشد، ج 2، ص 931-932.

### الملحق رقم(10):

#### رسالة أبي بكر محمد بن الوليد الطرطoshi المالكي (520 هـ) إلى ابن المظفر:

"أما ما ذكرت من أمر الغزالي، فرأيت الرجل وكلمته، فوجدتـه رجلاً جليلاً من أهل العلم قد نحضرتـ به فضائلـه، واجتمعـ في العقلـ والفهمـ وممارسةـ العلومـ طولـ عمرـهـ، ثمـ بداـ لهـ الانصرافـ عنـ طريقـ العلماءـ، ودخلـ فيـ غـمارـ العـمالـ، ثمـ تصـوـفـ فـهـجـرـ العـلـومـ وأـهـلـهـ، وـدـخـلـ فيـ عـلـومـ الـخـواـطـرـ، وأـرـيـابـ الـقـلـوبـ، وـوـسـاـوسـ الشـيـطـانـ، ثمـ شـابـهاـ بـآـرـاءـ الـفـلـاسـفـةـ، وـرمـوزـ الـحـلاـجـ، وـجـعـلـ يـطـعنـ عـلـىـ الـفـقـهـاءـ وـالـمـتـكـلـمـينـ، وـلـقـدـ كـادـ يـنـسـلـخـ مـنـ الـدـيـنـ، فـلـمـ عـمـلـ (الـإـحـيـاءـ) عـمـلاـ يـتـكـلـمـ فـيـ عـلـومـ الـأـحـوـالـ، وـمـرـامـ الـصـوفـيـةـ، وـكـانـ غـيرـ درـيـ بـهـاـ وـلـاـ خـبـيرـ بـعـرـفـهـاـ، فـسـقـطـ عـلـىـ أـمـ رـأـسـهـ، فـلـاـ فـيـ عـلـمـاءـ الـمـسـلـمـينـ قـرـ، وـلـاـ فـيـ الـأـحـوـالـ الـزـاهـدـينـ استـقـرـ. ثـمـ شـحـنـ كـتـابـهـ بـالـكـذـبـ عـلـىـ رـسـوـلـ الـلـهـ صـلـ اللـهـ عـلـيـهـ وـسـلـمـ فـلـاـ أـعـلـمـ كـتـابـاـ عـلـىـ وـجـهـ الـبـسيـطـةـ – فـيـ مـبـلـغـ عـلـمـيـ – أـكـثـرـ كـذـبـاـ عـلـىـ رـسـوـلـ الـلـهـ صـلـ اللـهـ عـلـيـهـ وـسـلـمـ مـنـهـ. سـبـكـهـ بـمـذـاـهـبـ الـفـلـاسـفـةـ، وـمـعـانـيـ: ( رسـائـلـ أـخـوـانـ الصـفـاـ )، وـمـاـ مـثـلـ مـنـ قـامـ لـيـنـصـرـ دـيـنـ إـلـاسـلامـ بـمـذـاـهـبـ الـفـلـاسـفـةـ، وـآـرـائـهـ الـمـنـطـقـيـةـ، إـلـاـ كـمـ يـغـسلـ المـاءـ بـالـبـولـ..

ثم يسوق الكلام سوقاً، يرعد فيه ويبرق، يعني ويشوق؛ حتى إذا تشوقت له النفوس، قال ( هذا من علم المعامل، وما وراءه من علم المكاشفة، ولا يجوز تسطيره في كتاب )، أو يقول: ( هذا من سر القدر الذي نهينا عن إفشائه )! وهذا فعل الباطنية، وأهل الدغل والدخل، وفيه تشويش للعقائد، وتهجين لما عليه كلمة الجماعة. فإن كان الرجل يعتقد ما سطره في كتابه، لم يبعد تكفيه، وإن كان لا يعتقد ما سطره، فما أقرب تضليله!

وأما ما ذكرت من إحراق الكتاب بالنار، فإنه إن ترك انتشار بين ظهور من لا معرفة له بسمومه القاتلة، وخيف عليهم أن يعتقدوا صحة ما سطر فيه مما هو ضلال، فيحرق قياساً على ما أحرقتـهـ الصحابةـ رضـيـ اللهـ عـنـهـمـ منـ صـحـائـفـ الـمـصـحـفـ الـتـيـ كـانـ فـيـهـاـ اـخـتـلـافـ الـفـاظـ وـنـقـصـ آـيـ. وـفـيـ دـوـنـهـ مـنـ الـكـتـبـ غـنـيـةـ وكـفـاـيـةـ لـإـخـوـانـاـ الـمـسـلـمـينـ، وـطـبـيقـاتـ الصـالـحـينـ.

وـمـعـظـمـ مـنـ وـقـعـ فـيـ عـشـقـ هـذـاـ الـكـتـابـ رـجـالـ صـالـحـونـ، لـاـ مـعـرـفـةـ لـهـ بـمـاـ يـلـزـمـ الـعـقـلـ وـأـصـوـلـ لـدـيـانـاتـ، وـلـاـ يـفـهـمـونـ إـلـهـيـاتـ، وـمـنـ كـانـ كـذـلـكـ لـمـ يـكـنـ لـهـ أـنـ يـقـفـواـ مـاـ لـيـسـ لـهـ بـهـ عـلـمـ، وـالـسـلـامـ".<sup>1</sup>.

1- ابن الأثير: الكامل، ج 8، ص 294؛ ابن خلدون، تاريخ بن خلدون، ج 6، ص 226.

## الملحق رقم(11):

### عقيدة "المرشدة" لابن تومرت(ت 524هـ/1130م)

نص المرشدة:

بسم الله الرحمن الرحيم

"...اعلم أرشدنا الله وإياك أنه وجب على كل مكلف أن يعلم أن الله عز وجل واحد في ملكه، خلق العالم بأسره، العلوى والسفلى، والعرش والكرسي، والسموات والأرض، وما فيهما وما بينهما، جميع الخلائق مقهورون بقدرته، لا تتحرك ذر إلا بإذنه، موجود قبل الخلق، ليس له قبل ولا بعد، ولا فوق ولا تحت، ولا يمين ولا شمال، ولا أمام ولا خلف، ولا كل ولا بعض، لا يتحصص في الذهن، ولا يتمثل في العين، لا يتصور في الوهم، ولا يتکيف في العقل، لا تتحققه الأوهام، والأفكار، ليس كمثله شيء وهو السميع البصير، ليس معه مدبر في الخلق، ولا له شريك في الملك، حي قيوم، لا تأخذه سنة ولا نوم، عالم الغيب والشهادة، لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء، ويعلم ما في البر والبحر، وما تسقط من ورق إلا يعلمهها ولا حبة في ظلمات الأرض ولا رطب، ولا يابس إلا في كتاب مبين، أحاط بكل شيء علما، وأحصى كل شيء عددا، فعال لما يريد، قادر على ما يشاء، له الملك والغناء، وله العزة والبقاء، وله الحكم والقضاء، وله الأسماء الحسنة، لا دافع لما قضى، ولا مانع لما أعطى، لا يرجو ثوابا، ولا يخاف عقابا، ليس عليه حق، ولا عليه حكم، فكل نعمة منه فضل، وكل نعمة منه عدل، لا يسأل عما يفعل وهم يسألون، لا يقال متى كان؟ ولا أين كان؟ ولا كيف كان؟ كان ولا مكان، كونَ المكان، ودبِّر الزمان، لا يتقييد بالزمان، ولا يتحصص بالمكان، لا يتحقق وهم، ولا يكفيه عقل، ليس كمثله شيء وهو السميع البصير.."<sup>1</sup>.

1- محمد بن تومرت: أعز ما يطلب، ص 226؛ عبد الله كتون: عقيدة المرشدة للهدي بن تومرت، ص-ص: 101-103.

## الملحق رقم(12):

### متن العقيدة البرهانية للسلاطجي (ت 594هـ/1194م).

"بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ"

قال الإمام العالم أبو عمرو عثمان بن عبد الله السلاطجي:

[الحمد لله رب العالمين كما هو أهله. وصل الله على محمد خاتم النبيين وإمام المرسلين وآلهم وأصحابه وسلم تسليماً]

اعلم أرشدنا الله وإياك أن العالم عبارة عن كل موجود سوى الله تبارك وتعالى، وصفات ذاته. ثم إن العالم على قسمين: جواهر هو المتحيز. والعرض هو المعنى القائم بالجوهر.

#### فصل

والدليل على ثبوت الجواهر تناهي الأجسام في انقسامه. فذلك هو الجوهر، لأن القسمة هي الافتراق. والشيء الواحد لا يفارق نفسه. فكل ما تألف معه فهو على حكمه. وبه تفضل الأجسام ببعضها بعضاً، في الكبر والصغر، كالذرة والفيل. لأن ما لا يتناهى لا يفضل ما لا يتناهى وأيضاً فإن ما لا يتناهى يستحيل دخوله في الوجود

#### فصل

والدليل على ثبوت الأعراض تناوب الأحكام الجائزة الطارئة، وتعاقبها على محالها إذ لو كانت واجبة لها لاستحال تبدلها، ولتساوت الجواهر فيها. فاحتصاص كل جوهر بحكم يجوز على مثاله دليل على معنى يخصّصه، ويتعين قيامه به. إذ لو لم يقم به لما كان بإيجاب الحكم له أولى من إيجابه لغيره.

#### فصل

والدليل على حدوث الأعراض طريانها على محالها. وانتفاءها بعد وجودها دليل على حدوثها. إذ لو ثبت قدمها لاستحال عدمها.

#### فصل

والدليل على حدوث الجواهر، أن الجواهر لا تعرى عن الاجتماع والافتراق، والحركة والسكن حوادث. وما لا يعرى عن الحوادث لا يسبقها. كان حادثاً مثلها.

## فصل

والدليل على ثبوت الصانع. أن العالم جائزٌ وجوده، وجائزٌ عدمه. ولا عدمه بأولى من وجوده. فلما اختص بالوجود بدلاً عن العدم المجوز، افتقر إلى مختص. وهو الفاعل المختار.

## فصل

والدليل على قدم الصانع، أنه لو كان حادثاً، لافتقر إلى محدثٍ أحدهه. وكذلك القول في محدثة. وذلك يؤدي إلى التسلسل. والتسلسل يؤدي إلى نفيها. ونفيها مع وجودنا محال. وما أفضى إلى محال فهو محال. فوجب أن يكون قدماً.

## فصل

والدليل على أنه تعالى قائم بنفسه، وجوبُ اتصافه بأنه حي، عالم، قادر. والصفة لا تتصف بالأحكام التي توجبها المعاني. فلما وجب اتصافه تعالى بها حتماً، وجب أن يكون قائماً بنفسه.

## فصل

والدليل على أنه تعالى مخالف للحوادث، هو أن المثنين كل موجودين متساوين في جميع صفات النفس. والرب تعالى مقدس عن سمات الجواهر والأعراض. فوجب أن يكون مخالفًا لها. وذلك أن الجوهر حقيقته المتيح. والمتيح يجوز عليه الاختصاص ببعض الجهات. والمحاذيات. وذلك يدل على حدوثه. والموصوف بالقدم لا يتصرف بما يدل على حدوثه. وأيضاً أن الجوهر هو القابل للأعراض. وذلك يدل على حدوثه. والموصوف بالقدم لا يتصرف بما يدل على حدوثه. [وأيضاً أن الجوهر يجوز عليه التأليف. والتركيب يدل على حدوثه. والموصوف بالقدم لا يتصرف بما يدل على حدوثه]. وأما العرض فحقيقة ما يقوم بالجوهر. وذلك يدل على افتقاره إلى محل. والرب تعالى متعال عن الافتقار على الإطلاق. والعرض لا يبقى زمانياً. والرب تعالى قدس. وما ثبت قدمه استحال عدمه. والعرض لا يتصرف بالأحكام التي توجبها المعاني. والرب تعالى موصوف بها حتماً. فتقرر بمجموع ما ذكرنا نقدس رب سبحانه عن سمات الحوادث. فوجب أن يكون مخالفًا لها.

## فصل

والدليل على أنه تعالى عالم، قادر، استحالة صدور الفعل الرصين، الحكم، المتيين، المتقن من غير عالم ولا قادر. وثبتت لطائف الصنع، وما تتصرف به السماوات، والأرضون، وما بينهما من الانتظام والإتقان

دليل على أنه تعالى عالم قادر. ثم اختصاص الأفعال بأوقاتها، وخصائص صفاتها بدلًا عن نمائضها الجائزة عليها دليل على أنه تعالى مريد. وثبتت هذه الصفات دليل على أنه تعالى حي لاستحالة ثبوت المشروع مع انتفاء شرطه. ثم الحي يجوز أن يكون سماعاً، بصيراً أو مؤوفاً وكذلك القول في الكلام والإدراك، إذ كل قابل لنقيضين، لا واسطة بينهما يستحيل أن يعرى عندهما. فلما استحال النمائض على البارئ تعالى قطعاً، وجوب أن يكون سماعاً بصيراً متكلماً مدركاً.

### فصل

والدليل على ثبوت الصفات الأزلية العلة والحقيقة، فمهما ثبت حكم معلم بعلة، وجوب طردها شاهداً وغائباً. إذ لو جاز ثبوته من غير علة لوجوبه، لجاز ثبوت العلة من غير حكمها لوجوبها. وقد تقرر في الشاهد أن كون العالم عالماً معلم بالعلم، وكذلك القول في الحقيقة؛ فمهما ثبتت حقيقة في محقق، وجوب طردها شاهداً وغائباً. وقد تقرر في الشاهد أن حقيقة العالم من قام به العلم. إذ لو لم يقم به، لما كان بإيجاب الحكم له أولى من إيجابه لغيره. وكذلك القول في جميع الصفات. فخرج من ذلك أن البارئ سبحانه حي بحياة قديس، عالم بعلم قديس، قادر بقدرة قديمة، مريد بإرادة قديمة، سميع بسمع قديس، بصير ببصر قديس، متكلم بكلام قديس، مدرك بإدراك قديس. إذ الموصوف بالقدم لا يتصرف بما يدل على حدوثه.

### فصل

والدليل على وحدانيته تعالى، أنا لو قدرنا إلهين، وقدرنا من أحدهما إرادة حركة جسم في محل واحد. في وقت واحد، ومن الثاني إرادة تسكينه في تلك الحال بعينها، لم يخل [من ثلاثة أحوال] إما أن تنفذ إرادتهما جميماً. أو لا تنفذ إرادتهما جيماً. أو تنفذ إرادة أحدهما دون الثاني. ومحال أن تنفذ إرادتهما جيماً، لاستحالة اجتماع الضدين، ومحال ألا تنفذ إرادتهما جيماً لاستحالة عرو محل عن الشيء ونقيضه، ومحال أن تنفذ إرادة أحدهما دون الثاني، إذ في ذلك تعجيز من لم تنفذ إرادته. والعجز ينافي الإلهية، لأن العجز لا يكون إلا عرضاً، وقيام العرض بالقديم محال. وما أفضى إلى الحال كان محالاً. وكذلك القول في الاتفاق لأن اتفاقهما مشروع بجواز عدمهما؛ وما ثبت قدمه استحال عدمه. فخرج من ذلك أن الفعل ينافي الإلثنينية في وصف الألوهية، كما قال تعالى: {لو كان فيهما آله إلا الله لفسدتا} [الأنبياء: آية 22] وقال: {ذلكم الله ربكم خالق كل شيء لا إله إلا هو} [غافر: آية 62] وقال: {ليس كمثله شيء وهو السميع البصير} [الشوري: آية 11]

## فصل

والدليل على استحالة تناهي المقدورات جواز وقوع أمثال ما وقع. والجائز لا يقع بنفسه. وفي فصر القدرة عليه استحال وقوعه. وذلك يؤدي إلى جمع الاستحال والإمكان فيما علم فيه الإمكان، وكذلك المعلومات، والمرادات، ومتعلقات الكلام.

## فصل

والدليل على جواز رؤيته تعالى أن الإدراك شاهدا يتعلق بالمخالفات لا يقول احتلافها إلى وجودها، وإنما يقول إلى أحوالها. والإدراك لا يتعلق بالأحوال، إذ كل ما يرى ويميز عن غيره في حكم الإدراك فهو ذات على الحقيقة، والأحوال ليست بذوات. فإذا رأى موجود لزم تحويل رؤية كل موجود.

## فصل

ومن الجائزات خلق الأفعال؛ فلا يجب على الله تعالى فعل، ولا يتحتم عليه ثواب [ولا عقاب]. فالثواب منه فضل. والعقاب منه عدل. يخص من يشاء {لا يسأل عما يفعل وهم يسألون} [الأنبياء] آية 22

## فصل

و من الجائزات انبعاث الرسل وتأييدهم بالمعجزات، ولها شرائط؛ منها أن تكون [فعلا لله] خارقة للعادة، وأن يقع بها التحدي، وأن تكون موافقة للدعوى، وأن يعجز المتحدون من المعارضة والإتيان بمثلها.

## فصل

ومن أحكام الأنبياء عليهم السلام وجوب العصمة لما ينافق مدلول المعجزات عقلا، وعن ما سواها من الكبائر إجماعا. وقد تحدى سيد الأولين والآخرين محمد صل الله عليه وسلم بضروب من المعجزات، منها القرآن العظيم، وانشقاق القمر، ونطق العجماء، وتكتير القليل، ونبع الماء من بين أصابعه عليه السلام، وأنباءه عن الغيب التي لا يتوصل إليها إلا بالوحى، فظهرت موافقة لدعوه، وامتنعت المعارضة من الخلاقين وكل ذلك معلوم ضرورة، فوجب الإيمان بما جاء به صل الله عليه وسلم من الحشر، والنشر، وعذاب القبر، وسؤال منكر ونكير، والصراط، والميزان، والحوض، والشفاعة وأنباء الآخرة جملة وتفصيلا.

وأن جملة أحكام التكليف وقضايا التحليل والتحريم، والتحسين والتقبیح، متلقاة منه عليه السلام، لا مجال للعقل فيها. وأن أصول الأحكام: الكتاب، السنة، والإجماع وما اجتمعت عليه الأم وعلماء الأم فهو حق لا يجوز العدول عنه. ومشاققهم فسق وضلال. فمما اجتمعت عليه الأمة وجوب التوبة عند مفارقة الذنب. وهي على الفور، لا تجوز الفسحة فيها. وحقيقة الندم. لأجل ما فات من رعاية حقوق الله تعالى. فإذا توفرت عليه شرائطها فقد وعد قبولاً. ومن مات وقد فارق كبيرة ولم يوفق إلى التوب، فأمره الله تعالى، إن شاء عفا عنه، أو شفع فيه شفيعاً، أو عاقبه مدة وأدخله الجنة. وأن الإيمان هو التصديق. فمن صدق الله يقلبه فهو مؤمن.

### فصل

ومن المأذنات عقد الإمامة ولها شرائط: منها أن يكون الإمام قرشياً، مجتهداً مفتياً، وأن يكون ذا كفاية ونجدة عند نزول الدواهي والملمات. وليس من شرطها أن يكون منصوصاً عليه بل تثبت نصاً واجتهاداً. فهذا ما اجتمعت عليه الصحابة رضي الله عنهم أجمعين.

### فصل

وأفضل الناس بعد نبيهم أبو بكر، ثم عمر ثم تعارضت الظنون في عثمان وعلى رضي الله عنهم. فهم الخلفاء الراشدون المهديون حشرنا الله في زمرتهم.

فهذه عقيدة أهل السنة تلقاها الخلف عن السلف لا يسع أحد جهلهما. أعنانا الله على القيام بها والرعاية بحقوقها، ولا حول ولا قوة غلا بالله العلي العظيم، فهو حسيناً، ونعم الوكيل. وصل الله على سيدنا محمد وآله وسلم تسليماً.<sup>1</sup>

1- يوسف أحناة: تطور المذهب الأشعري في الغرب الإسلامي، ص-ص: 247-252؛ جمال علال البختي: عثمان السلاجبي و مذهبيه الأشعرية، ص-ص: 559-565.

# قائمة المصادر والمراجع.

### 1- المصادر العربية:

1- القرآن الكريم، برواية حفص، مطبعة محمد هاشم الكتبى، دمشق، 1411هـ.

\* ابن الأبار أبو عبد الله بن محمد بن أبي بكر القضايعي (ت 1260/658هـ):

2- التكملة لكتاب الصلة، تحقيق: عزة العطار الحسيني، ج 1، ج 2، نشر في مكتبة الثقافة الإسلامية: القاهرة، 1956م.

3- الحلقة السيراء، تحقيق، حسين مؤنس، دار المعارف، القاهرة ب.ت.

\* ابن أبي دينار محمد بن أبي القاسم الرعاعي (حي في: أواخر القرن 11/17هـ):

4- المؤنس في أخبار إفريقيا وتونس، تحقيق: محمد شمام، ط 2، المكتبة العتيقة، تونس، 1967م

\* ابن أبي زرع علي الفاسي (كان حيا سنة 726هـ / 1326م):

5- الأنیس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس ، ج 2، دار المنصور للطباعة والوراقه ، الرباط ، 1972

\* ابن إسحاق محمد بن يسار المطلي المدنی (ت 768/151هـ):

6- السيرة النبوية، تحقيق أحمد فريد المزیدي، ج 1، ط 1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 2004.

\* ابن الأثير عز الدين أبي الحسن علي بن أبي مكرم (ت 1232/630هـ):

7- أسد الغابة في معرفة الصحابة، ج 2، ج 3، ج 7، دار الكتب العلمية، بيروت، (د.ت).

8- الكامل في التاريخ، تحقيق محمد يوسف الدقاد ، ج 5، ج 7، ج 8، ج 9، ج 10، ط 1 ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، 1987 .

\* ابن الأحمر إسماعيل (ت 810هـ / 1407م):

9- بيوتات فاس الكبرا، دار المنصور للطباعة و الوراقه، الرباط، 1972.

\* ابن الأهذل الحسين ابن عبد الرحمن (ت 1451/855هـ):

10- كشف الغطاء عن حقائق التوحيد و عقائد الموحدين و ذكر الأشعريين و بيان حال ابن عربي و أتباعه المارقين، تحقيق: أحمد بكير، الإتحاد العام التونسي ، تونس، (د- ت)

\* ابن الجوزي أبو الفرج عبد الرحمن بن علي (ت 1200/597هـ):

## قائمة المصادر و المراجع

- 11- المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، تحقيق: محمد عبد القادر عطاء، مصطفى عبد القادر عطاء، ج 11، ط 1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1992.
- 12- مناقب الإمام أحمد بن حنبل، ط 1، دار الآفاق الجديدة، بيروت، 1973م
- 13- مناقب الإمام أحمد بن حنبل، تحقيق عبد الله بن عبد المحسن التركي، ط 2، هجر للطباعة و النشر والتوزيع، الجيزة، 1409هـ
- 14- صيد الخاطر، تحقيق محمد عبد الرحمن عوض، دار الكتاب العربي، بيروت، 2004م
- \* ابن الخطيب لسان الدين محمد بن عبد الله سعيد(ت 776/1374) :
- 15- معيار الاختيار في ذكر المعاهد والديار ، تحقيق : محمد كمال شبانة ، مكتبة الثقافة الدينية ، القاهرة ، 2002
- 16- أعمال الأعلام فيمن بويغ قبل الاحتلال من ملوك الإسلام، تحقيق، ليفي بروفنسال، ط 2، دار المكشوف، بيروت، لبنان، 1956م
- 17- تاريخ المغرب العربي في العصر الوسيط، القسم الثالث من كتاب أعمال الأعمال، تحقيق و تعليق: أحمد مختار العبادي و محمد إبراهيم الكتاني، دار الكتاب العربي، الدرا البيضاء، المغرب، 1964
- 18- الإحاطة في أخبار غرناطة، تحقيق: محمد عبد الله عنان، ج 1 ، ط 2 ، مكتبة الخناجي، القاهرة، 1973م
- \* ابن الزيات أبي يعقوب بن يحيى التادلي(618هـ/1221م):
- 19- التشوف إلى رجال التصوف وأخبار أبي العباس السبتي، تحقيق أحمد توفيق، ط 2، كلية الآداب الرباط، 1997.
- \* ابن الصغير المالكي (كان حيا في القرن 9هـ/3):
- 20- أخبار الأئمة الرستميين، تحقيق: محمد ناصر و إبراهيم بجاز، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1986
- \* ابن العربي أبو بكر محمد بن عبد الله(ت 543/1148):
- 21- العواصم من القواسم، تحقيق: عمار طالبي ( نشره بعنوان آراء ابن العربي الكلامية)، ج 1 ، ج 2، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، (ب - ت)
- \* ابن العماد الحنبلي أبو الفلاح عبد الحي(ت 1089/1678):

## قائمة المصادر و المراجع

- 22- شذرات الذهب في أخبار من ذهب، ج 3، المكتب التجاري للطباعة و النشر، بيروت، (د- ت)
- \* ابن الفرضي أبو الوليد عبد الله بن محمد(ت 403/1012):
- 23- تاريخ علماء الأندلس، ج 2، الدار المصرية للتأليف والترجمة، القاهرة، 1966م.
- 24- تاريخ علماء الأندلس، تحقيق إبراهيم الأبياري، ج 1، ط 2، دار الكتاب المصري (مصر) و دار الكتاب اللبناني (بيروت)، 1989.
- \* ابن القاضي المكناسي أحمد(ت 1025/1616):
- 25- جذوة الاقتباس في ذكر من حل من الأعلام مدينة فاس، ج 1، ج 2، دار المنصور للطباعة و الوراقة، الرباط، 1973.
- \* ابن القطان علي بن محمد الفاسي(ت 628/1230):
- 26- نظم الجمان في أخبار الزمان، تحقيق: محمد علي مكي، ط 1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1990.
- \* ابن النديم أبو الفرج محمد بن أبي يعقوب اسحاق الوراق(ت 380/990):
- 27- الفهرست، تحقيق رضا تحدد، ب.ن، 1971.
- \* ابن الوردي زين الدين (ت 749/1348):
- 28- تتمة المختصر في أخبار البشر، تحقيق: احمد البدراوي، ج 1، دار المعرفة، بيروت، (د. ت)
- \* ابن إياس محمد بن أحمد الحنفي(ت 930/1523):
- 29- بدائع الزهور في وقائع الدهور، ج 1، مطبع الشعب، القاهرة، 1960م
- \* ابن بشكوال أبو القاسم خلف بن عبد الملك(ت 578 هـ/1182 م):
- 30- الصلة، ج 2، الدار المصرية للتأليف و الترجمة، القاهرة، 1966.
- \* ابن تيمية أبي العباس تقي الدين(ت 728 هـ/1327 م):
- 31- منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة القدري، تحقيق: محمد رشاد سالم، ج 7، ج 8 (د.ن) (د.م)، 1996.
- 32- بجموع الفتاوي، تحقيق عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، ج 3، ج 11، مجمع الملك فهد للطباعة المصحف الشريف، المدينة المنورة ، السعودية، 1995

## قائمة المصادر و المراجع

- 33- الإيمان الأوسط ، تحقيق محمود أبو سن أبو يحيى ، ط 1 ، دار طيبة ، الرياض ، المملكة العربية السعودية ، 1424 هـ
- 34- الفتوى الحموية الكبرى، ط 4، المكتبة السلفية، القاهرة، 1401 هـ
- \* ابن حزم أبي محمد علي بن أحمد الأندلسي (ت 456 هـ/1064 م):
- 35- جمهرة أنساب العرب ، تحقيق : عبد السلام محمد هارون ، ط 5 ، دار المعارف ، القاهرة ، 1982
- 36- الفصل في الملل و الأهواء و النحل، تحقيق محمد ابراهيم نصر و عبد الرحمن عميرة، ج 4، ط 2، دار الجيل، بيروت، 1996
- \* ابن حوقل النصيبي أبي القاسم (ت 368/978 م):
- 37- صورة الأرض، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان، 1992.
- \* ابن خلدون أبو زكريا عبد الرحمن بن محمد (ت 808/1405 م):
- 38- تاريخ ابن خلدون ، المسمى ديوان المبتدأ و الخبر في تاريخ العرب و البربر و من عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، مراجعة سهيل زكار، ج 1، ج 2، ج 3، ج 4، ج 5، ج 6، دار الفكر للطباعة و النشر و التوزيع، بيروت، لبنان، 2000
- 39- المقدمة، دار العودة، بيروت، 1981 م.
- \* ابن خلدون يحيى بن أبي بكر (ت 780/1378 م):
- 40- بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد، تحقيق عبد الحميد حاجيات، ج 1، المكتبة الوطنية، الجزائر 1400 هـ/1980.
- \* ابن خلكان أبي العباس شمس الدين (ت 681 هـ/1282 م):
- 41- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ، تحقيق: إحسان عباس، ج 1، ج 2، ج 3، ج 4، ج 5، دار صادر، بيروت، 1968.
- \* ابن دحية ذو النسبين أبو الخطاب عمر بن حسن (ت 633 هـ / 1235 م) :
- 42- المطرب في أشعار أهل المغرب، تحقيق إبراهيم الأبياري، القاهرة، 1954
- \* ابن دريد أبو بكر محمد بن الحسن (ت 321/933 م):
- 43- جمهرة اللغة، تحقيق: منير بعلبكي، ج 2، دار العلم للملايين، بيروت، 1987

- \* ابن رشد أبو الوليد محمد بن أحمد(ت 520/1126) :
- 44- الكشف في المناهج والأدلة عن عقائد الملة، تقديم و تحقيق: محمد عابد الجابري، ط 1 ، مركز الدراسات الوحيدة العربية، بيروت، 1998.
- 45- مسائل أبي الوليد ابن رشد، تحقيق محمد الحبيب التجكاني، الدار البيضاء، دار الآفاق الجديدة، ج 1، ج 2، ط 1، 1992.
- \* ابن صاحب الصلاة أبو مروان عبد الملك بن محمد الباقي (ت 594 هـ / 1198 م) :
- 46- تاريخ المن بالإمامية على المستضعفين بأن جعلهم الله أئمة وجعلهم الوارثين، تحقيق، عبد الهادي التازي، ط 1، دار الأندلس للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، 1964 م
- \* ابن عبد ربه الأندلسي أحمد بن محمد (ت 327/938) :
- 47- العقد الفريد ، ج 1 ، ط 3، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، 1987 م
- \* ابن عذاري المراكشي أبو العباس احمد بن محمد المراكشي(كان حيا 712 هـ / 1312 م) :
- 48-البيان المغرب في أخبار الأندلس و المغرب ،تحقيق: ج.س.كولان و إ. ليفي بروفنسال، ج 1، ج 2، ج 3، ط 3، دار الثقافة، بيروت، لبنان، 1983
- 49- البيان المغرب في أخبار الأندلس و المغرب ( قسم الموحدين)، تحقيق محمد إبراهيم الكتاني و آخرون، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، 1985
- \* ابن عساكر أبي القاسم علي بن الحسن بن هبة الله(ت 571 هـ / 1175 م) :
- 50- تبيين كذب المفترى فيما نسب إلى الإمام أبي الحسن الأشعري، تحقيق: احمد حجازي السقا، ط 1، دار الجيل، بيروت، 1990 م.
- \* ابن فارس أحمد بن فارس بن زكرياء(ت 395/1004) :
- 52- معجم مقاييس اللغة، تحقيق عبد السلام محمد هارون، ج 2، ط 1، دار الجيل، بيروت، 1991
- \* ابن فردون المالكي أبو إسحاق إبراهيم بن علي(ت 799/1397) :
- 53- الديجاج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب، تحقيق مأمون بن محي الدين الجنان، دار الكتب العلمية، بيروت، 1996
- \* ابن قنفاذ القسطنطيني أبو العباس أحمد الخطيب(ت 810 هـ / 1407 م) :

## قائمة المصادر و المراجع

- 54- أنس الفقير و عز الحقير، نشر محمد الفاسي و أدولف فور، منشورات المركز الجامعي للبحث العلمي، الرباط، 1965.
- 55- الوفيات، تحقيق : عادل نويهض، المكتب التجاري للطباعة و النشر و التوزيع، بيروت، (د- ت)
- \* ابن كثير عماد الدين أبو الفداء إسماعيل ابن عمر(ت 744/1272) :
- 56- البداية والنهاية ، ج 7 ، ط 6 ، مكتبة المعرف ، بيروت ، لبنان ، 1985 م
- \* ابن مريم أبو عبد الله محمد(ت 1014هـ/1605م) :
- 57- البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان، مراجعة محمد بن أبي شنب، المطبعة الشعالية، الجزائر، 1907
- \* ابن منظور الإفريقي المصري محمد بن مكرم(ت 711/1311) :
- 58- لسان العرب، ج 11، ج 2، دار صادر، بيروت، د.ت
- \* ابن هشام أبو محمد عبد الملك(ت 218/833) :
- 59- السيرة النبوية، تحقيق مصطفى السقا و آخرون، ج 1، ط 2، تراث الإسلام، القاهرة، ب.ت
- \* أبو زكريا يحيى بن أبي بكر(ت 471/1078) :
- 60- سير الأئمة الرستميين و أخبارهم، تحقيق: إسماعيل العربي، ط 3 ،ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1984
- \* أبو شامة شهاب الدين أبو محمد عبد الرحمن(ت 665/1266) :
- 61- الروضتين في أخبار الدولتين النورية و الصلاحية، تحقيق: محمد حلمي، محمد أحمد، ج 1، مطبعة لجنة التأليف و الترجمة، القاهرة، 1956
- \* أبي العرب محمد بن أحمد بن تميم(ت 333/945) :
- 62- طبقات علماء افريقية، دار الكتاب اللبناني ، بيروت ، لبنان ، ب.ت
- \* أبي الفداء المؤيد عماد الدين إسماعيل بن علي(ت 732/1331) :
- 63- المختصر لأنباء البشر، تحقيق محمد زينهم محمد عزب و آخرون، تقديم حسين مؤنس، ج 1، ط 1 ،دار المعارف، مصر، 1998.
- \* الإدريسي أبو عبد الله محمد بن محمد الحسني السبتي (ت 560 هـ / 1165 م) :

## قائمة المصادر و المراجع

- 64- المغرب وأرض السودان ومصر والأندلس — من كتاب نزهة المشتاق في إختراق الآفاق - ، طبعة ليدن ، 1866
- 65- القارة الإفريقية وجزيرة الأندلس، مقتبس من كتاب نزهة المشتاق، تحقيق، إسماعيل العربي، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1983 م
- \* الأشعري أبي الحسن علي بن إسماعيل(ت935/324):
- 66- الإبانة في أصول الديانة، تحقيق: عباس الصباغ، ط1، دار النفائس، بيروت، 1997 م
- 67- مقالات الإسلاميين و اختلاف المسلمين، تحقيق محمد محي الدين، تعليق أحمد فهيمي، ج1، ط2، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، 1992
- \* الأصبهي مالك بن أنس(ت197/795):
- 68- المدونة الكبرى، ج1، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1994.
- \* الإيجي عبد الرحمن بن أحمد(ت756هـ/1355م):
- 69- المواقف في علم الكلام، عالم الكتب، بيروت، لبنان، ب.ت.
- \* الباقلاني أبو بكر محمد بن الطيب(ت403/1012):
- 70- كتاب التمهيد، تحقيق: ريتشرد يوسف مكارثي، المكتبة الشرقية، بيروت، 1957 م
- \* البخاري أبي عبد الله محمد بن إسماعيل(ت256/869):
- 71- صحيح البخاري، ط1، دار ابن كثير للطباعة و النشر و التوزيع، دمشق- بيروت، 1423هـ/2002 م.
- \* البغدادي أبي منصور عبد القاهر بن طاهر بن محمد(ت 429 هـ/1037م):
- 72- الفرق بين الفرق، تحقيق محمد بن عثمان الخشت، مكتبة ابن سينا، القاهرة، 1988 .
- \* البكري أبي عبيد ( ت 487 هـ / 1094 م ):
- 73- المغرب في ذكر بلاد افريقيا و المغرب ( جزء من كتاب المسالك و الممالك)، دار الكتاب العربي، القاهرة، ب.ت.
- \* البيدق أبو بكر بن علي الصنهاجي ( ت 555 هـ / 1160 م ):
- 74- أخبار المهدى بن تومرت وبداية دولة الموحدين، دار المنصور للطباعة و الوراقة، الرباط، 1971 م

## قائمة المصادر و المراجع

\* التبكتي أحمد بابا(ت 1036 هـ/1626 م):

75- نيل الابتهاج في تطريز الديجاج، تقدم عبد الحميد عبد الله المرامه، ج 1 و 2، ط 1، منشورات كلية الدعوة الإسلامية، طرابلس، 1989

\* الجرجاني الشريف (ت 1413/816):

76- شرح المواقف في علم الكلام، الموقف الخامس في الإلهيات، تحقيق: احمد المهدى، مكتبة الأزهر، القاهرة، ب.ت.

\* الحموي بن عبد الله ياقوت(ت 626هـ/1228م):

77- معجم البلدان ، ج 2 ، ج 4 ، ج 5 ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، لبنان ، د ت

\* الحميدي أبو عبد الله بن محمد بن أبي نصر(ت 488/1192):

78- جذوة المقتبس في ذكر ولادة الأنجلوس، الدار المصرية للتأليف، القاهرة، 1966 م.

\* الحميري أبو عبد الله محمد بن عبد المنعم الصنهاجي السبتي (ت 727 هـ/1327 م) :

79- الروض المعطار في خبر الأقطار ، تحقيق : إحسان عباس ، ط 1 ، مكتبة لبنان ، بيروت ، 1975

\* الخشنبي محمد بن العارث بن أسد(ت 361 هـ/971 م):

80- طبقات علماء افريقية، دار الكتاب اللبناني ، بيروت، ب.ت.

\* الخوارزمي أبو بكر جمال الدين (ت 232 هـ / 846 م ) :

81- السلطان وأسرار الوزارة ، تحقيق : السحاب أحمد الطحان ، ط 1 ، دار الكلمة ، مصر ، 2001

\* الخياط أبو الحسن (ت 1058/540):

82- الانتصار و الرد عن ابن الروندي الملحد، تحقيق نبيرج، ط 2، الدار العربية للكتاب، بيروت، لبنان، 1993.

\* الدباغ أبو زيد عبد الرحمن بن محمد الأنصاري ( ت 699 هـ 1299 م ):

83- معلم الإيمان في معرفة أهل القيروان، تحقيق محمد الأحمدي أبو النور، و محمد ماضور، ج 1، ج 2، مكتبة الحاخنجي (مصر) و المكتبة العتيقة (تونس)، 1972.

\* الذهبي أبي عبد الله شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان أبو عبد الله(ت 347/958):

## قائمة المصادر و المراجع

- 84- ميزان الاعتدال في نقد الرجال، ج3، تحقيق: محمد بركات، دار الرسالة العلمية، (د.م)، 2009.
- 86- سير أعلام البلاء، تحقيق شعيب الأزاوط، ط2، مؤسسة الرسالة، 1982م، ج1، ج7، ج8، ج10، ج11، ج14، ج18، ج19، ج20.
- \* الرازي فخر الدين أبو عبد الله محمد(ت1209/606):
- 87- محصل أفكار المتقدمين و المتأخرين من العلماء و الحكماء و المتكلمين، بذيله تلخيص المحصل : نصر الدين الطوسي، راجعه: عبد الرؤوف سعد، مكتبة الكليات الأزهرية، (ب.ت).
- 88- اعتقادات فرق المسلمين و المشركين، مراجعة علي سامي النشار، القاهرة، 1938 \* الرضي الشيرفي(ت1015/406):
- 89- نجح البلاغة من كلام علي بن أبي طالب، تحقيق: صبحي الصيالح، (د.ن)، (د.م)، (د.ت). \* الربيدى، أبو بكر محمد بن الحسين الأندلسى(ت989/379):
- 90- تاج العروس من جواهر القاموس، ج 9، المطبعة الخيرية، (د - م) 1928م.
- \* الزركشى أبو عبد الله محمد بن ابراهيم(كان حيا سنة 894 ه / 1489 م ):
- 91- تاريخ الدولتين الموحدية و الحفصية، تحقيق: محمد ماضور، ط 1، المكتبة العتيقة، تونس، 1966.
- \* الزمخشري محمود بن عمر(ت538/1143):
- 92- أساس البلاغة، ط1، دار النفائس، بيروت، 1992.
- \* السبتي ابن خمير(ت 614/1217):
- 93- مقدمات علم المرشد إلى علم العقائد، تقديم و تحقيق جمال علال البختي، ط1، مطبعة الخليج العربي، تطوان، 1425هـ-2004م
- \* السبكي أبو نصر عبد الوهاب بن تقى الدين(ت 771 هـ/1311 م):
- 94- طبقات الشافعية الكبرى، تحقيق: عبد الفتاح محمد الحلو، محمود محمد الطناوى، ج 1، ج 3، مطبعة عيسى الباقي الحلبي، (ب - م)، 1964
- \* السخاوي شمس الدين محمد بن عبد الرحمن(ت 902/1497):
- 95- الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، ج 1، دار مكتبة الحياة، بيروت، ب. ت
- \* السكوني عمر(ت 717/1317):

## قائمة المصادر و المراجع

- 96- عيون المنازرات، تحقيق سعد غراب، منشورات الجامعة التونسية، 1976.
- \* السيوطي جلال الدين (ت 1501/911):
- 97- تاريخ الخلفاء" الخلافة الراشدة إلى سنة 903هـ، تحقيق: رضوان جامع رضوان، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، القاهرة، 2004م
- 98- طبقات الحفاظ، ط 1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1983
- \* الشهرياني أبو الفتح محمد بن عبد الكريم بن أبي بكر (ت 1153/548):
- 99- الملل والنحل، تصحيح وتعليق أحمد فهمي محمد، ج 1، ط 2، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1992.
- 100- الملل والنحل، تحقيق أحمد فتحي محمد، ج 1، ط 1، دار السرور، 1948.
- \* الضبي احمد بن يحيى بن عميرة (ت 599 هـ / 1202 م):
- 101- بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس، مكتبة المثنى، بغداد، مؤسسة الخانجي، مصر، 1884م.
- \* الطبراني ابن جرير أبي جعفر محمد بن جرير (ت 922/310):
- 102- صحيح وضعيف الطبراني، تحقيق محمد بن طاهر البرزنجي، ج 8، دار ابن الكثير، بيروت 2007،
- 103- تاريخ الرسل والملوك، تحقيق أبي الفداء عبد الله القاضي، ج 3، ط 1، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، 1987.
- \* العسقلاني ابن حجر أحمد بن علي (ت 1371/773):
- 104- فتح الباري بشرح صحيح البخاري، ج 14، دار الفكر، بيروت، 1993
- 105- تهذيب التهذيب، ج 6، ط 1، دار صادر، بيروت ، 1326هـ
- 106- لسان الميزان، ج 2، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، 1971
- \* الغزوي أبو العباس أحمد بن عبد الله (ت 1315/714):
- 107- عنوان الدرية فيما عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية، حققه وعلق عليه عادل نويهض، ط 2، منشورات درا الأفاق الجديدة، بيروت، 1979م
- \* الغزالى أبو حامد (ت 1111/505):

## قائمة المصادر و المراجع

- 108- إحياء علوم الدين ، تحقيق : السحاب الطحان و عبد الله المنشاوي، ج 1 ، ط 1 ، مكتبة الإيمان ، القاهرة ، 1996
- 109- المنقد من الضلال، تحقيق عبد الكريم المراق، الدار التونسية للنشر، الجزائر، 1984 .
- 110- الاقتصاد في الاعتقاد، تحقيق محمد مصطفى أبو العلاء، مكتبة الجندي، مصر، 1972
- 111- سر العالمين و كشف ما في الدارين، الجموعة السادسة من رسائل الإمام الغزالي ، ط 1 ، دار الكتب العلمية، بيروت، 1988.
- \* الفاسي التميمي أبي عبد الله محمد بن عبد الكريم(ت 603-604/1207):
- 112- المستفاد في مناقب العباد بمدينة فاس و ما يليها من البلاد، تحقيق محمد الشريف ، منشورات كلية الآداب و العلوم الإنسانية ، تطوان ، 2002.
- \* الفاسي ، عبد الكبير بن المجدوب (ت 1295 هـ / 1878 م) و الخطيب القسنطيني ،  
احمد بن حسن (ت 810 هـ / 1407 م) :
- 113- تذكرة المحسنين بوفيات الأعيان وحوادث السنين ، تحقيق محمد حجي ، ط 1 ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت 1996 .
- \* الفيروز آبادي محمد يعقوب(ت 817/1414):
- 114- القاموس المحيط، ج 1، ح 4، دار الجليل، بيروت، د.ت
- \* القيرواني أبو محمد عبد الله بن أبي زيد(ت 386/996):
- 115- الرسالة في فقه الإمام مالك، ضبطه و صححه الشيخ عبد الوراث محمد علي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، (ب.ت).
- \* الكتاني محمد بن جعفر بن إدريس(ت 596هـ/1199م) :
- 116- سلوة الأنفاس و محادثة الأكياس بن قبر من العلماء و الصالحة بفاس، حققها ووضع فهارسها الشريف محمد حمزة الكتاني، ج 2، ح 3، طبع على الحجر بفاس، 1316هـ.
- \* المالكي أبي بكر عبد الله بن محمد(ت 483/1090):
- 117- رياض النفوس، تحقيق بشير البكوش، مراجعة: محمد العروسي المطوي، ج 1، ط 1 ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، لبنان ، 1983 .

- \* المراكشي أبو محمد بن علي التميمي عبد الواحد(ت 647 هـ / 1249 م) :
- 118- المعجب في تلخيص أخبار المغرب ، تحقيق : عمران المنصور ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، 1998 ،
- 119- وثائق المرابطين و الموحدين، تحقيق: حسين مؤنس، ط 1، مكتبة الثقافة الدينية، بورسعيد، 1997.
- \* المراكشي أبي عبد الله محمد بن عبد الملك(ت 703/1303) :
- 120- الذيل و التكملة، تحقيق إحسان عباس، السفر الخامس، القسم الأول، دار الثقافة ، بيروت ، لبنان، (ب.ت)
- \* المغربي ابن سعيد أبو الحسن علي بن موسى المذحجي الغرناطي (ت 685 هـ / 1286 م) :
- 121- كتاب الجغرافيا ، تحقيق ، إسماعيل العربي ، ط 1 ، منشورات المكتب التجاري ، بيروت ، 1970.
- \* المقدسي شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر البناء(ت 387/997) :
- 122- أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم،مطبعة بريل، ليدن،1977.
- \* المقرري التلمصاني أحمد بن محمد(ت 1041/1631) :
- 123- نفح الطيب في غصن الأندلس الرطيب،وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب،تحقيق:محمد محي الدين عبد الحميد،ج 1، ج 2، ج 3، ط 1،مطبعة السعادة:مصر، 1949م
- 124- أزهار الرياض في أخبار عياض،ضبطه و حققه و علق عليه: مصطفى السقا و آخرون، ج 3،مطبعة لجنة التأليف و الترجمة و النشر، القاهرة، 1361هـ/1942م
- \* المقرizi تقي الدين أبي العباس أحمد بن علي(ت 845/1441) :
- 125- الموعظ والاعتبار بذكر الخطوط والآثار،ج 2، ج 3، مؤسسة حلبي و شركائه للنشر و التوزيع ،القاهرة ، ب.ت.
- 126- المقفى الكبير – تراجم أغلبية و مشرقية من الفترة العبيدية-،تحقيق محمد اليعلاوي،ط 1 ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت، 1987 .

## قائمة المصادر و المراجع

- 127- إعاظ الحنفأ بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء، تحقيق، جمال الدين الشيال، ج 1، ط 2، لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة، 1996
- \* الملطي محمد بن أحمد بن عبد الرحمن أبو الحسيني (ت 987/377) :
- 128- التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع ، تقديم و تحقيق و تعليق: محمد زينهم محمد عزب، ط 1، مكتبة مدبولي، القاهرة، 1992
- \* النعمان بن محمد القاضي (ت 973/363) :
- 129- افتتاح الدعوة، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، لبنان، 2005.
- \* النويحي أبي محمد الحسن بن موسى (ت 912/300) :
- 130- فرق الشيعة، تصحیح: هـ. رتر، مطبعة الدولة لجمعية المستشرقين الألمانية، استانبول، 1931
- \* النويري أبو العباس احمد بن عبد الوهاب التميمي القوصي (ت 733 هـ / 1333 م) :
- 131- نهاية الأرب في فنون الأدب ، تحقيق : علي بوملحم، ج 6، ج 22، ط 1 ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، 2004 ،
- \* الونشريسي أبي العباس أحمد بن يحيى (ت 1508/914) :
- 132- المعيار المغربي و الجامع المغربي عن فتاوى أهل افريقيا و الأندرس و المغرب، إشراف محمد حجي، ج 2، ج 12، نشر وزارة الأوقاف و الشؤون الإسلامية للمملكة المغربية (الرباط) و دار الغرب الإسلامي (بيروت)، 1981.
- \* بن تومرت المهدى (ت 1130/524) :
- 133- أعز ما يطلب، تحقيق: عمار طالبي، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، الجزائر، 1985
- \* عياض القاضي أبو الفضل بن موسى اليحصبي (ت 1149/544) :
- 134- تراجم أغلبية (مستخرجة من مدارك القاضي عياض )، تحقيق محمد الطالبي، المطبعة الرسمية للجمهورية التونسية، تونس، 1968.
- 135- ترتيب المدارك و تقرير المسالك لمعرفة رجال مالك، تحقيق أحمد بكير محمود، ج 1، ج 2، ج 4، دار مكتبة الحياة، بيروت. 1967.
- 136- الغنية، تحقيق: ماهر زهير جرار، ط 1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1982.
- \* مجهول (حي سنة 783 هـ / 1381 م) :

## قائمة المصادر و المراجع

- 137- الحال الموشية في ذكر الأخبار المراكشية ، تحقيق : سهيل زكار و عبد القادر زمامه ، ط ١ ، دار الرشاد الحديقة ، الدار البيضاء ، 1979 .  
\* مجهول ( حي سنة 587 هـ / 1191 م ) :
- 138- الاستبصار في عجائب الأمصار ، تعليق: سعد زغلول عبد الحميد، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ب.ت  
\* مجهول ( حي سنة 712 هـ / 1312 م ) :
- 139- مفاحن البربر ، تحقيق : عبد القادر بوبایة ، ط ١ ، دار أبي رراق ، الرباط ، 2005

### 2- المراجع بالعربية:

#### أ- الكتب المطبوعة:

- 140- إبراهيم القادري بوتشيش: نشأة المدرسة المالكية بالمغرب و الأندلس و علاقة القاضي عبد الوهاب البغدادي، الملتقى الأول، القاضي عبد الوهاب البغدادي المالكي، المؤتمر العلمي لدار البحث، دبي، 2004.
- 141- إبراهيم بكير بحاز: الدولة الرستمية ( 160-296هـ/777-909م ) دراسة في الأوضاع الاقتصادية و الحياة الفكرية، ط 2، المطبعة العربية، الجزائر، 1993
- 142- ابن عبود محمد بن عبد السلام : تاريخ المغرب، ط 3، دار الكتاب، الدار البيضاء، 1961.
- 143- ابن عثيمين محمد بن صالح: عقيدة أهل السنة والجماعة، مؤسسة الشيخ بن صالح العثيمين الخيرية، ط 2، الرياض، 1929.
- 144- ابن مخلوف محمد بن محمد(ت 1360هـ/1941م): شجرة النور الزكية في طبقات المالكية- التتمة-،المطبعة السلفية و مكتبتها،القاهرة، 1350هـ،
- 145- شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، المطبعة السلفية و مكتبتها، القاهرة، 1349هـ
- 146- أبو الفضل محمد أحمد: شرق الأندلس في العصر الإسلامي ( 515هـ/686م ) دراسة في التاريخ السياسي والحضاري، دار المعرفة الجامعية، القاهرة، 1996
- 147- أبو حبيب سعدي: سحنون مشكاة نور و علم و حق، ط ١ ، دار الفكر، دمشق، 1981.
- 148- أبو ريان محمد علي : تاريخ الفكر الفلسفی في الإسلام: المقدمات، علم الكلام، الفلسفة الإسلامية، دار النهضة العربية، بيروت، ( دـ ت ).

## قائمة المصادر و المراجع

- 149- أبو زهرة محمد: ابن حزم حياته وعصره- آرائه وفقهه ، دار الفكر العربي ، 1978
- 150- أحمد بن حنبل حياته وعصره- آرائه وفقهه ، دار الفكر العربي ، بيروت (د.ت)
- 151- تاريخ المذاهب الإسلامية في السياسة و العقائد وتاريخ المذاهب الفقهية ، دار الفكر العربي ، القاهرة، ب.ت
- 152- أبو عبد الرزاق أحمد: الأدب في عصر دولة بنى حماد ، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع ، الجزائر ، 1979 م
- 153- أحمد علي: الأندلسيون و المغاربة في بلاد الشام من نهاية القرن الخامس حتى نهاية القرن التاسع ، دار طالس للدراسات والترجمة والنشر ، دمشق ، 1989 م.
- 154- أحناة يوسف: تطور المذهب الأشعري في الغرب الإسلامي ، منشورات وزارة الأوقاف و الشؤون الإسلامية ، مطبعة اليديني ، الرباط ، المملكة المغربية ، 2003
- 155- إسماعيل عبد الرزاق محمود: الخوارج في بلاد المغرب حتى منتصف القرن الرابع المجري ، دار الثقافة ، المغرب ، 1985
- 156- أشباح يوسف: تاريخ الأندلس في عصر المرابطين والموحدين ، ترجمة : محمد عبد الله عنان ، ج 1 ، ط 2 ، مؤسسة الحاخنجي ، القاهرة ، 1996.
- 157- أكرم ضياء العمري: عصر الخلافة الراشدة ، مكتبة العبيكان ، المدينة المنورة، 1414هـ.
- 158- السيرة النبوية الصحيحة ، ج 1 ، مكتبة العلوم و الحكم ، المدينة المنورة ، 1994.
- 159- البدر عبد المحسن بن محمد العباد: قطف الجنبي الداني " شرح مقدمة ابن زيد القيرواني" ، ط 2 ، منار السبيل ، الجزائر ، 2003.
- 160- التازи عبد الهادي : التاريخ الدبلوماسي للمغرب ، ج 5 ، مطبع فضالة ، الحمدية ، 1986
- 161- التليسي بشير رمضان: : الاتجاهات الثقافية في الغرب الإسلامي ، ط 1 ، دار المدار الإسلامي ، بيروت ، لبنان ، 2003.
- 162- التهامي إبراهيم: جهود علماء المغرب في الدفاع عن عقيدة أهل السنة ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، 2005.
- 163- الجابري محمد عابد: ابن رشد- سيرة و فكر- دراسة ونصوص ، ط 2 ، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت ، 2001 م

## قائمة المصادر و المراجع

- 164- العقل الأخلاقي العربي ( دراسة تحليلية نقدية لنظم القيم في الثقافة العربية)، ط1، مركز الوحدة العربية، بيروت، 2001
- 165- بنية العقل العربي ( دراسة تحليلية نقدية لنظم المعرفة في الثقافة العربية)، ط2، مركز دراسات الوحدة العربية، 1987
- 166- الجنحاني الحبيب: القيروان عبر العصور" ازدهار الحضارة الإسلامية في المغرب العربي" ، الدار التونسية للنشر، تونس، 1968م.
- 167- الجندي إنعام: دراسات في الفلسفة اليونانية و العربية، مؤسسة الشرق الأوسط، بيروت، (د. ت)
- 168- الحفني عبد المنعم: الفرق والجماعات والمذاهب الإسلامية ، ط1، دار الرشاد، 1413هـ 1993م
- 169- الحمادي اليماني محمد بن مالك بن أبي الفضائل: كشف أسرار الباطنية و أخبار القرامطة و كيفية مذهبهم و بيان اعتقادهم، تحقيق: محمد عثمان الخشت، مكتبة الساعي، الرياض، 1985
- 170- الحوالي سفر بن عبد الرحمن: ظاهرة الإرجاء في الفكر الإسلامي، ط1، دار الكلمة للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، 1999.
- 171- الخطيب علي بن الحسين الماشمي: وقعة النهروان و الخوارج، مطبعة الحيدري، طهران، د.ت
- 172- الزركلي خير الدين (ت 1396/1976) :الأعلام ، ج2، ج4، ج5 ، ط7 ، دار العلم للملائين، بيروت، لبنان، 1986
- 173- السحمراني أسعد: أبو الحسن الأشعري، موسوعة الأديان الميسرة، كتاب جماعي، ط2، دار النفائس للطباعة و النشر، بيروت، 2002
- 174- السلاوي أحمد بن خالد الناصري( ت 1315 هـ / 1897 م ): الاستقصاء لأنباء دول المغرب الأقصى، تحقيق: جعفر الناصري و محمد الناصري، ج1، ج2، دار الكتاب، الدار البيضاء، 1955
- 175- السملالي العباس بن ابراهيم(1378هـ/1959م): الإعلام من حل مراكش و أغمات من الأعلام، راجعه عبد الوهاب منصور، ج2، ط2، ج9، المطبعة الملكية، الرباط، 1413هـ/1993م.

## قائمة المصادر و المراجع

- 176- السيد أبو مصطفى كمال: جوانب من الحياة الاجتماعية و الاقتصادية و الدينية و العلمية في المغرب الإسلامي من خلال نوازل و فتاوى المعيار المعرب للونشريسي، مركز الإسكندرية للكتاب، مصر، 1996
- 177- دراسات أندلسية في التاريخ و الحضارة، مركز الإسكندرية للكتاب، الإسكندرية، 1997
- 178- الشابي علي: مباحث في علم الكلام، ط1، دار المدار الإسلامي، بيروت، لبنان، 2002
- 179- الشيخ الفاتح حسن: كبرى الفرق الفكرية والسياسية في الإسلام، دار الجيل، بيروت، 1991 م
- 180- الصالح محمد السيد محمد: أصالة علم الكلام، دار الثقافة و النشر و التوزيع، تونس، 1987
- 181- الصلايي علي محمد : دولة المرابطين ، دار ابن الجوزي ، القاهرة ، 2007
- 182- دولة الموحدين، دار البيارق، عمان، 1998 م
- 183- صفحات مشرقة من التاريخ الإسلامي ، دار الإيمان، الإسكندرية، (د- ت)
- 184- الصميدعي علي فليح عبد الله: أهل الذمة في المغرب الأقصى من الفتح حتى نهاية دولة الموحدين، ط1، دار غيداء للنشر و التوزيع، الأردن، 2014
- 185- الطمار محمد : تلمسان عبر العصور ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر، 1984
- 186- المغرب الأوسط في ظل صنهاجة، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2010
- 187- الطيب محمد سليمان : موسوعة القبائل العربية ، المجلد 1 ، ط 2 ، دار الفكر العربي ، مدينة نصر ، 1997
- 188- العبادي أحمد مختار : صورة من حياة الحرب والجهاد في الأندلس ، ط 1 ، منشأة المعارف ، الإسكندرية ، 2000.
- 189- في تاريخ المغرب و الأندلس، مؤسسة شباب الجامعة الإسكندرية، القاهرة، 2003.
- 190- العدوبي محمد أحمد:الشرح الجديد لجوهرة التوحيد، ط1، شركة مكتبة و مطبعة مصطفى البابي الحلبي و أولاده، مصر، 1947
- 191- العلوى سعيد بنسعيد: الخطاب الأشعري في دراسة العقل العربي الإسلامي، ط1، دار المنتخب العربي للدراسات و النشر و التوزيع ، بيروت، لبنان، 1420هـ/1992م

## قائمة المصادر و المراجع

- 192- العمراني يحيى بن أبي الخير: الانتصار في الرد على المعتزلة القدرية الأشرار، تحقيق سعود بن عبد العزير الخلف، ج 1، أضواء سلفية، المدينة المنورة، 1419هـ.
- 193- القاسمي جاسم محمد: تاريخ الحضارة العربية الإسلامية في الأندلس، مؤسسة شباب الجامعية، الإسكندرية، 2000م.
- 194- المباركفوري صفي الرحمن: الرحيم المختوم، وزارة الأوقاف و الشؤون الإسلامية، قطر، 2007.
- 195- المتقي عبد المنعم: موسوعة الفرق والجماعات والمذاهب، ط 2، مكتبة مدبولي، القاهرة، 1999.
- 196- المخدوب عبد العزيز: الصراع المذهبي بإفريقية إلى قيام الدولة الزيرية، ط 1، دار سحنون للنشر والتوزيع، تونس، 2008.
- 197- الحمود عبد الرحمن بن صالح بن صالح: موقف ابن تيمية من الأشعار، ج 1، ط 1، مكتبة الرشد، الرياض، 1995م.
- 198- المدخلبي ربيع بن هادي عمير: منهج أهل السنة و الجماعة في نقد الرجال و الكتب و الطوائف، ط 1، دار المناهج، مصر، 1423هـ/2002م.
- 199- المعتق عواد بن عبد الله: المعتزلة و أصولهم الخمسة و موقف أهل السنة منها، ط 2، مكتبة الرشد، الرياض، 1995.
- 200- المعموري الطاهر: الغزالى و علماء المغرب ، الدار التونسية للنشر ، تونس ، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1990.
- 201- المغراوى محمد: تطور المذهب الأشعري بالغرب الأقصى إلى حدود العصر المرابطي، فصل من كتاب التاريخ والفقه- أعمال مهادة إلى المرحوم محمد المنوي - تنسيق محمد حجي ، ط 1، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، 2002.
- 202- فتوى لأبي الفضل بن التحتوي حول إحياء علوم الدين للغزالى، ضمن متنوعات محمد حجي ، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1998.
- 203- المغربي علي عبد الفتاح: الفرق الكلامية ( مدخل و دراسة)، ط 2، مكتبة وهبة، القاهرة، 1995.
- 204- المنوين محمد: حضارة الموحدين، ط 1، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، 1989.
- 205- النجار عامر: الإباضية و مدى صلتها بالخوارج، دار المعارف، مصر، د.ت.

## قائمة المصادر و المراجع

- 206- النجار عبد المجيد: المهدى بن تومرت، حياته و آراؤه، ثورته الفكرية و الاجتماعية و أثره بالغرب، دار الغرب الإسلامي ، بيروت، 1993.
- 207- تحرية الإصلاح في حركة المهدى بن تومرت ( الحركة الموحدية بالغرب أوائل القرن السادس الهجري)، ط 1، المعهد العالمي للفكر الإسلامي ، هيرنندن - فرجينيا ، 1995.
- 208- فصول في الفكر الإسلامي بالغرب، ط 1 ،دار المغرب الإسلامي ، بيروت، ، 1992
- 209- النشار علي سامي: مناهج البحث عند مفكري الإسلام واكتشاف المنهج العلمي في العالم الإسلامي ، ط 3 ،دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1984
- 210- نشأة الفكر الفلسفية في الإسلام، ج 1، دار المعارف، (د- ت)، 1966 م
- 211- المحتاتي نجم الدين: المذهب المالكي بالغرب الإسلامي إلى منتصف القرن الخامس الهجري - الحادي عشر الميلادي، تبر الرمان، تونس، 2004
- 212- اليازجي كمال: معلم الفكر العربي في العصر الوسيط، ط 5، دار العلم للملابين، بيروت، 1974 م
- 213- أمين أحمد : فجر الإسلام ، مؤسسة هنداوي للتعليم و الثقافة ، القاهرة، مصر ، 20120
- 214- ظهر الإسلام، ط 4، مكتبة النهضة العربية، القاهرة، 1975 .
- 215- بالنشيا اخل جنتالث: تاريخ الفكر الأندلسي، ترجمة حسين مؤنس، مكتبة الثقافة الدينية، بورسعيد، (د- ت)
- 216- بدوي عبد الرحمن : مذاهب الإسلاميين (المعتزلة، الأشاعرة، الإمامية، القرامطة، النصيرية)، دار العلم للملابين، بيروت، 1997
- 217- التراث اليوناني في الحضارة الإسلامية، ط 4، دار العلم ،بيروت، لبنان، 1980.
- 218- بدوي عبد المجيد: التاريخ السياسي و الفكرى للمذهب السنى في المشرق الإسلامي من القرن 5 الهجرى حتى سقوط بغداد، ط 1، دار المعرفة، جدة، 1983 م
- 219- بروفنسال ليفي: الإسلام في المغرب و الأندلس، ترجمة: محمد عبد العزيز سالم، محمد صلاح الدين حلمي، مؤسسة الشباب الجامعية، الإسكندرية، 1990 .
- 220- بروكلمان كارل: تاريخ الشعوب الإسلامية، ترجمة: نبيلة أمين فارس، منير البلκي، ط 15، دار العلم للملابين، بيروت، 2002 م

## قائمة المصادر و المراجع

- 221- بك أحمد أمين: المهدى و المهدوية، ط1، شركة نوابغ الفكر، القاهرة، 2009
- 223- بكير محمود أحمد: المدرسة الظاهرية بالشرق و المغرب، ط1 ، دار قتبة للطباعة و النشر و التوزيع، بيروت ، 1990
- 224- بل ألفرد: الفرق الإسلامية في الشمال الإفريقي من الفتح العربي حتى اليوم، ترجمة عبد الرحمن بدوي، ط2، دار الغرب الإسلامي، بيروت ، 1981 .
- 225- بلغيث محمد الأمين : دراسات في تاريخ الغرب الإسلامي ، دار التنوير للنشر والتوزيع ، الجزائر ، 2006
- 226- فصول في التاريخ والعمارة بالغرب الإسلامي ، ط1 ، منشورات انتر سيني ، الجزائر ، 2007
- 227- نظرات في تاريخ الغرب الإسلامي ، ط1 ، دار الخلدونية ، الجزائر ، 2007.
- 228- بن الذيب عيسى و آخرون: الحواضر و المراكز الثقافية في الجزائر في العصر الوسيط، سلسلة المشاريع الوطنية للبحث ، منشورات المركز الوطني للدراسات و البحث في الحركة الوطنية و ثورة أول نوفمبر 1954م،الجزائر ،2007.
- 229- بن بيه محمد محمود عبد الله: الأثر السياسي للعلماء في عصر المرابطين، ط 1 ، دار الأندلس الخضراء، المملكة العربية السعودية، 2000.
- 230- بن حمدة عبد الجيد:المدارس الكلامية بإفريقية إلى ظهور الأشعرية، ط1، مطبعة دار العرب،تونس،1406هـ/1986م
- 231- بن سعيد أعوشت بكير: دراسات إسلامية في الأصول الإباضية، ط3، مكتبة وهبة، القاهرة، 1988
- 232- بن عبد الله عبد العزيز: تاريخ المغرب(العصر القديم والعصر الوسيط)، مكتبة السلام، الدار البيضاء، ب.ت.
- 233- بن عميرة محمد: دور زناتة في الحركة المذهبية بالمغرب الإسلامي، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984
- 234- بن قرية صالح: عبد المؤمن بن علي مؤسس دولة الموحدين، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1991م

## قائمة المصادر و المراجع

- 235- بن محمد نور خالد بن عبد اللطيف: منهاج أهل السنة و الجماعة و منهاج الأشاعرة في توحيد الله تعالى، ج 2، ط 1، مكتبة الغرباء الأثرية، المدينة المنورة، 1995م
- 236- بوروبيه رشيد: الدولة الحمادية تاريخها و حضارتها، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1977، ص 163.
- 237- بولطيف لخضر: الفقيه و السياسة في الغرب الإسلامي، المجلس الأعلى للغة العربية، الجزائر، 2005.
- 238- بونابي الطاهر : التصوف في الجزائر - خلال القرنين 6 و 7 الهجريين ، 12 و 13 الميلاديين - ، دار المدى للطباعة ، عين مليلة ، 2004
- 239- بونار رابح: المغرب العربي تاريخه و ثقافته، ط 2، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1981م
- 240- توati عبد الكريم: مؤساة انجيارات الوجود العربي في الأندلس، ط 1 ، مكتبة الرشاد، الدار البيضاء، 1967م.
- 241- حسن إبراهيم حسن: تاريخ الإسلام السياسي و الديني و الثقافي و الاجتماعي، ج 2، ج 4، دار الجليل، القاهرة، 1957.
- 242- حواله يوسف بن أحمد: الحياة العلمية في إفريقيا 450-90هـ، ط 1 ، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، 1421هـ/2000م.
- 243- خطاب عبد الحميد: معلم في الفلسفة الإسلامية، مطبعة النخلة، الجزائر، 1991م
- 244- دندش عصمت عبد اللطيف : دور المرابطين في نشر الإسلام في غرب أفريقيا ( 430 هـ - 515 هـ / 1038 م - 1121 م ) ، ط 1 ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، 1988
- 245- الأندلس في نهاية المرابطين و مستهل الموحدين عصر الطوائف الثاني، ط 1، دار الغرب الإسلامي، بيروت ، لبنان، 1988.
- 246- رستم سعد: الفرق والمذاهب الإسلامية منذ البدايات، ط 1 ، أنوار للنشر والتوزيع ، الدار البيضاء، 2008م.
- 247- رفاعي أحمد فريد: عصر المؤمن، ج 1، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة، 1928م

## قائمة المصادر و المراجع

- 248- روجي إدريس المادي: الدولة الصنهاجية (تاريخ افريقية في عهدي بني زيري من القرن 10 إلى 12م)، تر: حمادي الساحلي، ج2، ط1 ، دار الغرب الإسلامي، لبنان، 1992.
- 249- زهري خالد: مستويات الإبداع في علم الكلام الأشعري عند المغاربة ( ضمن كتاب: جهود المغاربة في خدمة المذهب الأشعري)، تنسيق مركز أبي الحسن الأشعري للدراسات و البحوث العقدية، ط1، دار أبي ررقاق، الرباط، 1433هـ/2012م.
- 250- سالم عبد العزيز: المغرب الكبير، ج 2 ، ، دار النهضة العربية ، بيروت ، 1981
- 251- سامي إسماعيل:دور المذهب الحنفي في الحياة الاجتماعية و الثقافية في بلاد المغرب الإسلامي من القرن الثاني إلى الخامس الهجري (2-5هـ/8-11م)، دار المدى ، عين مليلة، الجزائر، 2006.
- 252- شريف يحيى الأمين: معجم الفرق الإسلامية، ط1 ، دار الأضواء، بيروت 1986
- 253- شعيرة محمد عبد المادي: المرابطون و تاريخهم السياسي(430 - 539)، ط1، مكتبة القاهرة الحديثة:القاهرة، 1969م،
- 254- شلبي أحمد:موسوعة التاريخ الإسلامي، ج4، ط10،مكتبة النهضة المصرية،القاهرة، 1995 م
- 255- صبحي أحمد محمود:في علم الكلام- دراسة فلسفية لآراء الفرق الإسلامية في أصول الدين- الأشاعرة، ج2، ط5،دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، 1985.
- 256- في علم الكلام- دراسة فلسفية لآراء الفرق الإسلامية في أصول الدين- الزيدية ، ج3، ط3،دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، 1991.
- 2567- في علم الكلام- دراسة فلسفية لآراء الفرق الإسلامية في أصول الدين-المعتزلة ، ج1، ط5،دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، 1985.
- 258- طالبي عمار: الاتجاه الكلامي عند الإباضية بالغرب الإسلامي أبو يعقوب الورجلاني نموذجا ، فصل من كتاب: الاتجاهات الكلامية في الغرب الإسلامي ، تنسيق علي الإدريسي ، ط1 ، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، المغرب، 2005
- 259- عبد الجبار عماد الدين: فضل الإعتزال و طبقات المعتزلة و حياتهم لسائر المخالفين، دار التونسية للنشر، تونس، 1974م

## قائمة المصادر و المراجع

- 260- عبد الحكيم العفيفي : موسوعة 1000 مدينة إسلامية ، ط 1 ، دار أوراق شرقية ، بيروت 2000.
- 261- عبد الحميد سعد زغلول: تاريخ المغرب العربي ، ج 3 ، ج 4، مطبعة أطلس ، القاهرة ، 1990.
- 262- عبد القادر محمد أحمد: ملامح الفكر الإسلامي بين الاعتدال و الغلو، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 2003
- 263- عبد الله أحمد هالي: الحقيقة بين الفلسفة العامة و الإسلامية و فلسفة الإثبات الجنائي، ط 1 ، دار النهضة العربية، بيروت، 1987
- 264- عزو ز محى الدين: التطور المذهبي بال المغرب (و دراسة قصة حي بن يقطان)، نشر الشركة التونسية للتوزيع، تونس، 1976
- 265- علال البختي جمال: العقيدة البرهانية الأشعرية لأبي عمرو السلاجلي الفاسي، ط 1 ، مطبعة الخليج العربي، تطوان، 2008.
- 266- عثمان السلاجلي و مذهبته الأشعرية (دراسة لجانب من الفكر الكلامي بال المغرب من خلال البرهانية و شروحها)، ط 1 ، دار أبي الرقراق للطباعة و النشر، الرباط، 2005.
- 267- علام عبد الله: الدولة الموحدية في عهد عبد المؤمن بن علي، دار المعارف، مصر، 1971
- 268- دعوة الموحدين بالمغرب، ط 1 ، دار المعرفة، الرباط، المغرب 1964
- 269- عمارة علاوة: المذهب المالكي في المغرب الإسلامي من خلال دراسة جديدة، ( ضمن دراسات و بحوث مغربية)، ط 1 ، دار بجاء الدين للنشر و التوزيع، قسنطينة، الجزائر، 2008.
- 270- انتشار المذهب المالكي في المغرب الأوسط - دراسات في التاريخ الوسيط للجزائر و المغرب الإسلامي -، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2008
- 271- عمر موسى عز الدين: الموحدين في المغرب الإسلامي تنظيماتهم و نظمنهم، ط 1 ، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1991 م.
- 272- عنان محمد عبد الله : دولة الإسلام في الأندلس – عصر المرابطين والموحدين في المغرب والأندلس – ج 2 ، ط 2 ، مكتبة الحاخني ، القاهرة ، 1990
- 273- عواجي غالب بن علي: فرق معاصرة، ج 1 ، ط 4، المكتبة العصرية الذهبية، جدة، 2001

## قائمة المصادر و المراجع

- 274- غاردييه لويس ، قنواتي .ج:فلسفة الفكر الديني بين الإسلام و المسيحية،ترجمة الشيخ صبحي الصالح،ج 1،ط 1،دار العلم للملائين،بيروت،لبنان،1967.
- 275- فروخ عمر: المنهاج الجديد في الفلسفة العربية، ط 1،دار الملائين، بيروت، 1970 م
- 276- فيلالي عبد العزيز: العلاقات السياسية بين الدولة الأموية في الأندلس ودول المغرب، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1982
- 277- فيريو ماريا إيزابيل : الزندقة و البدع في الإسلام، ضمن كتاب جماعي "الحضارة العربية الإسلامية بالأندلس" بإشراف سلمى خضراء الجيوسي، ط 1، ج 1، ج 2، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 1998 م.
- 278- قاسم محمود: دراسات في الفلسفة الإسلامية، ط 4، دار المعارف، مصر، 1972 م
- 279- نصوص مختارة من الفلسفة الإسلامية، ط 3، مكتبة الإنجلو مصرية، القاهرة، 1969 م.
- 280- كبير علال خالد: الأزمة العقائدية بين الأشاعرة و أهل الحديث - خلال القرنين: 5-6 المجريين - مظاهرها ، آثارها ، أسبابها ، و الحلول المقترحة لها، ط 1 ، دار مالك، الجزائر، 2005.
- 281- الثورة على سيدنا عثمان بن عفان-دراسة في أسبابها الظاهرة و الخفية-، ط 1، دار البلاغ للنشر و التوزيع،الجزائر،2003.
- 282- بحوث حول الخلافة و الفتنة الكبرى، دار كنوز الحكمة، الجزائر، 2009
- 283- جنایة المعتزلة على العقل و الشرع - مظاهرها، آثارها ، أسبابها - قراءة نقدية تكشف جنایات المعتزلة و تناقضاتهم و تحريفاتهم في حق العقل و الشرع -، ط 1، دار المحتسب،الجزائر،2012.
- 284- كريمال مارمول : أفريقيا ، ترجمة : محمد حجي وآخرون ، ج 2، ج 3، مكتبة المعارف ، الرباط ، 1984
- 285- كنون عبد الله: النبوغ المغربي، ج 1، (ب.ن)، طنجة، 1960.
- 286- جولات في الفكر الإسلامي، مطبعة الشويخ ديسبريس، تطوان، المغرب، 1400هـ/1980م
- 287- كوربان هنري: تاريخ الفلسفة الإسلامية، ترجمة نصر مروة و حسن قبيسي، ط 2، عويدات للنشر و الطباعة،بيروت،1998.
- 288- لقبال موسى: المغرب الإسلامي، ط 2، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، الجزائر، 1981

## قائمة المصادر و المراجع

- 289- مؤنس حسين: تاريخ المغرب و حضارته، ج 1، ج 2، ط 1، العصر الحديث للنشر و التوزيع، بيروت، 1992م
- 290- مارسيه جورج : بلاد المغرب و علاقتها بالشرق الإسلامي في العصور الوسطى ، ترجمة : محمود عبد الصمد هيكل ، مطبعة الانتصار ، الإسكندرية ، 1991.
- 291- مجاني بوبة: المذهب الإسماعيلي و القيادات الدينية و العسكرية الكتامية في المرحلة الغربية، فصل من كتاب (قضايا التاريخ الفاطمي في دوره المغربي)، ط 1، دار بهاء الدين للنشر و التوزيع، قسنطينة، الجزائر، 2007.
- 292- مجموعة مؤلفين : الجزائر في التاريخ – العهد الإسلامي من الفتح إلى بداية العهد العثماني - ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر ، 1984
- 293- محمد المنوي: العلوم والآداب والفنون على عهد الموحدين، ط 2، مطبوعات دار المغرب للتأليف والترجمة، المغرب، 1977
- 294- محمد بكاري عبد السلام: تأصيل العقيدة و تأويل آياتها عند علماء المغرب خلال القرنين الخامس و السادس الهجريين، ط 1، دار أبي الرقراق للطباعة و النشر، الرباط، 2005، ص: 89-91
- 295- محمد موسى جلال: نشأة الأشعرية و تطورها، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1982
- 296- محمود حسن أحمد : قيام دولة المرابطين ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، د.. ت
- 297- مرجا محمد عبد الرحمن: من الفلسفة اليونانية إلى الفلسفة الإسلامية، ط 3، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1983
- 298- معتصم محمد: ابن تومرت مساره النفسي و الفكري، صمن كتاب المغرب في العصر الوسيط، تنسيق محمد المغراوي، ط 1، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، المغرب، 1999.
- 299- معلومي عبد المجيد: منهج علماء الأشاعرة في تحرير العقيدة، ط 1، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، المغرب، 2006
- 300- مقلد الغنيمي عبد الفتاح :موسوعة تاريخ المغرب العربي ، ج 1، ط 3، مكتبة مدبولي، القاهرة، 1994
- 301- ملين محمد الرشيد: عصر المنصور المودي، مطبعة الشمال الإفريقي، الرباط، المغرب، (د.ت)

## قائمة المصادر و المراجع

- 302- ميتر آدم: الحضارة الإسلامية في القرن الرابع هجري أو عصر النهضة في الإسلام، ترجمة: محمد عبد الهادي أبو ريدة، ج 4، ط 1، دار الكتاب العربي، بيروت، 1967
- 303- نصر الله سعدون عباس: دولة المرابطين في المغرب والأندلس - عهد يوسف بن تاشفين - ، دار النهضة العربية ، بيروت ، 1985
- 305- نويهض عادل: معجم أعلام الجزائر من صدر الإسلام حتى العصر الحاضر، ط 2، مؤسسة نويهض الثقافية للتأليف و الترجمة و النشر، بيروت ، لبنان، 1400هـ/1980م
- 306- همال الحاج محمد بن بلقاسم بن الحاج محمد: النصرة لمذهب إمام دار المحرقة، ط 1، دار ابن حزم، بيروت، 2010.
- 307- هوبيكتز .ج.ف.ب : النظم الإسلامية في المغرب في القرون الوسطى ، تعريب : أمين توفيق الطيبى ، الدار العربية للكتاب ، ليبيا و تونس ، 1980
- 308- هويدى يحيى: تاريخ فلسفة الإسلام في القارة الإفريقية، ج 1، مكتبة النهضة العصرية، القاهرة، 1966م
- 309- وات مونتموري : في تاريخ إسبانيا الإسلامية ، ترجمة : محمد رضا المصري ، ط 2 ، شركة المطبوعات للنشر والتوزيع ، بيروت ، 1998.

### ب - المجالات و الدوريات:

- 310- أبو عمران الشيخ: فكر المعتزلة، مجلة الأصالة، مطبعة البعث، قسنطينة، العدد 38، 1976
- 311- أحناة يوسف: المنحى الشخصي لحياة الإمام أبي الحسن الأشعري، مجلة الإبانة، مركز أبو الحسن الأشعري للدراسات و البحوث العقدية، العدد 01، المغرب، 2013
- 312- الجراي عباس عبد الله: المغرب و تيار المذاهب الإسلامي، مجلة الإيمان، جمعية شباب النهضة الإسلامية، العدد 06، الرباط، 1966
- 313- الخالدي عبد الحميد: نبذة مختصرة لبعض علماء الجزائر في العهد الحمادي، مجلة الثقافة، العدد 112، وزارة الثقافة والاتصال، الجزائر، 1999م

## قائمة المصادر و المراجع

- 314- الخطاف حسن أحمد: نقد ابن حزم الأندلسي للمذهب الأشعري، مجلة الشريعة و الدراسات الإسلامية، مجلس النشر العلمي جامعة الكويت، السنة السادسة و العشرون، العدد الخامس و السادسون، الكويت، 2011م
- 315- السيد عبد الهادي عبد الباقي: المذهب الظاهري نشأته و تطوره بالمغرب و الأندلس حتى نهاية الموحدين، حولية سيمinar التاريخ الإسلامي و الوسيط، الجمعية المصرية للدراسات التاريخية، العدد الثاني، مصر، 1433هـ/2012م
- 316- الطاهري عبد الحق: ابن تومرت و المذهب المالكي، دعوة الحق، وزارة الأوقاف و الشؤون الإسلامية، السنة الحادية والخمسون، العدد 391، الرباط، 2009
- 317- العلوى القاسمي هشام: الدولة المرابطية تطور سياسي بمرجعية مالكية و أشعرية و امتدادا تاريخي تأهيلي، مجلة التاريخ العربي، جمعية المؤرخين المغاربة، العدد الرابع و الخمسون، المغرب، 2010.
- 318- العلوى سعيد بنسعيد: قراءة جديدة في فكر الإمام الأشعري، مجلة التفاصيم، وزارة الأوقاف و الشؤون الدينية، السنة العشرة، العدد 38، سلطنة عمان، 2012
- 319- المصوري المبروك: الأشعرية في بلاد المغرب إلى نهاية القرن السادس الهجري الثاني عشر الميلادي و مفهوم الأدوار الحضارية، كلية الآداب و العلوم الإنسانية بسوسة - تونس. (ب.ن)، (ب.ت)
- 320- المنوبي محمد: عقيدة المرشدة للمهدي ابن تومرت، مجلة البحث العلمي، جامعة محمد الخامس ، السنة الثالثة، العدد التاسع، 1966.
- 321- المحتاطي نجم الدين: تطور موقف علماء المالكية بإفريقية من الخوض في المسائل الكلامية و تبنيهم للعقيدة الأشعرية، مجلة IBLA، السنة 55، العدد 170 ، تونس، 1992م
- 322- باريش ميمون: نشأة المذاهب الفقهية في الأندلس و المغرب الكبير، مجلة كلية الآداب و العلوم الإنسانية، جامعة القاضي عياض مراكش، العدد: 15، 2000.
- 323- بشاري لطيفة: أبو عبد الله عكرمة المغربي مولى عبد الله بن عباس، مجلة الدراسات التاريخية، العدد الثالث عشر، كلية العلوم الإنسانية و الاجتماعية، جامعة الجزائر 2، 1433هـ/2011م.
- 324- بلحبيب رشيد: التأويل بين الأصوليين و المتكلمين، مجلة الفرقان، العدد 63، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، 2009،

## قائمة المصادر و المراجع

- 325- بنكيران فدوی: أصول المنهج الأشعري و منهجه العقدي، مجلة دعوة الحق، العدد 396، دار أبي رقراق للطباعة و النشر، الرباط، 2010.
- 326- بودلال عبد الرحيم: التأويل عند الأشاعرة، مجلة الفرقان، العدد 63، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، 2009.
- 327- بوعقادة عبد القادر: التحول المذهبي في العهد الصنهاجي - الحمادي الزيري - و أثره على بلاد المغرب الأوسط، مجلة أفاق الثقافة و التراث، مركز جمعة الماجد للثقافة و التراث، السنة التاسعة، العدد الرابع و السبعون، الإمارات العربية المتحدة، 2011.
- 328- جيلاني عبد المغيث: المدرسة الأشعرية بالغرب و الأندلس : أعلامها و جهودها، مجلة الفرقان، العدد 63، مطبعة النجاح الجديدة، الدرا البيضاء، 2009.
- 329- ختيري مليكة: جهود الفقهاء المالكيّة في ترسیخ المذهب الأشعري بالغرب الإسلامي، مجلة الفرقان، العدد 63، مطبعة النجاح الجديدة، الدرا البيضاء، 2009.
- 330- عبد الحميد حاجيات: الحياة الفكرية بتلمسان في عهد بنی زيان، مجلة الأصالة، مطبعة البعث، قسّطنطينة، العدد 26، 1975.
- 331- عطا الله الشاذلي: دور القิروان في نشر العلم و المعرفة، مجلة القิروان، لجنة التنسيق الحزبي بالقิروان، المدار التونسي للنشر، تونس، (د- ت)،
- 332- مجاني بوية: أثر الضرائب في ثوابت ومتغيرات سياسة الخلافة الفاطمية في مرحلتها المغربية، مجلة الدراسات التاريخية، العدد: 67-68، دمشق، كانون الثاني حزيران، 1999م
- 333- مرمول الصالح: "نشأة مدينة المسيلة وتطورها"، مجلة سيرتا ، معهد العلوم الاجتماعية، قسّطنطينة، العدد 04 ، 1980
- 334- معاريج نزيهة: الفكر الأشعري دعوة سنية و ضرورة حضارية، مجلة الفرقان، العدد 63، مطبعة النجاح الجديدة، الدرا البيضاء، 2009.
- 335- نجم الدين الهمتاتي: القิروان مركز لنشر المذهب الأشعري، مجلة الحياة الثقافية، العدد 208، 2009م
- 336- هودجسون مارشال: كيف تطور التشيع إلى مذهب، مجلة الاجتهاد، العدد: 19، السنة الخامسة، دار الاجتهاد للأبحاث و الترجمة و النشر، بيروت، لبنان، 1993

## قائمة المصادر و المراجع

- 337- هويدى يحيى: محمد بن تومرت و توفيقه بين الحكم و الشريعة، مجلة الأصالة، مطبعة البعث، قسنطينة، العدد 12، 1973.
- 338- يفوت سالم: الأشعرية في المغرب، مجلة الفكر العربي المعاصر، مركز الإنماء القومي بيروت/باريس، العدد 68، 69، أكتوبر 1989.
- ج- المذكرات والأطروحات الجامعية:**
- 339- المشهدانى علياء : فقهاء المالكية دراسة في علاقاهم العلمية في الأندلس والمغرب - حتى منتصف القرن 6 هـ / 12 م - ، أطروحة دكتوراه ، مجلس كلية التربية، جامعة الموصل ، العراق ، 2003.
- 340- بن لوصيف سمير: موقف أهل السنة والجماعة من قضية خلق القرآن في القرن الثالث هجري (مشرقاً ومغارباً) ، مذكرة ماجستير، المدرسة العليا للأساتذة، بوزريعة-الجزائر، 2005-2006
- 341- بوطارن مبارك: تطور العمران الإسلامي مدینتا القیروان و سجلماسة نموذجا(دراسة تاريخية)، أطروحة دكتوراه ، معهد الآثار ، جامعة الجزائر، 2006.
- 342- حروز عبد الغني: الحياة العلمية في قلعة بنی حماد 461-408هـ/1017-1070م، مذكرة ماجستير، المدرسة العليا للأساتذة، الجزائر، 2011
- 343- عبده عبد الحليم سلام حوريه: علاقات مصر ببلاد المغرب من الفتح العربي حتى قيام الدولة الفاطمية، رسالة دكتوراه، جامعة القاهرة، مصر، 1974.
- 344- كعوان حفيظ: أثر فقهاء المالكية الاجتماعي و الثقافي بإفريقيا من ق (2-5هـ/8-11م)، مذكرة ماجستير، جامعة العقيد الحاج لخضر، باتنة، 2008/2009.
- 345- مغزاوي مصطفى: دور العامل السياسي في انتشار المذهب الأشعري في المشرق الإسلامي و مغربه ( من منتصف القرن 5/11هـ إلى بداية القرن 8/14م)، مذكرة ماجستير، جامعة الجزائر، 2008..
- 346- نوار نسيم: النزاع السنوي الشيعي ببلاد المغرب و أثره في تحديد المذهب المالكي " من قيام الدولة الفاطمية إلى حدوث القطيعة الزيرية 1051-909هـ/443-269م" ، مذكرة ماجستير، جامعة الجزائر 2، بوزريعة، 1432هـ/2011م.

347- هارون فاطمة : السلطة العلمية بالأندلس في عصر المرابطين ( 445 هـ - 541 هـ / 1056 مـ 1147 مـ ) . ابن رشد الجد أئمذحا ( 520 هـ / 1126 ) ، مذكرة ماجستير ، قسم التاريخ ، جامعة الجزائر ، 1429-1430 هـ / 2008-2009 مـ.

3- المراجع الأجنبية :

348 - **BOUROUIBA RACHID:** abd al-mu'min (flambeau des almohades) , 2 édition , sned , alger, 1982

349 - **Goldziher.** M.hamed Ibn Toumert et la théologie de l'Islam dans le nord de l'Afrique au xde siècle.pierre fontana , Alger ,1930

350 -**JULIEN , CHARLES-ANDRÉ,** Histoire De L'Afrique Du nord, payot, paris, 1952

351- **KADDACHE MAHFOUD:** l'algerie medievale , société nationale d'édition et de diffusion , alger , 1982

352 - **kaddache Mahfoud,** «L'Algérie des Algériens de la pré histoire à 1994» Edif, Alger,2000

353 - **roger idriss Hadi:** issai sur la diffeson de l'charlsme en - afrique cahiers de, tenesie, 2eme, 1953

# الفهارس

- 1 فهرس الآيات القرآنية.
- 2 فهرس الأعلام .
- 3 فهرس الجماعات و الشعوب و القبائل .
- 4 فهرس المواقع و الأمكنة و البلدان .
- 5 فهرس الفرق والمذاهب والأديان.
- 6 فهرس الملاحق.
- 7 فهرس الأشكال.
- 8 فهرس الموضوعات.

## الفهارس

### 1- فهرس الآيات القرآنية:

الصفحة	نص الآية	الآية	السورة
1	يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقًّا تُعَاتِهِ وَلَا تَمُوْتُنَ إِلَّا وَأَنْتُم مُسْلِمُونَ	الآية: 102.	سورة: آل عمران
1	يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا	الآية: 01.	سورة: النساء
1	يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا يُصْلِحُ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرُ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا	الآية: 70 ، 71	سورة: الأحزاب
27	سُئَةٌ مَنْ قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنْ رُسُلِنَا وَلَا يَجِدُ لِسُنْتِنَا تَحْوِيلًا	الآية: 77.	سورة : الإسراء
33	إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ هُمْ الْجَنَّةَ يُعَايَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ	الآية: 112.	سورة : التوبة
34	وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ	الآية: 205.	سورة : البقرة
48	ثُمَّ لَنَزِعَنَّ مِنْ كُلِّ شِيعَةٍ أَيُّهُمْ أَشَدُ عَلَى الرَّحْمَنِ عِتِيًا	الآية: 69.	سورة: مريم
48	إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعاً لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ	الآية: 160.	سورة: الأنعام
48	وَلَقَدْ أَهْلَكَنَا أَشْيَا عَكْمٌ فَهَلْ مِنْ مُذَكَّرٍ	الآية: 51.	سورة : القمر
49	فَوُجِدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَعْتَلَانِ هَذَا مِنْ شِيعَتِهِ وَهَذَا مِنْ عَدُوِّهِ فَاسْتَعَاثَهُ الَّذِي مِنْ شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ فَوَكَرْهُ مُوسَى فَقَضَى عَلَيْهِ	الآية: 11.	سورة: القصص
61	لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ	الآية: 18.	سورة: الفتح

## الفهارس

	الشّجَرَةِ		
61	وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ يَإِحْسَانٍ رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ	الآية: 101.	سورة التوبة
61	لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ	الآية: 118.	سورة: التوبة
61	وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ	الآية: 53.	سورة: النور
62	وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرِي اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ ۝ وَسَتُرْدُونَ إِلَى عَالِمِ الْعَيْبِ وَالشَّهَادَةِ	الآية: 106.	سورة: التوبة
78	وَإِنْ لَمْ تُؤْمِنُوا لِي فَاعْتَزِلُونَ	الآية: 20.	سورة : الدخان
81	وَمَمْ يَكُنْ لَّهُ كُفُواً أَحَدٌ	الآية: 04	سورة: الإخلاص
82	وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ إِلَى رَّبِّهَا نَاظِرَةٌ	الآية: 22، 23	سورة: القيامة
92	وَتَرْجُونَ مِنَ اللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ	الآية: 103.	سورة: النساء
92	مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا	الآية: 13.	سورة: نوح
92	قَالُوا أَرْجِهِ وَأَخْأُهُ	الآية: 110. الآية: 35.	سورة: الأعراف سورة: الشعراء
93	وَآخَرُونَ مُرْجَحُونَ لِأَمْرِ اللَّهِ	الآية: 107.	سورة: التوبة
143	أَنْزَلَهُ بِعِلْمِهِ	الآية: 165.	سورة: النساء
143	وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُثْنَى وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ	الآية: 11. الآية: 46.	سورة: فاطر سورة: فصلت
144	أَوَمْ يَرَوُا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً	الآية: 14.	سورة : فصلت
145	فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَنْ يَنْقَضَ فَأَقَامَهُ	الآية: 76.	سورة: الكهف
145	وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ	الآية: 96.	سورة: الصافات

## الفهارس

145	هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرُ اللَّهِ	الآية: 03.	سورة: فاطر
145	لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلُقُونَ	الآية: 03.	سورة: الفرقان
146	أَفَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لَا يَخْلُقُ	الآية: 17.	سورة: النحل
146	كَلَّا إِنَّهُمْ عَنِ رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمْ يَحْجُبُونَ	الآية: 15.	سورة : المطففين
147	بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَاتٍ	الآية: 66.	سورة : المائدة
147	لِمَا خَلَقْتُ بِيَدِي	الآية: 74.	سورة: ص
، 80 147	وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ دُوَّالْ جَلَالٍ وَالْإِكْرَام	الآية: 25.	سورة: الرحمن
, 80 147	الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى	الآية: 04.	سورة: طه
149	بَحْرِي بِأَعْيُنِنَا	الآية: 14.	سورة: القمر
159	كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَاءٍ	الآية: 29.	سورة : الرحمن
201	وَهُوَ مَعَكُمْ أَئِنَّ مَا كُنْتُمْ	الآية: 04.	سورة: الحديد
217	يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ	الآية: 200 .	سورة: آل عمران
217	وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْحَيْلِ	الآية: 61.	سورة: الأنفال
217	وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ وَمَمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ	الآية : 35.	سورة: الشورى
217	فِيمَا رَحْمَةٌ مِنَ اللَّهِ لِنَتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًا عَلَيْهِ الْقَلْبُ لَا نَفَضُوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرُهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ	الآية : 159.	سورة: آل عمران
305	أَفِي اللَّهِ شَكٌ فَاطِرُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ	الآية: 13.	سورة: إبراهيم

## الفهارس

306	لَا تَتَخَلُّدُوا إِلَهِيْنِ اثْنَيْنِ إِنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَإِيَّا يَ فَأَرْهَبُونِ	الآية: 51.	سورة: النحل
335	لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا	الآية: 22.	سورة: الأنبياء
335	ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ لَا إِلَهٌ إِلَّا هُوَ	الآية: 62.	سورة : غافر
82	لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ	الآية: 09.	سورة: الشورى
97			
335			
338	لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ	الآية: 23.	سورة : الأنبياء
341			

### - فهرس الأعلام:

- محمد ﷺ: 21، 57، 21، 342، 341، 314، 308، 303، 301، 287، 126، 127، 58، 91، 343
- أ -
- ابراهيم التهامي: 170، 237،
  - ابن أبي الجواد: 108،
  - ابن أبي الجواد: 91،
  - ابن أبي روح: 91،
  - ابن أبي زرع: 213، 281،
  - ابن أبي زيد القيرواني: 114، 163، 229، 189، 188، 242، 284،
  - ابن الأثير: 72، 215، 287،
  - ابن الأحمر: 325،
  - ابن الجوزي: 131،
  - ابن الحاجب المالكي: 157،
  - ابن الزيارات: 197، 239، 240، 242، 323، 347،
  - ابن الفرضي: 236،
  - ابن القاضي: 315



- ابن القطان: 268، 267
- ابن الكلبي: 213
- ابن المرسي: 177
- ابن النديم: 135
- ابن بشكوال: 352، 311
- ابن تيمية: 23، 275، 261، 303
- ابن حبيب: 278، 229
- ابن حجر: 29
- ابن حزم: 238، 237، 170، 172، 89
- ابن حمدين: 285، 253، 235، 234
- ابن حوشب: 67
- ابن خلدون: 48، 49، 52، 353، 295، 294، 276
- ابن خلگان: 289، 214
- ابن دبوس: 349، 251
- ابن دريد: 48
- ابن رشيد السبتي: 325
- ابن سيدة: 33
- ابن صاحب الصلاة: 282
- ابن طفيل: 279
- ابن عباس: 42، 54
- ابن عبد البر: 89
- ابن عبدوس: 103
- ابن عذاري: 71، 215، 221، 212، 73
- ابن عساكر: 133، 134، 134، 135، 136، 135، 138، 155، 189



- ابن فارس: 27
- ابن فورك: 154، 156، 177، 206، 237، 255
- ابن كثير: 275
- ابن مجاهد الطائي: 177
- ابن مجاهد: 141
- ابن مخلوف: 345
- ابن مريم: 252
- ابن هود الماسبي: 274
- ابن ورد: 177
- أبو إبراهيم إسحاق بن النعمان : 119
- أبو إسحاق إبراهيم بن عبد الله الزبيري المعروف بالقلانسي: 188، 210
- أبو إسحاق الأسفرياني: 141، 206، 255
- أبو اسحاق الإسفرياني: 154، 156، 178
- أبو الحجاج يوسف بن عبد الصمد بن نوي: 351
- أبو الحجاج يوسف بن موسى الضرير: 185، 240، 244، 245، 246، 247
- أبو الحجاج: 245
- أبو الحسن ابن حزهم: 214، 215، 216، 217، 220، 266، 320، 322، 353
- أبو الحسن الأشعري: 28، 37، 38، 49، 93، 99، 126، 132، 133، 135، 136، 137
- أبو الحسن السكري: 156
- أبو الحسن الطبرى: 141، 156
- أبو الحسن الطرائفى: 80
- أبو الحسن الطيورى: 310

- أبو الحسن العطار: 348
- أبو الحسن بن خروف الحضرمي الإشبيلي: 351
- أبو الحسن بن زرقون: 278
- أبو الحسن بن زياد: 105
- أبو الحسن بن علي المكناسي: 328
- أبو الحسن بن مؤمن: 320، 321
- أبو الحسن بن محمد (بن الحنفية): 95
- أبو الحسن علي بن أحمد الربعي المقدسي التاجر: 178
- أبو الحسن علي بن أحمد الكتاني: 186
- أبو الحسن علي بن يوسف بن تاشفين: 206، 221
- أبو الحسين بن الصحاك الغرناطي: 177
- أبو الشلعل: 67
- أبو الطاهر البغدادي: 176، 191، 210
- أبو الطيب الصفافصي: 283
- أبو العباس أحمد بن خالد الناصري: 214
- أبو العباس أحمد بن عبد الرحمن الصفيري: 350
- أبو العباس السندي: 119
- أبو العباس النقاوسي: 254
- أبو العباس: 74، 70
- أبو العرب: 101
- أبو العلاء إدريس بن عبد الله الأكبر: 115
- أبو الفضل ابن ظفر: 91
- أبو الفضل النحوي: 227، 250، 251، 253، 314، 254، 263
- أبو القاسم القسيري: 157
- أبو القاسم بن مسحور: 121

- أبو القاسم: 70
- أبو المظفر الخواض: 141
- أبو المعالي الجويني: 141، 140، 175، 177، 154، 160، 184، 201، 202، 203، 185، 206
- أبو الوليد الباقي: 172، 205، 206، 207، 200، 222، 236، 238، 263، 255، 256، 257، 258، 256، 236، 233، 232، 206
- أبو الوليد بن رشد الجد: 210، 209، 206، 209، 210، 206، 259، 257، 258، 256، 236، 233، 232، 206
- أبو بكر ابن مالك: 314
- أبو بكر الباقياني: 134، 153، 156، 176، 175، 181، 184، 189
- أبو بكر القفال: 156
- أبو بكر الصديق: 21، 22، 23، 26، 51، 52، 59، 60، 101، 343، 213
- أبو بكر بن العربي: 246، 249، 266، 309، 310، 311، 312، 313، 314
- أبو بكر بن خلف الأنصاري: 282
- أبو بكر بن خلف الله: 253
- أبو بكر بن عمر اللمتوني: 225، 240
- أبو بكر بن عمر: 220، 239
- أبو بكر بن فورك: 141
- أبو بكر محمد بن الحسن المرادي: 178، 204، 239، 240، 241، 245، 249، 263
- أبو بكر محمد بن عبد الرحمن الفخار: 246

- أبو جعفر أحمد بن نصر الداودي : 113،
- أبو جعفر بن خيرون: 121،
- أبو حامد الغزالي: 129، 141، 146، 154، 160، 172، 175، 178، 209، 263، 268، 259، 257، 254، 253، 252، 251، 235، 210، 312، 298، 310، 311، 294، 290، 289، 288، 285
- أبو خارجة عنبرة بن خارجة العقافي: 112،
- أبو خزر يغلب بن زلتان: 47،
- أبو زاكي تمام بن معارك الأجانى: 74،
- أبو زكرياء: 222،
- أبو زهرة: 61، 53، 64، 79، 94، 151، 95، 96،
- أبو سفيان الحسن ابن القاسم: 65، 66، 68، 67،
- أبو عبد الحسن الشارى السبti: 349،
- أبو عبد الله أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنُ حَبْلٍ: 153،
- أبو عبد الله الخياط: 314،
- أبو عبد الله الزبيدي: 205،
- أبو عبد الله الزق: 328، 350،
- أبو عبد الله الصائغ: 200،
- أبو عبد الله الكتائى: 266، 347، 348، 349، 350، 353،
- أبو عبد الله النامىسي: 349،
- أبو عبد الله بن الرماة: 322،
- أبو عبد الله بن زرقون: 352،
- أبو عبد الله علی بن حمدون بن سماك الجذامي الأندلسي: 68،
- أبو عبد الله مالك بن مروان اللجوسي الضرير: 246،
- أبو عبد الله محمد الرمامي: 253،
- أبو عبد الله محمد بن أحمد الجياني: 178،

- أبو عبد الله محمد بن خلف القرطي: 246،
- أبو عبد الله محمد بن سعيد بن شراحيل : 117،
- أبو عبد الله محمد بن عبد الله عمر بن غانم الرعيني: 112،
- أبو عبد الله محمد بن علي البجلي: 119،
- أبو عبيد الله محمد بن أبي بكر التميمي القيرواني عتيق السوسي: 170،
- أبو عبيدة : 213،
- أبو علي الجباني: 244،
- أبو علي الكلاعي : 205،
- أبو علي المسيلي: 266، 316، 353،
- أبو علي عمر بن ملك المرساوي: 352،
- أبو عمران الغاسبي: 176، 195، 196، 197، 199، 200، 219، 220، 263،
- .284.
- أبو عمران موسى الصنهاجي: 253،
- أبو عمرو عثمان السلاجلي: 185، 266، 318، 319، 320، 321، 322، 336، 335، 334، 332، 330، 331، 229، 328، 326، 327، 324، 323، 349، 348، 346، 344، 343، 342، 341، 340، 339، 338، 337، 336، 353، 352، 351، 350
- أبو فارس عبد العزيز الملدوذى: 214،
- أبو محمد الضبي: 134،
- أبو محمد بن الخراتش: 351،
- أبو محمد صالح بن محمد بن حرزهم: 186،
- أبو محمد عبد الله بن أبي حسان اليحصي: 112،
- أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم: 121،
- أبو محمد عيسى بن دينار : 117،
- أبو مروان بن سراج: 244،

- أبو منصور النيسابوري: 156،  
- أبو ميمونة دراس بن اسماعيل : 115، 187، 188، 209، 283، 263،
  - أبو نصر القشيري: 157،  
- أبو هاشم الجبائي: 81،  
- أبو يحيى الساجي: 134،  
- أبي إسحاق ابن المرأة: 315،  
- أبي إسحاق العمشاء: 91،  
- أبي إسحاق المروزي: 133، 138،  
- أبي الحسن القابسي: 172، 192، 193، 194، 195، 197، 200، 172،  
- أبي الحسن بن خيار: 315،  
- أبي الحسن داود: 192،  
- أبي الحسن علي بن أحمد اللخمي: 321،  
- أبي الحكم الزيات: 103،  
- أبي الخطاب عبد الأعلى بن السمح المعافري اليمني: 43،  
- أبي الصرح أئوب: 315،  
- أبي الطيب سعيد بن احمد بن سعيد الأسفاقسي: 243، 244،  
- أبي القاسم السدرري: 102،  
- أبي بكر الشاشي: 288،  
- أبي بكر الطرطوشي: 310، 268،  
- أبي بكر بن العربي المعافري : 172، 176، 178،  
- أبي بكر بن علي بن موسى الكابري: 297،  
- أبي ثوبان المرجع: 99،  
- أبي حفص الصابوني: 113،  
- أبي حنيفة النعمان: 96، 99، 106، 107، 108، 157، 116، 164،  
- أبي ذر المروي: 156، 199، 200،

- أبي زفر: 85،
- أبي زكريا يحيى بن أبي حفص عمر التنسى: 297،
- أبي زكرياء يحيى بن أبي حفص عمر: 297،
- أبي زكرياء: 102،
- أبي سعيد بن محمد العقابي: 328،
- أبي سعيد بن يونس: 278، 229،
- أبي سعيد: 47،
- أبي سليمان داود بن علي بن خلف الأصفهاني: 120،
- أبي شمر: 97، 100،
- أبي طالب عقيل بن عطية القضايعي المراكشي: 185،
- أبي عبد الله الكتاني: 327،
- أبي عبد الله المازري: 171، 205، 208،
- أبي عبد الله بن مجاهد: 188،
- أبي عبد الله جعفر الصادق: 62، 63، 64، 65، 66،
- أبي عبد الله محمد بن أبي العباس بن إسماعيل الأموي: 297،
- أبي عبد الله محمد بن إدريس الشافعى: 118، 119، 158، 159،
- أبي عبد الله محمد بن عيسى التادلى: 319،
- أبي عبد الله محمد بن يحيى الشيبانى الطرابلسي: 297،
- أبي عبد الله: 166،
- أبي عثمان سعيد بن عبد المنعم الحاحى: 297،
- أبي علي حسن بن علي المسيلى: 186،
- أبي علي عمر السكونى: 245،
- أبي عمر الطرمنكى: 172، 200، 263،
- أبي عمر بن عبد البر: 172،
- أبي عمرو الدانى: 172، 195،

- أبي عمرو عبد الرحمن بن محمد الأوزاعي: 105،
- أبي محمد التادلي: 315
- أبي محمد بن يوسف الخراط: 297،
- أبي محمد صالح ابن حرزهم: 315،
- أبي محمد عبد الله بن إبراهيم الأصيلي : 172،
- أبي مدين التلمساني: 316،
- أبي مدين الغوث: 315،
- أبي معاذ التومي: 98،
- أبي معاوية الصمادحي: 102،
- أبي منصور الشعالي: 241،
- أبي منصور الماتريدي: 152،
- أبي موسى المرادي: 169،
- أبي نجم هلال بن يوسف: 282،
- أبي نصر النيسابوري: 203،
- أبي هذيل: 84،
- أبي يزيد: 46، 180،
- أبي يعزى يلنور: 315،
- أبي يوسف القاضي: 99،
- أحمد العبادي المنشتوكى: 354.
- أحمد بن إبراهيم بن عبد الملك: 282،
- أحمد بن حنبل: 86، 125، 132، 119، 125، 159،
- أحمد بن خلف الشريشى: 348،
- أحمد بن ساق الصقلى: 204،
- احمد بن عبد الرحمن: 281،
- أحمد بن عبد الوهاب بن يونس ابن صلى الله: 92،

- أحمد بن محمد الجذامي: 204،
- أحمد بن يحيى الألبيري: 204،
- أحمد محمود صبحي: 170، 165،
- أحنانة: 194، 196، 198، 200، 240، 242،
- إسحاق بن إسماعيل أمغار: 283،
- إسحاق بن سويد العدوبي: 57،
- إسحاق بن علي: 274،
- أسد بن الفرات: 108، 112، 164،
- إسماعيل بن إسحاق: 133،
- إسماعيل بن جعفر الصادق: 64،
- أشهب بن عبد العزيز : 112،
- أفريتش: 213،
- الأحوذي: 312،
- الإسكافي: 84،
- الأشعث بن قيس: 36، 35،
- الأهذل اليمني: 139،
- البختي: 321، 326،
- البرادعي: 229، 278،
- البرزلي: 188،
- البرك: 35،
- البغدادي: 97، 154، 156، 205، 209،
- البكري: 213،
- البهلوان بن راشد: 105، 112، 113،
- الترمذى: 312،
- التنبكتى: 315،

- الشعالي: 245
- الجرجاني: 129، 156، 353
- الجنحاني: 164
- الحجاج بن يوسف الثقفي: 29، 31
- الحسن البصري: 78، 80
- الحسن العسكري: 62، 63
- الحسن بن علي (ر): 54، 55، 56، 59، 60، 79
- الحسن علي بن الأنصاري الخزرجي الفاسي الإشبيلي ابن الحصار: 351
- الحسين بن علي (ر): 29، 54، 55، 56، 59، 60، 62
- الخشني: 120
- الداراني: 156
- الدارقطني: 311
- الذهبي: 199، 200، 275
- الرازي: 38، 141، 160
- الرعيني: 327
- الزبير: 95
- الزركشي: 286
- الزخشري: 28
- السبكي: 134
- السلاوي: 117
- السمعاني: 157
- السملالي: 325
- الشريف الرضي: 23
- الشقراطسي: 254
- الشهرستاني: 28، 29، 49، 60، 64، 93، 126، 141، 151

- الشيرازي: 178
- الصعلوكي: 156
- الغازى ابن قيس الأندلسى: 117
- الغربيني: 317، 352
- الفاسى: 254
- ألمفرد بل: 41، 52
- الفضل الرقاشى: 100
- القاضى النعمان: 72
- القاضى عياض: 311، 281، 249، 248، 244، 238، 188، 178، 113، 92
- القحطانى: 236
- القطب الصنهاجى: 243
- ألكيا المراسى: 178
- المالكى: 102
- المأمون: 91، 131، 191، 302.
- المبارك عبد الجبار: 288
- المبروك المنصوري: 170
- المتوكل: 302
- المعتصم: 91، 120، 302.
- المعز بن باديس الصنهاجى: 180، 164
- المعز لدين الله: 76
- المقرى: 117، 105
- المقرىزى: 34، 126، 168، 134، 133، 169، 183، 277، 294
- الملطى: 32، 35، 38، 79
- المنصور: 47، 59، 64، 75، 281

## الفهارس

- النعمان بن البشير: 54،
- الوجختي: 55، 100، 64،
- الهبطي الكبير: 186، 327،
- الهمتاتي: 171، 174،
- الواثق: 91، 302،
- الونشريسي: 114، 270،
- أم سلمة: 56،

### - ب -

- بشر المريسي: 91،
- بشر المريسي: 99،
- بل يكن بن زيري: 76،
- بن نصر بن ماكولة: 311،
- تين يزامارن: 222،

### - ج -

- جبريل عليه السلام: 58،
- جعد: 35،
- جلال محمد موسى: 137، 138،
- جهم بن صفوان: 86، 97، 100،
- جورج مقدسی: 141،
- جولد تسیهر: 289،
- جیلانی عبد المغیث: 354،

### - ح -

- حسن الشیخ الفاتح: 137،
- حماس بن مروان: 92،

- خ -

- خالد كبير علال: 25, 262,

- خيرونة: 325, 326

- ذ -

- ذو الخويسرة التميمي: 127,

- ز -

- زياد بن عبد الرحمن: 117,

- زيادة الله: 70

- زيد بن علي بن الحسين: 59,

- س -

- سحنون بن سعيد: 102, 278, 114, 229, 112, 113, 111,

- سعد بن عبادة: 21

- سعيد بن الحداد: 113, 165, 166,

- سعيد بن عبد الله بن كلاب البصري: 152,

- سعيد: 35

- سفيان الثوري: 102,

- سفيان بن سعيد بن مسروق: 104,

- سلامة بن سعيد: 42,

- سلمة بن سعد: 161,

- سليمان بن أبي عصفور الفراء: 91,

- سليمان بن عمران: 108,

- سير بن الحاج: 273,

- ص -

- صقلاب بن زيد الهمذاني: 112,

- صلاح الدين الأيوبي: 156, 169, 183,

- ط -

- طلحة: 95

- ع -

- عائشة: 32

- عياد بن سليمان: 85

- عبد الأعلى بن وهب بن عبد الأعلى: 92

- عبد الجليل بن موسى الأنباري الأوسي القصري: 351

- عبد الحق الأذري: 352

- عبد الحق بن عطية: 172

- عبد الرحمن بن ملجم: 24، 55

- عبد الرحمن الداخل: 116

- عبد الرحمن السبائي: 106

- عبد الرحمن الناصر: 121

- عبد الرحمن بن أشرس: 112

- عبد الرحمن بن القاسم: 112

- عبد الرحمن بن القاسم: 112

- عبد الرحمن بن سليمان السملالي: 329

- عبد السلام سحنون: 163

- عبد العزيز فيلالي: 76

- عبد الغالب السالمي: 205

- عبد الله ابن بسام: 251

- عبد الله ابن علي ابن أحمد الحلواي: 66، 67، 68

- عبد الله ابن فروخ الفاسي: 108

- عبد الله الأذري: 176، 191، 192، 210

- عبد الله الشيعي الداعي: 74، 75، 76، 68

- عبد الله بن الأشج: 91
  - عبد الله بن الحارث: 89، 90
  - عبد الله بن المغيرة: 108
  - عبد الله بن سبأ: 57
  - عبد الله بن عبد الرحمن المروزي: 73، 120، 121
  - عبد الله بن كلاب البصري: 153
  - عبد الله بن محمد قاسم هلال: 121
  - عبد الله بن مسرة: 92
  - عبد الله بن وهب الراسي: 35، 36
  - عبد الله بن وهب: 112
  - عبد الله بن ياسين: 220، 221، 222، 223، 224، 225، 240، 285
  - عبد الله بن يبيقي: 348
  - عبد الله كون: 196، 326
  - عبد المؤمن بن علي الكومي: 211، 210، 270، 271، 272، 273، 274، 277، 280، 291، 295
  - عبد الجيد النجار: 188، 194، 345
  - عبد الملك بن الحسن: 106
  - عبد الملك بن حبيب: 118
  - عبد الملك بن محمد الضبي: 119
  - عبد الواحد المراكشي: 169، 211، 221، 230، 232، 233، 239، 249، 267، 268
  - عبد الوهاب المالكي: 242
  - عبد بن ياسين: 197
  - عبيد الله الشيعي: 66، 70، 71، 72، 73، 74، 75
  - عبيدة بن الجراح: 22

- عثمان بن عفان: 23، 26، 31، 50، 53، 54، 57، 63، 314، 343
- عروة بن حمير: 34
- عضد الدين الإيجي: 94
- عكرمة بن عبد الله: 42، 161
- علي أبي الخطأر، حسام ابن ضرارا الكلبي: 105
- علي الرضا: 62، 63
- علي المادي: 62، 63
- علي بن أبي الفاسي: 33
- علي بن أبي طالب: 22، 23، 24، 26، 29، 30، 31، 32، 33، 34، 35، 36، 49
- علي بن خروف الخضرمي: 282
- علي بن زياد التونسي: 111، 163
- علي بن زياد و ابن الأشرس: 113
- علي بن شرحبيل: 57
- علي بن غانية الميريوفي: 316
- علي بن مؤمن الأنصاري: 350
- علي بن يوسف بن تاشفين: 234، 253، 255، 261، 271، 285
- علي زين العبددين: 62، 63
- علي شقران بن علي القيرواني: 112
- عمار بن ياسر: 54
- عمر بن الخطاب: 22، 23، 26، 30، 50، 51، 53، 59، 101، 343
- عمر بن العاص: 30، 54، 101
- عمر بن ذر: 102
- عمر بن قيس الماصري: 100
- عون بن يوسف: 102

## الفهارس

- عيسى بن ماهان: 59،

- عيسى بن مسكين: 102،

- عيسى بن يوسف بن عيسى بن علي الأزدي: 246،

- عيسى صلوات الله عليه: 52،

### - غ -

- غسان المرجع: 98،

- غلام الخليل: 132،

- غيلان الدمشقي: 86, 97, 100،

### - ف -

- فاطمة(ر): 59, 60،

- فخر الإسلام الشلش: 157،

- فطر بن خليفة: 102،

### - ق -

- قاسم بن انهم: 109،

- قاسم بن محمد بن سيار مولى الوليد: 119،

- قرعوس بن العباس : 117،

### - ك -

- كارل بروكلمان: 136،

### - م -

- مالك بن الغول: 102،

- مالك بن أنس: 102, 106, 110, 112, 119, 158, 163, 165, 173, 228, 229،

- 230, 236, 278،

- محمد ابن أحمد بن محمد اللخمي: 281،

- محمد ابن مخلوف بن خلف: 253،



- محمد الأمين بلغبيث: 217
- محمد الباقر : 62، 63،
- محمد الجواد: 62، 63،
- محمد الكلاعي: 91،
- محمد المسمحي : 91،
- محمد المغراوي: 171،
- محمد النفس الزكية: 111،
- محمد بن إبراهيم بن عباد التلمساني: 297،
- محمد بن الأسود الصديقي: 92،
- محمد بن الحسين بن موسى: 23
- محمد بن تومرت: 168، 169، 170، 176، 179، 181، 185، 211، 231، 249، 255، 260، 261، 262، 266، 267، 269، 275، 276، 277، 285، 286، 287، 300، 301، 302، 303، 304، 305، 306، 307، 308، 309، 311، 327، 345، 353.
- محمد بن خلف التجيبي: 278
- محمد بن خليل السكوني: 246،
- محمد بن سحنون: 103، 174،
- محمد بن سعيد الانصاري: 278
- محمد بن سليمان الباجي: 204،
- محمد بن سليمان الظاهري: 121،
- محمد بن شبيب البصري: 97،
- محمد بن عبد الرحمن : 119،
- محمد بن عبد الرحمن الرعيبي السرقسطي: 350،
- محمد بن عبد الله العلوى: 354.
- محمد بن عبد الوهاب الجبائى: 84، 135، 136، 137، 152.

## الفهارس

- محمد بن علي التميمي المهدوي: 177
- محمد سعيد الميورقي: 203
- محمد عابد الجابري: 235, 298
- محمود بن سعداوي: 200
- محى الدين ابن عربي: 279
- محى الدين عزوز: 170
- مرداس الخارجي: 34
- معاذة بنت عبد الله البدوي: 32
- معاوية بن أبي سفيان: 24, 30, 31, 35, 54, 55, 79, 80, 94, 101, 102
- معبد الجهنمي: 86
- معدان: 35
- معمر بن منصور: 100, 101
- منذر بن سعيد البلوطي: 121
- موسى الكاظم: 62, 63
- موسى بن نصير: 213
- ميسرة المطغرى: 43

- ن -

- نظام الملك: 155

- ه -

- هادي روجي إدريس: 168, 173
- هشام الفوطي: 85
- هشام بن عبد الرحمن الداخل: 106, 109
- هشام بن عبد الملك: 41, 59
- هشام رضا: 117
- هنري كوربان: 136

- هيثم بن سليمان: 108 -

- و -

- واصل بن عطاء: 59، 78، 80، 89، 90 -

- وجاج بن زلو اللمعطي: 197، 222، 284 -

- وليد النفري: 240 -

- ي -

- يحيى بن إبراهيم الجدالي: 219، 225 -

- يحيى بن قيم بن المعز: 270 -

- يحيى بن زيد: 59 -

- يحيى بن سلام: 101، 102 -

- يحيى بن عبد الرحمن الأشعري القرطبي أبو عامر: 352 -

- يحيى بن عمر اللمتوني: 225 -

- يحيى بن عون بن سليمان بن عصفور: 91 -

- يحيى بن كيس: 204 -

- يحيى بن يحيى الليثي: 118 -

- يحيى هويدى: 164 -

- يزيد بن عاصم المخاربى: 34 -

- يزيد بن معاوية: 55، 56، 102 -

- يقطنان بن أبي اليقظان: 71 -

- يوسف الثقفي: 59 -

- يوسف بن بلkin: 77 -

- يوسف بن تاشفين: 220، 221، 225 -

- يوسف بن عبد المؤمن: 278 -

- يونس بن عون: 97 -

**3- فهرس الجماعات و الشعوب و القبائل :**

- أ -

- أرغان: 287
- الأغالبة: 69
- الأمويين: 31، 43
- البحيليين: 249
- البربر: 42، 301، 290، 213، 161، 90، 47، 44، 43
- الرستميين: 71
- العبيديين: 180، 45، 44
- العراقيين: 59
- العرب: 161، 43
- الفراعنة: 58
- المصريون: 58
- اليهود: 58
- أولاد ترجموت: 212

- ب -

- برغواطة: 283، 272، 249، 219
- بنو حمدين: 235
- بنو رشد: 235
- بنو سكتان: 68
- بني العباس: 161، 91، 64
- بني أمية: 23، 161، 59، 55، 53، 40
- بني حماد: 253، 254
- بني خصفة: 35
- بني رستم: 44
- بني سعد: 35

- بني مدرار: 44، 114 -

- بني هاشم: 52، 53 -

- بني يشكر بن بكر بن وائل: 34 -

- ج -

- جاحة: 267 -

- جدالة: 212، 222 -

- جدمية: 267 -

- جميلة: 68 -

- جنفيسة: 267 -

- ح -

- حمير: 213، 214 -

- د -

- دكالة: 267 -

- ر -

- رحراحة: 267 -

- ز -

- زناته: 219 -

- ص -

- صنهاجة: 75، 212، 213، 214، 215، 267 -

- ع -

- عنزة: 35 -

- غ -

- غمارة: 219، 271 -

- ق -

- قيسية: 43 -

## الفهارس

- ك -

- كتامة: 76, 75, 74, 72, 69, 68, 67 -

- كومية: 267 -

- ل -

- لمونة: 271, 213, 212 -

- لمطة: 267, 212 -

- م -

- مدينة: 318 -

- مسوفة: 271, 212 -

- مصمودة: 267, 225 -

- ه -

- هرغان: 287 -

- هرغة: 287, 267 -

- هكسورة: 267 -

- هنتاتة: 267 -

- هوارة: 45 -

- ي -

- يمية: 43 -

4- فهرس الموضع والأمكانة والبلدان:

- أ -

- آسيا: 345 -

- إشبيلية: 310, 281, 279, 256 -

- أشير: 75
- أغمات: 290, 283, 274, 178
- إفريقيا: 47, 168, 164, 112, 113, 76, 102, 105, 107, 108, 73, 72, 70, 56
- الإسكندرية: 270, 269, 263, 230
- الأندلس: 106, 193, 183, 178, 172, 121, 118, 116, 115, 111, 110, 109
- الجزائر: 274, 36, 151, 133, 107, 59, 57
- البصرة: 200, 199, 203, 201, 221, 222, 217, 211, 238, 228, 241, 240, 253
- الحجاز: 57, 310, 230, 169, 118, 111, 110
- الحرة: 29, 55, 59
- الزاب: 108
- السنغال: 217
- السودان: 178, 345, 178
- السودان: 345, 178
- السوس: 284, 283, 227, 225, 222, 220, 217, 115, 71
- الشام: 31, 31, 56, 56, 105, 110, 156, 157, 169, 213, 214, 268
- القاهرة: 163, 156
- القدس: 269, 310, 254, 191, 164, 157, 107, 103, 100, 91, 90, 59



- القلعة: 251، 253، 254
- القيروان: 171، 172، 173، 174، 175، 176
- الكوفة: 31، 32، 36، 57، 59، 107
- المحيط الأطلسي: 217
- المدائن: 57
- المدينة: 29، 55، 60، 107، 111، 64
- الْمَرْيَة: 282
- المسيلة: 113
- المشرق الإسلامي: 30، 41، 44، 52، 79، 88، 94، 107، 125، 151، 162، 166
- المغاربة: 169، 170، 175، 177، 178، 182، 195، 200، 201، 203، 209، 210، 268
- المغرب الأدنى: 271، 276، 44، 345
- المغرب الإسلامي: 25، 41، 42، 43، 44، 45، 47، 56، 59، 65، 66، 67، 68، 72
- المنصورية: 75
- المهدية: 251، 269، 270، 274
- المهدية: 46

- النهراون: 24، 29، 31، 36
- اليمن: 56، 67، 169
- إيجلي: 271
- إيجلز: 270
- إيكجان: 69، 72

- ب -

- بجایة: 251، 270، 274، 290، 316
- بغداد: 151، 229، 311، 268، 269
- بلاد فارس: 157
- بونة: 274
- بیت المقدس: 310، 290

- ت -

- تادلا: 271
- تارودونت: 271، 283
- تازورت: 69
- تافیلالت: 70
- تالة: 65
- تلمسان: 113، 270، 271، 272، 281، 290
- تماما ناوت: 222
- تنس: 113
- تھودة: 108
- تونس: 105، 178، 195، 274
- تینملل: 267، 271، 290
- تیهرت: 45، 71، 108، 113، 114، 162

- ج -

- جزولة: 222، 267
- جوزجان: 59

- ح -

- حروراء: 29، 31، 32
- حمزة: 113

- خ -

- خراسان: 59، 100، 191

- د -

- درعة: 217، 271
- دمشق: 269، 290، 310

- ر -

- رقادة: 44، 70، 72، 73، 75

- س -

- سبتة: 178، 263، 267، 274، 278
- سجلماسة: 43، 44، 45، 70، 71، 72، 73، 75، 114، 162، 229، 251، 274
- سرقسطة: 244
- سطيف: 75
- سقيفة بني ساعدة: 21
- سليلجو: 318، 319
- سمرقند: 152
- سوسة: 274

- ش -

- شاطئ الفرات: 30

- شنقيط: 217 -

- ص -

- صفين: 24، 30، 31، 34، 35، 54 -

- ط -

- طرابلس: 45، 269 -

- طنجة: 213، 274 -

- غ -

- غدامس: 217 -

- غدير خم: 60 -

- غرناطة: 352 -

- ف -

- فاس: 109، 171، 173، 183، 187، 194، 188، 251، 252، 253، 263 -

- 270، 272، 278، 290، 282، 314، 315، 347، 350، 351 -

- ق -

- قابس: 274 -

- قرطبة: 234، 235، 268، 285 -

- قسطنطينية: 274، 290 -

- قصبة: 274 -

- ك -

- كربلاء: 55 -

- م -

- مالقة: 352 -

## الفهارس

- مراكش: 274, 273, 271, 272, 267, 263, 253, 251, 246, 244, 225, 228, 290, 318, 282, 65
- مصر: 290, 268, 214, 213, 183, 179, 169, 157, 156, 76, 70, 57, 56, 310
- مكة المكرمة: 290, 107, 67
- مكناسة: 290, 274, 272
- ملالة: 290, 270
- مليانة: 274
- موريتانيا: 215

- ن -

- نفوسه: 45
- نفيس: 284, 220
- نيسابور: 269

- ه -

- هذان: 35

- و -

- وهران: 272

## 5- فهرس الفرق والمذاهب والأديان:

- أ -

- الإباضية: 162, 179, 113, 102, 90, 45, 44, 43, 42, 41, 40, 37

## الفهارس

- الابراهيمية: 40
- الإثنا عشرية: 60
- الآخنسية: 39
- الأزرقة: 40، 39، 29
- الأسکافية: 88
- الإسلام: 217، 162، 161، 128، 123، 52
- الإسماعيلية: 61، 60، 69، 65، 64، 63، 62
- الأسورية: 88
- الأشاعرة: 142، 206، 193، 199، 180، 158، 157، 156، 154، 150، 149، 146، 142
- الإمامية: 62، 61، 60
- الباطنية: 65، 63
- الباقيبة: 61
- البتيرية: 59
- البرغواطية: 90
- البشرية: 88
- البهشمية: 88
- التومنية: 98، 97
- الشامامية: 88
- الثنوية: 87
- الشوبانية: 99، 97
- الجاحظية: 88
- الجارودية: 59
- الجبائية: 88
- الجبرية: 135

## الفهارس

- الجعفرية: 88
- الجهمية: 25، 201، 200، 146، 145، 143، 132، 100، 86، 84
- الحديثة: 88
- الحرورية: 32
- الحشووية: 135، 250، 231، 227، 148، 143
- الحمارية: 88
- الحنابلة: 132، 155
- الحنبالية: 104، 123
- الحنفية: 104، 123
- الخابطية: 88
- الخازمية: 39
- الخمرية: 40
- الخوراج: 24، 36، 37، 38، 40، 42
- الخياطية: 88
- الرافضة: 58، 60
- الرشيدية: 40
- الروافض: 57
- الزرارية: 61
- الزيدية: 59، 61، 113
- السبئية: 57، 58
- السحنونية: 103، 1
- السليمانية: 59
- الشافعية: 104، 123
- الشحامية: 88



- الشراة: 33، 34
- الشكاك: 100
- الشكوكية: 103
- الشمراخية: 40
- الشيبانية: 39
- الشيبة: 39
- الشيطانية: 61
- الشيعة البجلية: 71، 283
- الشيعة: 25، 267، 226، 183، 132، 104، 94، 66، 65، 62، 59، 57، 55، 53، 54، 52، 51، 50، 49، 48، 47، 44
- الشيميطية: 61
- الصالحية: 88
- الصالحية: 59
- الصفرية: 39، 163، 116، 45، 44، 43، 41
- الصفريون: 43
- الصلبية: 39
- الصوفية: 132
- الطحاوية: 157
- الظاهرية: 170، 123، 122، 104
- العبدوسية: 103
- العجاردية: 40، 39
- العدلية: 86
- العلويون: 55، 56، 63، 74، 115
- العمارية: 61
- العمورية: 88

- الغرائية: 58،
- الغسانية: 98، 97
- الغلاة: 85، 61، 57، 52
- الغيلانية: 100،
- القديرية: 57، 86، 84، 97
- القطعية : 61،
- الكاملية: 61،
- الكرامية: 96، 25،
- الكعبية: 88،
- الكلابية: 153،
- الكيسانية: 61،
- الماتريدية: 157،
- المارقة: 34،
- الماصرية: 100،
- المالكية: 301، 278، 181، 179، 180، 174، 171، 163، 123، 104، 102،
- المباركية: 61،
- المحسنة: 148، 146، 143، 25،
- المجهولية: 39
- المحوس: 87، 65
- المحسوسية: 87، 52،
- المحكمة: 34،
- المحمدية: 61،
- المحمدية: 103،
- المذهب الإسماعيلي: 47،
- المذهب الأشعري: 25، 179، 174، 173، 168، 167، 151، 139، 136، 121، 104،

- ،266،264،259،258،257،248،246،232،211،228،209،182
- .354،344،326،325،309،295
- المذهب الشوري: 104
- المذهب الحنفي: 178،164،163،117،109،108،107
- المذهب الشافعى: 178،173،119
- المذهب الشيعي: 182،179،164،73،69،65،56،52،45
- المذهب الظاهري: 277،121،120
- المذهب المالكى: 165،163،117،116،115،114،111،109،106،88،73،285،277،260،257،178،174،173
- المرجعة الخالصة: 99
- المرجعة: 132،102،101،100،97،96،95،94،93،92،54
- المردارية: 88
- المريضية: 99،97
- المعبدية: 40
- المعتزلة: 97،95،90،88،89،87،86،84،83،82،81،79،78،77،37،25
- ،144،143،141،139،138،137،136،132،131،130،129،125،120،116
- ،328،267،226،201،200،173،162،152،149،148،146
- المعطلة: 87
- المعلومية: 39
- المعمارية: 88
- المكرمية: 40
- المكيفة: 143
- الموسوية: 63،61
- المويسية: 88
- الميمونية: 40

- الناوسية: 61
- التجاربة: 146
- النجادات: 40، 39، 29
- النصرانية: 52
- النظامية: 88
- النكاريّة: 116
- النواصب: 33
- المذلية: 88
- المشامية: 61
- المشامية: 88
- الوالصلية: 283، 180، 162، 90، 88
- الواقفة: 40
- الوعيدية: 87، 78
- الوقفية: 64
- الوهبيين: 36
- اليزيدية: 40
- اليهودية: 52
- اليونسية: 61
- اليونسية: 97
- أهل السنة: 23، 157، 133، 126، 125، 116، 114، 102، 95، 89، 88، 69، 25، 59
- 328، 286، 245، 176، 160

- ح -

- حداثية: 40
- حفصية: 40

- خ -

## الفهارس

- خلفية: 45 -

- م -

- مذهب الأوزاعي: 105 -

- مذهب المرجئة: 100 -

- مرجة الجبرية: 99 -

- مرجة الخارج: 99 -

- مرجة السنة: 99 -

- مرجة القدرية: 99 -

- ن -

- نفاثية: 45 -

- نكارية: 46 -

- و -

- وهبية: 45 -

**6- فهرس الملاحق:**

**الصفحة:** رقم الملحق:

**الملحق رقم 01:** خريطة انتشار المذاهب و الفرق في بلاد المغرب خلال القرنين (3-4 هـ) ..... 363 ..... 10 (م)

**الملحق رقم 02:** جدول يمثل أهم المؤلفات في الرد على البدع والفرق المنحرفة خلال القرنين (3-4 هـ) ..... 364 ..... 365-366

**الملحق رقم 03:** رسالة أبي عبيدة مسلم بن أبي كريمة إلى شيخ الإباضية بالغرب ..... 366

**الملحق رقم 04:** شجرة نسب آل أبي طالب ..... 367

**الملحق رقم 05:** شرح قول المعتزلة في التوحيد و غيره ..... 368

**الملحق رقم 06:** باب ما تنطق به الألسنة و تعتقد الأفئدة من واجب أمرور الديانات ..... 369-370

- الملحق رقم 07: فتوى لأبي الفضل بن النحوي (ت 513هـ) حول إحياء علوم الدين للغراوي..... 373-371.
- الملحق رقم 08: سؤال أمير المسلمين يوسف بن تاشفين حول الأشعرية و جواب الإمام أبو الوليد ابن رشد عليه..... 375-374.
- الملحق رقم 09: سؤال الأمير أبي إسحاق بن علي بن يوسف وجواب ابن رشد عليه..... 375
- الملحق رقم 10: رسالة أبي بكر محمد بن الوليد الطرطوشي المالكي (520 هـ) إلى ابن المظفر..... 376.
- الملحق رقم 11: عقيدة "المرشدة" لابن تومرت (524هـ)..... 377.
- الملحق رقم 12: متن العقيدة البرهانية للسلامي (ت 594هـ)..... 382-378.

7- فهرس الأشكال:

الصفحة	العنوان	الشكل البياني
121	المذاهب الفقهية في المغرب الإسلامي خلال القرنين 2-4هـ/08-10م	دائرة نسبية

# فهرس الموضوعات

## فهرس الموضوعات

### 8- فهرس الموضوعات:

- شكر و عرفة.
- الإهداء.
- مقدمة.....01
<b>الفصل الأول: الأوضاع المذهبية في بلاد المغرب الإسلامي قبل القرن 5 هـ/11م.....21</b>
1- المذاهب العقدية في المغرب الإسلامي قبل دخول المذهب الأشعري.....25
25.....1- أهل السنة و الجماعة.....1
27.....2- الخوارج.....1
47.....3- الشيعة.....1
77.....4- المعتزلة.....1
92.....5- المرجعية.....1
103.....2- المذاهب الفقهية في المغرب الإسلامي قبل دخول المذهب الأشعري.....2
103.....1-2- المذهب الثوري.....2
104.....2- مذهب الأوزاعي.....2
105.....3-2- المذهب الحنفي.....2
108.....4- المذهب المالكي.....2
116.....5-2- مذهب الشافعي.....2
118.....6-2- المذهب الحنبلبي.....2
118.....7-2- المذهب الظاهري.....2
122.....خلاصة.....
<b>الفصل الثاني: دخول المذهب الأشعري إلى بلاد المغرب الإسلامي.....124</b>
125.....1- التعريف بالإمام أبو الحسن الأشعري.....1
149.....2- نشأة المذهب الأشعري في المشرق الإسلامي.....2
153.....3- انتشار المذهب الأشعري و موقف السلف منه.....3
159.....4- دخول المذهب الأشعري لبلاد المغرب .....

## فهرس الموضوعات

5- عوامل دخول المذهب الأشعري لبلاد المغرب.....	171
6- عوامل تأخر اعتناق المذهب الأشعري ببلاد المغرب.....	180
7- مرجعيات المذهب الأشعري عند المغاربة.....	182
8- رجالات الأشعرية ببلاد المغرب إلى حدود العصر المرابطي.....	184
خلاصة.....	207
<b>الفصل الثالث: المذهب الأشعري زمن دولة المرابطين.....</b>	210
1- نشأة الدولة المرابطية.....	211
2- أسس الدعوة المرابطية.....	217
3- الوضع المذهبي في بداهة العصر المرابطي.....	224
4- الدولة المرابطية و المذهب الأشعري.....	227
4-1- موقف العلماء من تسرب الفكر الأشعري.....	230
4-2- وضعية الأشعرية في العصر المرابطي.....	237
4-3- الأشعرية بين المرابطين و ابن تومرت.....	259
خلاصة.....	262
<b>الفصل الرابع: المذهب الأشعري زمن دولة الموحدين.....</b>	265
1- نشأة الدولة الموحدية.....	266
2- أسس الدعوة الموحدية.....	274
3- مكانة الفقهاء في عصر الموحدين.....	279
4- الدولة الموحدية و المذهب الأشعري.....	281
5- رجالات الأشعرية في العصر الموحدي.....	285
5-1- محمد ابن تومرت (ت 524هـ).....	285
5-2- أبو بكر ابن العربي (ت 543هـ).....	308
5-3- أبو الحسن بن حزهم (ت 559هـ) .....	313
5-4- أبو علي المسيلي(ت 580هـ).....	315
5-5- السلاجقي(ت 594هـ).....	316

## فهرس الموضوعات

345.....	6- الكتاني (ت 596هـ)
353.....	خلاصة.....
355.....	الخاتمة.....
361.....	الملاحق.....
382.....	قائمة المصادر و المراجع.....
413.....	الفهارس.....
413 .....	1 - فهرس الآيات القرآنية.....
416.....	2 - فهرس الأعلام ..
437.....	3 - فهرس الجماعات و الشعوب و القبائل .. .
440.....	4 - فهرس الواقع والأمكانية و البلدان . . .
446.....	5 - فهرس الفرق والمذاهب والأديان . .
453.....	6 - فهرس الملاحق.....
454.....	7 - فهرس الأشكال.....
456 .....	8 - فهرس الموضوعات.....

تمت بحمد الله.

# المؤلف في سطور



الأستاذ الدكتور: عبد الغني حروز

أستاذ بقسم التاريخ كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية بجامعة محمد بوضياف بالمسيلة، حاصل على شهادة الأستاذية في التاريخ من جامعة محمد بوضياف بالمسيلة؛ باحث في الحضارة العربية الإسلامية في المشرق والمغرب خلال العصر الوسيط، مهتم بتراث الغرب الإسلامي (النقلي والعقلي)؛ له مشاركات علمية في ملتقيات وطنية ودولية، كما له العديد من المقالات العلمية في المجالات الوطنية والدولية.

## التعریف بالکتاب

جاء هذا الكتاب ليحيط اللثام عن مرحلة هامة من المراحل الحاسمة في تاريخ الحركات المذهبية بالغرب الإسلامي خلال العصر الوسيط، ونستهدف بهذا الكتاب حضور المذهب الأشعري بالغرب الإسلامي خلال ق: 5-13هـ / 11-17 م

و عالج الباحث في هذا الكتاب الأوضاع المذهبية للغرب الإسلامي قبل دخول المذهب الأشعري ثم تطرق إلى نشأة ودخول وانتشار المذهب الأشعري مشرقاً ومغارباً، كما بين فيه تطور المذهب الأشعري خلال عصر الدولة المرابطية وأوضح موقف علماءها منه، وأنهى كتابه بالحديث عن التطور الذي وصل إليه المذهب خلال عصر الدولة الموحدية الذي يمثل العصر الذهبي للمذهب من خلال ترسيمه من طرف ابن تومرت.

ISBN: 978-9931-9914-2-7



9 789931 991427

منشورات سلسلة الكتب الأكademie  
كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية  
جامعة محمد بوضياف - المسيلة  
الإيداع القانوني: أكتوبر 2022